

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الحادي والعشرون



للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٣٨٩ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧.٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

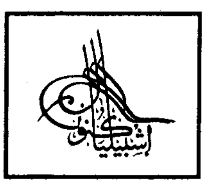
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

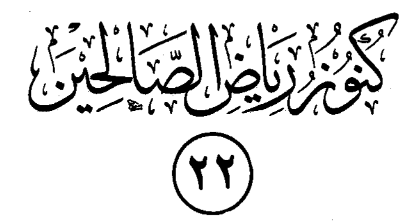


دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com


كنوز رياض الصالحين
٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-١٥-٨٠٥٥-٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

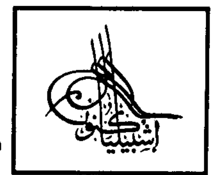
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-١٥-٨٠٥٥-٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢١)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٣٤٨- باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

الحديث رقم (١٧٦٩)

١٧٦٩- عن جابر رضي الله عنه قَالَ: نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ، وأنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يجصص القبر: يطلى القبر بالجص، وهو من مواد البناء[2].

الشرح الأدبي

يلتقي هذا الحديث مع الحديث السابق في وجوب صيانة القبور، ووجوب الحفاظ على حُرْمتها، ولكن هذا الحديث يعد خبراً عن رسول الله ﷺ يرويه جابر رضي الله عنه، والحديث يتضمن جملة واحدة كلية، وهي تتكون من الفعل: نهى، والفاعل: وهو الذي أصدر النهي: وهو رسول الله ﷺ، ثم حيثيات النهي: وهي متعلقات الجملة، وتتمثل في الظواهر المنهي عنها، وهي ترد في ثلاث جمل فرعية تنبثق من الجملة الكبرى، وهذه الظواهر كما وردت في الحديث: "أن يجصص القبر"، "وأن يقعد عليه"، "وأن يبني عليه"، والصياغة في هذه الجمل تتسم بالتوازن اللغوي، والتنسيق البنائي، فالجمل الثلاث كلها صيغت في إطار لغوي موحد، وهو المصدر المؤول: المكون من أن المصدرية والفعل المضارع المبني للمجهول، ثم حذف الفاعل في الجمل الثلاث، وصيغة البناء للمجهول تشير إلى أن النهي ليس صادراً لمن يبني أو يقعد أو يجصص القبر، ولكن النهّي عام وشامل للفعل نفسه وللفاعل، وهذه الصياغة تفيد العموم حيث لا يرتبط

---

(١) برقم (٩٧٠/٩٤).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ص ص).

النهي عن هذه الظواهر بزمن محدد، ولا بمكانٍ بعينه، ولا بيئة دون أخرى، وإنما هي قاعدة شرعية يجب اتباعها في كل زمان ومكان، مهما اختلفت البيئات، وتغيرت الأزمان، وهذه الشمولية مع الإيجاز الشديد، والإيحاء المتمّوج بالمقاصد والمعاني السامية: من أسرار بلاغة البيان النبوي، وقوة التأثير والإقناع.. مع الوضوح والبعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم تجصيص القبر: ومعنى تجصيص القبر، أي تبييضه بالجص، وهو الجير.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى كراهة تجصيص القبر، وذلك لأن هذا التجصيص إنما هو زينة، وخيلاء، وليس الموت موضع واحد منهما.

ولأن تجصيص القبر بدعة، إذ إن المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار لم يكونوا يجصصون القبور[2].

وذهب الظاهرية[3] إلى أن تجصيص القبور حرام، واستدلوا على ذلك بظاهر الأحاديث التي تنهى عن تجصيص القبور.

والراجح -والله أعلم- هو رأي الجمهور القائلين بالكراهة.

٢- حكم القعود على القبر: وقد تقدم بيان حكمه في الحديث رقم (١٧٥٩) فلا حاجة بنا إلى التكرار.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٢٠٩، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢/٢٣٦، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١/٤٠٥، الثمر الداني ١/٢٧٥، وكفاية الطالب الرباني ١/٥٢١، والمهذب ١/١٣٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/٢٨٩، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢/٢٧٣، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ١/١٧٠، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ١/٢٥٣.

(٢)الأم، الإمام الشافعي ١/٢٧٧، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ١/٢٥٣

(٣) المحلى، ابن حزم ٥/١٣٣.

٣- حكم البناء على القبر: اختلف الفقهاء في حكم البناء على القبر: فذهب الجمهور[١] إلى أن البناء على القبر مكروه، وذلك لأنه زينة لا حاجة للميت إليها، ولما فيها من تضييع المال بلا فائدة[٢].

وذهب الظاهرية[٣] إلى أن البناء على القبر حرام، وإذا بني وجب هدمه.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على اتباع السنة في عدم تجصيص القبور والبناء عليها وكذلك القعود عليها.

ثانياً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال وعدم الإسراف والحث على التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على اتباع السنة في عدم تجصيص القبور والبناء عليها وكذلك القعود عليها:

إنه ينبغي على المسلم اتباع السنة وما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ومن ذلك ما جاء في بيان حكم تجصيص المقابر والبناء عليها والجلوس عليها، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه" وفي ذلك نهي عن تعظيم القبور بتجصيصها والبناء عليها، والتجصيص كما قال المحلي: هو التبييض بالجص وهو الجير[٤]، قال ابن عثيمين: (حرم الجلوس على القبر، لأن القبر فيه إنسان مسلم محترم، وجلوسك عليه إهانة له، مثل ذلك الغلو في

---

(١) البدائع ٣٢٠/١، وتحفة الفقهاء ٢٥٦/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤٢/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٢٥/١، وحاشية الشرواني ١٩٦/٣، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٧٠/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩٣/٢.

(٢) تحفة الفقهاء ٣٢٠/١، والبدائع ٣٢٠/١.

(٣) المحلى، ابن حزم ١٣٣/٥.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/٣.

القبور، ولهذا نهى ﷺ أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه، لأن تجصيصه يعني تفخيمه، وتعظيمه يؤدي إلى الشرك به، وكذلك البناء[1]. وقد جاءت الأحاديث آمرة بتسوية المقابر فعن ثمامة بن شُفَيٍّ قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[2]. وعن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[3].

قال القرطبي: (ووجه النهي عن البناء للقبور ونحوه كالتجصيص وغيره، أن ذلك مباهاة، واستعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّه بمَنْ كان يُعظِّم القبور ويعبدها، وباعتبار هذه المعاني، وبظاهر هذا النهي، ينبغي أن يقال هو حرام، كما قد قال به بعض أهل العلم)[4].

ثانياً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال وعدم الإسراف والحث على التواضع:

وذلك ما نلحظه في نهيه ﷺ عن تجصيص المقابر أو البناء عليها، حفاظًا على المال وعدم الإسراف، فعن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه. قال الطيبي: (وذلك منهي عنه لانعدام الفائدة فيه، ولأنه من صنيع الجاهلية)[5]. وقال عميرة: وحكمة النهي التزيين، وزاد إضاعة المال على غير غرض شرعي[6]، وذلك أيضاً مناف للتواضع الذي ينبغي مراعاته في المقابر، ولله در القائل:

---

(١) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٠٧.

(٢) أخرجه مسلم ٩٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ٩٦٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٢٦، ٦٢٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٨١.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/٢٥٠.

أرى أهـــل القـــصور إذا أُميتـــوا بنـــوا فـــوق المقـــابر بالـــصخور

أبـــوا إلا مباهـــاة وفخـــراً علـــى الفقـــراء حتـــى في القبـــور[١]

إضافة إلى ما في ذلك من إضاعة للمال والإسراف فيه، ولقد جاءت شريعة الإسلام هادفة إلى حفظ الضرورات الخمس والتي منها المال. قال الشاطبي: (ومجموع الضروارت خمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت، لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)[٢] قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[٣] وذكر من أصناف عباد الرحمن بُعْدَهم عن الإسراف: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا)[٥]. وذلك في المباحات، فما بالنا بمن يضع أمواله في أبواب نهى عنها الإسلام كتجصيص القبور والبناء عليها، قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٢٠/١٠.

(٢) الموافقات ٨/٢-١٠.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٨/٥.

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٢١٦/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الالتزام بالسنة النبوية في التعامل مع القبور:

تعد السنة النبوية المصدر الثاني - بعد القرآن الكريم - للتربية، فهي مصدر عظيم من مصادر التربية الإسلامية، فكل ما صدر عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات يعتبر من القيم التربوية، لأن السنة حجة، وواجب على المسلمين الاتباع لكل ما صدر عن النبي ﷺ بصفته رسول الله ﷺ، وكان مقصودًا به التشريع والاقتداء، وما صدر عن طبيعته البشرية فهو قيمة تربوية ملزمة إذا قام دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء، وقيمة تربوية غير ملزمة إذا كان غير ذلك، فهي قيم تخضع للاختيار أما ما ثبت بدليل يقصد به التشريع فهو قيمة تربوية ملزمة وسنة واجبة الاتباع[١].

فالسنة النبوية المطهرة مصدر يزخر بالقيم التربوية الإسلامية الكثيرة، وحياة النبي ﷺ كلها مواقف نبيلة، والمجتمع الإسلامي الذي عاصر النبي ﷺ لا مثيل له في التاريخ، ولأن السنة النبوية المطهرة مصدر تشريعي لهذه الحياة قامت بالتوجيه ملازمة للقرآن الكريم، واعتبارها مصدرًا رئيسًا للقيم التربوية بعد القرآن أمر لازم وضروري ومهم وواجب اشتقاق القيم منها ومن القرآن الكريم[٢][٣].

فالتربية على اتباع سنة النبي ﷺ والتزام ما بها في كافة مناحي الحياة أمر واجب على جميع من يقومون بالتربية الإسلامية حتى يلتزم المسلمون بالهدي النبوي في جميع أحوالهم وشؤونهم، ومن ذلك الالتزام بالهدي النبوي في التعامل مع القبور.

فلم يكن من هديه ﷺ تعليةُ القبور ولا بناؤهُا بآجر، ولا بحجر ولبن، ولا تشييدها ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة، مخالفة

---

(١) انظر: علم أصول الفقه، د. عبدالوهاب خلاف ص ٤٣، ٤٤. وانظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي أبوالعينين ص ٦٤، ٦٥.

(٢) انظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي أبو العينين ص ٦٥.

(٣) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ١٨١.

لهديه ﷺ، وقد بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن، ألا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سواه[١].

فسنته ﷺ تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه[٢].

وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره ﷺ مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه[٣][٤].

وكان هديه ﷺ ألا تهان القبور وتوطأ، وألا يجلس عليها ويتكأ عليها[٥]. ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها[٦]. وتتخذ أعيادًا وأوثانًا[٧][٨].

فالتربية الإسلامية التي مصدرها السنة النبوية تهدف إلى الاعتدال في التعامل مع القبور، فهي تؤكد على أهمية مراعاة حرمة القبور بعدم وطئها بالنعال، أو يجلس عليها، ويتكأ عليها، كذلك تهدف إلى عدم تعظيم القبور والمغالاة في تشييدها وتعليتها وعدم الصلاة إليها لئلا تتخذ مساجد.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: ما أخرجه مسلم، ٩٦٩، وأبو داود، ٣٢١٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٤/١.

(٣) انظر: ما أخرجه البخاري، ١٣٩٠، وأبو داود، ٣٢٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٥٢٤/١.

(٥) انظر: ما أخرجه مسلم، ٩٧١، وأبو داود، ٣٢٢٨.

(٦) انظر: ما أخرجه البخاري، ١٣٣٠، ومسلم، ٥٢٩.

(٧) انظر: ما أخرجه أبو داود، ٢٠٤٢.

(٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٦/١.

٣٤٩- باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

الحديث رقم (١٧٧٠)

١٧٧٠- عن جرير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

أبق: هرب، وهو العبد الرقيق الذي يفر ممن هو في يده تمردًا[2].

برئت منه الذمة: ضمانه وأمانته ورعايته[3].

الشرح الأدبي

إن الكرامة التي مَيَّز بها الله الإنسان، حيث فضله على جميع المخلوقات، يستحقها كل مخلوق يدرك حقوقه وواجباته، لا يميزه حسب أو جاه أو لون أو جنس، وقد أمر النبي ﷺ الا ينادي السيد عبده بقوله: يا عبدي، وأن لا يقول العبد لمالكه: يا سيدي؛ بل يقول المالك: فتاي، وفتاتي، ويقول العبد: مولاي: أي: صديقي الذي أواليه وأنصره.

وفي ظل هذه الحقوق تكون الواجبات، التي يلتزم بها كل من كُلِّف بعمل، فلا يتهاون ولا يقصر، ولا ينكث، ولا يخلف الوعد، ولا يخون الأمانة.

وفي ظل هذه الحقوق كذلك، يشع المعنى في هذا الحديث الشريف، الذي جاءت صياغته الأسلوبية في قالب الشرط والجواب، وهي صياغة مناسبة لجو الحديث؛ فالعبد له حقوق، وعليه واجبات، فإذا أخذ حقوقه كاملة فعليه أداء ما يجب أن ينجزه من

---

(١) برقم (٦٩/١٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٨).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٩.

أعمال وطاعة، ومن أمارات هذه الطاعة: عدم الهروب؛ لأن في ذلك خيانة للأمانة، وتفريطاً في الواجب، ولذلك توعد رسول الله كل من يُقْدم على هذا السلوك بقوله: "فقد برئت منه الذمة"، ومعنى: "أبق": أي: هرب من غير خوف ولا كدّ، والذمة: العهد: أي: أن العبد الذي لم يظلمه سيده، ويهرب، ليست له حقوق، وفي اللغة: الذِّمام والذِّمة تدل على "الحق والحُرْمة".

والذمة: العهد والكفالة؛ وإسناد الفعل "بريء" للذَمة: تعبير مجازي، من باب المجاز المرسل؛ لأن الذمة لا تبرأ؛ وإنما صاحب الذمة وهو السيد هو صاحب الحق، وهو المتصرف، ولكن هذا التعبير أبلغ؛ فالذمة تغدو في سياق مخالفة العهد، وخيانة الأمانة، كائناً يحسّ وينفعل ويتحرك، ويبرأ من كل من لا يؤدي واجبه، ولا ينفذ شروط العقد، ولذلك جاء جواب الشرط مصدراً بـ"قد"، وهي للتأكيد والتحقيق؛ إيحاءً بالتهديد والترهيب، وتحذيراً من النكوص وإخلاف العهد، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: تحريم إباق العبد من سيده[2]، أي: هروبه منه وذلك للوعيد الشديد على ذلك من براءة الذمة منه، أو عدم قبول الصلاة أو الكفر، كما في بعض الروايات.

بيد أن الكفر يحمل على المستحل لذلك[3]، ولا داعي لبحث ذلك بالتفصيل نظراً لعدم وجود الرقيق في وقتنا الحاضر.

---

(١) الحديث رقم (١٧٧٠)، (١٧٧١).

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٧٠/١، الفروع، ابن مفلح ٢٩١/١/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٢، المحلى، ابن حزم ٦٩/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٢، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٣.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإباق ونقض العهود والجحود.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الالتزام بالعهود وعدم الجحود.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوفاء وشكر الناس على معروفهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإباق ونقض العهود والجحود:

لقد أمر الإسلام بتحمل المسؤولية والالتزام بها وعدم الفرار منها مهما كان ثقلها، فكلٌ راع وكلٌ مسؤول عن رعيته، ومن ذلك قيام العبد تجاه سيده والوفاء بالتزاماته، وقياساً على ذلك التزام العامل بما اتفق عليه والتزم به من جهد، وعدم التهرب من العمل الواجب عليه، فإن التهرب من ذلك لون من ألوان نقض العهود، فقال ﷺ "أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة" وفي رواية: "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة" وفي رواية "فقد كفر" وفي ذلك ترهيب للعبيد من الإباق والتمرد، فذلك محرم لما فيه من إبطال حق السيد، وهو من عيوب الرقيق[2]. قال القرطبي: (قوله "فقد برئت منه الذمة" أي ذمة الإيمان وعهده وخفارته إن كان مستحلاً للإباق)[3].

قال الإمام المازري: (قوله ﷺ: "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة" يحتمل أن يحمل على المستحل لذلك، فيكفر باستحلاله، فلا تقبل صلاته ولا غير ذلك منه، ويكون كنَّى بالصلاة عن غيرها، وفيه أيضاً معنى خفي، وذلك أنه يحتمل أن يكون ذكر الصلاة لأنه منهي عن البقاء في المكان الذي يصلى فيه، لكونه مأموراً بالرجوع إلى سيده، فصارت صلاته في بقعة منهيٍ عن المُقام بها، تضارع الصلاة في الدار المغصوبة)[4].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٧٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٧١).

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/٢٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٦/١.

(٤) المعلم ٦٦/١.

قال النووي في شرح الحديث: (في قوله "فقد برئت منه الذمة" معناه لا ذمة له، قال الشيخ أبو عمرو: الذمة هنا يجوز أن تكون هي الذمة المفسرة بالذمام وهي الحرمة، ويجوز أن يكون من قبيل ما جاء في قوله "له ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أي ضمانه وأمانته ورعايته، ومن ذلك أن الآبق كان مصوناً عن عقوبة السيد له وحبسه، فزال ذلك بإباقه[١] أما قوله "لم تقبل له صلاة" وقال ابن علان: وقوله "فقد كفر" أي إن استحله أو من كفران نعمة السيد وعدم أداء حقه، فإن عمله من عمل الكفرة الجاهلية"[٢] قال الشيخ ابن عثيمين: (وإنما كان هذا الترهيب لأن العبد مملوك للسيد في ذاته ومنافعه، فإذا هرب فقد فوت على سيده ذلك، وقد ورد الوعيد في هذا بثلاث عقوبات، فإنه يكون كافراً، وأن الذمة بريئة منه، وأنه لا تقبل له صلاة، فهذه ثلاث عقوبات والعياذ بالله)[٣].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث واضحاً جلياً، حيث رهب النبي ﷺ من إباق العبيد وتمردهم ببراءة الذمة منه وبعدم قبول الصلاة، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" وفي رواية "لم تقبل له صلاة" وفي رواية "فقد كفر" وأسلوب الترهيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيراً في قلوب المدعوين، لما فيه من الوعيد والتهديد بالعقوبة، التي تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، وذلك ما يجعل الإنسان دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام[٤].

والترهيب هو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال ابن تيمية: (والموعظة الحسنة تجمع الأمر والنهي، ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيب وترهيب،

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٠٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٥٧.

كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي يتعظون بها فينتبهون وينزجرون)[2] وقال ابن القيم في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] العظة هي الأمر والنهي المعروف بالترغيب والترهيب[4].

ثالثاً- من آداب المدعو: الالتزام بالعهود وعدم الجحود:

إن من الآداب الواجب التخلق بها الالتزام بالعهود والوفاء بها، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب احترام العهود والوفاء بالمواثيق[5]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[6] وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[7]. قال ابن كثير: (قال ابن عباس وغير واحد يعني بالعقود: العهود، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك، قال والعهود: ما كانوا يتعاهدون عليه من الحلف وغيره، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[8] يعني بالعهود: يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حدَّ في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدّد في ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[9].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٥/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٤٤/١.

(٥) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٢٠١.

(٦) سورة المائدة، آية: ١.

(٧) سورة النحل، آية: ٩١.

(٨) سورة المائدة، آية: ١.

(٩) سورة الرعد، آية: ٢٥.

وقال الضحاك: ("أوفوا بالعقود" قال ما أحل وما حرم، وما أخذ الله من الميثاق على مَنْ أقر بالإيمان بالنبي ﷺ والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام، وقال زيد بن أسلم "أوفوا بالعقود" قال هي ستة: عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين[1]؛ فيجب الوفاء بالعقود والعهود ما دامت توافق الشرع الشريف ولا تعارضه)[2].

وكما أن الوفاء بالعهد والميثاق له آثاره الكبيرة، فإن نقض العهد والميثاق والجحود يترك آثاراً كبرى تؤدي بصاحبها إلى الخسران والبوار، كما جاءت الإشارة في الحديث إلى ذلك ببيان عاقبة جحود العبد لسيده وإباقه وتمرده عليه، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" وفي رواية "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة، وفي رواية فقد كفر".

ولقد جاءت النصوص مرهبة من نقض العهود، ذامة له، مبينة أن ذلك من أسباب الخسران، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[3] ومن أسباب اللعنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[4].

وجعل النبي ﷺ نقض العهود من خصال النفاق وخلاله، روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر))[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/٧، ٨.

(٢) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/٦/٢٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨ واللفظ له.

قال أبو العالية: (ست خصال في المنافقين إذا كانت فيهم الظُّهْرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا)[١].

وقال ابن الجوزي: (إن نقض العهد من صفات الفاسقين)[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: (ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي والنَّكْث والمكر، وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾[٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾[٤]. وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ﴾[٥])[٦].

وذكر ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٧] أن من نكث يعني نقض هذا العهد فإنما يجني على نفسه وإياها يهلك فنكثُه عليه لا له)[٨]. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾[٩] شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/١.

(٢) زاد المسير ٥٦/١.

(٣) سورة فاطر، آية: ٤٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٢٣.

(٥) سور الفتح، آية: ١٠.

(٦) ذم البغي لابن أبي الدنيا، تحقيق أبو اليزيد العجمي، ونجم عبدالرحمن خلف ص ٨٨.

(٧) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٩٦/١٥.

(٩) سورة النحل، آية: ٩٢.

أو يبرم عقداً بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكماً، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قوى ذلك الغزل فحلّته بعد إبرامه"[١].

إن لنقض العهود من المضار والعواقب الوخيمة الكثير، ومن ذلك:

أ- أن من ينقض العهود والمواثيق يجلب لنفسه بغض الله والوعيد الشديد.

ب- تسلط الخلق عليه ونزع الثقة منه.

ج- يضر نفسه قبل أن يضر الآخرين.

د- أن نقض العهود من أمارات النفاق وصفات المنافقين.

هـ-يؤدي نقض العهود إلى تفكك المجتمع وشيوع البغضاء والفساد فيه.

و-كما يؤدي نقض العهود إلى تسلط الأعداء على المجتمع وسومهم إياه سوء العذاب[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوفاء وشكر الناس على معروفهم:

إن في نهي رسول الله ﷺ العبيد عن الإباق وترهيبهم منه، دعوة إلى الوفاء وعدم الجحود والاعتداء على حقوق الغير، حتى يجعل الله لهم من رقهم وعبوديتهم سبيلاً، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" فالوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى، لأنه يرسي دعائم الثقة في الأفراد، ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع[٣]، والوفاء صفة وسمة من سمات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٢٢٦/١٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٦٤٤/١١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٦٣٩/٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[١] ففي الوفاء السعادة، وذلك في رضا الله ورضا الناس، وفي الجحود ونكران الجميل الشقاوة وسوء المصير، وجحود النعمة وترك الشكر للناس يؤدي إلى جحود نعمة الله، قال ابن الأثير (من كانت عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم، كان من عادته كفر نعمة الله عز وجل وترك الشكر له[٢] وسبب لإعراض الكرماء وصرف النعمة، يقال: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة، فإذا هممت بشيء من هذا، فارْتَدِ الموضع قبل الإقدام عليه أو على الفعل)[٣].

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق محمد حامد الفقي ٥٦٠/٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٢٨٨/٣.

الحديث رقم (١٧٧١)

١٧٧١- وعنه، عن النبيِّ ﷺ: ((إِذَا أَبَقَ العَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ)). رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ[٢]: ((فَقَدْ كَفَرَ)).

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

أبق: هرَب من سيده [٣].

الشرح الأدبي

إن معيار الأفضلية في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح؛ حيث يقول الحق عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤]؛ ففي ظل التقوى لا قيمة للأعراق والأحساب، ولا قيمة للثروة والأنساب؛ ولكن كل إنسان له حقوق وعليه واجبات؛ فالسيد أو رب العمل مسؤول عن رعاياه.. والأجراء الذين يعملون تحت إمرته، وكل عبد أو أجير أو عامل، عليه أن يتقن عمله، وأن لا يهمل الأمر المسند إليه، وأن لا يهرب، ولا يترك مكان العمل إلا بإذن صاحب العمل أو سيده.

ورسول الله ﷺ ينظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل، ومن أسس هذه العلاقة: الالتزام والاتفاق، وعدم الهروب، والحرص على زيادة الإنتاج.

والحديث في صياغته اللغوية يفصح عن مبدأ الثواب والعقاب؛ حيث يتكون من جُملة واحدة، وهي "جملة الشرط والجواب"، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق؛ فالجواب في هذا الحديث متحقق، وهو عدم قبول صلاة العبد؛ وذلك لتحقق الشرط،

---

(١) برقم (١٢٤/٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٩).

(٢) برقم (١٢٢/٦٨). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٨٩١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (أ ب ق).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وهو هروب العبد، ومعنى أبق العبد هرب، وفي القاموس المحيط: أبق العبد: أي: ذهب بلا خوف ولا كد عمل، أو استخفى ثم ذهب، فهو آبق وأبوق، ويقال: تأبَّق: أي: استتر، أو احتبس وتأثم.

والروايات الأخرى لجواب الشرط تفسر أبعاد الدلالة المرادة في الحديث الشريف، ومن هذه الروايات: "فقد كفر"، وهو من كفران نعمة السيد، وعدم أداء حقه، وفي رواية: "فقد حلّ دمه"، وهذا عقاب قاسٍ وصارمٍ، وفي رواية: "فقد أخل بنفسه"، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع المضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً-التربية على الالتزام بالقيام بالواجبات:

لقد حدد الإسلام ما على السيد تجاه عبده من حقوق وواجبات كذلك حدد ما على العبد تجاه سيده من حقوق وواجبات إذ أن كل حق يقابله واجب في الإسلام.

فإذا كان الإسلام أمر السيد بالإحسان إلى الرقيق كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[1]. فأمر تعالى بالإحسان إلى المماليك، وبين ذلك النبي ﷺ فقال: «إنَّ إخوانكم خوَلُكم جعَلهمُ اللّهُ تحتَ أيديكم، فمن كان أخوهُ تحتَ يدِهِ فلْيُطعِمْهُ مما يأكلُ ولْيُلْبِسْهُ مما يَلْبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتموهم ما يَغلِبُهم فأعينوهم»[2].

وقال ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلاَ يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إلاَّ مَا يُطِيقُ»[3]، وقال ﷺ: «لا يَقُلْ أحدُكم : عبدي، أمَتي. بل لِيَقُلْ: فَتايَ وفَتاتي»[4].

فندب ﷺ السادة إلى مكارم الأخلاق، وحض عليها، وأرشدهم إلى الإحسان، وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يروا مزيَّة على عبيدهم، إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، لكن سخر بعضهم لبعض وملك بعضهم، إتمامًا للنعمة وتنفيذًا للحكمة[5].

فالإسلام يوجب على السادة القيام بواجبهم تجاه الذين تحت أيديهم من العبيد من طعام وكسوة ونفقه...إلخ، بما يحقق هدف الإسلام من العناية بهم والإحسان إليهم وعدم الإساءة إليهم بقول أو فعل.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٥٤٥، ومسلم، ١٦٦١.

(٣) أخرجه مسلم، ١٦٦٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٥٥٢، ومسلم، ٢٢٤٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٥/٦.

في المقابل جعل الإسلام على العبيد واجبات تجاه سيدهم يجب عليهم أن يلتزموا بها ويقوموا بها على أكمل وجه، من أهمها ما يلي:

حق الطاعة فيما يأمر السيد أو ينهي ما لم يأمر بمعصية أو ينهي عن واجب.

كذلك عليه حق خدمة سيده في أي مكان شاء وأي عمل بشرط أن يكون في حدود ما يطيق الرقيق.

كما على الرقيق حفظ وصيانة مال سيده ورعايته[1] وغيرها من الواجبات، ومن أجل ذلك حرّم الإسلام إباق العبد من سيده فقال رسول الله ﷺ: «أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة»، وقال ﷺ: «إذا أبق العبد، لم تقبل له صلاة».

وذلك لأن إباق العبد يؤدي إلى ضياع حقوق سيده وإلى ضياع الالتزامات التي تضعها الشريعة الإسلامية على عاتقه تجاه سيده.

فينبغي توجيه العبد والسيد إلى الالتزام بالقيام بالواجبات التي حددتها الشريعة عليهم.

وهذا هدف تربوي عظيم حيث تهدف التربية الإسلامية إلى تربية المسلمين عامة والناشئة خاصة على الالتزام بأداء ما عليهم من واجبات دون التنصل والهروب منها.

وهذا ما يجب أن يحرص عليه جميع المسلمين كل في مجاله وفي تخصصه، وإذا كان الإسلام قد عالج قضية الرق وحرر العبيد من خلال توسيع منافذ العتق، حتى تلاشى هذا الواقع الاجتماعي، وقد عالج النبي ﷺ تلك القضية الاجتماعية ببيان ما يجب على العبيد من واجبات تجاه سادتهم في تلك المرحلة التاريخية التي كان الرقيق يمثلون عصب الحياة، فقد رهّب النبي ﷺ من إباق العبد، بأن العبد الآبق لا تقبل صلاته، وهذا ما يؤكد على أهمية قيام الخدم والعمال بأداء ما يناط بهم من أعمال، وعدم التهاون في أداء الواجبات المنوطة بهم، وهذا يستلزم قيام كل فرد بواجباته الوظيفية وعدم الإخلال بها، لأن هذا مما يقدح في التزام المؤمن بالمبادئ والقيم الإسلامية.

---

(١) وانظر: في ذلك الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣/١١-٢٤.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب أسلوب الترهيب حيث رهب النبي ﷺ الرقيق من الهروب من أسيادهم فقال: «أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة»، وقال ﷺ: «إذا أبق العبد، لم تقبل له صلاة»، وهذا ترهيب شديد للعبد من الهروب.

والترهيب أسلوب تربوي يقصد به وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، وهو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده[1].

وهو أسلوب هام في التربية الإسلامية فلا غنى للمربي عنه حيث يستخدمه في ترهيب من يقوم بتربيتهم من الإتيان بالأشياء التي تخالف شريعة الله بأن ذلك يوجب عقاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، مما يجعلهم يلتزمون بأحكام ربهم وسنة نبيهم، ويعود إليهم رشدهم فلا يخالفون، ولا يتهربون، ولا يكابرون في ارتكاب المعاصي والذنوب رهبًا من العقاب وطمعًا في الثواب.



(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣١.

٣٥٠- باب تحريم الشفاعة في الحدود

قَالَ اللَه تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾[النور: ٢].

الحديث رقم (١٧٧٢)

١٧٧٢- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ قُرَيْشاً أهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟!))** ثُمَّ قَامَ فاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: **((إنَّمَا أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))**. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: **((أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟!))** فَقَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ثُمَّ أمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أتشفع: من الشفاعة: التوسُّط في تخفيف العقوبة[3].

حدود الله: جمع حَدٍّ: الذنب الموجب للعقوبة[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) واللفظ له، ومسلم (١٦٨٨)، وتقدم برقم (٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (٩/١٦٨٨) واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٤) المرجع السابق في (ح د د).

الشرح الأدبي

إن الحدود في الإسلام تحفظ الحقوق، وهي من بواعث انتشار الأمن، واستقرار المجتمع، وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾(١)، وهذا الحديث الشريف يرسى قاعدة شرعية: وهي المساواة في إقامة الحدود؛ فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ومضمون الحديث يشع بمساواة الإسلام، وعدم التفريق بين الناس في إقامة الحدود، حتى لو كان السارق من أشراف قريش، وحتى لو سرقت فاطمة بنت محمد لقُطِعَتْ يدُها!

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث نجده يتضمن عدة ظواهر أسلوبية وفنية، ومنها: الحوار بين القرشيين حين أهمَّهم شأن المرأة المخزومية، والحوار ينبئ عن استكبار القرشيين، ورغبتهم في أن لا يقام الحد على "السارقة" من بني مخزوم، وثمرة الحوار كانت تكليفهم لأسامة بن زيد بالشفاعة عند رسول الله ﷺ؛ لأنه "حِبُّ رسول الله"، وأسلوب القصر مع الاستفهام يؤكد مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله ﷺ؛ حيث قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد؟

والنزعة القصصية تغلف أسلوب الحديث الشريف، وهو مشهد قصصي واقعي حقيقي، وتوالي حروف العطف -الفاء وثم- مع الحوار بين القرشيين، والحوار بين رسول الله وأسامة بن زيد، كل ذلك من سمات النزعة القصصية، ولنتأمل هذا الاستفهام الإنكاري المشع بكل أمارات رفض الشفاعة في حدّ من حدود الله، وذلك في قول رسول الله لأسامة: أتشفع في حد من حدود الله تعالى.

وأسلوب القصر في قوله ﷺ: "إنما أهلك الذين من قبلكم"، يفيد أن من أسباب الهلاك، بل يكاد يكون السبب الوحيد، هو: إقامة الحدّ على الضعفاء، والتسامح، وتعطيل الحدود، إذا كانت متعلقة بالأغنياء وأصحاب الجاه والثروات والأحساب، وذلك سر فناء الأمم، وهلاك الشعوب، وتكرار التأكيد في قوله: "إنما" وقوله: "أنهم".

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

يؤكد حرص رسول الله ﷺ على القضاء على أسباب الهلاك.

وأسلوب الشرط في الجملتين اللتين توضحان مصدر الهلاك وسببه، يفيد أن الهلاك محقق؛ لأن أداة الشرط "إذا" للتحقق واليقين "كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"، والقسم مع الشرط في الجملة الأخيرة يؤكد ثبات المبدأ، وعدم الإخلال بفريضة الحدود.

وهل بعد هذا القسم من رسول الله أي منفذ للتحايل أو تعطيل الحدود؟

"وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها"... متفق عليه، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حرمة الشفاعة في الحدود، وحرمة قبول الشفاعة فيها[1] وذلك لما روى ابن عمر مرفوعاً: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فهو مضاد لله تعالى"[2].

ومحل عدم جواز الشفاعة في الحدود إذا ما بلغت الإمام، لأنها إذا بلغت الإمام تعلق بها حق الله تعالى، لذلك أنكر الرسول ﷺ على أسامة بن زيد حين شفع في المرأة المخزومية التي سرقت[3].

إلا أن الإمام مالك قد روي عنه في حد القذف خاصة روايتان: جواز الشفاعة، وعدمه بعد بلوغ الإمام، أما غيره من الحدود فيبقى على الحرمة عنده[4].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٥، رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/٤- ٤، الشرح الكبير ٣٤٧/٤، الثمر الداني ٦٠٢/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٤/٤، حاشية الشرواني ١٥٢/٩، دليل الطالب ٣٠٥/١، منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٧٣/١.

(٢) أخرجه أحمد ٥٣٨٥/٩، وأبو داود ٣٥٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح أهـ. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٥.

(٤) كفاية الطالب الرباني ٤٣٧/٢، والثمر الداني ٦٠٢/١.

أما قبل بلوغ الإمام فإن الشفاعة تجوز في الحدود[١]، لأن وجوب الحد قبل بلوغ الإمام لم يثبت، لأن الوجوب لا يثبت بمجرد الفعل، وإنما يثبته الإمام[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٥/٢١٢-٢١٣، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤/٣، ٤، والشرح الكبير ٤/٣٤٧، وكفاية الطالب الرباني ٢/٤٣٧، والمهذب ٢/٢٨٣، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٤/٦٥، ودليل الطالب ١/٣٠٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ١/٧٣.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٥/٢١٢-٢١٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٥١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الوقاية بإقامة الحدود:

إن إقامة الحدود وقاية للفرد والمجتمع من انتشار الرذائل، فهي وقاية للفرد لأنها قوة ردع وزجر من اقتراف الجرائم الخلقية والوقوع في حبائلها، وما يترتب على ذلك من العقاب، وهي وقاية للمجتمع لأنها تقلل نسبة الفساد الخلقي، إن لم تقض عليه تماماً[١].

والشريعة الإسلامية تأمر بإقامة الحد على كل من ارتكب جريمة تدخل في جرائم الحدود، ومن أجل ذلك أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما حينما كلمه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت. فقال ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

إن إقامة الحدود لها آثارها التربوية في كبح جماح النفس من إشباع غرائزها بما لم يأمر به أو يبيحه الشرع، وفي درء المفاسد الخلقية والوقاية منها بالحيلولة دون وقوعها. ومن يتربى في بيئة تطبق التشريع الإسلامي ينشأ كارهًا للرذيلة محبًا للفضيلة ويؤازر ذلك ويعضده انعدام عامل التشجيع للرذيلة والتشويق لها، بالإضافة إلى عامل التشجيع من المجتمع والأسرة، فتكون للفرد وقاية له من الوقوع في الجرائم والرذائل الخلقية[٢].

وذلك لأن أي مجتمع لاتطبق فيه الحدود فإنه يصبح مرتعًا خصبًا للفساد بمظاهره المختلفة، والذي ينظر إلى واقعنا المعاصر يجد الانحرافات الخلقية والمنكرات منتشرة في أكثر بلاد المسلمين، وسبب ذلك هو عدم إقامة الحدود الشرعية[٣].

فلو أقيمت حدود الله، وحيل بين الظلمة وبين تعديهم لما رجع المسلمون القهقري، وساروا إلى وراء، وسقطوا في الحضيض، واستحقوا من الله مقته، وتغيير ما أنعم به

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق، ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ٧٢.

عليهم وهو لا يغير نعمة أنعم بها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

والواقع الصحيح أنها لا تُحفظ الدماء والأموال والأعراض وتصلح البلاد، ويسود فيها الأمن والاطمئنان إلا بإقامة الحدود[١].

ومن هنا ظهر جليًا أهمية إقامة الحدود لوقاية المجتمع من الرذائل والمفاسد الأخلاقية.

ثانيًا- من أساليب التربية: التربية بالتأنيب التعليمي:

التأنيب من أساليب التربية عند الرسول ﷺ ويقتصر فيه على اللوم بالكلام أو العتاب الشديد، أو الإشعار بالخطأ، وتتفاوت لهجة الكلام فيه حسب نوعية الخطأ وشخصية مرتكبه، فقد يكون خطأً مَا، مدعاة لتأنيب شديد لشخص، في حين يكون التأنيب خفيفًا أو معدومًا لخطأ مثله، أو أشد منه، لشخص آخر وذلك حسب حالة كل شخص وطبيعته النفسية أو حسب الظروف المحيطة بالخطأ وملابساتها[٢].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التأنيب التعليمي مع أسامة بن زيد حيث أنبه ولامه لشفاعته للمرأة المخزومية التي سرقت فقال له ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى؟».

ثم علمه النبي ﷺ بأن ترك إقامة الحد على الشريف، وإقامته على الضعيف كان سببًا في هلاك الأمم السابقة.

أما الشريعة الإسلامية فلا يجوز فيها ذلك بل أن من سرق يقام عليه الحد أيًا كان شأنه، ولو كانت بنت أشرف الخلق محمد ﷺ فاطمة الزهراء أحب الناس إلى قلبه وأقربهم إليه فحد الله لابد أن يطبق.

فقال: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني ص ٣٣، ٣٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٤٦٤.

وفي رواية: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟» فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يدُهَا.

وأسلوب التأنيب التعليمي من الأساليب التي يستطيع المربي الإفادة منها، فإذا أخطأ أيًا من يقوم بتربيتهم كان له أن يوجه له التأنيب الذي يتناسب مع شخصية ونفسية كل شخص على حده، مع تعليمهم سبب التأنيب والحكم الصحيح للعمل.

ثالثًا- من أهداف التربية: غرس قيمة العدل في المجتمع الإسلامي:

العدل هو الذي يعطي حصانة القانون لكل فرد[1]. "ذلك أن سلب الحقوق الطبيعية لأي مخلوق إنما هو ظلم صريح[2]، والظلم في تقسيم الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه يسبب البغضاء والتفكك في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية. وفي المجتمع الإسلامي لم يقبل الرسول ﷺ الشفاعة في حد من حدود الله وأنذر من يقبل الشفاعة "الوساطة" بمعاداة الله لأنه يضيع حقًا لذوي الحق[3]. فقال ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

فالعدل في المجتمع الإسلامي من أهم أهداف التربية وخاصة أن المجتمع في العصر الحديث تعددت مطالب أفراده، وارتقت حياتهم، وصارت هناك خدمات عامة تؤديها الحكومة ممثلة في مؤسساتها المختلفة، فكأن الحكومة صارت رمزًا للمجتمع العادل، وأقل تكليف للحكومة ألا تضع العراقيل أمام الأفراد في بلوغ ما يريدون من علم ورقي، وكسب مادي مشروع بل تيسر لهم ذلك، وتكون لها سلطة نافذة تحفظ بها حقوق الناس، وتردع الظلم.

وتتجلى عدالة المجتمع في ثلاثة جوانب: العدل في القضاء، والعدل في الحكم، والعدل الاجتماعي، أي العدل على أفراد توزيع الثروة في المجتمع وإتاحة الفرص

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٥٤.

(٢) الإسلام ومشكلات العصر، د. مصطفى الرافعي ص ٣٧.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٥٤.

المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة إذا كان غير محسوب على فئات النفوذ والتكتلات الاجتماعية[1]، فالعدل هو الميزان لاستقرار وتقدم المجتمع.



(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ٤٠/٥٦، ٥٧.

٣٥١- باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[سورة الأحزاب:٥٨]

الحديث رقم (١٧٧٣)

١٧٧٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ)) قالوا: وَمَا اللاَّعِنَانِ؟ قَالَ: ((الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

اللاعنين: أي الأمرين الجالبين للعن[٢].

يتخلى: أي يتغوط في موضع يمر به الناس[٣].

الشرح الأدبي

إن المسلم يحرص على نظافة المكان، ونظافة البدن، ونظافة الثوب، والبيئة التي يتمتع الإنسان بظلالها، وأشجارها وطرقها وحدائقها، عليه أن يشارك في تجميلها، والتمتع بمباهجها؛ لأنها حدائق ذات بهجة، والماء من مصادر الحياة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٤].

---

(١) برقم (٦٨/٢٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٧٥.

(٣) المرجع السابق ٢٧٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

والحديث يتوعد باللعن كل من يؤذي الناس ويتغوط في طريقهم وظلهم، وموارد الماء ونحوها، ولذلك يؤكد الراوي الأعلى -أبو هريرة رضي الله عنه- الخبر الذي يرويه عن رسول الله ﷺ، فيبدأ الحديث بقوله: "إن رسول الله ... قال": وكلام رسول الله يجيء في صيغة الأمر، والأمر للوجوب؛ حيث قال: "اتقوا اللاعنين"، وفي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير: اتقوا سبب اللعن من المذكورين، وقيل: نسب إليهما مبالغة في التحذير، وفي الحديث إشارة إلى أن التغوط في طريق الناس وظلهم: كأنه اللعن نفسه، وفي ذلك مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبَّب، وقوله: اتقوا، أي: توقوا: وخذوا حذركم ووقايتكم؛ لأن هذا السلوك يؤدي إلى اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل.

والتعبير في الحديث النبوي يتسم بالإيحاء، والابتعاد عن الألفاظ الفجة، والعبارات المستكرهة، وقوله: "يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم"، إشارة إلى التغوط في طريق الناس وأماكن قيلولتهم، وقوله: "يتخلى" مأخوذ من قول العرب: خلا المكان، خلوًّا وخلاء، وأخلى واستخلى، أي: فرغ، فالتعبير بهذا الفعل "يتخلى" يفيد القيام بالفعل في مكان خالٍ من الناس، ولكنه طريق للمشاة، أو ظل للمستريحين، ومن يفعل ذلك يستحق اللعن والطرد، وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ: ((اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل))[1]".

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي عن التخلي في طريق الناس[2]، وفي ظلهم، وموضع اجتماعهم، لما في ذلك من إيذاء المسلمين بالنجاسة، والقذارة التي تترتب على ذلك[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٢٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢١).

(٢) حاشية الطحطاوي ٣٥/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٦/١، وشرح زبد ابن رسلان ٥٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٣/١، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٨/١.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٠/١.

والمراد بالتخلي: التفرد لقضاء الحاجة غائطاً أو بولاً، لذلك فلا يسلم تفسير النووي له بالتغوط فقط، ولو سلم، فالبول يلحق به قياساً[١].

وقد اختلف الفقهاء في دلالة النهي:

- فذهب الجمهور[٢] إلى أن النهي هنا يدل على الحرمة.
- وذهب جمهور الشافعية[٣]، إلى النهي هنا يدل على الكراهة.

والراجح: الأول لما فيه من أذية المسلمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من إيذاء الناس بقضاء الحاجة في طرقهم وظلهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مراعاة مشاعر الناس وعدم إيذائهم بالمناظر المنفرة التي يأباها الذوق السليم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحث على النظافة والطهارة وتوفير المناخ الصحي.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اتقوا اللاعنين" وهو من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان الواجبات الشرعية ونحوها، وحمل المدعوين على الإتيان بها، وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيقاً لعبودية الله وطاعته[٤].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٠.

(٢) شرح زبد ابن رسلان ٥٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٦/١.

(٣) شرح زبد ابن رسلان٥٤.

(٤) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠.

وقد تكرر أسلوب الأمر في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[1] وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من إيذاء الناس بقضاء الحاجة في طرقهم وظلهم:

إن من فضل الله علينا أنه حذرنا في الإسلام المتمثل في مصدريه الأساسين -القرآن والسنة- من أسباب اللعن والإبعاد من رحمة الله وعدم تعاطيها أو الاقتراب منها، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهي النبي ﷺ عن التغوط في طريق الناس أو ظلهم، وكذا كل مكان أعدوه لاجتماعهم، وقايةً من الأمراض والأسقام، وحداً من انتشارها، فضلاً عما في ذلك من رعاية لذوق الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، فقال النبي ﷺ "اتقوا اللاعنين، قالوا ما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم". قال القاضي عياض: (قوله: "اتقوا اللاعنين" وتروى "اللعانين" وفسَّر ذلك بالتخلي في طريق الناس أو ظلهم. التخلي مأخوذ من الخلاء وهي عبارة عن الستر والتفرد لقضاء الحاجة والحدث، وسمت اللاعنين، لأنهما تجلبان اللعن لفاعلها؛ لأن مثل ذلك مأخوذ من جواد الطريق وظلال المناهل ومستراح الناس ومترددهم لمنافعهم، فمن وجد فيها القذر ونكد عليه تصرفه فيه لعن فاعله، وقد يكون اللاعنان هنا بمعنى الملعونين، أي الحالتين الملعونتين والملعون فاعلهما، كما قال: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[3] أي مرضية[4]. وقال القرطبي في شرح الحديث: (وقوله: "اتقوا اللاعنين"، قالوا: ما اللاعنان؟ يُروى هكذا. وصحيح روايتنا: "اللعانين". قالوا: وما اللعانان؟ بالتشديد على المبالغة. وكلاهما صحيح، وقد تقدم القول: أن اللعن: الطرد والبعد، وقد فسّرها: بالتخلي في الطرق والظلال، وسميت هذه ملاعن لأنها تجلبُ اللعن على فاعلها العادي والشرعي؛ لأنه ضررٌ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤، ٥.

(٣) سورة القارعة، آية: ٦.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧٦/٢.

عظيم بالمسلمين؛ إذ يعرّضهم للتنجيس، ويمنعهم من حقوقهم في الماء والاستظلال وغير ذلك.

ويُفهم من هذا: تحريم التخلّي في كلّ موضع كان للمسلمين إليه حاجة، كمجتمعاتهم، وشجرهم المثمر، وإن لم يكن له ظلال وغير ذلك[1].

وقال النووي: (قال الإمام أبو سليمان الخطابي: المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن يعني عادة الناس لعنه، فلما صار سبباً لذلك أضيف اللعن إليهما، قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن مواضع اللعن، قلت: فعلى هذا يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما وذلك لما فيه إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره[2] وقد حرم الله إيذاء المؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3] والآية شاملة لما ذُكر[4]، فإيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير جناية موجب للأذى، فأذية المؤمنين عظيمة وإثمها عظيم ولذا قال: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[5])[6].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على مراعاة مشاعر الناس وعدم إيذائهم بالمناظر المنفرة التي يأباها الذوق السليم:

من دلائل ذلك ما جاء في الحديث من النهي عن التخلي في طرق الناس وظلهم،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٤.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٨.

فقال ﷺ "اتقوا اللاعنين، قالوا وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم" والابتعاد عن مثل هذه القاذورات حفاظاً على الطبيعة التي خلقها الله وسخرها للإنسان، فليس في الكون شيء خلق جزافاً أو عبثاً، كل شيء فيه قد هيئ ليؤدي دوره فيما أراده الله من عمارة الأرض واستمرار الحياة إلى أجلها[1] واعتداء الإنسان عليها بتلويث أو غيره تعطيل لهذا الدَّور، كما أن في تحريم الإسلام لمثل هذه القاذورات كالتخلي في طرق الناس وظلهم ومشمسهم وغير ذلك رعاية لشعورهم ومحافظة على أحاسيسهم، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في رعاية مشاعر الناس وتطييب خواطرهم، فعن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء -أو بودَّان- فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: ((إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم))[2]. قال الحافظ ابن حجر: (وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطييباً لقلب المهدي)[3].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على النظافة والطهارة وتوفير المناخ الصحي:

إن المتتبع للتشريعات الإسلامية المتعلقة بصحة الأبدان، يلاحظ أن الإسلام فرض على أهله كثيراً من الأصول، التي يعتبرها الطب الحديث اليوم من القواعد الأولية التي تصلح لدفع أكثر الأمراض قبل وقوعها، وللتخفيف من حدتها إذا وقعت، وقد عني الإسلام بالتشريعات الوقائية، ثم بالتشريعات العلاجية التي تخفف من علل الأجسام.

إن خير علاج للأمراض هو الوقاية من أسبابها، هذا ما يقوله الطب، أي أن الوقاية خير من العلاج، لذلك نرى الطب الوقائي يزدهر وينمو في الدول المتحضرة، ونرى حكومات هذه الدول تعمل على تلقينه لأبناء المدارس والمواطنين كشيء ضروري لاغنى عنه. ولقد سبق الإسلام جميع الحضارات، وقعد للبشرية قواعد الصحة والوقاية من الأمراض، ومن ذلك ما جاء في أمره ﷺ بالتقليل والحد من التلوث ومن ذلك

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٤.

قوله ﷺ في الحديث "اتقوا اللاعنين؟ قالوا وما اللاعنان؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم" وروي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" وهذه الأحاديث وغيرها مما رسمه رسول الله ﷺ للوقاية من المسببات للأمراض، وانتشار الجراثيم في الجو وتلوث البيئة من ذلك، فقضاء الحاجة في طرق الناس وظلهم أو مائهم يمنع من الانتفاع بها، فضلاً عن أنه سبب واسع لانتشار الأمراض وتسرب مسبباتها إلى الماء، فانظر إلى هذا السبق العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ حيث أراد وقاية الإنسانية من أمراض وأسقام كثيرة فتاكة، تفتك بالحياة، وتنتقل مع الأحياء، لتجعلهم يعيشون حياة يائسة في جسد ضعيف متهالك، إنه الإعجاز العلمي لرسول الله ﷺ يقدمه للمجتمع الإنساني بعامة، وللمسلمين بخاصة ينقذهم به من تلوث البيئة الذي يؤدي إلى الأمراض والأسقام[1]. وإن مخالفة هذه الإرشادات النبوية إعراض عن المنهج الإسلامي القويم، إضافة إلى ما يؤدي إلى الإفساد في الأرض، والواقع يؤكد ذلك ويصدق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٤٨١/١- ٤٨٣.

(٢) سورة الروم، آية: ٤١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية البيئية في الإسلام:

إن الدين الإسلامي الحنيف كان سباقًا دائمًا إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش فيها:

المبدأ الأول:

وهو "درء المفاسد" حتى لا تقع بالبلاد والعباد، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس، ولا ضرر بالغير.

المبدأ الثاني:

هو "جلب المصالح" وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية، وأهم ما يميز هذا المنهج الإسلامي الرشيد هو الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب والقلق في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والأحياء في هذا الكون، كذلك يتميز المنهج الإسلامي بأن جعل النظافة والطهارة مقترنين بالإيمان، واعتبر التلوث نجاسة كريهة[1]، لذا نهي الإسلام عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها، فقال النبي ﷺ: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ. قالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ؟ قال: الَّذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ أوْ ظِلِّهِمْ».

وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة وتساعد على انتشارها، ولاشك أن النهي عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات[2].

---

(١) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ط أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ص ٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

فالإسلام قرر وقبل أن تسمع الدنيا عما يسمى بحقوق الإنسان بألف وأربعمائة عام، حق الإنسان في البيئة ومواردها سليمة ومتوازنة، كما خلقها الله تعالى، وهذا الحق ليس منحة من قانون وضعي لدولة محددة أو منة يقررها ميثاق دولي أو معاهدة جماعية، إنما هو حق مثل باقي حقوق الإنسان في الإسلام، فهو حق ثابت دائم بحكم الطبيعة والشريعة معًا[١].

ولا أدل وأعمق في الاعتراف بمثل هذا الحق "البيئي" من أن الله سبحانه وتعالى قد جعل "صاحب" هذا الحق وهو الإنسان خليفته في رعاية وصيانة "محل" ذلك الحق وهو الأرض أو البيئة[٢].

والحقيقة أن الإسلام حرّم العدوان على البيئة وتلويثها، لما في ذلك من تعطيل لها عن الوفاء بما خلقت له ومن ثم تعطيل للحياة ذاتها على الأرض[٣].

فالالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ وأوصى بها إلى المسلمين إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق إن إفساد البيئة وتلويثها المضني لها، إنما يبدأ بتلويثها اليسير أو عدم التزام النظافة وإماطة الأذى عن البيئة[٤]. ذلك أن التلوث البيئي يؤثر على صحة الإنسان، ويكون سببًا للإفساد في الأرض والإنسان مأمور بعدم الإفساد في الأرض سواء التي يعيش فيها - أي المكان - أو التي لا يعيش فيها أيا كانت صور الإفساد سواء الإفساد المعنوي، أو الإفساد الحسي، المادي.

حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[٥]، إن علاقة الإنسان بالبيئة ينبغي أن تنطلق من التعاليم الإسلامية فقد عالج الإسلام كل ما يتعلق بالإنسان

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦.

(٢) الإسلام وفكرة حق الإنسان في البيئة، مجلة منار الإسلام، دبي، العدد الرابع، السنة الثالثة والعشرون، ربيع الثاني، ١٤١٨هـ، أغسطس ١٩٩٧م ص ٥٠-٥٢.

(٣) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي ص ٥٠.

(٤) المرجع السابق، ٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق وبين العلاج الناجح لكافة المشكلات التي تواجه الإنسان.

حيث إن دور الإنسان هو الأساس في الحفاظ على سلامة البيئة وكل مكوناتها، لأن من غايات خلق الإنسان عمارة الأرض، وأن تلك العمارة لا تتم إلا بإصلاح البيئة والمحافظة على سلامتها والبعد عن كل ما يفسدها أو يحول دون الانتفاع بها، كما خلقها الله تعالى متوازنة[1].

وفي الحقيقة أن التربية البيئية موضوع لم يعد يحتاج إلى الدعم والبراهين لإثبات ضرورته في الوقت الحاضر.

إذ تبين بأن المسألة لا تقبل التفاوض أو التأجيل لهذا قامت أعداد كبيرة من البلدان إلى ابتكار برامج للتربية البيئية تركز على العلاقات المتبادلة بين السكان والبيئة والنمو، وبعد أن اتضح أيضًا بأن القوانين والتشريعات قد عجزت عن الحد من إهدار واستنزاف وتلوث البيئة بكل عناصرها والتي تزداد تدهورًا يومًا بعد آخر، فلا يعد الإلمام بالتربية البيئية بابًا من أبواب العلوم المعاصرة شديدة الأهمية وضرورة قصوى على صعيد الأفراد والمجتمعات فحسب بل مذهبًا أخلاقيًا وسلوكيًا في الوقت نفسه[2].

وما دام أن هذه التربية تهم الجميع بحكم طبيعتها ووظيفتها فينبغي أن تصبح متاحة لجميع أفراد المجتمع المحلي بوسائل تتلاءم مع الاحتياجات والمصالح والبواعث الخاصة بكل فئة من فئات العمر ومن الفئات الاجتماعية المهنية على اختلافها.. وما دام من الضروري أن تكون هذه التربية مستمرة ومتاحة للجميع، فمن المناسب إدخالها في جميع مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي أو النظامي وغير النظامي.. ويأتي تعليم الجمهور في مقدمة المهام التي تناط بالتربية البيئية فإلى جانب دورها في نقل المعارف إلى جميع

---

(١) انظر: حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، بحث منشور ضمن حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م ص ٢٥.

(٢) المشكلات البيئية والتربية على الصعيدين الدولي والعربي، غازي أبو شقرا، مجلة التربية الجديدة، اليونسكو، العدد الثالث والعشرون، السنة الثامنة، ١٩٩١ ص ٥.

المواطنين، ينبغي لها أن تعمل على توعيتهم بما صادفهم في حياتهم اليومية من مشكلات بيئية، وأن تحثهم على انتهاج سلوك قويم والعمل بصورة جادة على حل هذه المشكلات، ومن اللازم أن تصبح التربية البيئية متاحة للناس على اختلاف أعمارهم، وان تدخل في التعليم المدرسي بجميع مراحله - رياض أطفال، والابتدائي، والمتوسط "الإعدادي"، والثانوي، والجامعي - وفي شتى أنشطة التعليم غير المدرسي لصالح الناشئة والبالغين أيا كانت فئة الناس التي ينتمون إليها ويتعين أن تدمج في عملية التعليم العام بكل بلد وأن تنمى في كل مؤسسات التعليم ومناهجه[1].



(١) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي ص ١٩٦.

٣٥٢- باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

الحديث رقم (١٧٧٤)

١٧٧٤- عن جابر ﵁: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يُبَالَ في المَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الراكد: الساكن غير الجاري[2].

الشرح الأدبي

إن الماء سر حياة الكائنات، يحيا به النبات، ويُسقى منه الحيوان، ويُروى بسببه الضرع، وينمو في كوثره الزرع، وصيانة لهذا المورد الصافي، والبلسم الشافي، يوجه رسوله ﷺ نهيه عن تلويث هذا المصدر الكريم من مصادر الحياة، والتبول في الماء من أخطر الأضرار التي تلوث البيئة، وتنشر الأمراض، وتنقل العدوى، وتفتك بحياة الناس.

والحديث يصاغ في أسلوب خبري، ويبدأ بالتأكيد على لسان الراوي الأعلى، جابر ﵁؛ حيث يقول: "أن رسول الله ﷺ"، وقول رسول الله ﷺ هو "خبر إن"، فهو يتموج داخل دائرة هذه الجملة الاسمية، المصدرة بالتأكيد (نهى أن يبال في الماء الراكد).

وبناء الفعل للمجهول يفيد التعميم؛ فالنهي عن الفعل الضار، وكل فعل لا بد له من فاعل، والفاعل المستتر: كل من يقوم بهذا الفعل الضارّ القبيح، وذلك ليس من سلوك المسلم الملتزم، وقوله: "في الماء" يتضمن إيجازاً بالحذف، أي: في مجاري الماء، وقوله: "في

(١) برقم (٩٤/٢٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٥١).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٩٤.

الماء" للتنفير الزائد من هذا الفعل الكريه، ووصف الماء بقوله: "الراكد" لمزيد من التنفير؛ لأن الماء الراكد تختلط به النجاسة فيفسد، وحين يستعمله الآخرون يصيبهم الأذى والضرر. والله أعلم.

فقه الحديث

قضاء الحاجة في الماء: ذهب الحنفية والمالكية إلى كراهة قضاء الحاجة في الماء، بولاً أو غائطاً، وذهب الحنفية أن الكراهة تحريمية وإن كان الماء راكداً، وتكون الكراهة تنزيهية إن كان الماء جارياً. وقال الشافعية والحنابلة يكره البول في الماء الراكد قليلاً كان أو كثيراً للحديث.

وأما الجاري فقال جماعة من الشافعية: إن كان قليلاً كره وإن كان كثيراً لم يكره، قال النووي: وفيه نظر. وينبغي أن يحرم البول في القليل مطلقا، لأنه ينجسه ويتلفه على نفسه وعلى غيره، وأما الكثير الجاري فلا يحرم لكن الأولى اجتنابه، ولعلهم لم يحرموا البول في الماء الراكد كما هو ظاهر الحديث، لأن الماء غير متمول عادة، أو لأنه يمكن تطهيره بالإضافة.

وفرق الحنابلة ين التبول في الماء والتغوط فيه فرأوا كراهة الأول وتحريم الثاني، ففي كشاف القناع: يكره بوله في ماء راكد أو قليل جارٍ، ويحرم تغوطه في ماء قليل أو كثير راكد أو جارٍ، لأنه يقذره ويمنع الناس الانتفاع به[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن البول في الماء الراكد.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ١/٥٥٥ ط دار عالم الكتب، وحاشية العدوي على الخرشي ١/١٤٤، والمجموع شرح المهذب ٢/٩٣، وكشاف القناع ١/٦٣، وشرح صحيح مسلم مج٢/٣/١٩٠-١٩١، والموسوعة الفقهية ٣٤/١٣-١٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث قول جابر ﷺ: "أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بخطورة المنهي عنه، وضرورة اجتنابه، وقد أمر الله سبحانه بالاستجابة لما يأمر به الرسول ﷺ وما ينهى عنه، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

والرسول ﷺ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن البول في الماء الراكد:

إن الإسلام دين الطهارة والنظافة والتجمل، ولذا يحرص الإسلام على نظافة الماء المستخدم للطهارة وغيرها، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن البول في الماء الراكد حتى لا يتنجس، ويظل على نظافته وطهارته، حيث جاء في الحديث من قول جابر ﷺ "أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" قال النووي: (وأما "الراكد" القليل فقد أطلق جماعة من أصحابنا أنه مكروه، والصواب المختار، أنه يحرم البول فيه، لأنه ينجسه ويتلف ماليته، ويغر غيره باستعماله، وقال أصحابنا وغيرهم من العلماء: والتغوط في الماء كالبول فيه وأقبح، وكذلك إذا بال في إناء ثم صبه في الماء، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول فكله مذموم قبيح منهي عنه على التفصيل المذكور، ولم يخالف في هذا أحد من العلماء، إلا ما حكى عن داود بن علي الظاهري أن النهي مختص ببول الإنسان بنفسه، وأن الغائط ليس كالبول، وكذا إذا بال في إناء ثم صبه في الماء أو بال بقرب الماء، وهذا الذي ذهب إليه خلاف إجماع العلماء، وهو أقبح ما نقل عنه في الجمود على الظاهر... وأما انغماس من لم يستنج في الماء ليستنجي فيه، فإن كان قليلاً بحيث ينجس بوقوع النجاسة فيه فهو حرام، لما فيه من تلطخه بالنجاسة وتنجيس الماء، وإن كان كثيراً لا ينجس بوقوع النجاسة فيه، فإن كان جارياً فلا بأس به، وإن كان راكداً فليس بحرام، ولا تظهر كراهته لأنه ليس في معنى البول

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

ولا يقاربه، ولو اجتنب الإنسان هذا كله أحسن)[1].

وقال القاضي عياض: (ونهيه ﷺ عن بول الرجل في الماء الراكد أو الدائم الذي لا يجري، هذا تفسير منه ﷺ على طريق التنزيه والإرشاد إلى مكارم الأخلاق والاحتياط على دين الأمة، وهو في الماء القليل آكد منه في الكثير لإفساده له، بل ذكر بعضهم أنه على الوجوب فيه، إذ قد يتغير منه ويفسد، فيظن من مرّ به أن فساده لقراره أو مكثه، وكذلك يكثر تكرار البائلين في الكثير حتى يعتريه ذلك، فحمى ﷺ هذا العارض في الماء الذي أصله الطهارة بالنهي عن ذلك، وذكر البول فيه دليل على ما يشابهه من الغائط وغيره، فإن فعل ذلك في ماء كثير لم يضره، وأما الجاري فهو في حكم الكثير الغالب ما لم يكن ضعيفاً يغلبه البول ويغيره، ولأن أكثر المياه الموجودة ليست كثيرة مستجرة، والناس يتناوبون المياه عند حاجتهم، ويقربون منها للتنظيف بها، فلو أطلق لهم البول فيها لفسد أكثرها، وقطع الانتفاع بها، لا سيما فيما يقرب من العمران، ويدخل الوساوس فيما يوجد منها)[2].

وقال ابن علان: (والنهي محمول على التنزيه إذا كان الماء ملكاً له أو مباحاً، فإن كان مسبلاً أو مملوكاً للغير حرم، ومحل الكراهة في الأول حيث لم يبل وهو في الماء والماء قليل، وإلا فيحرم لما فيه من التضميخ بالنجاسة، والكراهة في الغائط أشد للفحش، قيل: وبالليل أقوى لأنه مأوى الجن. قال العلقمي: والنهي عن القليل أشد للتنجيس وهو التنزيه)[3].

وجاء في فتح الملهم: (ووصفه ﷺ الماء بالركود والدوام وعدم الجريان، تنبيه على أن هذه الأوصاف هي مناط النهي في الحالة الراهنة، لا تغير أوصاف الماء، ولا كونه أقل من قلّتين، لأن سكونه وعدم جريانه يقتضي استقرار النجاسة أو الخبث فيه وعدم انتقاله منه، فلا يخلو استعمال الماء الذي بال فيه عن استعمال بعض أجزائها وهو محرم

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢/١٠٥.

(٣) دليل الفالحين ١٧٤٥.

بنص القرآن الكريم، أي قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾[١] وكون الماء متروكاً ومهجوراً إلى ما يظن وجود أجزاء النجاسة فيه في القليل والكثير، فلا نقيد الحديث بالقليل والكثير، لأن الحكم دائر على التعليل المذكور، وهو استقرار الخبث في الماء وعدم انتقاله عنه، ومن قيده منا بالقليل فكأنه أظهر مفاد التعليل ونتيجته، أي: الكثير لا يفسد سائر أطرافه لعدم وصول الخبث إليه، وإن كان النهي يشمل البول في الماء الكثير أيضاً، فإن فيه إفساد بعض أطرافه، كما صرح به بعض فقهائنا والله أعلم)[٢].

وقال الحسيني هاشم: (وفي الحديث النهي عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري، وهو نهي يشتمل على كثير من الفوائد، ففضلاً عن رعاية الذوق والشعور العام، فيه وقاية من انتقال الأمراض وانتشار الأوبئة والأسقام)[٣].

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع:

ويستنبط هذا من الحديث، حيث يجب على المدعو أن يستجيب لتوجيهات الرسول ﷺ، والتي تمثلت في الحديث في إخبار جابر رضي الله عنه عن نهي النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد، والرسول ﷺ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، قال الله تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾[٤].

ففي الالتزام بأوامر الرسول ونواهيه السعادة والرضا في الدنيا والآخرة (لقد اصطفى الله محمداً ﷺ بنبوته ورسالته، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمره باتباع ما أوحى إليه، وتبليغ ما أنزل إليه، وقد شهد الله له بالصدق والعصمة واستمساكه بما أمره به، كما شهد له بالهدى في نفسه، وأنه هاد لمن اتبعه قال

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) موسوعة فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ص ٤٧/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨٠١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1].

وهذه منزلة رسول الله ﷺ من الدين، فهو المبلغ عن الله دينه ووحيه، وهو الآمر بإذن مولاه والهادي إلى الصراط المستقيم، فمن آمن به فبالله آمن، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن قبل عنه فعن الله قبل، لأجل هذا أمر الله العباد بطاعته، وأوجب عليهم اتباع أمره وتصديق خبره، وحذرهم من مخالفته وعصيانه، وجعل طاعته فرضاً لازماً لكل من آمن بالله، ولم يجعل لمؤمن اختياراً في أي أمر بعد قضاء الله ورسوله فيه)[2].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥٢-٥٣.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: الوقاية الصحية باجتناب التبول في الماء الراكد:

استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات النبي ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال.

وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق.

وهي بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة[1].

ومن هذه الإرشادات والتحذيرات نهيه ﷺ عن التبول في الماء الراكد، فعن جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نَهَىٰ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»، وذلك من أجل عدم تنجيس الماء الراكد لأنه لا يجري، فأي نجاسة تسري فيه وتنجسه، ومن أجل الوقاية الصحية باجتناب الأمراض التي تنتقل من خلال التبول في الماء الراكد.

قال البروفيسور نلسون[2]: مرض البلهارسيا يفتك بالملايين من الناس في العالم والوقاية منه باتباع حديث من أحاديث النبي ﷺ[3]، لو اتبع المسلمون وغير المسلمين هذا الحديث لانتهى مرض البلهارسيا من العالم.

والسر في ذلك: أن مريض البلهارسيا إذا تبول في الماء الراكد نزلت بويضات البلهارسيا مع بوله إلى الماء، حيث تفقس ويخرج كائن صغير يعرف بالميراسيديوم،

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٥٦.

(٢) من أكبر أطباء بريطانيا، ومكتشف مرض نلسون، وقد سمي المرض باسمه.

(٣) يقصد به حديث النبي ﷺ الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه، «لا يَبولَنَّ أحدُكم في الماء الدائمِ الذي لا يَجري ثم يَغتسِلُ منه»، أخرجه البخاري، ٢٣٩، ومسلم، ٢٨٢.

الذي يبحث عن القوقعة التي يكمل فيها أطوار حياته، ليخرج بعد ذلك كائناً آخر يعرف بالسيركاريا، التي تسبح في الماء باحثة عن الضحية التي ستدخل جسدها والعجيب أن الضحية هو الشخص الذي خالف هدي سيد البشرية ﷺ ونزل الماءَ الراكدَ الذي تبول فيه ليغتسل فيه، فإن السيركاريا تدخل جسده ليصاب بمرض البلهارسيا التي ربما تكون بسببه وفاتُه.

ومن الجدير بالذكر، أن الماء الراكد يعتبر بيئة خصبة لنمو الكثير من البكتريا، كالكوليرا، والسمالونيلا، والشجيلا، وغير ذلك، كما تحتاج بعض الطفيليات الأولية والديدان "كالزحار الأميبي، والديدان المستديرة، والبلهارسيا"، إلى الماء الراكد لإكمال دورة حياتها، خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الطفيليات والديدان بسرعة، وتكاثرها، وانتشارها[1].

فعلى المسلم أن يتقي التبول في الماء الراكد حتى يقي نفسه وغيره من البشر الأمراض والأوبئة.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى ضرورة عدم التبول في الماء الراكد، وعدم الاغتسال منه إذا بال فيه أحد، حتى يتجنبوا الأمراض التي تضعف أجسادهم وتعيقهم عن أداء أدوارهم في الحياة.

ثانيًا: من أهداف التربية: المحافظة على مصادر المياه:

لقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الذي لا يجري مما يؤدي إلى نجاسته وعدم استعماله.

وما أسوأ الآثار للبول في الماء أو قضاء الحاجة، أو عملية الصرف الصحي التي تتم في الأنهار أو الترع أو البحيرات أو غير ذلك مما أدى إلى انتشار البلهارسيا التي فتكت بأعداد غير قليلة من الشعوب التي تأتي مثل هذه المخالفات[2].

---

(١) انظر: الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٢/٥٠٩.

(٢) انظر: حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، بحث منشور ضمن حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٣٤.

هذا فضلاً عن إلقاء المخلفات الصناعية للمصانع وغيرها في الماء هذا على مستوى الدول الفقيرة.

أما على مستوى الدول الكبرى فهناك كوارث بيئية تصنعها تلك الدول عن طريق إلقاء النفايات السامة في البحار والمحيطات وعملية غسل ناقلات البترول العملاقة في البحار، لأجل تنظيف خزانات تلك الناقلات وتفريغ مياه تنظيفها في البحار، أو تفريغ بعض الكميات في المسطحات التي يراد تلويثها، أو الإضرار بالبيئة البرية والبحرية فيها، هذا فضلاً عن حوادث الناقلات البحرية التي تحمل النفط مما يؤدي إلى تلوث المياه في البحار والمحيطات[١].

ناهيك عن أضرار الحروب وما تخلفه من تلوث في البحار والمحيطات إن مثل هذه الممارسات غير المسؤولة واللا إنسانية يأباها الإسلام، ويحظر على المسلم فعلها، لأن ذلك يؤدي إلى إلحاق الضرر بالإنسان والحيوان والنبات والأحياء البحرية التي تعد غذاء الإنسان، فضلاً عن إتلاف للشعاب المرجانية، وغير ذلك من ألوان الفساد[٢].

وقد حرص الإسلام على المحافظة على مصادر المياه وترشيد استعمالها وعدم هدرها أو تلويثها[٣].

فالماء نعمة كبرى، فقد جعله الله سببًا في حياة الأرض والإنسان والحيوان والكائنات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٤].

ومعروف أن الماء وسيلة من وسائل الطهارة والنظافة، والسعادة النفسية، وله أثره في إحياء الأرض بعد موتها، وتأهيلها للزراعة والإنتاج[٥]، فهو ضروري لكل الموجودات،

---

(١) انظر: التلوث وحماية البيئة، د. محمد عبدو العودات، د. عبدالله باصهي، ١٥٥، نقلا المرجع السابق، ص٣٥.

(٢) حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ص٣٥، مرجع سابق.

(٣) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي، ٢٤١/٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٥) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي، ٢٤١/٣.

وهو حياة لكل ما في الكون[١]، وقد اهتم الإسلام به اهتمامًا كبيرًا والمتتبع لآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ يلمس هذا الاهتمام ويدرك أهميته.

ولا فرق في الأهمية بين ماء البحر وماء النهر والمطر، فلكل منها فوائده الجمة وضرورته الحيوية لجميع المكونات البيئية وإن كانت استفادة الإنسان من كل ذلك تأتي في الدرجة الأولى ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

ولأن الماء ضرورة لكل الموجودات منع الإسلام احتكاره، ومنعه من طالبه، وجعل الناس جميعًا فيه شركاء، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلأ وَالنَّارِ»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلأُ»، وفي رواية: «لاَ يُبَاعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُبَاعَ بِهِ الْكَلأُ»[٥]. وهذه الأهمية والضرورة تقتضي من الإنسان حسن التعامل معه، وتوظيفه فيما خلق له، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء. والاستفادة منه بحكمة وتعقل، والحرص على طهارته ونقائه، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات، ومن ثم يصبح مصدرًا للهلاك والإهلاك. ولذا نرى السنة المطهرة تحذر من ذلك وتنفر منه فقد ورد عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه نهي أن يبال في الماء الراكد، وورد عن أبي هريرة عن

---

(١) انظر: الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ص٧٥، ٨٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه، ٢٤٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٤).

(٥) أخرجه البخاري، ٢٣٥٣، ٦٩٦٢، ومسلم، ١٥٦٦.

النبي ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل منه»[١]، وعنه أن رسول الله ﷺ: قال: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال أبو السائب راوي الحديث، كيف يفعل يا أبا هريرة قال يتناوله تناولاً»[٢].

وبلغ من عناية الإسلام بالنظافة وحرصه على عدم تلوث الماء ولو بطريق غير مباشر، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ٱسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلاَ يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثًا، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَهُ»[٣].

ولأهمية النظافة للماء ولغيره، جعلها الإسلام شعارًا من شعاراته العبادية، وفضيلة من فضائل الإسلام، يتحلى بها المسلم، ويحرص عليها، وسواء في ذلك الطهارة الحسية أو المعنوية، كل ذلك ليبعد بنا عن التلوث، أيا كان، فضلاً عن أن تكون سببًا في حدوثه، ولذلك ورد لفظ الطهر والطهارة في القرآن الكريم "١٣ مرة" في مواضع عديدة للماء أو للإنسان، للطهارة الحسية أو المعنوية.

قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[٥]، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٦]، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٧].

وورد عن النبي ﷺ قال: «الطهور شَطّر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان....إلخ»[٨].

ومن الأهمية أن يعرف الإنسان أن الماء - شأنه شأن جميع الموجودات - وقد خلقه

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣٩، ومسلم، ٢٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٨٣.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٧٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٨)أخرجه مسلم، ٢٢٣.

الله سبحانه بقدر، وأن أي إسراف فيه أو تبذير أو تلوث يخل بهذا القدر الصالح للاستعمال، ويُعَرّض الحياة لخطر داهم، حيث لا غنى لمخلوق عنه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[1][2].



(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٢) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ص٨٩، ٩٢.

٣٥٣- باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

الحديث رقم (١٧٧٥)

١٧٧٥- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أنَّ أباه أتى بِهِ رسُولَ اللّهِ ﷺ فقال: إنِّي نَحلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاماً كَانَ لِي، فقال رسولُ الله ﷺ: ((أكُلَّ وَلَدِكَ نَحلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟)) فقال: لا، فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: ((فَأرْجِعهُ)) [1].

وفي روايةٍ[2]: فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: ((أفَعَلْتَ هذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟)) قال: لا، قال: ((اتَّقُوا الله واعْدِلُوا فِي أوْلادِكُمْ)) فَرَجَعَ أبي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي روايةٍ[3]: فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: ((يَا بَشيرُ الَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟)) فقالَ: نَعَمْ، قال: ((أكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذا؟)) قال: لا، قال: ((فَلاَ تُشْهِدْنِي إذاً فَإنِّي لاَ أشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ)).

وفي روايةٍ[4]: ((لاَ تُشْهِدْني عَلَى جَوْرٍ)).

وفي رواية[5]: ((اشْهِدْ عَلَى هذَا غَيْرِي!)) ثُمَّ قال: ((أيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا إلَيْكَ في البِرِّ سَواءً؟)) قال: بَلَى، قال: ((فَلا إذاً)). متفق عليه[6].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣/٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣/١٣) واللفظ له، من حديث عامر بن شراحيل الشعبي عن النعمان.

(٣) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٤) من حديث محمد بن بشير.

(٤) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٦) من حديث عاصم الأحول.

(٥) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٧) من حديث داود بن أبي هند.

(٦) انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤٩٩/١، رقم ٨٠٤).

غريب الألفاظ:

إني نحلت: أعطيت[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث ينقل مشهداً واقعيًا من مشاهد السيرة النبوية المضيئة، بجلائل الأعمال، وروائع الأقوال، وحميد الأفعال، وهذا المشهد درس من دروس النبوة في العدل والمساواة بين الأبناء؛ حتى لا تتسرب الأحقاد والعداوات إلى نفوسهم، حين يفضل بعض الآباء أحد الأبناء على الآخرين.

وتأكيد المساواة ووجوبها تنطق به صياغة الحديث؛ حيث يبدأ بالتوكيد بـ"أن": فَخَبَرُ المحاورة بين الرسول والنعمان وأبيه يبدأ بتأكيد الخبر، في قوله: "أن أباه أتى به رسول الله ﷺ".

وكلام بشير الأنصاري يبدأ بالتوكيد في سياق إثبات الهبة للابن؛ حيث يقول: "إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي"، واسم الإشارة في قوله: "ابني هذا" يفيد التحديد؛ لأن المراد ابن معين وهو النعمان، وتنكير لفظ "غلاماً" يدل على الشيوع؛ فالمراد الهبة المعطاة وليس غلاماً محدداً.

وهذا الصنيع لم يرض رسول الله ﷺ فقال: "أكلَّ ولدك نحلته مثل هذا؟" والاستفهام هنا تقريري، يحمل اعتراضاً ضِمْنيًا على تخصيص أحد الأبناء بعطية دون الآخرين.

وقد انتهى الحوار بين رسول الله ﷺ وبشير الأنصاري بالإقناع والرجوع عن الهبة، وقد أصدر رسول الله حكمه في صورة أمر واجب التنفيذ، حين قال للصحابي بشير الأنصاري: "فأرجعه"، وفي هذا الأمر إيجاز بالحذف والتقدير، فإذا كنت لم تنحل كل ولدك مثل هذا... فأرجعه: أي: فأرجع ملكية العبد إليك، وفي الرواية تفسير لهذا الإيجاز؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"، ويقول النعمان: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ن ح ل).

فقه الحديث

ومن الحديث من الفقه: حكم تفضيل الشخص بعض ولده على بعض في العطية والهبة: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أنه لا يجوز للشخص أن يفضل بعض ولده على بعض في الهبة والعطية، فإن خص بعضهم بعطية أو فاضل بينهم أثم، ويجب عليه إما أن يرد ما تفضل به على البعض، وإما إتمام نصيب الآخر.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، فقد سمى رسول الله ﷺ ذلك جَوْراً، وامتنع عن الإشهاد عليه، والجور حرام، ولأن النبي ﷺ أمر برده والأمر يقتضي الوجوب.

ولأن ذلك يورث العداوة والبغضاء، وقطيعة الرحم بين الأولاد فلا يجوز، كتزويج المرأة على عمتها، أو خالتها[٣].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[٤]، والمالكية[٥]، والشافعية[٦]، ويرون أنه يجوز للشخص أن يفضل بعض ولده في العطية، وإن كانت التسوية بينهم أحب إلى الجميع.

واستدلوا على ذلك: بأن أبا بكر رضي الله عنه قد نحل عائشة ابنته جذاذ عشرين وسقاً دون سائر ولده[٧].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٧/٥، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣٧١/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٩/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٤٢/٩.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٧/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٣٠/٢.

(٤) البدائع ١٢٧/٦.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٥/٧.

(٦) اختلاف الحديث للشافعي ١٦٠.

(٧) أخرجه مالك ١٥٠٨ موسوعة شروح الموطأ، ومن طريقه في شرح معاني الآثار ٨٨/٤، والبيهقي ١٦٩/٦-١٧٠، والبغوي في شرح السنة ٢٢٠٤ وإسناده صحيح.

كما أن قول رسول الله ﷺ في حديث الباب "أشهد على هذا غيري" يدل على صحة الهبة، لأنه ﷺ لم يأمره بردها وإنما أمره بتأكيدها، بإشهاد غيره عليها، وإنما لم يشهد رسول الله ﷺ لأن البشير قد ترك الأفضل[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يعنيهم من أمورهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حث الآباء على العدل بين أبنائهم، وعدم تفضيل بعضهم على بعض.

ثالثاً: من واجبات الداعية: سؤال المدعو عن بعض الجزئيات قبل إعطائه الإجابة للتثبت والتأكد.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النداء.

خامساً: من أساليب الدعوة: الأمر.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الحث على تحري العدل في شتى الأمور خاصة في معاملة الأولاد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يعنيهم من أمورهم:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين الحرص كله على سؤال النبي ﷺ والرجوع إليه واستفتائه، ومن دلائل ذلك ما ورد في الحديث من سؤال والد النعمان بن بشير رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ، فقال إني نحلت ابن هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فأرجعه" فلقد كان صحابة رسول الله ﷺ يسألونه عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون

---

(١) اختلاف الحديث للشافعي ١٦٠، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٦/٧، ٢٢٧.

الدنيا، حتى إن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[١].

كما في حديث أبي إدريس الخولاني قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ. فَجَاءَنَا اللّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله! فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصلِ شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك))[٢]. فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حث الآباء على العدل بين أبنائهم وعدم تفضيل بعضهم على بعض:

إن العدل ضرورة لإقامة الحق، وضمان العدل يشيع الطمأنينة، وينشر الأمن، ويشد علاقة الأفراد بعضهم ببعض، ويجعل الروابط بينهم قائمة على التوازن والانسجام والإخاء. ومن هنا نجد آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ مليئة بالدعوة للعدالة وإحقاق الحق، محذرة من الظلم والبغي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]. والعدل من

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

أوصاف الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١). وإقامة العدل إحدى مهمات الرسول ووظائفه: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾(٢)(٣).

والعدل الذي ينادي به الإسلام، عدل شامل في جميع ميادين الحياة، وفي جميع شرائح المجتمع وطبقات الناس، ومن ذلك عدل الآباء بين أولادهم وعدم تفضيل بعضهم على بعض، وقد جاء الأمر بالعدل بينهم في صريح الحديث في قوله ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" فإذا كان الآباء حريصين على سلامة أبنائهم من العقد النفسية ومركبات الشعور بالنقص، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طوية، فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ بالعدل بين الأولاد، وأن يسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعاً بروح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة، حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل، والنظرة الرحيمة، والعطف الصادق، والمعاملة العادلة(٤). ولذا كان أمر النبي ﷺ بالعدل في الأولاد، "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" بالتسوية بينهم في العطاء والبر والإحسان(٥).

وهذا العدل إنما يجب على الإنسان قدر استطاعته، ولا يلزم التدقيق الشديد لما جاء في بعض الروايات ((قاربوا بين أولادكم))(٦). وفي ذلك دليل على أن التسوية بين الأولاد إنما تجب بقدر الوسع، ولا يجب على الإنسان التدقيق الشديد في ذلك، وإنما التفضيل المكروه ما يغلب على الظن أنه يسوء الأولاد والآخرين(٧).

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٣٣١.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٣٢٩/١، ٣٣٠.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٦.

(٦) أخرجه مسلم ١٦٢٣.

(٧) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ٧١/٨.

ثالثاً- من واجبات الداعية: سؤال المدعو عن بعض الجزئيات قبل إعطائه الإجابة للتثبت والتأكد:

جاءت الإشارة إلى وجوب مراعاة ذلك، وذلك في سؤال النبي ﷺ لبشير والد النعمان "أكل ولدك نحلته مثل هذا" وفي رواية "أفعلت هذا بولدك كلهم" وفي رواية "يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال نعم، قال: أكلهم وهبت مثل هذا" وفي ذلك إشارة إلى ما ينبغي أن يتحلى به الداعية والمفتي بالرصانة في الفكر، وجودة الملاحظة، والتأني في الفتوى، والتثبت فيما يفتي به، فهذه صفات يلزم وجودها فيمن يتصدى للفتوى[1]، إذ أن من كان معروفاً بالعجلة في فتواه، والتسرع بالإجابة عما يسأل عنه، دون أن يتثبت من ذلك، فمن كانت أوصافه كذلك، فقد أول أسباب التوفيق، وحريٌ بمن فقد أولها، ألا يحالفه الحظ في وجدان آخرها، وألا ينال في آخر المطاف غايته التي قصدها[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد في الحديث في قوله ﷺ "يا بشير" والنداء من أساليب الدعوة المفيدة، وقد تكرر هذا الأسلوب في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3] وهذا الخطاب المصدر بنداء الإيمان له أهمية خاصة عند المؤمن، فهو نداء يخاطب قلبه ويدفعه إلى أن يستجيب لما أمر به[4] فالنداء خاصة المصدر بالإيمان نداء موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف[5].

خامساً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" وأسلوب الأمر من الأساليب ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من حمل المدعوين على

---

(١) المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي الربيعة، ص ٢٥.

(٢) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ١٥٨/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧.

(٤) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص ٦٠.

(٥) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

الائتمار بما أُمروا به، وقد تكرر أسلوب الأمر في القرآن، مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢] وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٣] وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله وطاعته[٤].

سادساً- من موضوعات الدعوة: الحث على تحري العدل في شتى الأمور خاصة في معاملة الأولاد:

جاء في الحديث ما يدل دلالة صريحة على وجوب تحري العدل في الأمور كلها خاصة في تعامل الآباء مع أولادهم، ومراعاتهم العدل بينهم في الهبات والعطايا وعدم تفضيل بعضهم على بعض[٥]. فقال ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" وقد تضافرت آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية على وجوب العدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[٦] وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٧] وقال ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[٨] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا))[٩]. والعدل من

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤/١.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٧) سورة المائدة، آية: ٨.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٩) أخرجه مسلم ١٨٢٧.

أفضل ما يتصف به الإنسان، قال ابن حزم: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإيثاره[١]. والعدل سبب للتمكين والنصر، قال ابن تيمية: (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وإن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة)[٢]. ومن أبرز مجالات العدل التي أولاها الإسلام أهمية خاصة، العدل في الأسرة، أزواجاً وأولاداً ومن شاكلهم، فلكل فرد حقوقه التي يجب أن تصان، وإن اجتناب ذلك والتجافي عن العدل، خاصة بين الأولاد يغرس الحقد والحسد[٣] والضغائن في النفوس.

---

(١) مداواة النفوس، الإمام ابن حزم، تحقيق: أبو حذيفة بن محمد ص ٩٠.

(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٢٨١٦/٧.

(٣) أخلاقنا، د. محمد ربيع جوهري، ٢١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العدل:

العدل خلق شرعي عظيم، وعليه قامت السماوات والأرض، وهو سمة للمسلم الصادق في حياته كلها، ويتأكد الأمر عند تعامل الوالد مع أولاده، أو المعلم مع تلاميذه، وجاءت السنة النبوية مؤكدة وجوب العدل بين الأولاد، ومن ذلك حديث الباب، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ».

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: « «أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ» فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ»..إلخ باقي روايات الحديث.

وما ذلك إلا لأن الإخلال به ينشأ عنه مفاسد عدة من إيغار الصدور وإثارة البغضاء، بل هو مؤد إلى تكريس الأحقاد، وقد يصل الحال لدى بعضهم كما فعل إخوة يوسف حين قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وحين ينشأ الشاب في بيئة لا تلتزم بالعدل فسوف يترك ذلك أثره عليه سواء أكان مُفضَّلاً على غيره أم فُضِّل غيره عليه.

وينشأ الإخلال بالعدل في المحاضن التربوية في حالات كثيرة؛ فيبدو من المربي اهتمام زائد ببعض الشباب لأنه يتوقع منهم أكثر من غيرهم.

ومما ينبغي أن يراعيه المربي هنا: أن الاعتبارات التي يراها مسوغة لتفضيل بعض أولاده أو تلامذته على بعض قد لا تكون مقنعة لديهم، ومن ثم فلابد أن يربط تمييز أحدهم - إن كان في تمييزه مصلحة ظاهرة - بأمور موضوعية مدركة للجميع[2].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٢٠٥، ٢٠٦.

ثانيًا: التربية بالحوار والمناقشة:

يعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والإقناع، لأن الإقناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى ادراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف[1]، ويظهر ذلك جليًا في حواره ﷺ مع بشير رضي الله عنه والد النعمان رضي الله عنه عندما أراد أن يفضل النعمان بعطية دون باقي أولاده ويروي هذا الحوار المفيد وهذه المناقشة الجميلة النعمان بن بشير رضي الله عنه فيقول إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: «إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَـٰذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَـٰذَا؟» فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ».

وفي رواية: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَعَلْتَ هـذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ» فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وكذلك باقي الحوار والمناقشة في باقي روايات الحديث، هذا الحوار والمناقشة كان نتيجتها اقتناع الوالد ورجوعه عن تفضيل ابنه عن باقي إخوته، فهو أسلوب من الأساليب التي كثر استخدام النبي ﷺ لها لفائدته في الإقناع.

لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته، وفي هذا المجال يؤكد ابن خلدون أن الطريقة الصحيحة في التعليم هي التي تهتم بالفهم والوعي والمناقشة لا الحفظ الأعمى عن ظهر قلب، ويشير إلى أن "ملكة العلم" إنما تحصل

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

بالمحاورة والمناظرة والمفاوضة في مواضيع العلم، ويعيب طريقة الحفظ عن ظهر قلب ويعتبرها مسئولة عن تكوين أفراد ضيقي الأفق عقيمي التفكير لا يفقهون شيئًا ذي بال في العلم.

والواقع أن المربين المسلمين قد اهتموا بأسلوب المناظرة والحوار في التدريس، واعتبروه أسلوبًا مفضلاً مجديًا في التعليم، حيث يقول الزرنوجي: "إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار"، وقد احتاط المربون المسلمون من سوء استخدام أسلوب المناظرة والحوار بأن وضعوا له بعض الشروط التي تجعل منه أسلوبًا فعالاً للتعلم والبحث العلمي، ومن أهمها: أن يكون هدف المناظرة الوصول إلى الحقيقة لا التضليل وحب الانتصار بالباطل، كما يشترط في المتناظرين الإلمام بموضوع المناظرة، والتحلي بالهدوء وسعة الصدر وعدم التكلف وغيرة الصدر. ومع أن أسلوب المناظرة هو أقرب إلى الدراسات العالية فإننا نجد صورة مبسطة منه في أسلوب الحوار والنقاش الذي يديره المعلم مع تلاميذه ليحفزهم على التفكير[1].

ثالثًا: التربية بالأحداث والمواقف:

أحداث الحياة ومواقفها متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية وقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها للمسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة[2]، ومن ذلك استغلال حدث والد النعمان عندما أراد أن يفضله على باقي أولاده بعطية.

فأرشده إلى الصواب وأفاده وأفاد جميع الوالدين من المسلمين إلى يوم القيامة، بوجوب العدل بين الأولاد وعدم تفضيل أحدهم على الآخر إلا إذا كانت هناك أسباب تدعو لذلك، وهكذا تكون التربية بالحدث، ومن خلال الحدث.

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦.

(٢) أصول التربية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

رابعًا: التربية بالقدوة:

إن التربية بالقدوة من أهم أساليب التربية وأنجحها، وذلك لأن المربي إذا التزم بالقيم التربوية التي يدعو إليها، كان ذلك ادعى إلى قبول توجيهاته والعمل بها، وقد كان رسول الله ﷺ خير قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به"[1].

وتظهر مطابقة سلوك النبي ﷺ لقوله في رفضه أن يشهد على العطية التي أراد أن يعطيها والد النعمان لابنه النعمان، وذلك في قوله ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَىٰ هـٰذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هـٰذَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَلاَ تُشْهِدْنِي إذًا فَإنِّي لاَ أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ».

وفي رواية: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَىٰ جَوْرٍ».

وفي رواية: «إذًا فَلاَ».

كل هذه الروايات تؤيد مطابقة سلوكه ﷺ لقوله: «اتَّقُوا اللّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ».

من ذلك يتضح لنا أهمية مطابقة سلوك المربي مع قوله ليكون القدوة الصالحة لهم فيقتدون به.

وذلك لأن تأثير المواقف العملية على نفس المتلقي أبلغ بكثير من الحديث والخطب والعظات، لأنها تكسب برهان صدقها من حدوثها وتحققها، لذلك كان تفاعل المربي مع القيم التربوية التي يدعو إليها والتزامه بها، أجدى من كثير من الكلام عن أهميتها والدعوة إليها، من غير أن يصاحب ذلك عمل في واقع الأمر.

فالتزام المربي أمام الطفل بالصدق في كل تصرفاته فيما يعود عليه بالمنفعة أو ما يعود عليه بالضرر، أجدى من حديث المربي المكرر عن أهمية الصدق وقيمته، وهو لا يلتزم به أو لا يظهر منه التزامه به"[2].

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٢٥.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف ص ٥٢.

فعندما يلتزم المربي في كل أحواله بأن تكون أعماله مصدقة لأقواله فإن ذلك أنفع للمتربي، حتى لو كان هذا فيما يتعلق بأمور الدنيا، ففي عصرنا الحاضر عندما يلتزم المربي الوقوف عندما تضيء إشارة المرور اللون الأحمر مثلاً، فإن ذلك له تأثيره على الطفل أكثر بمرات كثيرة من سماعه عن أهمية الالتزام بإشارات المرور، بينما هو يرى مربيه في الوقت نفسه لا يلتزم بها، وعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولاشك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها... وهكذا، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي نريد له أن يتخلق بها على أنها سلوك عملي ولست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه[1].



(١) المرجع السابق ص ٥٣، ٥٤.

٣٥٤- باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

الحديث رقم (١٧٧٦)

١٧٧٦- عن زينب بنتِ أبي سلمة رضي الله عنها، قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، زَوجِ النَّبيِّ ﷺ، حِينَ تُوُفِّيَ أبُوهَا أبُو سُفْيَانَ بن حرب رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أنّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ عَلَى المِنْبَرِ: **((لا يَحِلُّ لامْرَأةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً))** [١].

قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها حينَ تُوُفِّيَ أخُوهَا، فَدَعَتْ بِطيبٍ فَمَسَّتْ مِنهُ ثُمَّ قَالَتْ: أمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيرَ أنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: **((لا يَحِلُّ لامْرَأةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثٍ، إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً))**. متفق عليه [٢].

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٠٩٩).

زينب بنت أبي سلمة: وهي زينب بنت أبي سلمة عبدالله بن عبدالأحد من بني مخزوم، ربيبة النبي ﷺ، أخت عمر بن أبي سلمة، وأمهما أم سلمة زوج النبي ﷺ.

ولدت بأرض الحبشة، وقيل غير ذلك، وكان اسمها بَرَّة فسماها رسول الله ﷺ زينب، وكانت أسماء بنت أبي بكر أرضعتها فهي أحب أولادها من الرضاعة، وبذلك كانت أختا من الرضاعة لأولاد الزبير، واعتبرها النبي ﷺ من أهل بيته. فقال لأمها السيدة أم سلمة أنت وابنتك من أهل البيت، وكانت رضي الله عنها ممن رزقهم الله الفقه في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٤)، ومسلم (١٤٨٧). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣٥)، ومسلم (١٤٨٦/٥٨). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٤).

الدين، قال أبو رافع كنت إذا ذكرت امرأة بالمدينة فقيهة ذكرت زينب بنت أبي سلمة، وقال أبو رافع في رواية أخرى وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة.

حفظ الله عليها شبابها، وأبقى لها ماء وجها ناضراً، حتى كبرت وعمّرت، وذلك ببركة نضح رسول الله ﷺ الماء في وجهها.

توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة في ولاية طارق عليها سنة ثلاث وسبعين، وقيل في رجب سنة ثلاث وستين، وحضر ابن عمر جنازتها، وصُلّي عليها بعد صلاة الصبح، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها[1].

غريب الألفاظ:

صفرة خلوق: هو طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحُمرة والصّفرة [2].

بعارضيها: العارضان: جانبا الوجه فوق الذقن إلى ما دون الأذن [3].

تحد على ميت: أي تترك الطيب والزينة [4].

الشرح الأدبي

إن من سمات الشخصية الإسلامية: إسلام الوجه لله، والرضا بالقضاء والقدر، واستقبال أحداث الحياة المأساوية استقبالاً إيمانيًّا فيه سكينة المؤمن، والصبر الجميل، والاحتساب عند الله، والثبات وعدم الجزع؛ لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨/٤٦١، ٤٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠٨، ٩٠٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧/١٣٢، ١٣٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٦٩٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٥٣٧)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٦٧٤، ٦٧٥)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٦٦)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢/٨٤٩، ٨٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: في (ص ف ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٤٣.

(٤) المرجع السابق ٩٤٣.

والحديث يصور مشهداً من تاريخ نساء النبي ﷺ، وهن أمهات المؤمنين، اللائي قال الله فيهن: "لستن كأحد من النساء".

والحديث في صياغته يغلب عليه الطابع القصصي؛ حيث يسيطر الفعل الماضي على بدايات الجمل، وتتعدد الأحداث والمواقف، وكذلك تتعدد الشخصيات في هذا الحديث الشريف؛ فالراوية زينب بنت أبي سلمة من شخصيات الحديث، وهي التي تفصّل الأحداث، وتحكي الوقائع، ولذلك تكررت هذه العبارة التي تدل على جو السّرد والحَكْي: قالت: دخلت على أم حبيبة، ... وتواصل عرض وقائع الحدث، "ثم قالت"... وفي المشهد الثاني: "قالت زينب"، وعلى لسان زينب بنت جحش تقول: "ثم قالت".

والشخصية الثانية أم حبيبة زوج النبي ﷺ، التي التزمت بالحداد ثلاثة أيام على أبيها أبي سفيان بن حرب؛ استجابةً لأمر رسول الله ﷺ.

والشخصية الثالثة: زينب بنت جحش، وهي قد التزمت بما أمر به رسول الله ﷺ؛ حيث توفي أخوها، ولم تحد عليه إلا ثلاثة أيام.

ومن شخصيات الحديث: أبو سفيان بن حرب، ومن الشخصيات كذلك، أخو زينب بنت جحش، وقيل: هو عبدالله بن جحش.

ومن الأساليب الموحية في الحديث: أسلوب القصر، في قول رسول الله: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج، أربعةَ أشهر وعشراً"، وهذه العبارة التي تعد قاعدة شرعية، تكررت مرة أخرى على لسان زينب بنت جحش رواية عن رسول الله، وهذا التكرار يُعد تأكيداً للحكم، وتثبيتاً له، والنفي هنا بمعنى النهي على سبيل التأكيد.

وتكرار عبارة "والله ما لي بالطيب من حاجة...."إلخ، مرتين على لسان أم حبيبة ولسان زينب بنت جحش، في سياق انتهاء الحداد على الأب والأخ، يؤكد سرعة الاستجابة لتوجيهات رسول الله ﷺ والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- عدم جواز الإحداد على غير الزوج فوق ثلاث ليالٍ، بشرط إذن الزوج.

٢- وجوب الإحداد على الزوج الميت أربعة أشهر وعشراً[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: امتثال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لأقوال النبي ﷺ في الإحداد على الميت.

ثانياً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على نفي التهم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء للزوج إذا مات.

خامساً: من موضوعات الدعوة: إحداد المرأة على زوجها إذا مات عنها وفاءً له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: امتثال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لأقوال النبي ﷺ في الإحداد على الميت:

جاء في الحديث ما يدل على ذلك، من فعل أم حبيبة وزينب بنت جش رضي الله عنهما فعن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، قالت ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت أما والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت

---

(١) المبسوط، السرخسي ٥٨/٦، وتحفة الفقهاء ٢٥١/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣١٣/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٠١/٣، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٤١/١٦، والمدونة الكبرى، مالك الأصبحي ٤٣٣/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٨/٣، وفتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، زكريا الأنصاري ١٨٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/٥، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٣٠٧/٣.

فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا. وذلك يدل على مدى مبالغة أزواج النبي ﷺ في طاعته ﷺ وامتثال أوامره، فهن أحق نساء الأمة بالطاعة فهن لسن كأحد من النساء،وقد خاطبهم الله بقوله ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾[1].

وذلك لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على سائر النساء أجمع، وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[2] وذلك خطاب على جهة الموعظة وتعديد النعمة، بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة[3].

ثانياً- من أصناف المدعوين: النساء:

جاء الخطاب في الحديث موجهاً للنساء، فقال ﷺ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً" والنساء من أصناف المدعوين الذين لا ينبغي أن يغفلوا، فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهداً كافياً تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها، وإن هداية المرأة كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضاً حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٠-٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٤/١٤/٧.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣، ٧٤.

إن المرأة لها كيان لا يستهان به في مجتمع الإسلام، فهي مثل الرجل لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما عليها، وقد كفل لها الإسلام من الحقوق ما لم تجده في غيره، ويمكن أن نجمل ما يتعلق بالمرأة من أحكام غالباً فيما يأتي:

أ-المرأة كإنسان لها حق الرعاية في طفولتها من تربية وتعليم، وإذا رشدت كانت لها ذمتها المالية المستقلة، وصار لها حرية التعبير عن إرادتها، ولذلك لا تُزوج بدون إذنها.

ب- والمرأة كأنثى، مطالبة بالمحافظة على مظاهر أنوثتها، فلها أن تتزين بزينة النساء، ويحرم عليها التشبه بالرجال.

ومطالبة كذلك بالتستر وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب أو الخلوة بهم، ولذلك تقف في الصلاة متأخرة عن صفوف الرجال.

ج- والمرأة المسلمة، مطالبة بكل التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده، مع الاختلاف عن الذكر في بعض هيئات العبادة.

د- والمرأة اختصها الله سبحانه وتعالى بالحيض والحمل والولادة، وترتب على ذلك بعض الأحكام الفقهية كالتخفيف عنها في العبادات في هذه الحالات.

هـ- ولضعف المرأة في الخلقة والتكوين، فإنها لا تتولى من الأعمال ما يحتاج إلى بذل الجهد الجسدي والذهني كالإمارة والقضاء، ولم يفرض عليها الجهاد في الجملة، وكانت شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

و- ولأن المرأة أكثر حناناً وشفقة من الرجل، كان حقها في الحضانة مقدماً على الرجل.

ز- والأصل أن يكون عمل المرأة هو رعاية بيتها وزوجها وأولادها، لذلك كانت نفقتها على زوجها ولو كانت غنية. وكان الرجل قواماً عليها، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[1])[2].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ج٦/٢٤٦، ٢٤٧.

وذلك لا يعني نقصان المرأة ولا امتهانها، ولا كون الرجل أفضل منها، لأن الحق يسوى من يشاء مما يشاء وينزله كيف يشاء، وقد كثرت النصوص في القرآن والتي تؤكد على منزلة النوعين من ناحية، وكون المرأة مظهراً من مظاهر نعم الله على الرجال، فضلاً عن التسوية بينهما في التكاليف والثواب والعقاب وسائر الحقوق والواجبات، وكل إسقاط عن المرأة في جانب التكاليف -أو إرجاء- فهو من باب التخفيف عليها من ناحية، مراعاة لطبيعتها التكوينية، ولظروفها الاجتماعية، كإسقاط وجوب الجمعة والجماعة والجهاد، مع إعطائها استقلالية ذاتية بمثل ما يعطي الرجل، وما القوامة إلا لتحميل الرجل دوره تجاه المرأة في الرعاية والعناية ودرء الأذى، ورد عادية المعتدى، حتى وإن أدى ذلك لقتله دفاعاً عنها فينال الشهادة[١]، كما جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[٢].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على نفي التهم:

يلاحظ ذلك في الحديث في قول أم حبيبة زوج النبي ﷺ عندما دعت بالطيب ومست به عارضيها "والله ما لي بالطيب من حاجة" ولقد أعطانا النبي ﷺ المثل الحي على الابتعاد عن مواطن الشك والريبة ونفي التهم، فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت[٣] فقام معي ليقبلني وكان سكنها في دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم

---

(١) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دراسة تحليلية موضوعية مقارنة، د. بكر زكي إبراهيم عوض ص ٧٧، ٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ١/١٩٠ رقم ١٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣/١٩٠.

(٣) فانقلبت: أي رجعت وانصرفت، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل ب).

وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً أو قال شيئاً"[١] قال النووي: (وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى، أن يبين حاله ليدفع ظن السوء، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان، فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء للزوج إذا مات:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا" فقد شرع إحداد المرأة المتوفى عنها زوجها وفاءً للزوج، ومراعاة لحقه العظيم عليها، فإن الرابطة الزوجية أقدس رباط، فلا يصح شرعاً ولا أدباً أن تتسى ذلك الجميل، وتتجاهل حق الزوجية التي كانت بينهما، وليس من الوفاء أن يموت زوجها من هنا[٣]، ثم تنغمس في الزينة وترتدي الثياب الزاهية المعطرة، وتتحول عن منزل الزوجية، كأن عشرة لم تكن بينهما، وقد أوجب الله الحداد على من توفي عنها زوجها إظهاراً للتأسف على ممات زوج وفى بعهدها، وعلى انقطاع نعمة النكاح، وهي ليست نعمة دنيوية فحسب، ولكنها أيضاً أخروية، لأن النكاح من أسباب النجاة في المعاد والدنيا[٤].

خامساً- من موضوعات الدعوة: إحداد المرأة على زوجها إذا توفي عنها وفاءً له:

إن من تعاليم الإسلام ورعايته لنفوس الناس، خاصة النساء، التحذير من إطالة مدة الحزن، فمنع المرأة أن تحد على أي إنسان مات أياً كان زيادة على ثلاثة أيام، باستثناء الزوج الذي تحد عليه أربعة أشهر وعشراً كما جاء في صريح الحديث "لا يحل لامرأة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٨١، ومسلم ٢١٧٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٦/٢.

(٤) حاشية سعدي جلبي على شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ ٢٩١/٣.

تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً" وإحداد المرأة على زوجها هذه المدة، وإن كان له بعض الحكم الظاهرة، إلا أنه في الأصل أمر تعبدي، ومن حِكَمِ الإحداد أنه مبالغة في التحرز من تعرض المرأة لأسباب النكاح في حق المتوفى عنها زوجها[1] وقيل غير ذلك.

قال ابن عثيمين: (والإحداد معناه: ترك الزينة، والطيب ونحوه، مما يعد بهجة وسروراً وترفهاً وهو حرام، وكانوا في الجاهلية إذا مات الإنسان وهو حبيب إليهم امتنعوا عن الطيب والتجمل وما أشبه ذلك إلى مدة حسب ما يقدرونها بأنفسهم، فبين النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه عنه زوجتاه أم حبيبة، وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أنه لا يجوز الإحداد على ميت فوق ثلاثة إلا على زوج؛ فرخص النبي ﷺ في هذا، في الإحداد لمدة ثلاثة أيام، ولا يجوز أكثر من ذلك.

مثاله: رجل مات ابنه فحزن عليه، فالواجب الصبر، والاحتساب، وأن تجري الأمور على ما هي عليه، يخرج إلى دكانه إذا كان صاحب دكان، وإلى فلاحته إذا كان صاحب فلاحة وإلى مكتبه إذا كان موظفاً، وإلى مدرسته إذا كان معلماً أو طالباً، المهم ألا تتأثر أعماله بشيء، هذا هو المشروع، وهذا هو السنة وهذا هو الأوفق، وهذا هو الأرفق بالشخص، ألا يحد على أحد، حتى على ابنه وأبيه، وأمه وأخيه، لا يحد عليهم، الأمر لله عز وجل، لله الملك وله الحمد، فهو المالك، وهو المحمود على كل حال. فلا حاجة إلى أن تحد، اصبر واحتسب، لا تقل: لا تحزن، كل إنسان له قلب حي سيحزن، لكن نقول: اصبر واحتسب وكأن شيئاً لم يكن، لا تخرب شيئاً من أمور دنياك، هذا هو الأفضل والأوفق والأرفق والأحسن.

لكن لما كانت النفوس قد لا تطيق هذا لا سيما مع عظم المصائب، رخص النبي ﷺ في الإحداد لمدة ثلاثة أيام فقط. يعني لا بأس مثلاً أن الإنسان إذا مات له صديق أو قريب وحزن حزناً شديداً لا يستطيع أن يقابل الناس، لا بأس أن يبقى في بيته

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٢٨٥.

لمدة ثلاثة أيام، فأقل، ولكن لابد من صلاة الجماعة. هذا لا بأس به.

وكذلك بالنسبة للنساء لو مات ابنها أو أبوها أو أخوها أو أحد ممن تأثرت بهم تأثراً بالغاً، فلا حرج عليها أن تحد لمدة ثلاثة أيام فأقل: أما ما زاد فلا يجوز.

"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج". فالزوج له حق عظيم، حتى قال النبي ﷺ: ((لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها))[1] لكن السجود لا يكون إلا لرب العالمين الخالق عز وجل.

المهم أن الزوجة تحد أربعة أشهر وعشرا، هذا إذا كانت غير حامل، أما الحامل فتحد إلى وضع الحمل فقط، زاد أو نقص.

فعلى هذا إذا مات زوج، فالمرأة تحد أربعة أشهر وعشرة أيام، لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2] حتى لو كان ما دخل عليها، لو عقد عليها وهي في المدينة وهو في مكة، ومات فإنها تحد عليه وإن لم يدخل عليها، ما دام العقد صحيحاً.

وإذا كانت حاملاً فإلى وضع الحمل، حتى لو وضعت قبل أن يُغسل الزوج، انتهت العدة، وانتهى الإحداد، يعني مثلاً امرأة توفي زوجها وهي في الطلق، فلما خرجت روحه، خرج الحمل، يعني ما بين خروج روح زوجها، وخروج حملها إلا دقائق معلومة، فالآن انتهت العدة، وانتهى الإحداد، فلها أن تتزوج، يمكن شرعاً أن تتزوج قبل أن يدفن هذا الزوج؛ لأنها وضعت الحمل، ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3]. فهذه انتهت عدتها، والإحداد.

ولكن ما هو الإحداد؟ الإحداد أن تجتنب المرأة الأشياء التالية:

أولاً: لباس الزينة، لا تلبس ثوباً يعد ثوب زينة، أما الثياب العادية فلها أن تلبسها،

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٤.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٤.

بأي لون كان، أصفر، أحمر، أخضر... أي شيء، إنما الذي يعد زينة بحيث يقال: إن هذه المرأة تزينت وتجملت؛ فإنه لا يحل لها أن تلبسه وهي محدة على الزوج.

الثاني: الطيب بجميع أنواعه: دهناً، أو بخوراً، أو شماً، أو غير ذلك، لا تتطيب إطلاقاً، إلا إذا طهرت من الحيض؛ فإنها تأخذ شيئاً يسيراً من الطيب تتطيب به أي تطيب محل الخبث حتى لا يكون لها رائحة.

الثالث: الحلي بجميع أنواعه، لا تلبس الحلي لا في القدمين، ولا في الكفين، ولا في الرقبة، ولا في الأذنين، ولا على الصدر، أي نوع من أنواع الحلي ما تلبسه، حتى لو كانت تلبس سناً من ذهب؛ فإنها تخلعه إذا لم يكن عليها مضرة، فلتحرص على أن تخفيه بأن تقلل الضحك، حتى لا تظهر السن ويتبين للناس.

الرابع: ألا تخرج من البيت أبداً إلا لضرورة أو حاجة، لضرورة في الليل، أو حاجة بالنهار، وأما بدون حاجة ولا ضرورة؛ فلا يجوز أن تخرج من بيتها الذي مات زوجها وهي فيه، فهي يجب عليها أن تبقى في البيت فلا تخرج.

إذا قالت أريد أن أخرج إلى جيراني أستأنس عندهم في النهار وأول الليل، وأرجع إلى بيتي.

نقول: لا، جيرانك يأتون إليك أما أنت لا تذهبي، تبقين في البيت الذي زوجك وأنت فيه، فإذا قدرنا أنها سافرت مع زوجها إلى بلد للعلاج، ومات زوجها بالبلد الذي هو غير بلدها، نقول: ارجعي إلى بلدك، لأن هذا ليس مسكنك في الأصل.

الخامس: التجميل والتكحل بالكحل وما أشبه ذلك، حتى لو فرضنا أن عينها فيها مرض، فلا تتكحل، إلا بصبر أو شبهه -مما لا لون له- تفعله بالليل وتمسحه بالنهار، هذا إن احتاجت وإلا فلا. ولهذا جاءت امرأة إلى النبي وقالت: يا رسول الله، إن ابنتي مات زوجها، وقد اشتكت عينها -يعني توجعها- أفنكحلها قال: لا. مع أنها توجعها عينها، فقال: لا. حتى قال ابن حزم: لو فقدت عينها فإنها لا تكحلها بأي حال من الأحوال؛ لأن النبي سئل عن هذه المريضة في عينها فأبى أن يرخص لهم في الكحل. وكذلك التحمير والتجميل وما أشبه ذلك. أما الصابون الذي ليس فيه طيب فلا بأس،

وكذلك تنظيف الرأس وكذلك تنظيف الجلد.

وما اشتهر عند العوام أن المرأة تغتسل من الجمعة إلى الجمعة يعني المحادة، فهذا لا أصل له.

كذلك أيضاً ما اشتهر عند العوام أنها في الليل لا تخرج إلى الحوش بل تكون تحت السقف؛ فهذا لا صحة له، تخرج إلى ما شاءت.

كذلك ما اشتهر في العامية المحضة، يقولون: إن القمر رجل، له عيون، وأنف، وفم، فلا تخرج المرأة للقمر؛ لأن القمر رجل يطلع عليها، هذا غلط وليس بصحيح. تخرج في الليالي المقمرة، وفي كل شيء، لكن لا تخرج من البيت.

كذلك أيضاً ما اشتهر عند العوام أنها لا تكلم أحداً إلا من محارمها، وهذا غلط أيضاً، تكلم من شاءت لا بأس، ولا حرج، يعني هي في الكلام كغيرها من النساء، لا يحرم عليها الكلام، لكنها كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1] والله الموفق[2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨١٦-١٨١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الاستجابة لسنة النبي ﷺ:

رحم الله النساء المؤمنات، اللاتي إذا أمرن بشيء فعلنه، وإذا نهين عن شيء اجتنبنه، عاملات بقول ربهن عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

من أولئك أزواج النبي ﷺ: أم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت جحش رضي الله عنهما اللتان مستا من الطيب ما لا تريدان بعد ثلاثة أيام من وفاة والد إحداهما وشقيق الثانية، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، وإيمانًا بالله واليوم الآخر[2].

واتباع سنة النبي ﷺ أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها، ولا يصير المسلم مسلمًا حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته[3].

فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى أهمية الاستجابة لسنة النبي ﷺ والاقتداء بأقواله وأفعاله حتى ينالوا رضى الله ورحمته.

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

التربية الإسلامية تربية عملية، تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام[4].

والتعليم بالعمل والممارسة، مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية، وقد مارس الجيل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) إصلاح المجتمع، الشيخ محمد بن سالم الكدادي البيحاني ص ٣١٠.

(٣) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٣.

(٤) في التربية الإسلامية، د. عبدالغني محمود، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م.

الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان وذلك لقربهم من ينبوع الوحي[١]، من ذلك فعل أزواج النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها، وزينب بنت جحش رضي الله عنها، حيث مستا من الطيب الأولى بعد وفاة أبيها والثانية بعد وفاة شقيقها، وفي ذلك ممارسة عملية لإخبارهم عن قول النبي ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِإمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ، أنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أيامٍ. إلاّ عَلَى زَوْجٍ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».

وقد مضى الجيل التالي (التابعون) يسير على نفس المنهج في اتباع السنة، وهكذا حتى يومنا هذا، حيث نجد المسلم المؤمن لا يزال يسعى إلى تركيز حياته وإرسائها على السنة الشريفة، ويتحقق هذا السعي في إعادة تفسير السيرة وفق مفاهيم الأجيال المتتابعة[٢].

والتعليم عن طريق الممارسة والعمل والخبرة "يعوِّد المرء على النظام في الحياة وعلى ضبط النفس، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، وعلى التضحية في سبيل الجموع كلها، وهي تتطلب مراعاة وممارسة يومية، تلازم حياة الإنسان"[٣].

والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث[٤] وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[٥].

والمربي حقًا "لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها"[٦].

والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها

---

(١) انظر: الإسلام، "أهدافه وحقائقه"، د. سيد حسين نصر، ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٤.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٢١.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٥) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٤٢.

(٦) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠، ط دار الشروق.

تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية، أو عن طريق التأمل إن كانت داخلية[١].

والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي، في شتى مجالات الحياة[٢].

ثالثًا- التربية على الوفاء:

الرابطة الزوجية من أعظم الروابط في الإسلام، لذلك جعل الإسلام من الوفاء للزوج وجوب إحداد المرأة على زوجها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها[٣].

فتمتنع من التزين والتطيب والظهور بمظهر الفرح أو السرور وكذا تمنع خطبتها والتكلم في شأن زواجها حتى تنتهي عدتها[٤].

فعلى الزوجة إظهار الحداد والحزن على الزوج لفراقه بسبب الوفاة. وقد أثبت القرآن هذه العدة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٥].

وبهذه العدة يمكن تحقيق أمرين:

الأول: التأكد من عدم وجود حمل من الزوج المتوفى.

الثاني: إظهار الحزن على وفاة الرجل، ولهذا فهي واجبة على كل من مات زوجها سواء كان ذلك قبل الدخول أو بعده، لأن الحزن واجب في الحالتين، وعليها التزام هذا الحداد فلا عطر ولا زينة ولا خروج من البيت إلا لعذر منه قضاء المصلحة إذا توقفت عليها[٦].

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ٥٧٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٣٨.

(٣) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/٢٤٤.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٦) الفقه الإسلامي المعاصر، د. عبدالحليم عويس، ٢/٤٦١.

فعلى الزوجة الحزن على زوجها "الميت" لأن الوفاء من المحب إلى محبوبه أمر واجب، قال ابن حزم: ومن حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء، وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات. قال: وأول مراتب الوفاء، أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب. لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده[1].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: الاعتدال في الحزن:

الحزن على القريب أو الزوج أو الصاحب غير محظور، وربما كان مشكورًا بل قد يكون إظهاره واجبًا مراعاة لحق القرابة ووفاء لواجب الصحبة. ولكن متى خرج عن المشروع صار مذمومًا لأنه يبعث على جلب السأم إلى القلب والغم إلى النفس ويدعو إلى تعطيل الأعمال وتحريم ما أحل الله وربما جر إلى السخط من قضاء الله[2].

وقد بيّن رسول الله ﷺ مقدار ما يباح للمرأة فيه أن تبدي الحزن عند موت زوج أو غيره فقال: «لاَ يَحِلُّ لِإمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ، أنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أيامٍ. إلاّ عَلَى زَوْجٍ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».

ومنع المرأة من الإحداد على أمها وأبيها وأخيها فوق ثلاث، وأوجبه على زوجها أربعة أشهر وعشرًا، وهو أجنبي، فيقال: هذا من تمام محاسن هذه الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح العباد على أكمل الوجوه، فإن الإحداد على الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يبالغون فيها أعظم مبالغة، ويضيفون إلى ذلك شق الجيوب، ولطم الخدود، وحلق الشعور، والدعاء بالويل والثبور، وتمكث المرأة سنة في أضيق بيت وأوحشه، لا تمس طيبًا، ولا تدهن، ولا تغتسل إلى غير ذلك مما هو تسخط على الرب -تعالى- وأقداره، فأبطل الله سبحانه برحمته ورأفته سنة الجاهلية، وأبدلنا بها الصبر والحمد والاسترجاع الذي هو أنفع للمصاب في عاجلته وآجلته، ولما كانت

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، ص ١٠٩.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤٨.

مصيبة الموت لابد أن تحدث للمصاب من الجزع والألم والحزن ما تتقاضاه الطباع سمح لها الحكيم الخبير في اليسير من ذلك، وهو ثلاثة أيام تجد بها نوع راحة. وتقضي بها وطرًا من الحزن، كما رخص للمهاجر أن يقيم بمكة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه ثلاثًا، وما زاد على الثلاث فمفسدته راجحة، فمنع منه بخلاف مفسدة الثلاث[1].

فإنها مرجوحة مغمورة بمصلحتها، فإن فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها فأعطيت بعض الشيء، ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية.

ومن تأمل أسرار الشريعة وتدبر حكمها رأى ذلك ظاهرًا على صفحات أوامرها، ونواهيها، باديًا لمن نَظَره نافذ، فإذا حرم عليهم شيئًا عوضهم عنه بما هو خير منه وأنفع، وأباح لهم منه ما تدعو حاجتهم إليه ليسهل عليهم تركه.

وبالجملة فما حرم عليهم خبيثًا ولا ضارًا إلا أباح لهم طيبًا بإزائه أنفع لهم منه، ولا أمرهم بأمر إلا وأعانهم عليه، فوسعتهم رحمته ووسعهم تكليفه.

والمقصود أنه أباح للنساء - لضعف عقولهن وقلة صبرهن - الإحداد على موتاهن ثلاثة أيام، وأما الإحداد على الزوج، فإنه تابع للعدة، وهو من مقتضياتها ومكملاتها، فإن المرأة إنما تحتاج إلى التزيين والتجمل والتعطر لتتحبب إلى زوجها، ويحسن ما بينهما من العشرة، فإذا مات الزوج واعتدت منه، وهي لم تصل إلى زوج آخر، فاقتضى تمام حق الأول، وتأكيد المنع من الثاني قبل بلوغ الكتاب أجله، أن تُمنع مما تصنعه النساء لأزواجهن مع ما في ذلك من سد الذريعة إلى طمعها في الرجال وطمعهم فيها بالزينة والخضاب والتطيب، فإذا أبلغ الكتاب أجله صارت محتاجة إلى من يرغب في نكاحها. فأبيح لها من ذلك ما يباح لذات الزوج، فلا شيء أبلغ في الحسن من هذا المنع والإباحة ولو اقترحت عقول العالمين لم تقترح شيئًا أحسن منه[2].

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري، ٣٩٣٣، ومسلم، ١٣٥٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٣٥٤-٣٥٦.

فالشريعة الإسلامية راعت طبيعة الإنسان في حزنه على فقد العزيز ولكنها حثت على الاعتدال في هذا الحزن مراعاة للمصالح، فأوجبت على المرأة الحزن على الزوج مدة العدة فقط، وبعد هذه المدة لا يجوز لها أن تظهر الحزن مراعاة لمصالحها وحثًا لها على التعايش مع الواقع، وأما الحزن على غير الزوج من المرأة مثل أبيها أو أخيها.. أو غيره فلا يجوز أكثر من ثلاث أيام، لأن هذه المرأة قد تكون زوجة وأمًا لأولاد فامتداد حزنها سوف يؤدي إلى تعطيل حقوق هؤلاء، لذا كانت أهمية التربية على الاعتدال في الحزن.



٣٥٥- باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خطبته إلا أنْ يأذن أو يردّ

الحديث رقم (١٧٧٧)

١٧٧٧- عن أنس ﷺ، قالَ: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وإنْ كانَ أخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ. متفق عليه[(١)].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحاضر: المقيم في المدن والقرى[(٢)].

لباد: المقيم في البادية[(٣)].

الشرح الأدبي

إن نظام البيع والشراء في الإسلام يقوم على حسن العلاقة بين البائع والمشتري، والقضاء على الاحتكار والاستغلال، والجشع والسرقة، والاختلاس والخداع، والحديث صيغَ في قالب الأسلوب الخبري؛ حيث بدأ بالفعل الماضي في قول الراوي: "نهى رسول الله ﷺ"، والمنهي عنه هو بيع الحاضر للبادي، وقد ورد المنهي عنه في صيغة المصدر المؤوَّل... وهذه الصياغة هي صورة لما يتم في ميدان البيع؛ حيث لا يتم البيع مباشرة بين المستهلك وصاحب السلعة؛ ولكن يقول الحاضر للبادي صاحب المتاع: دعْه عندي لأبيعه لك بالتدريج، وذلك النوع من البيع يحرم؛ لما فيه من الإضرار، وصور التحايل في البيع والشرع متعددة، وتتنوع وتتجدد بتنوع الأسواق، وتجدد الحالات،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦١)، ومسلم (١٥٢٣/٢١). السياق للحميدي في جمعه (٥٥/٢، رقم ١٩٠٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥١.

(٣) المرجع السابق ص ٨٢.

والجملة الثانية من الحديث صيغت في قالب الشرط والجواب، والجملة هنا غير مكتملة؛ حيث حذف الجواب للإيجاز، ولدلالة ما قبله عليه؛ حيث يقول رسول الله ﷺ: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه": والتقدير: فلا يبيع له، أي: لا يتولى عنه البيع؛ منعاً للاستغلال والاحتكار، والقضاء على بواعث الشحناء، والبغضاء بين المسلمين في معاملاتهم وعلاقاتهم؛ لأن المؤمنين إخوة، والمسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه:

١- حكم بيع الحاضر للبادي: جاء في الملخص الفقهي: (ومن البيوع المحرمة: بيع الحاضر للبادي، والحاضر: هو المقيم في المدن والقرى، والبادي: هو القادم من البادية أو غيرها؛ لقوله ﷺ: ((لا يَبِعْ حاضرٌ لباد))[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا يكون له سمسارًا)[3]، أي دَلَّالاً يتوسط بين البائع والمشتري.

وكما أنه لا يجوز للحاضر أن يتولى بيع سلعة البادي، كذلك لا ينبغي له أن يشتري له. والممنوع هو أن يذهب الحاضر إلى البادي ويقول له: أنا أبيع لك أو أشتري لك، أما إذا جاء البادي للحاضر، وطلب منه أن يبيع له أو يشتري له، فلا مانع من ذلك)[4].

٢- حكم تلقي الركبان: اختلف الفقهاء في حكم تلقي الركبان على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من المالكية[5]، والشافعية[6]، وأحمد

---

(١) الحديث رقم (١٧٧٧)، (١٧٧٨).

(٢) أخرجه البخاري ٢١٤٠.

(٣) متفق عليه من قول ابن عباس، البخاري ٢١٥٨.

(٤) الملخص الفقهي ٢/١٤-١٥، ط / جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

(٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٢/٢٧١.

(٦) المهذب ١/٢٩٢، وروضة الطالبين ٣/٤١٣، وحاشية البجيرمي ٢/٢٢١.

في رواية[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أن تلقي الركبان حرام.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن تلقي الركبان، والنهي للتحريم ما لم توجد قرينة تصرفه إلى الكراهة، ولا قرينة هنا.

علاوة على ذلك ما يشتمل عليه البيع من تدليس، وتغرير بالركبان.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، وأحمد في رواية[٤]، ويرون أن تلقي الركبان مكروه.

وقد قيد الحنفية الكراهة بما إذا كان التلقي يضر بأهل البلد، بأن كانوا في ضيق وقحط أو كان المتلقي قد ألبس السعر على الواردين، وإلا فلا كراهة.

واستدلوا بأحاديث الباب -أيضاً- بيد أنهم حملوا النهي على الكراهة.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور في التحريم، لأن هذا البيع لا يخلو من التدليس والتغرير ولأن هذا البيع يؤدي إلى التضييق على الناس، ورفع الأسعار عليهم.

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الإضرار بالناس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحث على اجتناب أساليب الغش والخداع والظلم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية تحري الحلال من الرزق.

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٣/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١١/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٤/٤، والفروع، ابن مفلح ٧٢/٤.

(٢) المحلى، ابن حزم ٤٤٩/٨.

(٣) النتف في الفتاوى للسُّغدي ٨١٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦.

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٤/٤، والفروع، ابن مفلح ٧٢/٤.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٧٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٧٨، ١٧٧٩).

سادساً: من آداب المدعو: الحرص على النصح في البيع والشراء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الإضرار بالناس:

إن أعظم القوانين الاقتصادية قانون الاقتصاد في الإسلام، لقد أقر الإسلام حق الملكية، لكن ليس مطلقاً كما يتصوره الغير كالاقتصاد الغربي ونحوه، بل يفرض الإسلام على الملاك وأصحاب الثروات طائفة من الالتزامات الإيجابية والالتزامات السلبية، فالقاعدة أن كل شيء ملك لله أصلاً وأن الإنسان مستخلف فيه، ومن الالتزامات الإيجابية: الزكاة والإنفاق، ومن الالتزامات السلبية: تحرير المال من الحرام والغلو في التبذير، والامتناع عن الربا ونحوه من المعاملات الاقتصادية التي حرمها الإسلام كالغش وغيره، ويطلق العنان للمنافسة في الخير وإجادة العمل، ويجعل العرض والطلب يسريان سرياناً تلقائياً دون أن يصل إلى الاحتكار[1]، ومن أجل حرية المنافسة وعدم الإخلال بالعرض أو الطلب، حرم الإسلام عدة أمور، والتي منها تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق، أو أن يبيع حاضر لباد، فجاء النهي عن ذلك في الحديث، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه" وذهب جمهور العلماء إلى أن المراد أن يكون الحاضر سمساراً للبادي، لما يؤدي إليه ذلك من الإضرار بأهل البلد لارتفاع السعر[2]. وذلك أن الأصل في المعاملات تحقيق مصالح العباد في المعاش والحياة، ورفع الحرج عنهم بعيداً عن الباطل والحرام والإضرار بالغير[3]. ولذا منع الإسلام المعاملات التي تؤدي إلى الإضرار بالغير، ومنها الصورة التي جاءت في الحديث وهي بيع الحاضر للباد، وذلك لما فيه من منع البلدي من الرفق الحاصل له لو اشترى من البادي بالسعر عند قدومه[4].

---

(١) انظر: الاقتصاد الإسلامي، د. شوقي ضيف، ٨٨ نقلاً عن كتاب: الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أنور الجندي، ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ، ٢٢٣/٩.

(٣) النظام الاقتصادي في الإسلام، خصائصه وأركانه ونظرته لبعض المشكلات الاقتصادية، دراسة مقارنة، محمود بن إبراهيم الخطيب، ص ١٠٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق:

جاء هذا النهي في الحديث في صريح قوله ﷺ "لا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق". قال الإمام المازري: (إن النهي عن التلقي معقول المعنى، وهو ما يلحقُ الغير من الضرر، ولكن ينقدح هاهنا في نفس المتأمل معارضة، فيقول: المفهوم من منع بيع الحاضر للبادي ألا يستقصي للبادي وأن يوجد السبيل لغبنه، والمفهوم من النهي عن التلقي ألا يغبن البادي.

والانفصال عن هذا أن الشرع في مثل هذه المسألة وأخواتها مبنيٌّ على مصلحة الناس، والمصلحة تقتضي أن ننظر للجماعة على الواحد، ولا تقتضي أن ننظر للواحد على الواحد، ولما كان البادي إذا باع لنفسه انتفع سائر أهل السُّوق واشتروا ما يشترونه رخيصاً، وانتفع به سائر سكان البلد، نظر لأهل البلد عليه، ولما كان إنما ينتفع بالرخص المتلقّى خاصة وهو واحدٌ في قبالة الواحد الذي هو البادي لم يكن في إباحة التلقي مصلحة، لاسيما وينضافُ إلى ذلك علة ثانية وهي لحوق الضرر بأهل السوق في انفراد المتلقي عنهم بالرخص، وقطع المواد عنهم، وهم أكثر من المتلقي، فنظر لهم عليه، فعادت المسألة الأولى، فصارا أصلاً واحداً وانقلب ما ظنه الظان في هذا من التناقض بأن صارا مثلين يؤكد بعضهما بعضاً.

وقد اختلف المذهب عندنا فيمن لم يقصد التلقي ولم يبرز إليه خارج المدينة، بل مر به على بابه بعض البداة: هل يشتري منه ما يحتاج إليه قبل وصوله إلى السوق؟ فقيل بالمنع لعموم الحديث. وقيل بالجواز، لأن هذا لم يقصد الضرر ولا الاستبداد دون أهل السوق فلم يمنع، وقد جعل له في بعض الطرق هاهنا الخيار، إذا جاء السوق ولم يفسخ البيع، لما كان النهي لحقِّ الخلق لا لحق الله عز وجل، ومن لم تثبت عنده هذه الزيادة ورأى أن المنع يدلُّ على فساد المنهي عنه، فسخ البيع، وفي ذلك اضطراب في المذهب.

وفي هذا الحديث من الفوائد أيضاً: إثبات الخيار للمغبون، لأنه إذا ثبت أن النهي عن التلقي لئلا يغبن الجالب، لم يكن لإثبات الخيار له معنى إلا لأجل الغبن، أو لأنه

يرجو الزيادة في السوق[١].

قال النووي: (قال العلماء: وسبب التحريم إزالة الضرر عن الجالب وصيانته ممن يخدعه[٢]، قال ابن عثيمين في تلقي الركبان والسلع، وما ينتج عن ذلك من مضار لأهل البلد وللركبان، وذلك لأنهم كانوا فيما سبق يعرفون أن البادية تأتي بالسلع، مثلاً في أول النهار يوم الجمعة، فتجد بعض الناس يخرج من البلد إلى قريب منه، ثم يتلقى الركبان، ويشتري منهم قبل أن يصلوا إلى السوق، فيقطع الرزق على أهل البلد الذين ينتظرون الركبان وكذلك يغبن المتلقين، بأن يغبن الركبان، فيحصل بتلقي الركبان مضرتان:

الأولى: على أهل البلد الذين ينتظرون قدوم الركبان من أجل أن يشتروا منهم برخص.

الثانية: الضرر على الركبان، لأن هذا الذي تلقاهم سيغبنهم، ويشتري منهم بأقل من السوق، ولم يصلوا إلى السوق حتى يعرفوا السعر، ولهذا قال النبي ﷺ ((لاَ تَلَقَّوُا الْجَلَبَ. فَمَنْ تَلَقَّى فَاشْتَرَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا أَتَىٰ سَيِّدُهُ السُّوقَ، فَهُوَ بِالْخِيَارِ))[٣] يعني إذا تلقى الإنسان الركبان خارج البلدان، واشترى منهم، ثم دخل البلد ووجد أنه مغبون، فله أن يرد البيع، لأنه قد غر وغبن[٤].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي:

تكرر النهي في الأحاديث في قوله ﷺ "لا تتلقوا السلع" وقوله "لا تتلقوا الركبان" وفيما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد" وذلك للحفاظ على الأسعار وعدم التدخل فيها، ورعاية لمصلحة الجالبين ولأهل البلد المستهلكين، وهذا النهي واجب التنفيذ، لما فيه من إطلاق النهي وعدم وجود قرينة

---

(١) المعلم ج١/٤٩٩، ٥٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٥١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٢١.

صارفة له، وامتثالاً لقول الله عز وجل ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1][2] وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية النافعة، في عرض الدعوة وإيقاف المدعوين على المخالفات الشرعية ونهيهم عنها، وهو أسلوب يتسابق المؤمنون للامتثال به والانتهاء عن مقتضاه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيقاً لعبودية الله وطاعته[3]، وقد تكرر استخدام النهي في القرآن الكريم كثيراً، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على اجتناب أساليب الغش والخداع والظلم:

جاءت السنة مبينة لأساليب الغش والخداع في البيوع ومنها ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "لا تتلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد" وذلك أن الإسلام بتشريعاته يحمي المنتج، وصاحب السلعة، ومن يتاجر بها، وفي نفس الوقت يحمي المستهلك، وذلك إيجاداً للرحمة في المجتمع الإسلامي كله، فالإسلام يحقق في المعاملات الرحمة بدلاً من الشقاق[6]، لذا كان النهي عن الغش والخداع بكل صوره لما فيه من ظلم للناس، وقد جاءت النصوص ناهية عن غش الناس والغرر بهم فقال ﷺ ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[7]

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤١/٤٠٥، ٤٠٦.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٦) انظر: الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ص ١٨٠، ١٨١.

(٧) أخرجه مسلم ١٠٢.

قال القرطبي: (وهذا يحمل على معنى ليس على طريقتنا ولا على شريعتنا، إذ سنة المسلمين وشريعتهم التواصل والتراحم لا التقاطع والتقاتل، وتكون فائدته الردع والزجر عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الوالد لولده إذا سلك غير سبيله: لست منك ولست مني، كما قال الشاعر:

إذا حاولت في أسدٍ فجوراً فإني لست منك ولست مني

والغش ضد النصيحة، وأصله من اللبن المغشوش أي المخلوط بالماء تدليساً[1]، والغش طريق موصل إلى النار، مبعد عن الله وعن الناس، إضافة إلى ما فيه من دلالة على دناءة النفس وخبثها، فضلاً عما يؤدي إليه من سخط الناس ومقتهم[2].

خامساً- من موضوعات الدعوة: أهمية تحري الحلال من الرزق:

لقد أمر الإسلام بتحري الحلال من الرزق واجتناب الحرام، لذا جاء تبيين الإسلام لهما، حتى يكون العبد على بينة من أمره، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[3] وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:"سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...))[4] ومن ذلك الحرام المفصل، غش الناس وخداعهم في البيوع، والغرر بهم، ومن صور ذلك تلقي الركبان كما في الحديث "لا تتلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد" فإن في ذلك منافاة للورع، وتحري الحلال الذي هو أعلى مراتب الإيمان، وأفضل درجات الإحسان[5]. قال

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١١/٥٠٧٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٦.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨/٣٦٢٦.

الحسن البصري: (ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه)[١].

بل إن الورع عن الحرام أصل في قبول العبادات وتحصيل ثوابها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك))[٤] وفي ذلك حث على تحري الحلال والبعد عن الحرام، وأن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك، ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه[٥].

سادساً- من آداب المدعو: الحرص على النصح في البيع والشراء:

إن من أهم الآداب الواجب التحلي بها النصح، ولا سيما في المعاملات، وذلك دليل على إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه[٦]، وذلك من واجبات المسلم على أخيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللّهَ فَشَمِّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»))[٧] والحرص على النصح في البيع والشراء من أسباب البركة، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا. فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا

---

(١) كتاب الورع، لابن أبي الدنيا ص ٤٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني ص ٢٩٥.

(٧) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

فِي بَيْعِهِمَا. وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا))[١] وذلك أن الكذب والكتمان والغش، وغيرها من الصفات المذمومة في البيع والشراء، تؤدي إلى هدم الثقة بين الناس وغرس الضغينة في النفوس، بإيقاد نار الشحناء والبغضاء، وذلك ما لا يرضاه الإسلام، ويقاس على ذلك كل ما يخدش الثقة، أو يعرض رابطة الأخوة للشقاق والتخاصم[٢].

لقد فرض الإسلام في البيع والتجارة، والمعاملات عامة، مستوى رفيعاً للاستقامة والأمانة والثقة، جدير بأن تتهجه أمم العالم في عصرنا اليوم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٩، ومسلم ١٧٢١ واللفظ له.

(٢) النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه، د. فتحي أحمد عبدالكريم، د. أحمد محمد العسال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ١٦٠.

(٣) انظر: أمراض النفوس، إبراهيم محمد الجمل ص ١٤١.

الحديث رقم (١٧٧٨)

١٧٧٨- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((لاَ تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إلَى الأَسْوَاقِ))** متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الدين الإسلامي يتكئ على قواعد ثلاث: العقائد والعبادات والمعاملات، وهذه القواعد نابعة من التصور الإيماني الصحيح؛ فالإيمان ليس اعتقاداً قلبيًّا فقط؛ ولكنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وكتاب البيوع أحد أقسام الفقه الإسلامي، وللبيع في الإسلام شروطه وأسسه، التي تنظم حركة البيع والشراء، وتعطي لكل ذي حق حقه.

والمصطفى ﷺ يبدأ هذا الحديث الموجز الواضح بالنهي الجازم الصريح في قوله: "لا تتلقوا"، والنهي ليس موجَّهاً لفرد واحد؛ ولكنه موجّه إلى الأمة كلها، بكل أجناسها وألوانها ولغاتها، وأماكنها وأزمنتها وبيئاتها.

والمنهي عنه: تلقي المتاع المجلوب للبيع قبل استقرار هذه البضاعة في الأسواق، ومعرفة الأسعار؛ حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، وأسعار السلع معروفة لديهم، والتعبير بقوله: "حتى يهبط بها إلى الأسواق"، فيه تصوير لحركة جلب السلع من الأماكن المتفرقة البعيدة والقريبة، وهي حركة تحتاج إلى الصعود والنزول، والمدافعة والمنافسة، والبناء للمجهول في الفعل "يُهبط" يومئ إلى عدم تحديد صاحب البضاعة؛ لأن كل إنسان من حقه التجارة، وتنمية رأس ماله، والمساهمة في الرواج الاقتصادي.

وأتى بلفظ "الأسواق" جمعاً، ولم يأت به مفرداً؛ للإيحاء بضرورة تعدد منافذ البيع

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦٥) واللفظ له، ومسلم (١٤/١٥١٧).

والشراء، وأن لا يحتكر السلعة أحد، وأن لا يختص بها مكان دون آخر، وقد حذر رسول الله ﷺ من المخاتلة والخداع في البيع، فقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم وهَيْشات الأسواق"[١]. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم بيع الحاضر للبادي، وقد سبق بيانه في الحديث رقم (١٧٧٧).

٢- حكم النجش: ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن النجش حرام، وأن الناجش عاص بفعله، خلافاً للحنفية[٣] فقد قالوا بالكراهة.

وقد اختلفوا في حكم البيع الذي يقع فيه النجش على ثلاثة آراء.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[٤]، والحنابلة في المشهور عندهم[٥]، ويرون أن بيع النجش فاسد لا يفيد الملك.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن النجش، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

---

(١) أخرجه مسلم، ٤٣٢.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤، والشرح الكير ٦٨/٣، والوسيط في المذهب ٦٦/٣، وروضة الطالبين ٤١٤/٣، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٩٩/١، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٢/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٠٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٨١٠/٢.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٢٢/٣.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٢/٢.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣] في رواية والظاهرية[٤]، يرون أن البيع صحيح يفيد ملك المشتري للسلعة، وللبائع الثمن كغيره من البيوع الصحيحة.

واستدلوا على ذلك بأن النهي في الأحاديث راجع إلى الناجش، لا إلى العاقد، فلم يؤثر في البيع.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه المالكية في المشهور عندهم[٥]، ووجه عند الشافعية[٦]، ويرون بثبوت الخيار للمشتري فإن شاء أمضى البيع، وإن شاء رده.

واستدلوا على ذلك بقياس النجش على بيع المصراة بجامع التغرير في كل، والمصراة يثبت فيها الخيار فكذلك النجش.

الترجيح:

ولعل الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثالث الذي يعطي للمشتري الخيار بين الفسخ والإمضاء.

٣-حكم بيع الرجل على بيع أخيه: بيع الرجل على بيع أخيه حرام، إلا أن الفقهاء اختلفوا في حكم البيع إن وقع على رأيين:

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٠٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٦/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٨/٢.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤.

(٤) المحلى، ابن حزم ٤٤٨/٨.

(٥) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤.

(٦) الوسيط في المذهب ٦٦/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية[1]، ويرى أن بيع الرجل على بيع أخيه فاسد، فإن وقع يجب فسخه مطلقاً.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[2]، ويرون أن بيع الرجل على بيع أخيه صحيح مع الإثم.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، وقالوا: إن النهي ليس منصباً على البيع، وإنما هو منصب على سلوك العاقد، وما ألحقه من إيذاء للعاقد الآخر.

الراجح:

هو ما ذهب إليه الجمهور من القول بصحة البيع مع الإثم، وذلك لأن البيع مستوف لأركانه وشروطه، والنهي ليس وارداً على نفس البيع، وإنما هو وارد على معنى آخر، فلا يقتضي فساد البيع.

٤- حكم خطبة الرجل على خطبة أخيه: الخطبة على الخطبة حرام[3]، لما في ذلك

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٢١/٣، والفروع، ابن مفلح ٢٧٧/٤، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٤٤/٤.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٧٩/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢١/٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٥/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣.

(٣) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢١/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٧٩/٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٥/٣، والروضة ٤١٤/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩/٧.

من الاعتداء على الخاطب الأول، والإساءة إليه، علاوة على ما قد ينجم عن ذلك من الشقاق، وإشعال نار العداوة بين الخاطب الأول والخاطب الثاني.

ولعل شرط عدم جواز الخطبة على الخطبة ما يأتي:

١- أن يركن كل منهما للآخر بأن صرحت هي ووليها بالرضا، أما إذا كان الخاطب الأول لم يصرح له بالرضا، فإنه يجوز للخاطب الثاني التقدم لخطبتها.

٢- أن يعلم الخاطب الثاني بأنها مخطوبة، فإن لم يعلم وتقدم لخطبتها فلا إثم.

٣- ألا يأذن له الخاطب الأول في الخطبة، فإن أذن له جاز للثاني خطبتها لأن إذن الأول بمثابة الإعراض عن زواجها.

٤- تحريم سؤال المرأة طلاق الأخرى[1]، حتى يصير إليها ما كان للأولى من النفقة وغيرها، وتفوز بحظها وتنكح زوجها.

المضامين الدعوية[2]

(١) المبسوط، السرخسي ١٩٥/٤، والبدائع ٤٨/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٥١٨/٣، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣١٠/٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٩٢/٩، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٨١/٧، ومنار السيل ١٥٧/٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٧٩)

١٧٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لاَ تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ)) فقالَ لَهُ طَاووسٌ[1]: مَا [2]: لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لاَ يَكُونُ لَهُ سِمْسَاراً. متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الركبان: القادمون إلى المدينة بالسلع[4].

سمساراً: وسيطًا بين البائع والمشتري[5].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يضيء بعض المعاني والمقاصد المستغلقة في الحديث السابق، ويفسِّر بعض جوانبه؛ حيث حدّد المقصود من تلقي السلع في الحديث السابق، فقال: "لا تتلقوا الركبان"، وهذا الأمر الصادر من رسول الله ﷺ إلى كل مسلم، وإلى كل فئات الناس، يوحي بكثرة التجار، وكثرة الأسواق، وتدافع حركة البيع والشراء، والاستيراد والتصدير، وصيغة الجمع في قوله: "الركبان" تفصح عن هذا الإيحاء، والكلمة تفصح عن دلالات الرحلة والسفر.. والتعب والمشقة.

وقد ازداد الأمر وضوحاً؛ من خلال هذه المحاورة الجميلة، بين ابن عباس وطاووس: حين سأله: ما قوله: "لا يَبِع حاضر لباد؟"، أي: ما معنى قوله: "لا يبع حاضر لباد"،

---

(١) لفظ البخاري: (فقلت لابن عباس).

(٢) عند البخاري زيادة: (قوله).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥٨) و اللفظ له، ومسلم (١٥٢١/١٩).

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٢.

(٥) المرجع السابق ص ٢٢٣.

فأفصح رسول الله ﷺ عن المراد، وقال: "لا يكون له سمسارًا: أي: وسيطاً بين صاحب البضاعة والمستهلك الحقيقي؛ حيث يشتريها هذا الدلال بثمن قليل، ثم يبيعها للمحتاج بثمن بَهْظ؛ رغبة في الكسب المرتفع، وهذه صورة من صور الحضارة الإسلامية، التي تحرص على أقوات الناس وأمنهم؛ حيث يكون كل مسلم آمناً في سربه، مطمئنًّا على غده، عنده ما يكفي أبناءه، غير خائف من جشع التجار، فتستقر به أمواج الحياة، ويرسو على شاطئ النجاة، لا يتوكل إلا على خالقه، ورازقه الواحد القهار، ويسبحه آناء الليل وأطراف النهار.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه: بيان حكم بيع الرجل على بيع الرجل، وحكم الخطبة على الخطبة، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٧٧٧).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٧٧).

الحديث رقم (١٧٨٠)

١٧٨٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ يَبِيع الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أخيهِ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أخيهِ، وَلاَ تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إنائِهَا[١].

وفي رواية[٢] قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلأعْرَابِيِّ، وَأنْ تَشْتَرِطَ المَرْأةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، وأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ و[٣] التَّصْرِيَةِ. متفق عليه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولا تناجشوا: النجش معناه: يمدح السلعة ويزيد ثمنها وهو لا يريد شراءها، ليقع غيره فيها[٤].

لتكفأ ما في إنائها: وهذا تمثيل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زوجها إلى نفسها إذا سألت طلاقها[٥].

يستام الرجل على سوم أخيه: من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة للفصل فيها، والمنهيُّ عنه أن يتساوم المتبايعان حتى يقترب العقد، فيجيء رجلٌ آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول[٦].

التصرية: أي ترك حلب الدابة ومنع ولدها من شربها ليجتمع اللبن في ضرعها[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٥١٥/١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٢٧) واللفظ له، ومسلم (١٤١٢/٤٨).

(٣) لفظ البخاري: (وعن التصرية).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ج ش).

(٥) المرجع السابق في (ك ف أ).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و م).

(٧) انظر: مختار الصحاح، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ر ي).

الشرح الأدبي

ما أجمل الآداب الاجتماعية، التي تنظم السلوك القويم في ظل التعاليم الإسلامية، والتوجيهات النبوية الحكيمة، وهذا الحديث يعبق بتعاليم سديدة، وقيم مفيدة رشيدة، وقد تضمن باقاتٍ عديدة من النصائح والإرشادات، وهي خمس باقات وهالات لغوية، وردت في خمس جمل، تناسقت وتآلفت في نظامها اللغوي، وأسلوبها النحوي؛ فصيغة النهي تشمل كل جمل الحديث، التي يغلفها الأسلوب الإنشائي، والجملة الأولى قد وردت في صيغة إخبارية.. وليست إنشائية، ولكن النهي فيها صريح؛ حيث قال الراوي: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، والمراد كما جاء في الحديث السابق: لا يبع حاضر لباد، وقوله: "ولا تناجشوا" نهى إلى كل من يتصدر حركة البيع والشراء، ويغشى الأسواق، والنجش زيادة في ثمن السلعة، لا لرغبة بل ليخدع غيره.

والنجش في اللغة -كما ورد في القاموس المحيط- أن تواطئ رجلاً إذا أراد بيعاً أن تمدحه، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بثمن كثير؛ لينظر إليك ناظر فيقع فيها.

وتكرار "لا" الناهية في بداية كل جملة، يؤكد أن ما نهى عنه رسول الله ﷺ هو نهي تحريم، حرصاً على استمرار الأخوة والصحبة الحسنة بين المسلمين.

وتحديد لفظ "الأخ" وتكراره مرتين، وكذلك لفظ "الأخت": لمزيد من الترغيب في البعد عن الخداع، فالأخوة هنا ليست أخوة النسب أو الرضاع؛ ولكنها أخوة إيمانية، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه.

والحديث يتجاوز دائرة البيع والتجارة؛ لينبه إلى سلوك اجتماعي غير قويم، فقال: "لا يخطب على خطبة أخيه"؛ لأن ذلك الأمر يمزق السكينة التي توحد بين القلوب المؤمنة، ويقطع أواصر المحبة والقربى والمودة والرحمة، وذلك سر النهي الذي أصدره

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

رسول الله ﷺ؛ حتى لا يعتدي الرجل على حق أخيه، ولا تعتدي المرأة على حق أختها، وتزعزع استقرارها، حين تطلب طلاقها؛ حتى تتزوج من زوجها، وما أرق هذا التعبير الموحي الهادف، في ذلك البيان النبوي البليغ: "لتكفأ ما في إنائها"، إنه كناية عن قلب الحياة، وسلب السعادة، وتدمير الاستقرار، وهذا ليس من خلاق المسلم أو المسلمة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ من بيع الحاضر للباد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الزيادة في الأسعار للخداع والمزايدة على الناس في البيع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه، والسوم على سومه.

خامساً: من موضوعات الدعوة: النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه.

سادساً: من أهداف الدعوة: النهي عن السعي في إفساد العلاقة بين الرجل وزوجته.

سابعاً: من أهداف الدعوة: بيان حق المؤمن على أخيه المؤمن.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

تكرر أسلوب النهي في الحديث "لا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" وقوله "لا يبع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية البارزة المفيدة، وذلك لما فيه من إيقاف المدعوين على المخالفات الشرعية وتحذيرهم من الوقوع فيها، وقد تكرر أسلوب النهي كثيراً في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨١، ١٧٨٢).

(٢) سورة هود، آية: ٨٥.

تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾[١] وأسلوب النهي من الأساليب التي يتسابق المؤمنون للامتثال بها والانتهاء عن مقتضاها، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله وطاعته[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ من بيع الحاضر للباد:

إن الإسلام يعترف بنظام السوق وقوتيْ العرض والطلب، ويجب أن تسير السوق على سيرها الطبيعي وكما قال ﷺ: ((لا يبع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض))[٣] يعني أن الله تعالى يرزق المشتري بواسطة البائع، ويرزق البائع بواسطة المشتري، فلا يجوز لأحد أن يتدخل في هذا النظام، كما لا يحب الإسلام أن تحدث في السوق احتكارات تتسيطر على السوق وتستبد بالأسعار، وهذا من ميزات النظام الاقتصادي الإسلامي التي تميزه عن الرأسمالية والاشتراكية.

ثم إن أحاديث النهي عن بيع الحاضر للبادي، تدل على أن الإسلام يستحسن أن لا تكون بين البائع والمشتري وسائط، أو تكون قليلة جداً، فإنه كلما كثرت الوسائط بين البائع والمشتري ازداد الثمن على المستهلكين، فما يسميه علماء الاقتصاد اليوم "الرجل المتوسط" مما لا يستحسنه الإسلام إلا إذا اشتدت الحاجة إليه، فالسمسرة وإن كانت جائزة، ولكن الإكثار من الوسائط بين الصانع والمستهلك مما لا يشجع عليه الإسلام، وإنما يشجع على التقليل منها[٤].

كما جاء في الحديث فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد" والمراد أن يكون الحاضر سمساراً للبادي، ونهى النبي ﷺ عن ذلك لما يؤدي إليه بعد ذلك من الإضرار بأهل البلد لارتفاع السعر[٥]؛ فالعقود في الإسلام تبتعد

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

(٣) أخرجه مسلم ١٥١٢.

(٤) انظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٣٢٦/٧، ٣٢٧.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/٩.

عن الظلم، لذا جاء تحريم التطفيف في المكيال والميزان وتحريم الكذب والخيانة، فكل عقد فيه ظلم واستغلال لأحد المتعاقدين أو كليهما، فقد نهى عنه الإسلام، مثل كتمان العيب في المبيع، والغش، فإن ظاهرها الصحة والرضا بين المتعاقدين، وخاصة عند حاجة المشتري، ولكن باطنها ينطوي على الظلم والطغيان[١]، ولقد أوصى الأنبياء أتباعهم بالبعد عن التغابن والتنازع، ومظاهر الظلم في المعاملات، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الزيادة في الأسعار للخداع والمزايدة على الناس في البيع

جاء النهي عن ذلك وهو ما يسمى بالنجش، فقال ﷺ "ولا تناجشوا" والنجش الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله، والنجش خديعة، وتحريم الخديعة واضح لكل أحد)[٣]، وقد نهى النبي ﷺ في الحديث عن النجش لأنه خداع وغش، وقد حرم الإسلام الغش بأي شكل من الأشكال[٤]. فقال ﷺ ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[٥] قال ابن أبي أوفى ((الناجِشُ آكِلُ رِباً خائن))[٦] والنجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليقتدي به المستام -المشتري الفعلي- فيظن أنه لم يزد فيها هذا الثمن إلا وهي تساويه فيغتر بذلك، فهذا حرام وخداع باطل لا يحل، لما فيه من

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام، محمود بن إبراهيم الخطيب، ١٠٥.

(٢) سورة هود، آية: ٨٤، ٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤/٤١٦.

(٤) النظام الاقتصادي في الإسلام، محمود بن إبراهيم الخطيب، ١٣٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٢.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٧.

التغرير بالمشتري والخديعة له[١]. وذلك من صفات اللئام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((المُؤمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه، والسوم على سومه:

إن أحكام الشريعة على اختلاف أنواعها لها صلة وثيقة بالأخلاق، لهذا حثت على مراعاة الفضائل، من الصدق والعدل، والوفاء بالعهود والعقود، والرحمة والإحسان، وترك الرذائل من الظلم والغدر، والغبن والكذب والفسق، وأكل أموال الناس بالباطل[٣] والاعتداء على حقوق الآخرين، وتفويت المصالح عليهم، وإجهاض مشروعاتهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهي المسلم عن البيع على بيع أخيه المسلم، كما جاء في صريح الحديث "ولا يبيع الرجل على بيع أخيه" وفي الرواية الأخرى "وأن يستام الرجل على سوم أخيه" وفي الحديث أيضاً: "فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه..." قال النووي: (أما البيع على بيع أخيه فمثاله أن يقول لمن اشترى شيئاً في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه وأجود منه بثمنه ونحو ذلك، وهذا حرام، ويحرم الشراء أيضاً على شراء أخيه، وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن ونحو هذا، وأما السوم على سوم أخيه، فهو أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها على البيع ولم يعقده، فيقول الآخر للبائع أنا أشتريه وهذا حرام بعد استقرار الثمن)[٤]، قال ابن عثيمين: (وذلك حرام، لأن المشتري سوف يحاول أن يفسخ العقد من أجل أن يأخذ السلعة برخص)[٥] وفي ذلك إضرار بالآخرين.

---

(١) انظر: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦/٣٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٦٤، وأبو داود ٤٧٩٠ واللفظ له، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٩)، وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن، ط١١/٧٠١.

(٣) الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أنور الجندي ص ٢٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٢١.

خامساً- من موضوعات الدعوة: النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه:

فقد جاء في الحديث النهي عن الاعتداء على الخطبة، "ولا يخطب على خطبة أخيه" وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الخطبة على الخطبة حرام إذا حصل الركون إلى الخاطب الأول، لما في ذلك من الإيذاء والجفاء، والخيانة والإفساد على الخاطب الأول، وإيقاع العداوة بين الناس[1].

سادساً- من أهداف الدعوة: النهي عن السعي في إفساد العلاقة بين الرجل وزوجته:

وإلى ذلك جاءت الإشارة في الحديث "ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" أي ولا تسأل المرأة ولو أجنبية طلاق زوجة رجل لينكحها، أو يصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بكفء ما في إنائها مجازاً[2]. فجاء في الحديث نهي المرأة الأجنبية أن تسأل الزوج طلاق زوجته لينكحها، أو أن يخطب الرجل المرأة وله امرأة، فتشترط عليه طلاق الأولى لتنفرد به، وليصير لها من نفقته ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بإكفاء ما في الإناء والكفؤ والإكفاء بمعنى الإمالة، وهذا مثل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زواجها إلى نفسها[3]؛ فإن ذلك لون من ألوان البغي والاعتداء على الغير، والتحريض على إلحاق الأذى به، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[4]، قال ابن رجب الحنبلي: (تضمنت النصوص أن المسلم لا يحل إيصال الأذى إليه بوجهٍ من الوجوه من قول أو فعل بغير حق)[5].

سابعاً- من أهداف الدعوة: بيان حق المؤمن على أخيه المؤمن:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ للأخوة التي تجمع بين المؤمنين، فقال ﷺ

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩/١٩٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٤/٤٩٧.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٩٤ .

"المؤمن أخو المؤمن" فأخوة الإيمان أقوى الأواصر وأمتن العلائق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب[٢]. وجاء في الأحاديث بيان بعض مقتضيات الأخوة فقال ﷺ "المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر" وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ "أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" وغير ذلك من الحقوق والواجبات، فإن الأخوة التي ربط الله بها بين المؤمنين، يترتب عليها حقوق وواجبات تجاه الأخوان، وذلك كالإغضاء عن الهفوات والنصح لهم والتناصح، ووجوب زيارتهم ومودتهم، وغير ذلك من أمورٍ من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين المسلمين، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب، بما يعين على تحقيق أهداف رسالة الإسلام[٣].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢٢/١٦/٨، ٣٢٣ .

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٦٢-١٧٥.

الحديث رقم (١٧٨١)

١٧٨١- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: ((لاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ[١]، وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ إلاَّ أنْ يَأذَنَ لَهُ)) متفق عليه[٢]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) هذا الشطر عند مسلم برقم (١٤١٢/٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢/٤٩)، و (١٤١٢/٥٠).

(٣) الشرح الأدبي والمضامين الدعوة تم دمجها مع الشرح الأدبي ومضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٨٢)

١٧٨٢- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، فَلاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أخِيهِ وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ حَتَّى يذَرَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

الشرح الأدبي

إن براعة الاستهلال في هذا الحديث الشريف تأسر السامع، وتشد المتلقي؛ فما أجمل المضمون والصياغة في هذا المطلع المضيء بكلمات النبوة: "المؤمن أخو المؤمن"، إنها قاعدة أرساها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي نابعة من البيان القرآني، لأنه لا ينطق عن الهوى، فهو -كما قال القاضي عياض- كان يحمل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكم صلى الله عليه وسلم[2].

وهذا الاستهلال الجميل جاء في قالب الأسلوب الخبري، وهو جملة اسمية، توحي بالثبات وعدم التقلب والتغير في دورة الأحداث والزمن، وهذا الثبات الذي أفادته الصيغة اللغوية هو ثبات كذلك على مبدأ الأخوة الإيمانية، ولذلك تكرر لفظ المؤمن ثلاث مرات ظاهراً، ومرة رابعة جاء مضمراً، بعد الفعل "ولا يخطب"، أي: ولا يخطب هو أي: المؤمن.

وتأكيداً لهذه العلاقة الإيمانية، وحرصاً على استمرارها وعدم نقضها يكرر المصطفى صلى الله عليه وسلم لفظ "أخ" مضافاً إلى المؤمن ظاهراً، ومضافاً إلى الضمير العائد إليه،

---

(١) برقم (١٤١٤/٥٦).

(٢) انظر: الشفا: بتحقيق أحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثلاث مرات؛ حتى يتعمق الإحساس بهذه الأخوة الراسخة في نفس كل مسلم وفي قلبه.

وقوله: "فلا يحل"، يفيد بأنه يحرم على المؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ويحرم عليه أن يخطب على خطبة أخيه، وقوله: "حتى يذر"، أي: حتى يترك هذه الخطبة، يفتح نافذة جديدة؛ فالتحريم ليس مطلقاً، ولكنه مرتبط بصاحب المسألة؛ فإن فسخ الخطبة، وإن أذن للآخر فيها، فالأمر جائز؛ لأن التراضي هو الذي يحكم هذه العلاقة، والأخوة دائمة، وهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٨٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أهداف التربية الإسلامية: المحافظة على مصالح الأفراد:

إن المحافظة على مصالح أفراد المجتمع من أهم أهداف التربية الإسلامية، ومن أجل ذلك لابد أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته، وللجماعة هيبتها وسيطرتها، فيعيش الأفراد في كفالة الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم[١].

وقد نهى النبي ﷺ أن يبيع حاضر لباد - كما في أحاديث الباب - لحكمة فيه وهي حفظ مصلحة الجماعة في أن تصلهم السلع بالسعر المعتاد دون أن يكون مغاليًا فيه، وذلك لأن الحاضر لو باع للبادي فإنه في الغالب سيرفع الأسعار نظرًا لمعرفته باحتياج الناس لهذه السلع، على حين أنه لو ترك البادي يبيع بنفسه لرخص على الناس، قال النبي ﷺ: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[٢].

وهذه الكلمة الموجزة تضع مبدأ هامًا في الميدان التجاري: أن تترك السوق وأسعارها ومبادلاتها للتنافس الفطري والعوامل الطبيعية دون تدخل مفتعل من بعض الأفراد[٣].

ومن ذلك أيضًا النهي عن تلقي الركبان فقد قال ﷺ: «لا تَتَلقّوا السلع حَتّى يهبطَ بها إلى الأسواقُ».

وقال ﷺ: «لا تتلقوا الركبان ...».

والحكمة من النهي عن تلقي الركبان هو ألا يلحق الضرر مجموع الناس وصاحب السلعة، فإن العادة فيمن تلقي الركبان أن يشتري السلع لنفسه ثم يبيعها للناس بسعر

---

(١) المجتمع المتكافل في الإسلام، عبدالعزيز الخياط، ص ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم، ١٥٢٢.

(٣) الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٤٨، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٦٩/٣.

أعلى مما تباع به، فيلحق بالناس مضره، أمَا لو ترك أصحاب السلع يصلون إلى الأسواق لباعوها بسعر معتدل لا يكون فيه هذا الضرر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه قد يشتري السلع من أصحابها بأقل من ثمنها الذي تشترى به في الأسواق نظرًا لكونه على غير معرفة بسعر السوق، فيسهل خداعه وغبنه من خلال المتلقي، فيلحق الضرر به.

لذا نهى الشرع عنه، ولهذا جعل النبي ﷺ له الخيار إذا أتى السوق فقال ﷺ: «لاَ تَلَقَّوُا الْجَلَبَ. فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا أَتَىٰ سَيِّدُهُ السُّوقَ، فَهُوَ بِالْخِيَارِ»[1].

فالشريعة الإسلامية تراعي مصلحة الفرد وكذلك مصلحة الجماعة فهي لا تقبل الضرر لأحد، ولا تقبل التحكم من أحد في أحد، ولكن تبتغي أن يأخذ كل فرد حقه، وأن تحرر الأسواق من جشع التجار، وحيلهم في التجارة التي تضر بمصالح المسلمين.

فعلى المربي والمجتمع غرس القيم الفاضلة بين الناس في الأعمال التجارية حتى يعمل الجميع على المحافظة على مصلحة الجماعة والفرد، فمصلحة الفرد وإن كان أخا لا تقدم على مصلحة الجماعة لذا نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه.. كما أن مصلحة الفرد لا تهضم، ولا تغفل.

ومراعاة المصالح مقصد عظيم للشريعة الإسلامية، وهذا يقتضي تحمل الضرر الخاص في سبيل دفعه الضرر العام. ومعنى هذا أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة، وأن على الفرد أن يضحي بمصلحته الفردية في سبيل المصلحة العامة العائدة على الجميع بالنفع، وهذه قاعدة عظيمة تبين أن الشريعة الإسلامية اجتماعية وتقاوم الفردية المتطرفة التي تبيح للفرد أن يحقق حريته وأحلامه ولو على حساب الجماعة، وهذه القاعدة تسمح للدولة أن تسعى إلى توجيه الاقتصاد إذا دعت المصلحة العامة لذلك، فيمكنها أن تسعر أثمان البضائع إذا ترتب على تركه الإضرار بالناس، كما يمكنها بيع طعام المحتكرين عن الحاجة إليه جبرًا، وهكذا كل ذلك مراعاة للمصلحة العامة وتقديمًا لها على المصلحة الخاصة[2].

---

(١) أخرجه مسلم، ١٥١٩.

(٢) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفارسي، ص ٨١.

ثانيًا- التربية: الاقتصادية:

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام، على أسس العدالة، والمساواة والتكافل الاجتماعي، والتعاون، والتراحم، ويدعو إلى الجد والعمل، والسعي في طلب الرزق، والحرص على الشخصية المسلمة، أن يستذلها الفقر، أو يهينها السؤال.

وأصل الاقتصاد الإسلامي: أحل الله البيع: لأنه يفيد خبرة، ويبعث حركة، ويدعو إلى ممارسة. والخبرة إذا زادت، وسعت آفاق الفكر، وقوت وشائج الصلة، ومهدت السبيل إلى الألفة، والمعرفة، ونشاط وقوة للجسم والعقل معًا، والممارسة تدريب، وحياة، ومعاناة، ومثابرة وصبر. وللبيع أصوله وآدابه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١]، وظلم البائع للمشتري، أو ظلم المشتري للبائع، يزرع الحقد ويزعزع الثقة ويدعو للفرقة، لذا كان النهي عن بيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان والنجش، وبيع الرجل على بيع أخيه، لتتساوى الفرص، ويمتنع العدوان فتصفوا القلوب[٢].

فالتربية الاقتصادية في الإسلام تهتم بتنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، وليس أعدل ولا أعلم بمصالح العباد من اللطيف الخبير الذي شرع للناس أنظمة الحياة والتعامل في ظل شريعته الخالدة[٣].

كما تحرم الشريعة الإسلامية الكسب الخبيث، لما فيه من أخذ المال بغير حق مشروع، ومنها أخذ المال بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار واليانصيب ونحوها، أو بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها، أو كان ثمنًا لمحرم: كثمن الخمر والخنزير والمخدّر ونحوها، فكل هذه الموارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها[٤].

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ٢٥١.

(٣) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، ص ٣٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩٣.

ثالثًا: من أهداف التربية: معرفة أحكام فقه البيع والشراء:

إن أحاديث الباب تدعو المسلم إلى معرفة أحكام فقه البيع والشراء، ومن هذه الأحكام التي تناولتها أحاديث الباب: تحريم بيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان وبيع الرجل على بيع أخيه.

فإنه ينبغي لكل من تصدى للعمل بالسوق وممارسة العمل التجاري أن يكون لديه بعض الإلمام بأحكام البيع والشراء، حتى تكون معاملته صحيحة بعيدة عن الفساد[١].

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إلاَّ من تَفَقَّهَ فِي الدِّين»[٢].

وقال محمد علي حيدة: وأحسب أن كل من عمل بالسوق وخاض غمار التجارة ومارس البيع والشراء حتى يعرف بأنه امتهن العمل في هذا المجال، ثم لا يعرف أحكام المعاملات: الحلال منها والحرام وما يفسدها وما يصلحها، أحسبه - والله أعلم - آثم بحسب تقصيره في هذا الجانب، وقد امتلأت أسواقنا بكثير من المسلمين الذين أغفلوا هذا الفقه - بقصد أو بدون قصد - وأصبحوا لا يبالون بالفرق بين الحلال والحرام، وخلت من الصالحين والمتفقهين، الذين آثروا السلامة، فنأوا بأنفسهم تزهدًا وتورعًا، أقول لهم، افعلوا ما فعل أجدادكم، اطرقوا أبواب الأسواق، وأخلصوا النية لله تفتح لكم الشركات والمؤسسات، وتَسلَّموا من غلّ الوظيفة وقيدها، وتفتح لكم قلوب العباد، كما فتحت لأسلافكم حينما ذهبوا بتجارتهم إلى الصين وإلى الهند وإلى الجنوب من إفريقيا[٣].

رابعًا: من أهداف التربية الإسلامية: تنمية روح الأخوة الإسلامية:

إن الأخوة الإسلامية هي أوثق رابطة وأقوى صلة بين المسلم وأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، وهذه الأخوة تقتضي حقوقًا بينهما إن قاما بها نمت

---

(١) انظر: السوق وآدابه وأحكامه، محمد علي حيدة، مجلة البيان، السنة الثانية عشر، العدد ١٢٤، ذو الحجة ١٤١٨هـ، إبريل ١٩٩٨م ص ٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٤٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٤٠٤).

(٣) المرجع السابق، ٤٨، ٤٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وزكت، وإلا ضعفت وذوت حتى تموت، فعلى المسلمين مراعاتها وإحياؤها بالقيام بالحقوق والصلات"[1].

ومن هذه الحقوق التي دلت عليها أحاديث الباب ألا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته إلا بإذنه، ولا يزايد عليه في الثمن ولا يغشه في بيع ولا شراء، ولا تشترط المرأة طلاق أختها المسلمة من زوجها، حتى تتزوجه هي، فكل هذه الأشياء وغيرها من الأشياء التي تلحق الضرر بالمسلم تكون سببًا في زرع العداوة والبغضاء، وقطع عرى الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم.

من أجل ذلك نهت الشريعة الإسلامية عنها حتى تحفظ عرى الأخوة من التمزق والخلاف والكراهية.

فإن أقل ما يجب للمسلم على أخيه المسلم ألا يعتدي على حقه ولا يظلمه ولا يغشه.

قال ابن تيمية: وأما عقد الأخوة بين الناس في زماننا، فإن كان المقصود منها التزام الأخوة الإيمانية التي أثبتها الله بين المؤمنين بقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، وقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»[3]، وقوله: «لا يَبِيعُ الرَّجُلُ على بيْعِ أَخيهِ، ولا يَخْطُبُ إلاّ بإذْنِهِ، إلاّ أن يأذن له»[4]، وقوله: «وَالَّذي نَفْسي بيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[5]. ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن. فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، .... وهي ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن"[6].

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٣٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٤٤٢، ومسلم، ٢٥٨٠.

(٤) أخرجه مسلم، ١٤١٢.

(٥) أخرجه البخاري، ١٣، ومسلم، ٤٥.

(٦) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ١١/١٠٠، ١٠١، ط العبيكان، ٦/٥٩.

فعلى المربي والوالدين وكل من يقوم بعملية التربية العمل على غرس وتوثيق علاقة الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم على المحبة والمودة والإيثار، والمواساة والنصر، والبعد عن كل ما يؤدي إلى إشاعة الكراهية والشحناء.



٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

الحديث رقم (١٧٨٣)

١٧٨٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **((إنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً: فَيَرْضَى لَكُمْ أنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَأنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإضَاعَةَ المَالِ))**. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أن تعتصموا بحبل الله: أن تستمسكوا بنوره وهُداه وكتابه[2].

قيل وقال: يعني فضول ما يتحدث به المتجالسون، من قولهم: قيل: كذا وقيل: كذا[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يخط للمؤمن طريقه الصحيح، الذي يضمن له الفوز برضا الخالق عز وجل، ويحذره كذلك من الوقوع فيما يغضب الله سبحانه ويكره لعباده، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث الشريف، نجده يبدأ بالتأكيد في قوله: "إن الله تعالى"؛ وذلك لأهمية ما يذكر بعد ذلك، ولتنبيه المسلم إلى ضرورة الإقدام على تنفيذ ما يرضى الله عز وجل، وتجنب ما يكرهه.

---

(١) برقم (١٧١٥/١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م) و(ح ب ل).

(٣) المرجع السابق في (ق و ل).

ومن سمات الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: التوازن، وحسن التقسيم في عبارات الحديث وتراكيبه؛ فالذي يرضاه الله لعباده ثلاث... والذي يكرهه لهم ثلاث كذلك، وقد قدّم رسول الله السلوكيات التي تجلب الرضا على السلوكيات التي يكرهها الله لعباده؛ لغرس روح التفاؤل في نفس المؤمن، وتقديم البشرى له، والإشارة إلى أن هذه الثلاث هي معالم الطريق، التي يهتدي بها المؤمن، ويفوز برضا ربه عز وجل.

والتعبير بالفعل المضارع في سياق التوحيد وعدم الشرك، والاعتصام بحبل الله جميعاً: يرشد إلى وجوب استمرارية هذا السلوك الإيماني الراشد؛ فهو طبيعة المؤمن وديدنه؛ استجابة لدعوة النبي ﷺ: "أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً...، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".

ومن مظاهر الجمال التعبيري: المقابلة بين الموقفين: موقف الرضا وموقف الكره، وتقديم موقف الرضا على موقف الكره؛ لأن الرضا هو الطريق إلى الفوز بالجنة، وهذه المقابلة جاءت في إطار التنسيق في بناء الجمل؛ حيث جاءت صياغة الجمل هكذا: الإثبات ثم النفي، ثم الإثبات ثم النفي: (أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا... ولا تفرقوا)، والجملة الأولى والثالثة جاءت في قالب المصدر المؤول، والثانية والرابعة سُبقاً بأداة النفي "لا"، ولا تشركوا، ولا تفرقوا.

وأما القسم الثاني -وهو الذي يفصّل السلوكيات التي يكرهها الله لعباده- فقد اتسم بالسّجع والإيقاع الصوتي المؤثر، الذي يجلب الانتباه، ويثير الذهن، ويشحذ عاطفة المسلم، ويحرك مكان الشعور فيه، فيعرف أخطار هذه السلوكيات فيحذرها، ومع هذا الإيقاع الصوتي، كان الإيجاز وقصر العبارة ووضوح الفكرة، ولنتأمل ما يبوح به هذا البيان النبوي البليغ من معان ومواعظ، وإرشادات وتوجيهات، "ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".

فقه الحديث

وقد سبق بيان الأحكام التي اشتمل عليها هذا الحديث.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح لما يرضاه الله تعالى لعباده ولما يكرهه لهم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان فضل إخلاص العبادة لله وحده وعدم الإشراك به والاعتصام بحبل الله.

خامساً: من موضوعات الدعوة: اجتناب القيل والقال.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الابتعاد عن كثرة السؤال.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من إضاعة المال.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في قوله ﷺ "إن الله تعالى يرضى لكم" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوة ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من تقوية الكلام وإثبات صحته[1]. وقد تكرر أسلوب التوكيد في القرآن تقريراً للحقائق، وتثبيتها في قلوب الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[2]. وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[3].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

ورد ذلك في الحديث، حيث أجمل النبي ﷺ القول، فقال: "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثا" ثم فصله بقوله: "فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا

---

(١) الأصل النحوي، توالي الأمثال اللفظية والمعنوية، د. منيرة بنت محمود الحمد، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية والعربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، شوال ١٤١٧هـ ص ٢٧٣.

(٢) سورة الصافات، آية: ٤، ٥.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" وإجمال القول ثم تفصيله من الأساليب الدعوية ذات الأدب الرائق، والتي لها أثر بالغ في إثارة الانتباه، وإقبال المدعوين، وتمنع تسلل السأم والملل إلى نفوسهم[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: البيان والتوضيح لما يرضاه الله تعالى لعباده ولما يكرهه لهم:

إن أبرز صفات الداعية، البيان والتوضيح، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[٢] ويبينوه لهم، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] ومن ذلك بيان ما يرضاه الله تعالى لعباده وما يكرهه لهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً..." وبيان الحق وتوضيحه وتزيينه للناس بكل الطرق والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة أيضاً، قصداً لهداية الناس، وتوضيحًا للحقائق والمفاهيم، من أجلّ وأبرز صفات الداعية التي لا غناء له عنها[٤].

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان فضل إخلاص العبادة لله وحده وعدم الإشراك به والاعتصام بحبل الله:

ورد التصريح في الحديث بأن مما يحبه الله لعباده: إخلاص العبودية والاعتصام بحبل الله، فقال ﷺ "فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" قال القرطبي: (قوله: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً" أي: شرع هذه الثلاثة، وأمر بها، وجعلها سبباً لكلّ ما عنده من الكرامة في الدنيا والآخرة.

وقوله: "ويكره لكم ثلاثاً"، وفي الرواية الأخرى: "سخط" أي: نهى عنها وحرَّمها،

---

(١) انظر: مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١١٤.

(٢) فقه الدعوة، بسام العموش ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) انظر: الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب ص ٣٥.

وجعلها سبب إهانته، وعقوبته في الدنيا والآخرة. وهذا كما قاله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١] هذا أولى ما قيل فيه. وقد تقدم القولُ على الرضا والسخط، وعلى العبادة والشرك في الإيمان)[٢]. وقال النووي واعلم أن الثلاثة المرضية إحداها أن يعبدوه، والثانية أن لا يشركوا به شيئاً، والثالثة أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا[٣]. فإن أصل الدين عبادة الله ومن أجلها خُلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[٤] وأن تكون الأعمال خالصة لوجهه تبارك وتعالى، قال ابن رجب الحنبلي: (إن سائر الأعمال، صلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها، كالجهاد والحج وغيرها، وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وغيره، وما يقصد به من الرياء وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" فخرج بهذا كلُّ من سألوا عنه من المقاصد الدنيوية[٥]، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٦].

وحقيقة الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/١٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦، ٥٧.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧٥.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٣، ومسلم ١٩٠٤.

السر والقول والعمل[١]. وقال المناوي الإخلاص: تخليص القلب من كل شوبٍ يكدِّر صفاءه، فكل ما يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمى خالصاً. وقيل: الإخلاص عملٌ يعين على الخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التهمة والخلل[٢].

وقال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى، وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه -الفطري- وتحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يُسمى خالصاً، قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾[٣]. فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوبٌ من الفرث والدم، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به[٤].

وحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى، أما الإخلاص في الدين فيقول فيه الراغب: إخلاص المسلمين أنهم قد تبرءوا مما يدَّعي اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث، قال تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾[٥] وقال عز وجل: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾[٦]. وأجمعوا على أن الإخلاص في الطاعة ترك الرياء[٧].

إن المقاصد التي يقصدها المكلفون بالعبادة تنحصر في مقصد واحد، هو قصد الله دون سواه، فالعمل الذي لا يتوجه به إلى الله، ليس له قيمة، ومن يستقرئ نصوص القرآن والسنة، يعلم أن هذا هو القصد الوحيد الذي يرتضيه الإسلام، فأول أمر في

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٦٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، الإمام المناوي، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ص ٤٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٤) التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ص ١٢، ١٤.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٦.

(٧) التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ص ١٢.

كتاب الله هو ما تضمنته هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢].

إن الله وحده المستحق لأن يقصد دون سواه، لأنه المعبود الذي يتصف بصفات الجلال والكمال، فهو الكامل في ذاته وصفاته، وهو المنعم المتفضل بيده النفع والضر، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والنصر والخذلان، والعزُّ والإذلال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٣].

فهو وحده المطلوب المقصود، لأنه الخالق الهادي المطعم المسقي، الذي يشفي من الأمراض، والذي يغفر الذنوب والخطايا: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[٤].

فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، له الحمد في الأولى والآخرة، لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨٢.

(٥) سورة النجم، الآيات: ٤٢-٥١.

فمن كانت هذه صفاته، وتلك أفعاله، فإنه الذي يستحق العبادة دون سواه، وهو الذي ينبغي أن يكون المقصد والمعاذ والملاذ.

والتوجه إليه وقصده بالعبادة حقه الخالص الذي لا يشركه فيه أحد، فعن معاذ بن جبل، قال: ((كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً))[١].

فهو الذي يستحق العبادة خوفاً ورجاء، ورغبة ورهبة، وتوكلاً واعتماداً، وصلاة وصياماً، وزكاة وحجاً، ونذراً ودعاء[٢].

أما عن أهمية الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، فإن ذلك يتمثل فيه نجاة الأمة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة)[٤] من أجل ذلك نجد أن العبادات في الإسلام تهدف إلى غرس الألفة والاجتماع بين صفوف المسلمين، قال ابن حجر في فائدة الجماعة خاصة في الفجر والعشاء (انتظام الألفة بين المتجاورين في طرفي النهار، وليختموا النهار بالاجتماع على الطاعة ويفتتحوه كذلك)[٥].

وجاء في الحديث "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".

قال القرطبي: (وقوله: "وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً" الاعتصام بالشيء: التمسُّك به، والتحرُّز بسببه من الآفات. وأصل العصمة: المنعُ. تقول العرب: عصم فلاناً الطعام.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠.

(٢) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ١٥، ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٩/٤/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥١/٢.

أي: منعه من الجوع، وكنوا السويق بأبي عاصم لذلك، فالمعتصم بالشيء يمتنع به من أسباب الهلاك والشدائد. وحبل الله هنا: شرعه الذي شرعه، ودينه الذي ارتضاه. قال قتادة: هو القرآن. وهو بمعنى القول الأول. والحبل ينصرفُ على وجوه. منها: العهد والوصل، وما يُنجى به من المخاوف. ومنها: الأمان. وكلُّها متقاربة المعنى؛ لأنَّ الحبلَ في الأصل: واحد الحبال التي تُربط بها الآلات، وتجمع بها المتفرقات، ثم استعير لكلٍّ ما يعوَّل عليه، ويتمسك به، ثمَّ كثر استعماله في العهد ونحوه. ومعنى هذا: أن الله تعالى أوجب علينا التمسُّك بكتابه، وسنَّة نبيه ﷺ، والرجوع إليهما عند الاختلاف[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: اجتناب القيل والقال:

من الأمور التي صرح الحديث بكراهية الله تعالى لها: القيل والقال، فقال ﷺ: "ويكره لكم قيل وقال" والمراد به الكلام فيما لا يعني[٢]، فينبغي على المسلم أن يعرض تمام الإعراض عن السفاسف ودنايا الأمور، من (الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم)[٣] فإن البعد عن ذلك كمال للإيمان وإحسان للإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ))[٤]. ولله در القائل:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان[٥]

سادساً- من موضوعات الدعوة: الابتعاد عن كثرة السؤال:

كما بين الحديث أيضاً أن من الأمور التي يكرهها الله تعالى كثرة السؤال،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٣/٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٥) كتاب الأذكار، النووي، ٢٩٨.

فقال ﷺ "ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال...". قال القرطبي: (ومعناه أن الله حرَّم الخوض في الباطل، وفيما لا يعني من الأقوال وحكايات أحوال الناس، التي لا يسلم فاعلها من الغيبة والنميمة والبهتان والكذب)[١]. وقال النووي: (وأما كثرة السؤال فقيل المراد به القطع في المسائل، والإكثار من السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك، وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه[٢]، وهذا هو أرجح المعاني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[٣] وهذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء، مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها[٤].

قال القرطبي: (وقوله: "وكثرة السؤال" يحتمل أوجهاً:

أحدها: أن يريد به كثرة سؤال الناس الأموال، والحوائج إلحاحاً، واستكثاراً.

وثانيها: أن يكثرَ من المسائل الفقهية تنطُّعاً وتكلُّفاً فيما لم ينزل. وقد كان السلف يكرهون ذلك، ويرونه من التكلف. وقال مالك في هذا الحديث: لا أدري أهو ما نهاكم عنه من كثرة المسائل، فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، أو هو مسألة الناس أموالهم.

وثالثها: أن يكثرَ من السؤال عما لا يعنيه من أحوال الناس، بحيث يؤدِّي ذلك إلى كشف عوراتهم، والاطلاع على مساوئهم.

قلتُ: والوجه: حَمْلُ الحديث على عمومه، فيتناول جميع تلك الوجوه كلها[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٣/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٤/٥.

سابعاً- من موضوعات الدعوة: التنفير من إضاعة المال:

جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث "ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" والرواية الأخرى "أنه ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال" يقول ابن عثيمين: (المال جعله الله قياماً للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم، وهو أمر مهم فلا يجوز للإنسان أن يضيعه في غير فائدة، لذا جاء تحريم الإسلام لإضاعة المال أو التبذير والإسراف في إنفاقه، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1] فمجاوزة الحد إسراف، وهي محرمة وعرضة لأن يكره الله فاعلها[2]. قال ابن الجوزي: (العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة، تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق، فينبغي التوسط في الأحوال، وانتهاج التدبير أسلوباً في الحياة، وإنما التدبير حفظ المال والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره)[3].

فقد نهى الإسلام عن إضاعة المال بإتلافه وإهلاكه وصرفه في غير أوجه الإنفاق المحمودة والجائزة، فيلحق بإتلافه منع صرفه في وجوهه من مصالح دنياه ودينه، كما يفعله أهل البخل، ودناءة الهمم؛ يدَّخرون المال، ويكثرونه، ولا ينفعون نفوسهم بإنفاق شيء منه، ولا يصونون به وجوههم، ولا أديانهم. فهذا الصنف هو المحروم الخاسر؛ الذي قال فيه الشاعر:

إنَّ الشَّقيَّ هُوَ المَحْرُومُ مَا رُزِقَا ... رُزِقْتَ مالاً وَلَمْ تُرْزَقْ مَنَافِعَهُ

وأشدُّ من هذا كلّه قبحاً وإثماً من يتلف ماله في معاصي الله تعالى، فيستعين بمال الله على معاصيه، ويخرجه في شهواته المحرمة، ولا يباليه، ويدخل في عموم النهي عن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٢٢/٢ ، ١٨٢٣.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٦١٠.

إضاعة المال القليل منه والكثير، لأن المال هنا: كل ما يتموّل، أي: يتملّك؛ حتى لو رمى بثمن درهم في البحر مثلاً لكان ذلك محرماً. وكذلك لو منعه من صرفه في وجهه الواجب، وكذلك لو أنفقه في معصية الله. ولا خلاف في هذا إن شاء الله[١].

ثامناً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جاء أسلوب الترغيب والترهيب واضحاً في الحديث، ترغيب في عبادة الله والإخلاص له والاعتصام بحبل الله جميعاً ومجانبة التفرق والتشرذم، وترهيب من القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، فقال ﷺ: "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة والمفيدة، لما في الترغيب من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفي الترهيب تحذير المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[٢]. وللترغيب والترهيب أثره في صدق التوجه إلى الله تعالى رغبة إليه ورهبة منه، قال تعالى واصفاً عباده المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣] فالترغيب والترهيب يحبب إلى المسلم الطاعات، وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ص ١٦٥.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

إن أسلوب الترغيب والترهيب له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصَّله لنا أنبياء الله بوحي من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين كما نطق بذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١].

ومن يطالع دعوات المرسلين يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالترغيب والترهيب، ويبدو أن الترغيب والترهيب، أو بما يسمى التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل، هو مفتاح النفس الإنسانية؛ فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تبين لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال، فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال، ونعيم الله المبشر به، نعيم يستعذبه القلب، وتلذه النفس، ويهيم به الخيال.

وعذاب الله المبشر به، عذاب يرتجف منه القلب، وتستهوله النفس، ويرتعد منه الخيال. فعلى الداعية أن يسلك مسلك الرسل في التبشير والإنذار، حتى تؤتي دعوته ثمارها العظيمة.

إن بعض الذين لم يفقهوا دعوة الإسلام، يعيبون على دعاة الإسلام أخذهم بالإنذار والتبشير، ويقولون فلان واعظ، ويعيبون عليهم عدم فلسفتهم للأمور التي يدعون إليها، ويطالبون الدعاة بالكف عن طريقة الوعظ وتخويف الناس وترغيبهم، وهؤلاء بحاجة إلى أن يراجعوا أنفسهم، وينظروا في موقفهم هذا، في ضوء نصوص القرآن وأحاديث الرسول ﷺ التي تبين أسلوب الدعوة، وتوضح مهمة الرسل الكرام[٢].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٥٦.

(٢) انظر: الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر ص ٤٨، ٤٩.

الحديث رقم (١٧٨٤)

١٧٨٤- وعن ورَّادٍ كاتب المغيرة، قال: أَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ((**لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**)) وَكَتَبَ إلَيْهِ أنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه[1]، وسبق شرحه[2].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٠).

غريب الألفاظ:

الجَدُّ: الحظ[3].

قيل وقال: يعني فضول ما يحدث به المتجالسون من قولهم: قيل: كذا، وقيل: كذا[4].

عقوق الأمهات: إيذاؤهنَّ وعصيانهنَّ[5].

وأد البنات قتلهنَّ[6].

ومنعٍ وهات: منع ما عليه إعطاؤه وطلب ما ليس له[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٣٧/٥٩٣)، وتقدم برقم، (٣٤١)، و(١٤١٨).

(٢) عند الحديث رقم (٣٤١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د د).

(٤) المرجع السابق في (ق و ل).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ق ق).

(٦) المرجع السابق في (و أ د).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ع).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف إملاء من المغيرة بن شعبة على "ورَّاد" كاتبه، وهو نص كتاب أرسله إلى معاوية بن أبي سفيان؛ ناصحاً ومرشداً وموجهاً، ومسترشداً بكلام سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد ﷺ.

ويبدأ الحديث بالتأكيد على مظاهر السلوك النبوي، وعلى أقوال النبي ﷺ في دبر كل صلاة، وتأكيد الخبر هنا فيه حث لمعاوية على الاقتداء برسول الله قولاً وفعلاً؛ حيث قال: "أن النبي ﷺ كان يقول".

وهذا الدعاء الذي يتفوه به قلب رسول الله ﷺ ولسانه عقب كل صلاة، هو شكر لله عز وجل، وإقرار بوحدانيته، وتفرده بالعطاء والربوبية والألوهية؛ فقد امتن الله على نبيه محمد ﷺ؛ إذ جعل صدره ينبوعاً للهدى والنور والمعرفة، وأذهب عنه الشواغل التي تصدُّه عن إدراك الحق، وليّن قلبه بالإيمان، والانتفاع بالموعظة والعلم، وامتن الله على نبيه بذلك؛ ليداوم شكر المنعم سبحانه وتعالى، وليطمئن قلبه، فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[1].[2]

وأسلوب القصر في قوله: "لا إله إلا الله"، فيه تأكيد لوحدانية الله عز وجل؛ فالله مختص بالألوهية، وهي مقصورة عليه وحده، ولا يشاركه سواه في ذلك.

والتقديم في قوله: "له الملك"، وكذلك في قوله: "له الحمد"، يفيد الاختصاص والقصر؛ فلا ملك إلا لله، ولا حمد إلا له، وجملة "لا شريك له"، وكذلك "له الملك" في موقع الحال، وصاحب الحال، يتضمنه قوله: "وحده" وهو الله عز وجل؛ فهو في كل الأحوال لا شريك له، وهو "له الحمد، وله الملك، وهو على كل شيء قدير"، والطباق والمشاكلة اللفظية، والمقابلة المعنوية تضفي جمالاً لفظيًا، يتآزر مع الجمال المعنوي، الذي يَعْبق به قوله ﷺ في دعائه الصادق، وثنائه الجميل على ربه.

---

(١) سورة الشرح، الآية: ١.

(٢) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني.

"اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت" وهذه الصياغة توحي بشمول العطاء، وطلاقة القدرة الإلهية؛ والإيقاع الصوتي الذي يحدثه السجع المؤثر والمحبب، في القسم الثاني من الحديث يوحي بضرورة الاهتمام، وإلى مزيد من الإصغاء، واتباع تعاليم المصطفى ﷺ، واتباع ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، وهذه النواهي موجهة إلى معاوية في هذا السياق، وإلى كل من يتولى أمور المسلمين، وإلى كل مسلم، وهي ستة أمور منهي عنها، وقد اتسمت بالإيجاز وحسن التقسيم؛ حيث وردت ثلاث مسجوعةً تنتهي فواصلها بحرف اللام، وثلاث تنتهي فواصلها بالألف والتاء، وحرف المد الألف الذي يسبق الحرف الأخير، يعطي مساحة للتأمل والتفكر والتدبر، في الأخطار التي تحدق بالأمة إذا شاعت فيها هذه السلوكيات: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، وعقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات.

وهذا الجمال الأسلوبي، والعمق الفكري، والإشراق البياني، من سمات البيان النبوي الراشد البليغ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٤١، ١٤١٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقدية:

إن العقيدة الإسلامية تقوم على توحيد الله تبارك وتعالى، وذلك بالتصديق الجازم بأن الله واحد لا شريك له، وإفراده في الربوبية والألوهية[1].

وورد ما يدل على ذلك في هذا الباب في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.....».

وقوله ﷺ: في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له....».

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة رضي الله عنهم، فقد جعل الله عز وجل عقيدة المنصوص عليها في القرآن وطبقها الرسول ﷺ المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾[2].

وبين عز وجل أن غاية خلق الجن والإنسان إفراد الله عز وجل بالعبادة ومعرفته عز وجل فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

كما بيّن عز وجل أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[5].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٨١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

وبين النبي ﷺ أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النبي ﷺ . فَقَالَ لي: يَا مُعَاذُ! تَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ فقَالَ: قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا»[1].

وأول أمر في ترتيب كتاب الله أمر بالتوحيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسول الله ﷺ مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد وما نهت عن شيء قبل الشرك.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد، وتربي أبناءها عليه، وتستقيم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح[3].

والتربية العقدية مسؤولية خطيرة تقع على عاتق المربين والآباء والأمهات.

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي فيه جانب العقيدة... وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية، هو أسلوب المربي الأول صلوات

(١) أخرجه البخاري، ٢٨٥٦، ومسلم، ٣٠ واللفظ له.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٨١-٨٣.

الله وسلامه عليه، حيث كان يسعى دائمًا إلى أن يوجه الأولاد إلى كل ما يرفع من شأنهم، ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم"[١].

ثانيًا: التربية: على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة:

إن التربية على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة من أهم ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية وترضاه لأفرادها، ولذلك قال ﷺ: «إنَّ اللّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاَثًا ....، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا...». وهذا ما أمر به المولى تبارك وتعالى، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

ويقول سبحانه أيضًا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رسولِ الله ﷺ فِينَا فقال: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ. أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ. مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ»[٤].

قال ابن تيمية: سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا وظاهرًا، وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه.

---

(١) للاستزادة انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٦٤-١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٤) أخرجه الترمذي، ٢١٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٥٨).

ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول منهم[١].

والأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف ومواقفهم التي تدل وتحث على المحافظة على هذا الأصل العظيم من أصول الدين كثيرة جدًا ليس هذا مقام تفصيلها وإنما المقصود الإشارة إلى أهمية الاجتماع والوحدة والائتلاف وأثر ذلك في الوقاية من الفتن وغوائلها، والتحذير من الفرقة والاختلاف وأنها أصل كبير وباب خطير من أبواب الفتن.

ولو تتبعنا أحكام الإسلام ومبادئه لرأيناها مبنية على هذا الأصل، فكثير من العبادات تقوم على الاجتماع والترابط والتكافل، وكثير من البيوع والمعاملات المحرمة إنما حرمت لحسم مادة الفرقة والاختلاف والشحناء والبغضاء بين المسلمين، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إذن فلزوم الجماعة ونبذ الفرقة من أكبر المنجيات والعواصم من قواصم الفتن والشرور، وما نمت بذور الفتن إلا في أرض الفرقة والاختلاف. والتاريخ أكبر شاهد على ذلك. فإن أردنا السلامة من الفتن وشرورها؛ فلنكن عوامل بناء وتأليف وجمع لكلمة المسلمين، ولنحذر من أن نكون عوامل هدم وتفريق بين المؤمنين، وما فرح الشيطان وأولياؤه من الجن والإنس بشيء أشد من فرحهم بالفرقة والتحريش بين المسلمين؛ لأنها فرصتهم الثمينة في نشر ما يريدونه من الشرور والفساد، بل فرصتهم التي لا تعوض في بسط نفوذهم على بلاد المسلمين[٢].

ثالثا: التربية الوقائية:

أسلوب التربية الوقائية من الأساليب المهمة، وذلك أن الوقاية نوع من أنواع التحذير وهي: تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر[٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ، ١٧/١.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٥٥٤/٣-٥٥٧.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

وقد اشتمل هذا الباب على مجموعة من التوجيهات والتحذيرات الوقائية منها:

أ- من التربية الوقائية: التي استخدمها رسول الله ﷺ: قطع دابر الإشاعة التي من شأنها أن تؤدي إلى خلخلة الصف المسلم وتوهينه، وتفشي القيل والقال بين أفراد المجتمع المسلم، وفقدان الثقة بينهم، مما جعل الرسول ﷺ يحرص على وأدها في مهدها[١].

فقال ﷺ: «ويَكْرَهَ لَكُمْ قيلَ وقالَ» والمراد تتبع أخبار الناس وأحوالهم للتحدث بها وإشاعتها، وربما كان في شيء منها مما يغضب المقول فيه، من أمور يود إخفاءها، وأسرار لا يحب إذاعتها، فتنشأ العداوة وتنمو الضغينة ويعم الفساد والأذى[٢].

ب- ومن التربية الوقائية التي استخدمها رسول الله ﷺ في هذا الباب النهي عن كثرة السؤال فقال: «وكره لكم.... وكثرة السؤال» لأنه إذا كان سؤال المال والصدقة فإنه يؤدي إلى إراقة ماء الوجه وإذلال النفس ما يربأ أن يدنس به نفسه، وأما السؤال عن المشكلات والمعضلات وأخبار الناس واختراع الأحاجي والألغاز والتعجيز والإرهاق، لما يترتب على ذلك من إضاعة الوقت في غير المفيد، وربما كان في الجواب عن السؤال ما يؤلم السائل ويسيء إليه أو إلى غيره على حد قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٣][٤].

فعلى المربي أن يحث من يربيهم على الاستعفاف وغنى النفس وعدم السؤال فيما لا فائدة منه حتى يقوا أنفسهم الحرج ويكونوا حريصين على الإفادة والعلم، وعدم ضياع وقت من يعلمهم فيما لا فائدة فيه.

ج- ومن التربية الوقائية التي استخدمها رسول الله ﷺ في هذا الباب النهي عن إضاعة المال، بالإسراف في إنفاقه أو إنفاقه فيما يغضب الله من المحرمات،

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٦٢.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٧٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٤) المرجع السابق، ٢٧٦.

فقال ﷺ: «وكره لكم...إضاعة المال» وعلى الجملة إنفاقه في غير وجهه المشروع لأن المال قوام الحياة ومادة الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وإضاعته تورث الندم والفقر والذل.

انظر إلى ما يصنع في الأفراح والمآتم وجهاز العروس والمنازل، وما ينفق في الملاذ والملاهي والرياء والملق للحكام، والظهور في المظاهر الكاذبة الخادعة وما يجلب ذلك من الخراب العاجل وقانا الله شر هذه الآثام ووفقنا للعمل بسنة خير الأنام[1].

فعلى المربي والمجتمع غرس قيمة المحافظة على المال - في نفس المسلم - وإنمائه كوسيلة تحقق له ولأمته المسلمة العزة والكرامة وتغنيهم عن سؤال غيرهم وتحفظ لهم ماء وجوههم، وتساعدهم على التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي...إلخ.

د - ومن التربية الوقائية التي استخدمها النبي ﷺ التحذير من عقوق الأمهات، وهذا واضح في كتاب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الذي أملاه على كاتبه ورّاد وأرسل به إلى معاوية رضي الله عنه وفيه وكان ينهي عن عقوق الأمهات.

وعقوق الأمهات وعدم القيام بحقوقهن والوفاء لهن بما يجب من حسن الطاعة والإنفاق والمعونة: وطيب القول والبعد عما يغضبهن أو يسبب سخطهن، فطالما شقيت الأم بابنها حملاً ورضاعًا وفصالاً وتربية وحياطة من كل أذى وضرر. تسهر لينام، وتتعب ليرتاح، وتشقى ليسعد، ابتسامته وهو صغير أشهى لديها من الدنيا وما فيها، وصحته وسروره أغلى ما تبغي الحصول عليه، تفتديه بكل مرتخص وغالٍ، وتقيه بما تستطيع وتملك من كل غائلة وشر، إن بكى طارت نفسها شعاعًا، وإن مرض تقرحت جفونها التياعًا[2]، فليس من حسن الصنيع أن يقابل ذلك بالجحود والكفران أو يجعله في مطارح النسيان، وقد خص الأم، لأن العقوق إليها أسرع لضعفها ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو[3].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٧٧.

(٢) التياعًا: اللاعة واللوعة ما يجده الإنسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب، النهاية، ابن الأثير ص ٨٤٦.

(٣) انظر: الأدب النبوي ص ٢٧٦.

كما أن عقوق الوالدين عامة يكون سببًا في غضب الله وسخطه وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ويكون سببًا في تعب الإنسان دنيا وآخرة، فمن أجل ذلك كانت الوقاية منه من أهم أهداف التربية الإسلامية.

فينبغي على المسلم أن يقي نفسه سخط الله وغضبه وذلك بالبعد عن عقوق الوالدين وخاصة الأم.

هـ - ومن التربية الوقائية في هذا الباب النهي عن البخل وهذا واضح فيما تضمنه كتاب المغيرة بأن النبي ﷺ كان ينهي عن: «...ومنع وهات».

والمراد بهما البخل بالمال عن الواجبات الشرعية وما تقتضيه المروءة من زكاة وبر وإعانة محتاج وغوث مستغيث، ونحو ذلك والطمع فيما ليس أهلاً له من ابتغاء أجر بدون عمل، أو زيادة على استحقاق لما في ذلك من إضاعة المروءة وإذلال النفس وأكل المال بالباطل[1].

من أجل ذلك، كان النهي النبوي لوقاية المجتمع المسلم من هذا الداء الخطير، وذلك لأن البخل يؤدي إلى الهلاك، كما كان سببًا في هلاك الأمم السابقة كما أنه يؤدي إلى تعطيل حقوق الله وحقوق الناس، وكذلك التطلع إلى ما ليس من حق الإنسان يؤدي إلى الكراهية والحقد بين الناس، فينبغي أن يتربى الناشئة على البعد عن كل هذه الأشياء حتى ينالوا رضا الله تعالى ويسعدوا في الدنيا والآخرة.

رابعًا: من أهداف التربية: تحري الأوقات الفاضلة:

ينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات، أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية معينة بها على غيرها[2].

من هذه الأوقات دُبر الصلاة، وهذا واضح في قول الراوي: إن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة.

فهذا وقت فاضل سُئل النبي ﷺ عنه، فقيل: «يا رَسُولَ الله أيُّ الدُّعَاء أسْمَعُ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

(٢) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٢٢.

قالَ: جَوْف اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ»[1]. فعلى المسلم اغتنام هذا الوقت بالذكر والدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ حتى يُحصّل فائدته وينال بركته، وعلى المربي أن يوجه الناشئة من أبناء المسلمين إلى اغتنام دبر الصلوات، وكل وقت فاضل في الذكر والدعاء والتقرب والتزلف إلى رب السماوات.

خامسًا: التربية على ذكر الله عز وجل:

من المضامين التربوية التي يهدف إليها هذا الباب التربية على ذكر الله، وهذا واضح في قول النبي ﷺ في دبر كل صلاة مكتوبة «لاَ إِلَـهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ....».إلخ الحديث.

وذكر الله تعالى من أفضل العبادات وأعظم القربات، وهو سبب للفلاح وطمأنينة القلب ورضا الرب، والذكر معناه استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن سواء أكان الاستحضار ذهنيًا أو قلبيًا أو نفسيًا أو لسانيًا أو فعليًا.. أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الأرض أو تدبر آيات القرآن، أو سماع الموعظة، أو الاحتكام إلى شريعة الله، أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله.

وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة.

ويدخل في الذكر اللساني كل الأدعية والمأثورات التي صحت عن النبي ﷺ، وأثرت عن أصحابه الكرام، والسلف الصالح رضي الله عنهم سواء ما يتعلق بأدعية الصباح والمساء، أو أدعية الطعام والشبع، أو أدعية السفر والإقامة، أو أدعية الدخول والخروج أو أدعية النوم واليقظة، أو أدعية التهجد والظواهر الكونية. وغيرها من الأذكار.

فإذا عرف المربي، معنى الذكر، وأنه لا يتصف بحالة واحدة ولا يختص بحالة معينة، بل هو حالة نفسية واعية تنتهي بالمؤمن إلى أن يستحضر عظمة الله سبحانه على الدوام.

(١) أخرجه الترمذي، ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي،٢٧٨٢)

فبعد هذا عليه أن يسعى بكل جهده على أن يربي ولده على هذه المعاني من استحضار عظمة الله في نفسه، ليخشاه في السر والعلن، والمتقلب والمثوى، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة، وفي كل مكان ليكون في عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

ولاشك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه وترسخ قلبه على مراقبته نشأ الولد مخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا.. فلا يقع في معصية، ولا يرتكب فاحشة ولا يعمل ذنبًا.. وهذا والله غاية الصلاح والتقوى في الولد.

ألا ما أعظم منهج الإسلام في التربية حينما يسير المربون على هداه ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون[2].



(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٨٢٦-٨٢٩.

٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جاداً أو مازحاً، والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً

الحديث رقم (١٧٨٥)

١٧٨٥- عن أبي هريرة ﵁، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: ((لاَ يُشِرْ أحَدُكُمْ إلَى أخِيهِ بِالسِّلاحِ، فَإنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)). متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2] قال: قال أبو القاسم ﷺ: ((مَنْ أشَارَ إلَى أخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى (يَنْزِعَ)[3]، وَإنْ كَانَ أخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)).

قوله ﷺ: "يَنْزِعَ" ضبط بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها، ومعناها متقارب، ومعناه بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضًا يرمي ويفسد، وأصل النَّزْع: الطعن والفساد.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينزع في يده: أي يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته[4].

الشرح الأدبي

لقد حرص الإسلام على أمن كل مسلم، وأوجب المحافظة على نفسه وماله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٦/١٢٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٣٣).

(٢) برقم (٢٦١٧/١٢٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٣٤).

(٣) لفظ مسلم: (يدعه)، وعند المنذري بياض في الأصل، فقدره المؤلف أن يكون: (ينزع) لأن محقق الترغيب قال في (٤٧٤/٣، هامش رقم١): في: (أ) (ينتهي)، ولفظة: (ينتهي) ليست في مسلم، ولا في: (ج)، وهذا مما يؤكد أن في الأصل بياضًا.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٥٨.

وعرضه؛ فكل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، وقد نوَّع الإسلام العقوبة، وجعل منها "تفويضية"، بحسب ما يراه الحاكم في كل زمان ومكان وحال، وأخرى "نصية" لا يجوز تعديلها، ولا اعتراض عليها؛ ليشمل بتشريعه كل أنواع الجريمة، ولتكفل العقوبات عليها راحة المجتمع وأمنه وسعادته، بقدر الإمكان.

وهذا الحديث الشريف يعد حماية لكل مسلم، وهو من سبل الأمن الوقائي؛ حيث يتجنب المسلم المواقف التي يمكن أن تقوده لارتكاب المحظور، وإيذاء الآخرين.

ولذلك يبدأ الحديث بالنهي الحاسم الجازم، أو النفي الذي يحمل دلالة النهي في قوله: "لا يشر أحدكم"، وتحديد لفظ "أخيه" يرشد إلى الرابطة الإسلامية، التي تجمع المؤمنين، فهم إخوة، وأخوة الإيمان أقوى من أخوة النسب، وأعظم منها عند الله عز وجل.

والتعليل الوارد في الحديث لهذا النهي يبدأ بالتأكيد، وفاء التعليل؛ حيث قال: "فإنه لا يدري"؛ لأن السلاح يغري الإنسان، والشيطان يدفع حامل السلاح إلى الطعن والقتل، بدافع الغرور، ووهْم القوة والسيطرة، والعطف بالفاء في قوله: "فيقع في حفرة من النار": يفيد السرعة في الأحداث، والإسراع في العقوبة، التي تلحق بهذا الذي أشار بالسلاح إلى وجه أخيه، فأغراه الشيطان، فارتكب حماقة الإضرار والإيذاء؛ من قتل أو جرح بالغ، ولا يحصد إلا الندم، ولا يجني إلا العقوبة، ومثواه جهنم وبئس المصير. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن إيذائه، وترويعه، وتخويفه، والتعرض له، بما قد يؤذيه.

وقوله ﷺ في رواية مسلم: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" مبالغة في إيضاح عموم النهي في كلٍّ على حد سواء، من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هزلاً ولعباً، أو لا، لأن ترويع المسلم يحرم بكل حال[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٧٠/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/١٣، وأيضاً: المحلى، ابن حزم ١١٠/١١، والفروع، ابن مفلح ٣٤٤/٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإشارة للمؤمن بالسلاح أو ترويعه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التماس وسائل الأمن والبعد عن تعاطي السيف مسلولاً.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس الإنسان وسلامة بدنه.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله ﷺ "لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إيقاف المدعوين وإعلامهم بالمخالفات الشرعية وتحذيرهم منها، وقد تكرر أسلوب النهي في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3] والنهي من الأساليب التي يتسابق المؤمن لتحقيق الوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية والطاعة لله[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإشارة للمؤمن بالسلاح أو ترويعه:

لقد رهّب الإسلام ومنع من ترويع المؤمن حتى ولو بمجرد الإشارة بحديدة، فجاء في الحديث "لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلام فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" وبين رسول الله ﷺ أن ذلك سبب للعنة الملائكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: ((مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨٦).

(٢) سورة الإسراء، آية:٣٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٧.

(٤) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

تَلْعَنُهُ. حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ))[1]. قال القاضي عياض: (وقوله: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه": ظاهر الحديث على غير قصد إلا بجهة اللعب والترويع بالهزل، بدليل ذكره، لأخيه لأبيه وأمه الذي لا يبهم عليه، وترويع المسلم حرام، وبدليل قوله في الحديث الآخر: "فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار"، وكذا رويناه بالعين المهملة، قيل: معناه: يرمي في يده، أي يدفع يده ويحقق ضربته. ومن رواه بالغين المعجمة فمن الإغواء ونزع الشيطان، أي يحمله على تحقيق الضرب به وقصده، وتزيين ذلك له، لاسيما عندما يحدث من جهته عند الملاعبة، أو هجر بغير حال، وأن الهزل قد يفضي إلى الجد)[2].

وقال القرطبي: (ولعن النبي ﷺ للمشير بالسلاح: دليلٌ على تحريم ذلك مطلقاً، جداً كان أو هزلاً، ولا يخفى وجه لعن من تعمَّد ذلك؛ لأنه يريدُ قتلَ المسلم أو جرْحه، وكلاهما كبيرة. وأما إن كان هازلاً؛ فلأنه ترويعُ مسلم، ولا يحل ترويعُه؛ ولأنه ذريعةٌ إلى القتل والجرح المحرَّمين. وقد نصَّ في الرواية الأخرى على صحَّة مراعاة الذَّريعة، حيث قال: "فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزعُ في يده فيقع في حفرةٍ من النار".

وقوله: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" يعني: أن ذلك محرَّم، وإن وقع من أشفق الناس عليه، وأقربهم رحماً، وهو يشعرُ بمنع الهزل بذلك. ونصال: جمع نصل، وهي -هنا-: حديدةُ السهم، وتكراره: "فليأخذ بنصالها" ثلاث مرات على جهة التأكيد والمبالغة في سدّ الذريعة، وهو من جُملة ما استدلَّ به مالك على أصله في سد الذرائع)[3].

وقال النووي: (فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ وإن كان أخاه لأبيه وأمه مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦١٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٠١.

لا ، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال)[1]، وبهذا حرم الإسلام ترويع المسلم، وفي ذلك تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه"[2].

(وذلك أن ترويع الآخرين يترتب عليه مفاسد اجتماعية جمة، منها زعزعة القلوب، وانعدام الأمن والاطمئنان، ونشر الذعر والفزع بين الناس، ونزع الثقة والرحمة بين الناس، وتشتيت جهود الأمة، وتأخر المجتمع عن ركب الحضارة والعمران)[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التماس وسائل الأمن والبعد عن تعاطي السيف مسلولاً:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين باتخاذ الحذر والحيطة في الأمور عامة، فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[4] وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب. ومن ذلك ما جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ "أن يُتعاطى السيف مسلولاً" أي نهى عن تناول السيف مسلولاً، لأنه قد يخطئ في تناوله فيجرح شيئاً من بدنه، أو يسقط على أحد فيؤذيه[5]. ويحصل الفساد، وفي معنى السيف السكين -وما شابهها- فلا يرميها والحد من جهته، والأدب في تناولها أن يمسك النصل المحدود في يديه من جهة قفاه، ويجعل المقبض إلى جهته ليتناولها بالنصال[6].

ولقد أوضح ابن عثيمين هذا الأمر وذكر بعض صور المخالفات الشرعية في ذلك والتي تقع من الكثير في عصرنا الحاضر فقال "وكذلك ما يفعله بعض السفهاء، يأتي بالسيارة مسرعاً نحو شخص واقف أو جالس أو مضطجع يلعب عليه ثم يحركها بسرعة

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٥٨.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١١/٣٣٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٩/٣٨٣٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٠.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١١٣.

إذا قرب منه حتى لا يدهسه، هذا أيضاً ينهى عنه، كالإشارة بالحديدة، لأنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فلا يتحكم في السيارة، وحينئذ يقع في حفرة من النار، ومن ذلك أن يشرى الكلب به، يكون عنده كلب ويأتي إنسان آخر إليه زائراً أو نحو ذلك، فيشرى الكلب به يعني يغريه به، فإنه ربما ينطلق الكلب ويأكل هذا الرجل، أو يجرحه ولا يتمكن من فضه بعد ذلك، فالمهم: أن جميع أسباب الهلاك ينهى الإنسان أن يفعلها سواء أكان جاداً أم هازلاً، كما دل على ذلك الحديث[1].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس الإنسان وسلامة بدنه:

إن من أهم الضرورات الواجب حفظها في الإسلام نفس الإنسان وبدنه، وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وعظيم منزلته، فلا يجوز الاعتداء عليه لا من قريب ولا من بعيد، بطريق مباشر أو تسبب فيه[2]، وكما أشير إلى ذلك في الحديث "نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً" لما في ذلك من تسبب الأذى إلى النفس التي جاء الإسلام آمراً بحفظها، كما في الحديث النهي عن التهديد بالسلاح في المزاح به، لئلا يتسبب في قتل أو جرح المسلم لأخيه المسلم فيستحق عذاب النار، وهو بالإشارة أو التهديد يتعرض للعن الملائكة، كما جاء النهي عن مناولة السيف أو السلاح من حده القاطع، لأن في ذلك تعريضاً للإيذاء وتلاعباً بسلامة المؤمنين[3].

إن كل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواه وزواجر وعقوبات، كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد[4] والضرورات الخمس "الدين، والنفس والعقل والنسب والمال[5]"، قال الشاطبي: (ومجموع الضرورات خمس، وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين)[6].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٢٦/٢.

(٢) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ١٢١/٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٨٠٥.

(٤) انظر: بحوث هامة، الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله علوان، ص ٦٢.

(٥) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي بن صالح المرشد ص ٦٠.

(٦) الموافقات، الإمام الشاطبي ٨/٢-١٠.

الحديث رقم (١٧٨٦)

١٧٨٦- وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً. رواه أبو داود والترمذي[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتعاطى السيف مسلولاً: مخرجاً من غمده[٢].

الشرح الأدبي

يتسم هذا الحديث الشريف بالإيجاز؛ فهو يتكون من جملة واحدة، رواها جابر رضي الله عنه، وهو سنة عملية؛ لأنه ليس فيه من ألفاظ رسول الله كلمة واحدة؛ وإنما ينقل الراوي عن رسول الله: أنه نهى عن أن يتعاطى السيف مسلولاً، والمجرور بعد "عن" جملة "أن يتعاطى السيف مسلولاً"، وهذه الجملة مكونة من "أن" المصدرية الناصبة، والفعل المضارع المبني للمجهول، منصوب بأن، والسيف نائب فاعل، ومسلولاً: حال من السيف، والفاعل ليس مجهولاً، ولكنه حذف للعلم به؛ لأن السيف لا يحمل نفسه، والمصدر المؤول الذي يفيد معنى: تناول السيف وحمله، يفيد أن حامل السيف المسلول يتكلف حمله، ويكون مستعدًا ضمنيًا للإيذاء، ويمكن أن يؤذي نفسه؛ لأن السيف في وضع الاستعداد، والسيف في هذه الهيئة أصبح كأنه الفاعل؛ لأن الفاعل الحقيقي للإيذاء هو السيف، فالفاعل هو من قام بالفعل أو اتصف به، ومعنى تعاطى السيف، أي: تناوله، قال تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[٣]، أي: تناول الناقة بسيفه فعقرها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٨٨)، والترمذي (٢١٦٣) ولفظهما سواء. قال الحافظ في الفتح (١٣/٢٥): إسناده صحيح.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ل).

(٣) سورة القمر، آية: ٢٩.

ورسول الله ﷺ كان القدوة في ذلك؛ فما انتقم لنفسه، وجاء في الأثر: "ما لعن رسول الله مسلمًا بذكرٍ" أي: بصريح اسمه، "وما ضرب بيده شيئًا قطُّ إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سُئل شيئًا قطُّ فمنعه، إلا أن يُسأل مأْثمًا، ولا انتقم لنفسه من شيءٍ إلا أن تُنْتَهك حُرُمات الله فينتقم". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة تعاطي السيف، ومناولته مسلولاً، لما يخاف من الغفلة عند التناول، فيجرح شيئاً من يده، أو يسقط على أحد فيؤذيه[1].

وفي هذا رعاية كاملة للإنسان.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/١٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٨/٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨١/٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

إن ترويع المسلم وتعريضه للأذى من الأمور التي نهى عنها النبي ﷺ من أجل ذلك جاءت التوجيهات النبوية لوقاية المسلم من الأذية وتجنيبه ما يسعى إليه الشيطان، لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، فقال ﷺ: « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ. حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

كما أنه نهى ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً.

إن النهي عن إشارة المسلم إلى أخيه بسلاح جادًا أو مازحًا - إذ الإنسان عرضة للشيطان، إلا من عصمه الله - فقد يحمله الغضب لأقل شيء على قتل أخيه المؤمن، أو جرحه فيندم، وقد سبق السيف العذل، ويقول بعد ذلك ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، ويا أسفا على ما صنعت بأخي لكلمة سمعتها منه، أو لشيء بلغني عنه، أو لحق ضئيل تعدى علي وأضاعه، وكان يسعني العفو عنه، واحتمال أذاه ومسامحته أو انتظاره، ولكنها نزعات الشيطان وتحكمه في، لتسلطه عليّ، ولعدم الامتثال لأوامر الله القائل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ المسلم عن أن يشير بالسلاح لأخيه المسلم وقاية له من أن يقع في حبائل الشيطان، فيؤذي أخيه أو يقتله فيوقعه فيما يجره إلى النار، ويدفعه إلى سخط الله.

هذا النهي وإن كانت الإشارة بالسلاح مزاحًا سداً للذريعة، وخوفًا من الشيطان، لأن هذا المزاح قد تكون عاقبته وخيمة، ويفضي إلى ترويع المسلم، وربما أدى إلى قتله وسفك دمه، وكم نعرف من الحوادث التي وقعت من هذا النوع كمن يزعج الآمن بالصياح وراء ظهره أو عند أذنه. وكمن يطلق الرصاص فوق رأس أخيه ليخيفه،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

وكذلك بالترويع بهاون السيارة، والمرور بها إلى جانب الوادع الآمن. فيطيش لبه، ويكاد ينفطر قلبه، ويدخل فيما ذكر الترويع بالسيارة والدابة الجموح، وما يفعله الأحمق الطائش من الصواريخ المفرقعة في الأعياد والأفراح عند أبواب المساجد، وحين يمر بهم الضعيف والعاجز والمستغرق في التفكير، وتوجد اليوم صور حيوانية كالثعابين يطرحها المرء على أخيه الذي لا يعرفها فيتوهم الشر، ويفزع فزعه تتخلع لها القلوب، وما أكثر ضحايا المزاح المذموم[1].

ومن التربية الوقائية التي جاءت في باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه... نهيه ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً؛ لأن المتناول قد يخطئ في تناوله فيصاب بجرح في يده أو شيء من جسده.

ويدخل في معنى السيف السكين، فلا يرميها والحد من جهته[2].

فهذه التوجيهات والتحذيرات النبوية إنما كان الدافع منها الإشفاق على المسلم أن يؤذي أخاه المسلم، وحفظه من كيد الشيطان الذي يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه المسلم.

فإذا التزم المسلم بهذه النصائح والتوجيهات، كانت له وقاية من أذية أخيه المسلم أو قتله، ووقاية من حبائل الشيطان وكيده، ووقاية من النار وعذابها.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

يعد الترهيب من أساليب التربية التي لا يستغنى عنها المربي فهو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى[3]، وقد رهب النبي ﷺ المسلم من الإشارة بالسلاح إلى أخيه فقال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ.

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، الشيخ/محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني ص ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/ ٢٥٠.

(٣) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين ص ٣٦.

حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة.

ولأهمية أسلوب الترهيب في العملية التربوية، فقد استخدمه رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية.

ويتحتم على المربي استخدام أسلوب الترهيب في بعض المواقف التربوية للطفل، ولكن يجب عدم المبالغة في استخدامه في التربية، لأن كثرة استخدامه تؤدي إلى الآثار السلبية في نفسية الطفل، ويعتبر أسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد، ولا غنى للمربي عنه إذا أحسن استخدامه[1].



---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٦-٤٠.

٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

الحديث رقم (١٧٨٧)

١٧٨٧- عن أبي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: كُنَّا قُعُوداً مَعَ أبي هريرة ﷺ في المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فقال أبو هريرة: أَمَّا هذَا فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة لكل من يرجو النجاة في الدنيا، والفوز في الآخرة؛ استجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]، ولقول المصطفى ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر"[3]، وهذا الحديث الشريف ليس قولاً مجرداً سيق للموعظة والإرشاد؛ ولكنه سلوك واقعي ... شهده الصحابة، وهو سلوك مخالف لسنة رسول الله ﷺ؛ حيث خرج أحد الرجال من المسجد بعد أن أذن المؤذن.. ولم ينتظر حتى تقام الصلاة ... وأبو هريرة ﷺ ظل يتابعه ببصره، حتى أيقن وشاهد أنه خرج من المسجد ولم يُصلِّ،

---

(١) برقم (٢٥٨/٦٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦١١).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٦١٥، واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٨٥٩) وبعضه عند مسلم برقم ٢٢٧٨. .

فقال في استنكار واعتراض على هذا المسلك المخالف لسنة رسول الله ﷺ: "أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم".

والحديث يَنْزع إلى القالب القصصي؛ فيبدأ بالفعل "كُنَّا"، ثم يتوالى عطف الأفعال بالفاء التي توحي بالسرعة وتعاقب مشاهد الحدث، التي تتوالى على هذا النسق، "فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره، حتى خرج"، وبعد هذه الحركة المتعاقبة والمتتابعة من أبي هريرة رضي الله عنه، يسرع أبو هريرة قائلاً: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم"، وهذه الجملة تتضمن معنى الشرط والجواب، وتتضمن إيجازًا بالحذف، حيث حذف العقاب الذي يتضمنه العصيان، وهو غضب الله عز وجل عليه، وغضب رسول الله ﷺ؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: عدم جواز الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلى، وذلك لأنه دعاء إلى صلاة الجماعة، فمن خرج حينئذ، فقد قصد خلافهم وتفريق جماعتهم، وهو أمر ممنوع.

ويستثنى من عدم جواز الخروج، ما إذا نوى الرجوع، أو كان خروجه لعذر كما لو أحدث، أو رعف، أو نحو ذلك، ففي هذه الحالات وأمثالها لا يحرم الخروج.

ومثل ما تقدم في عدم الحرمة، من كان إماماً في مسجد آخر تتفرق الجماعة بغيبته، فإنه يجوز له أن يخرج بعد النداء.

على أن ما تقدم من حرمة الخروج من المسجد بعد الأذان هو ما ذهب إليه المالكية[2]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٤٦٤/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٦٧/١.

والحنابلة[١]، وكذا الحنفية[٢]، فقد قالوا: إنه مكروه كراهة تحريم.

أما الشافعية[٣] فقد قالوا بالكراهة، ويبدو أن هذا هو ما اختاره النووي، فقد عنون الباب بـ (كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان).

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة.

ثانياً: من مها الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين، والتنبيه على المخالفات الشرعية.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ في انتظار الصلاة في المسجد وعدم الخروج عند الأذان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة:

أشير إلى ذلك في الحديث من خلال بيان أهمية الجلوس في المسجد، وانتظار الصلاة وعدم الخروج من المسجد إذا أذن للصلاة، إلا لعذر من مرض أو حاجة داعية للخروج كحدث أو نحوه[٤]. فعن أبي الشعثاء، قال: "كنا قعوداً مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد، فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة، أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ". قال القاضي عياض: (وقوله للذي خرج بعد النداء: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم" تشديد في الخروج من المسجد بعد النداء لغير ضرورة من تجديد طهر أو غيره)[٥]. وقال القرطبي: (قول أبي

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٢٨٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٥/١، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٧٣/١.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٥/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٧٨/٢، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٤/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٥/٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٦٢٨/٢.

هريرة في الخارج من المسجد: أما هذا فقد عصى أبا القاسم. محمول على أنه حديث مرفوعٌ إلى رسول الله ﷺ، بدليل ظاهر نسبته إليه في معرض الاحتجاج به. وما كان يليقُ بواحدٍ منهم للذي عُلم من دينهم، وأمانتهم، وضبطهم، وبعدهم عن التدليس ومواقع الإيهام. وكأنه سمع ما يقتضي تحريم الخروج من المسجد بعد الأذان، فأطلق لفظ المعصية. فإذا ثبت هذا استثمر منه: أن من دخل المسجد لصلاة فرض، فأذَّن مؤذِّن ذلك الوقت حَرُم عليه أن يخرج منه لغير ضرورة حتى يصلي فيه تلك الصلاة؛ لأن ذلك المسجد تعين لتلك الصلاة، أو لأنه إذا خرج قد يمنعه مانع من الرجوع إليه أو إلى غيره فتفوته الصلاة)[1].

قال النووي: (قوله في الذي خرج من المسجد بعد الأذان "أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ" فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي المكتوبة إلا لعذر)[2] كأن يكون حاقناً يعني يحتاج إلى أن ينقض الوضوء، أو أصابه مرض يحتاج إلى أن يخرج معه، أو كان إماماً لمسجد آخر، أو مؤذناً في مسجد آخر، أما إذا لم يكن له عذر فيكره الخروج من المسجد، وذلك أن المؤذن إذا أذن فإنه يقول للناس: حي على الصلاة يعني أقبلوا إليها، والخروج من المسجد بعد ذلك معصية، فإنه يقال: أقبل، ولكن يدبر"[3].

ثانياً- من مهام الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين، والتنبيه على المخالفات الشرعية:

يتضح ذلك من خلال فعل أبي هريرة رضي الله عنه من ملاحظته خروج رجل من المسجد بعد الأذان، وتنبيهه بأن ذلك معصية لرسول الله ﷺ، فعن أبي الشعثاء، قال: كنا قعوداً مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد، فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٢٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٨٢٤، ١٨٢٥.

أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ وذلك من فطنة الداعية ومتابعته للمدعوين، وذلك مما ينبغي على الدعاة التحلي به، فالداعية والمربي الناجح لا ينتظر أن يخبر بأحوال المدعوين، بل إن فطنته تدعوه للشعور بأحوال من يربيهم، فيبادر لإزالة ما قد يلحق أذهانهم من لبس، ويصحح ما قد يقعوا فيه من أخطاء أو تجاوزات شرعية[١].

وللداعية الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في رسول الله ﷺ في ملاحظاته لأصحابه وتفقده لهم ولأعمالهم والتعرض لها تقييماً وتقويماً، وهذه الملاحظات إنما كانت في جميع الاتجاهات وعلى مختلف الصُعد.

فمن ملاحظاته في التربية الاجتماعية ما روي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. قال: رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: ما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[٢].

ومن ملاحظاته في التحذير من الحرام ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ((أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعله في يده. فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ))[٣].

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك))[٤].

---

(١) انظر: المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٣٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

ومن ملاحظاته في إرشاد الكبار ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة))[1].

ومن ملاحظاته في التربية الخلقية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه ((أن رجلاً ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً. فقال النبي ﷺ: ويحك قطعت عنق صاحبك. يقول مراراً: إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحداً))[2].

ومن ملاحظاته في التربية النفسية ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا؟ فقال: فأرجعه. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ أفعلت هذا بولدك كلهم؟. قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

وفي رواية: قال ﷺ: فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور[3].

ومن ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: ((مشيت مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ، فأدركه أعرابي فجذبه -أي جذب الثوب- جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله وقد أثر فيه حاشية البرد من شدة جذبه. ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ثم أمر له بعطاء))[4].

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على

---

(١) أخرجه ابو داود ٤٩٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٦١، ومسلم ٣٠٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٨٦، ومسلم ١٦٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٨.

هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية، تؤكد حرص الرسول ﷺ في تربية الناس، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستوياتهم[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ في انتظار الصلاة في المسجد وعدم الخروج عند الأذان:

جاء في الحديث ما يدل على كراهية مخالفة النبي ﷺ فيما بينه لنا من آداب للمساجد والصلاة، والتي منها انتظار الصلاة وعدم الخروج من المسجد إذا أذن للصلاة إلا بعد أداء المكتوبة، فالخروج من المسجد قبل صلاة المكتوبة التي دخل وقتها عدها أبوهريرة رضي الله عنه معصية لرسول الله ﷺ، حيث قال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم" وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحذرنا من المخالفة، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٢] وهذا أمر بامتثال الأمر، والكف عن المنهي عنه، وكرر "وأطيعوا" في ذكر الرسول تأكيداً، ثم حذر من مخالفة الأمر، وتوعد من تولى بعذاب الآخرة، فقال ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ في تحري ما أمر بتحريمه، وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب بحسب ما يُعصى أو يطاع[٣]. وقد أمرنا الله بالتأسي برسول الله ﷺ فيما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير وغير ذلك، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] قال ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ فقال: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" أي هلا اقتديتم

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠-٧٣٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٦/٢٩٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

به وتأسيتم بشمائله؟"[1]. والتأسي برسول الله ﷺ يكون في جميع ما نقل عن النبي ﷺ، قال الطاهر بن عاشور: وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء في أقواله وأفعاله بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى، وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٩١.

(٢) التحرير والتنوير، ٨/٢١/٣٠٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من وسائط التربية في الإسلام: المسجد:

المسجد أول وسائط التربية في الإسلام وأهم وسيط، فقد كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ عندما وصل المدينة بناء المسجد، لأن المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجؤون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة، والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبرًا وبأسًا وإقدامًا ووعيًا وتبصرًا ورباطة جأش، وبُعد نظر، وتفاؤلاً ونشاطًا[1].

والمسجد كوسيط تربوي ظهر في الباب في قول أبي الشعثاء: كنا قعودًا مع أبي هريرة في المسجد.

والمسجد له أثره التربوي والاجتماعي في حياة الأمة، فعندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين للصلاة وذكر الله فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية التي تساعدهم على فهم أمور دينهم والسؤال عما خفي عليهم وفيه يتعلمون الحديث والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للإنسان، ومن هداية الله وسنة رسوله.

ومن العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها، ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله.

فالمسجد يعمل على تعليم الناشئين أمور دينهم، والمبادئ والقيم التي ينبغي أن يتربى المسلم عليها وينطلق منها، إن هدف التربية الإسلامية هو: إخلاص العبودية لله،

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٨.

وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفوًا من غير قصد ولا تكلف(١).

ثانيًا: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن التربية بالملاحظة والمتابعة من أهم أسس التربية الإسلامية، تظهر الملاحظة والمتابعة في قول أبي الشعثاء: «كنا قعودًا مع أبي هريرة ﵁ في المسجد، فأذن المؤذن، فقام رجل في المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد».

لقد تأسى أبو هريرة ﵁ بالنبي ﷺ في حسن رعايته لأصحابه، وتفقده لهم، وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنيهم والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم، وتعليم الجهلة فيهم(٢).

فعلى المربي أن يلحظ الولد، ويتابعه، ويلزم أدبه ويراقب حركاته وسكناته.. حتى إذا أهمل حقًا أرشده إليه وإذا قصر في واجب حضه عليه، وإذا رأى منكرًا نهاه عنه، وإذا فعل معروفًا شكر له صنيعه..

ومن الأمور التي لا يختلف عليها اثنان، أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها، ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته.. فإن رأى خيرًا أكرمه، وإن رأى شرًا نهاه عنه وحذره منه، وبين له عواقبه الوخيمة. ونتائجه الخطيرة، وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف، ويتوجه - ولا شك - نحو الزيغ والانحلال... فعندئذ يكون هلاكه المحقق ودماره المحتوم(٣).

ثالثًا: التربية بالأحداث والمواقف:

المربي الناجح هو الذي لا يدع موقفًا أو حدثًا يمر عليه دون أن يفيد منه في التربية الإسلامية، وهذا واضح في موقف أبي هريرة ﵁ من الرجل الذي خرج وقت الأذان دون أن يصلي صلاة الجماعة حيث قال: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ»، فلم

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧٣٠/٢.

(٣) المرجع السابق، ٧٢٩/٢، ٧٣٠.

يدع الحدث والموقف يمر دون أن يوجه إلى أهمية أداء الصلاة الجماعة وعظمها، وأن هذا الخروج فيه مخالفة لهدي النبي ﷺ.

والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه، ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان فالأحداث[1] وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[2].

والمربي حقًا "لايترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها"[3]. والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية وعن طريق التأمل، إن كانت داخلية[4].

فعلى المربي أن يستغل المواقف والأحداث التي تمر به في تربية النفوس وصقلها وتهذيبها.



---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٨.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٤٢.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠، ط دار الشروق.

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفره ص ٧٢.

٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر

الحديث رقم (١٧٨٨)

١٧٨٨- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ريحان: هو كل نبت مشموم طيب الريح[٢].

المَحْمَل: الحَمْلُ[٣].

الشرح الأدبي

لقد كانت الرائحة الطيبة من صفات رسول الله ﷺ وإن لم يمس طيباً.

وقال أنس: ما شَمَمْتُ ريحًا قطُّ، ولا مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٤].

وفي رواية البخاري: ولا شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبيِّ ﷺ.

وهذا الحديث الشريف باقة من عطر كلام رسول الله ﷺ، ونفحة من شذا توجيهاته المعطرة، وجماله التعبيري يكمن في صياغته اللغوية، وهي صياغة توحي بالإلزام ووجوب قبول الهدية، وما أدراك ما هيه؟ إنها "الريحان"، وهو ذو رائحة طيبة، وليس غالي الثمن مثل المسك.

والرسول ﷺ ينهى عن رد هدية الريحان، ولم يقل: من أُهدي إليه، وإنما قال: من

---

(١) برقم (٢٠/٢٢٥٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٠٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ح م ل).

(٤) أخرجه أحمد.

عرض عليه ريحان فلا يرده، والتعبير بالفعل "عرض"، يدل على كثرة هذا السلوك؛ لأن الريحان في متناول الكثير؛ فهو ليس عطية باهظة الثمن، وإنما فيه مودة ومحبة وألفة، وحرص على تبادل الأشياء الطيبة النافعة، والجملة الثانية: تعليل للنهي عن ردّ عطية الريحان، وجاء التعليل مؤكداً بـ"إن"، وقد وَرَد هذا التعليل مُضمَّخاً بسببين مقنعين؛ وهما: أن الريحان خفيف المحمل، طيب الريح، وفي الحديث، كما يقول صاحب دليل الفالحين: الترغيب في استعمال الطيب وعرضه على من يستعمله، لا سيما عند حضور الجمعة والجماعات ونحوهما.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: كراهة رد الريحان، وغيره من الطيب، إلا لعذر وقد كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب لمحبته فيه[2].

والحديث يدل على أن رد الطيب خلاف السنة، ولهذا نهى النبي ﷺ عنه، وأعقب النهي بما يفيد انتفاء موجبات الرد، لأنه باعتبار ذاته خفيف الوزن، لا يثقل حامله، وباعتبار عرضه طيب، لا يتأذى به من يعرض عليه، فلم يبق حامل على الرد، فإن كل ما كان بهذه الصفة محبب إلى كل قلب، مطلوب إلى كل نفس[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قبول الطيب، وعدم رده.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الروائح الزكية، وكل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في قبول الطيب وعدم رده.

---

(١) الحديث رقم (١٧٨٨)، (١٧٨٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧١/١٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠/١٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٥٣/١١.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥٨/١-١٥٩.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨٩).

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على قبول الطيب، وعدم رده:

إن الإسلام دين جمال وذوق ومراعاة لشعور الآخرين، ومن مظاهر ذلك نجد أن الإسلام رغب في التطيب، وحث على التهادي به وقبول هديته واستعماله وتداوله بين المسلمين، ووجه النبي ﷺ المسلمين إلى عدم رد الطيب، بل نهى عن ذلك كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الريح" وكان ﷺ لا يرد الطيب، فعن أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب"، قال النووي: (ويحتمل عندي أن يكون المراد بالريحان في هذا الحديث الطيب كله، وفي الحديث كراهة رد الريحان لمن عرض عليه إلا لعذر)[1].

قال ابن علان: (قال القرطبي: أشار إلى قبول عطية الطيب لأنه لا مؤنة لحمله، ولا منة للخلق في قبوله، لجريان عادتهم بذلك، اهـ، وفي الحديث الترغيب في استعمال الطيب وعرضه على من يستعمله لاسيما عند حضور الجمعة والجماعات ونحوهما)[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب التطيب والروائح الطيبة كالبخور ونحوه، ولقد نقل عنه الصحابة ذلك في أكثر من حديث، من ذلك ما روي عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا استجمر استجمر بالألُوَّة غير مُطرّاه وبكافور ويطرحه مع الألوة ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ[3].

قال القاضي عياض: (وفيه جواز استعمال البخور للرجال، واستعمال الأرايج الطيبة من جميع وجوهها وأنواع الطيب، وذلك مندوب إليه في الشريعة لمن قصد به مقاصده، من امتثال أمر نبيه ﷺ بذلك ليوم الجمعة، والأعياد، ومجامع الناس؛ ليدفع عن نفسه ما يكره من الروائح، وليدخل على المؤمنين راحة ويدفع عنهم مضرة، وما يوافق الملائكة من ذلك في المساجد، ومظان حلق الذكر وغيرها، وليقوى دماغه، ويصلح

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٠٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٥٤.

خاطره، ويطيب نفسه؛ لتأثير الطيب في تقوية هذه الأعضاء، وليعينه على ما يحتاج إليه من أمور النساء، فله في ذلك من التأثير ما لا ينكر، ولتطيب رائحته عند أهله وإخوانه المؤمنين، وتظهر مروءته ونظافته؛ وقد بني الإسلام على النظافة.

ولا يفعل هذا فخراً أو رياءً واختيالاً بدنياه، ومباهاة بوجده، فالله لا يحب كل مختالٍ فخور[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الروائح الزكية، وكل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس:

إن الألفة والمودة وغيرهما من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية هي التي تؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمتعة في التضام، وهي التي تشد بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض، وتوفر للمجتمع جواً اجتماعياً سليماً صحيحاً لنمو الشخصية السوية[٢]، ولقد رغّب الإسلام في كل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس، سواء كانت معنوية كحسن الخلق والأدب، أو حسية كالابتعاد عن أسباب النفرة والتماس أسباب المودة والمحبة كالنظافة والتطيب وغيرها، ويزداد الترغيب في أماكن التجمع كالجمع والجماعات وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ. جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ. وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[٣] ولا يقتصر استحباب التطيب في العبادات، وإنما يمتد هذا الاستحباب ليشمل جميع أوقات وأحوال الإنسان، فيستحب للرجل التطيب داخل بيته وخارجه بما يظهر ريحه ويخفي لونه، كبخور العنبر والعود، ويسن للمرأة في غير بيتها بما يظهر لونه ويخفي ريحه، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ))[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٧/١٩٥.

(٢) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، دار المجتمع، السعودية، ١٤١١هـ، ط١ ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٩١٥).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٨).

وذلك لأن المرأة ممنوعة في غير بيتها مما ينم عليها، لقوله ﷺ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ استَعْطَرتْ، فَمَرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَها فهي زَانِيَةٌ))[1]. أما في بيتها فتتطيب بما شاءت، مما يخفى أو يظهر لعدم المانع[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في قبول الطيب وعدم رده:

من الأمور التي ينبغي الائتساء فيها برسول الله ﷺ قبول الطيب لما جاء في الحديث من نهيه ﷺ عن رد الطيب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب" ولقوله ﷺ "من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح" ولما صرح به ﷺ من حبه للطيب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((حُبِّبَ إلَيَّ النِّساءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ))[3] والطيب من جملة أشياء نهى عنها النبي ﷺ عن ردها؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ((ثَلاَثٌ لاَ تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ وَالدُّهْنُ وَاللَّبَنُ))[4] الدهن يعني به الطيب، قال ابن علان: (وقد نظم بعضهم ما يسن قبوله فقال:

قد عُرِفَ من سنة خير الورى ... صلى عليه الله طول الزمن

أن لا يُرَدَّ الطيبُ والمستكا ... والتمرُ أيضاً يا أخي واللبن

وزاد السيوطي عليه أربعة ونظمها في قوله:

عن المصطفى سبع يسن قبولها ... إذا ما بها قد أتحفَ المرءَ خِلاَّنُ

فحلوى وألبان ودهن ووسادة ... ورزق لمحتاج وطيب وريحانُ

ونظمتها كذلك فقلت:

سبعٌ يُسن قبولها إن أهديت ... والرد يكره يا أخا العرفان

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٨٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٧).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٤/١٢.

(٣) أخرجه أحمد ١٢٢٩٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ٣٠٥/١٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦١٠).

لــبن وحلــوى طيــب دهــن وســادة رزق لمحتــاج مــع الريحــان[١]

فمما ينفع الإنسان ويحببه لأهله والناس: النظافة والطهارة، وجمال المظهر واللباس الحسن والطيب، فعلى المسلم أن يهتم لذلك، ويكون غرة جميلة عطرة طاهرة[٢]؛ فإن في ذلك نيلاً لمحبة الله ورضاه، وصحة للأبدان وقوة للأديان، وبعثًا للسرور والانشراح في النفوس، إضافة إلى ما في الطهارة والتماس أسباب الطيب والزينة، من وسائل الوقاية من الأمراض والأدران[٣].

وذلك مما شرعه الإسلام للحافظ على جسد الإنسان وسلامته، ومن شرائع الإسلام في ذلك الوضوء، حيث يتم فيه غسل الأطراف خمس مرات يومياً، ويسن تخليل الأصابع، وتعهد مواطن الأذى، وغسل الجسد على سبيل الوجوب، والاستنان وتجميل الجسد في حدود الشرع، فذلك مما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضاه؛ فعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس))[٤].

وحفاظاً من الإسلام على الإنسان روحاً وجسداً، دعا إلى تناول كل طيب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٥]. وأباح استخدام كل طيب مباح، بل أنكر على من يحرم شيئاً من الطيبات، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٦])[٧].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٤، ١٧٥٥.

(٢) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز ص ٢٨٤.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٧٤٠/٧.

(٤) أخرجه مسلم ٩١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٧) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي إبراهيم عوض، مطابع القدس، الإسكندرية، ط١، بدون تاريخ ص ١٣٩.

الحديث رقم (١٧٨٩)

١٧٨٩- وعن أنس بن مالكٍ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ طيب الرائحة، محمود السيرة، كريم الشمائل، وقال جابر ابن عبدالله: كان في رسول الله خصال، لم يكن في طريقٍ فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه؛ من طيب عرقه وعَرْفه، وقال الشاعر في تصوير ذلك:

فلو أن ركباً يمَّمُوك لَقَادَهم نسيمُك حتى يستدلّ به الركبُ

وعن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق.

وهذا الحديث الشريف برهان ساطع على صدق هذا النهج النبوي، وهذا السلوك الوضيء، الذي اتسم به رسول الله ﷺ؛ وهو أنه كان أحسن الناس وجهاً، وأنورهم لوناً، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

ولذلك يرد الحديث في صيغة التوكيد، ويبدأ بـ"أنَّ" المؤكدة التي تدل على تحقق هذه الصفة في رسول الله ﷺ، فهو كان لا يرد الطيب الذي يُهدى إليه.

والطيب كلمة جامعة مانعة، تتضمن كل أنواع الطيب، وأنواع العطر الطبيعي، والحديث السابق دعوة إلى قبول الريحان، وعدم رده، وهذا الحديث يدعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ في هذا السلوك الإنساني الجميل؛ لأن المؤمن يتسم بالوضاءة والإشراق، والنظافة وطيب الرائحة، وطيب السلوك، وطيب السريرة، وحسن السيرة، وحسن الخلق. والله أعلم.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (٢٥٨٢).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الجمالية:

خلق الله الإنسان، وجعل بينه وبين الكون وكل ما فيه ترابطًا بالإحساس والإدراك، فالإنسان من هذا الجانب ميال إلى الجمال، الرائحة العطرة في الكون تجذب إدراكه الحسي، والرائحة الكريهة ينفر الإنسان منها، والأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تجذب أحاسيس ومشاعر كل إنسان يرى هذه الأفعال، والمناظر البديعة في الكون والتناسق في مكوناته يثير إحساس الإنسان بالجمال، ويربي الإنسان على هذا المنهج الجمالي، والقرآن الكريم والحديث الشريف يوجهان الإنسان ويربيانه على حب الخير وعلى الإحساس والتذوق الجمالي[1]، ومن التذوق الجمالي الإحساس بجمال الرائحة الطيبة التي إذا عرضت على المسلم فلا يردها، قال ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلاَ يَرُدُّهُ. فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

كما أنه كان ﷺ لا يرد الطيب.

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين، ويسري في النفس إحساس بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات[2]، وحبذا استعمال الطيب لما له من رائحة طيبة، لها أثر طيب على النفس وانشراح الصدر، ويجلب المحبة بين الأصدقاء وهو سنة النبي ﷺ[3].

وللرائحة الطيبة أثرٌ في حفظ الصحة، فإنها غذاء للروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية، ويفرح القلب ويسر النفس ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشده ملائمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة؛ كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٤٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ومراجعه ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ١٤٦.

والملائكة تحب الرائحة الطيبة، وتتأذى بالرائحة الخبيثة، والشياطين تنفر من الرائحة الطيبة، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، فالخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في النساء والرجال، فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب، والملابس والروائح، إما بعموم لفظه، أو بعموم معناه[١].

فعلى المسلم أن يكون طيب الرائحة ويستعمل الطيب ولا يرده إذا أهدي إليه، ويعرضه على إخوانه في الجمع والجماعات والمجامع، لأن ذلك يؤدي إلى التآلف والمحبة بين المسلمين[٢].

فالسعيد من يتطلع إلى ناحية الجمال في الحياة، ومن الحكم الصينية القديمة "إذا كان لديك رغيفان من الخبز فبع أحدهما واشتر بثمنه باقة من الزهر".

والسعادة الحقيقية، لا تكون بإشباع حاجات الجسد، وإنما بإشباع حاجات الروح من المثل العليا، ونبل الإنسان حيث تتحصر في الحق، والخير، والجمال. ومن هذا ينبغي رعاية حاسة الجمال منذ نشأتها عند الطفل، وتهيئة المناخ الملائم لازدهارها، لأن الطفل فنان بطبعه، وهو مرهف الحس، رقيق الشعور، واسع الخيال، محب للحرية، وجانب النشاط الوجداني فيه أقوى وأوفى من أي نشاط آخر، وجوهر الفن التعبير الوجداني، ونشاط الطفل لا يعدو أن يكون في جميع مظاهره تعبيرًا مفصلاً عن مشاعره ورغباته. ولا يكون التعبير الفني جميلاً، إلا إذا كان صادقًا، ولا يمكن تذوق الناحية الفنية الجميلة، إلا إذا كانت تعبر عن جانب من جوانب أنفسنا[٣].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٧٨/٤-٢٨٠، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٨/٣، ٣٩.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٥٢/٣.

(٣) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ١٠٥/١، ١٠٦.

ثانيًا: التربية بالقدوة:

تعتبر القدوة من أهم أساليب التربية الإسلامية، وقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه رضي الله عنهم أهمية الاقتداء والتأسي به، فكان لا يأمر بشيء أو ينهي عن شيء إلا ألزم نفسه به قبل الآخرين، ومن ذلك ما ورد في هذا الباب من أنه ﷺ أمر المسلمين بعدم رد الريحان لرائحته الطيبة فقال: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلاَ يَرُدُّهُ. فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

وكان ﷺ يلزم نفسه بعدم رد الطيب، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب، فرسول الله ﷺ كان هاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به.

وتؤكد التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم على ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ، لتحقيق تصورات الإسلام لخلق الشخصية المسلمة، فالحديث الشريف تبرز فيه طريقة القدوة في التربية الإسلامية، محققة مع غيرها من الطرق لأهداف التربية الإسلامية، والمعلم لكي يكون قدوة[1] لابد أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به، حيث يربى على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسون به في كل حركاته، وسكناته، فضلاً عن أخلاقه ومنهجه، وإلا فإن التربية تنقلب إلى تلقين وحفظ وتسميع دون أي أثر عملي لها[2].

والتربية بالقدوة تساهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل المسلم من جميع جوانب التربية الإسلامية مثل الجانب الإيماني والصحي والخلقي والاجتماعي والعقلي والنفسي، ولا تقتصر أهمية القدوة في التربية على جميع مراحل الطفولة فقط، بل تستمر في جميع مراحل النمو التي يمر بها الفرد المسلم، ولكل إنسان في هذه الحياة قدوة إما أن تكون هذه القدوة حسنة أو سيئة.

وقدوة الطفل في البيت هما الوالدان، حيث ينظر لكل عمل أو تصرف يصدر

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٢٩.

منهما على أنه هو الصحيح، والذي يجب أن يؤخذه بعين الاعتبار وما سواه فهو الخطأ، ففي ضوء ذلك ينبغي على الوالدين أن يكونا قدوة حسنة صالحة لأبنائهم، فإذا أَمرا الطفل بأي عمل يجب أن يطبقوه على أنفسهم أولاً ثم على طفلهما وإذا نهيانه عن عمل يجب أن لا يأتوا بعمل مثله.

وأما قدوة الطفل في المدرسة فهو المعلم، فلا يصح أن يحث على الآداب والأخلاق الإسلامية ويعمل بخلاف ما قال، لأن المعلم هو في الحقيقة مُرَبّ أولاً ثم معلمٌ ثانيًا، وعلى ذلك ينبغي أن يكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه لكي يؤدي المسؤولية الملقاة على عاتقه وهي تربية التلاميذ على الآداب والأخلاق الإسلامية أولاً ثم تعليمهم العلوم المفيدة التي يستفيدون منها في حياتهم المستقبلية[1].



(١) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين ص ٧، ٨.

٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة

من إعجاب ونحوه، وجوازه لمن أمِنَ ذلك في حقه

الحديث رقم (١٧٩٠)

١٧٩٠- وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَة، فقالَ: ((أهْلَكْتُمْ – أوْ: قَطَعْتُمْ – ظَهْرَ الرَّجُلِ)). متفق عليه[1].

"والإطراء" المبالغة في المدح.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن الصدق في الحديث من سمات ومعالم الشخصية الإسلامية، ومن أمارات هذا الصدق: أن يكون الإنسان صادقاً في موقفه من الآخرين، فلا يكون إمعة، ولا يزين للآخرين مواقف السوء، ومقارفة المآثم، والاجتراء على الحق.

والحديث من مواقف المصطفى ﷺ، التي يواجه فيها بعض هؤلاء المادحين، الذين يبالغون في الثناء والمدح، والمبالغة في الثناء والمدح هي "الإطراء"، المذكور في الحديث؛ وقد سمعه النبي بنفسه؛ حيث يروي أبو موسى أن النبي ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال معقباً على ما سمع: "أهلكتم -أو قطعتم ظهر- الرجل"، وهذا التعبير كناية عن الهلاك، والمعنى هلاك الدين، لأن الرجل الممدوح يتولد له من ذلك إعجاب أو كبر يحجب عنه الحقيقة الساطعة.

وقد ترسَّم عمر بن الخطاب ﵁ هَدْيَ النبي ﷺ، في النهي عن التزيد في المدح، والغلو فيه، وعدّ ذلك مهلكة للممدوح والمادح؛ فهو ينفخ الممدوح ويغطرسه، وينفث في

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٦٦٣)، ومسلم (٦٧/٣٠٠١).

روعه الغرور والكبر، والغلو من المادح مظنة نفاق، وقال عمر: المدح ذَبْح، أي: ذبح للطرفين، وقال لرجل أثنى عليه: تهلكني وتهلك نفسك، وسمع رجلاً يمدح الجارود، ويقول: هذا سيد ربيعة، وقد سمعها الجارود ومن حوله، فخفقه عمر بالدرة، فقال: ولك يا أمير المؤمنين، فقال: أما لقد سمعتها، قال سمعتها، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطاطئ منك[١].

فقه الحديث

وفي الأحاديث من الفقه: كراهة مدح الغير في الوجه، وهذا محمول على من مدح الغير بما ليس فيه؛ لأن من أفرط في مدح الغير بما ليس فيه، لم يأمن من الممدوح العجب بنفسه، فقد يضيع العمل، ويترك الازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به[٢].

أما من مدح الناس بما هم فيه، فلا يدخل في النهي، فقد مُدح النبي ﷺ في الشعر، والخطب، والمخاطبة، ولم يحثُ في وجه مادحه التراب.

وعلاوة على الأحاديث التي وردت في النهي عن المدح في الوجه، وجدت أحاديث في الصحيحين بالمدح في الوجه، كقول الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه "ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك"[٣] وغير ذلك.

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه الفتنة، من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح.

أما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله، فلا ينهى عن مدحه في وجهه، بل إن كان يحصل بذلك منه مصلحة كنشاط في الخير أو في الازدياد منه، أو الدوام عليه، والاقتداء به، كان مستحباً[٤].

---

(١) انظر: شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، د. وليد قصاب، وانظر: الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٥٥/٤، عيون الأخبار، ٢٧٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٦/١٨، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠/١٣، وانظر: شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٥٠٢/١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على القصد وعدم مدح الشخص في وجهه إلا بالاعتدال وعدم التملق وتحري الحق.

ثانياً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء وبيان الصواب في المدح.

ثالثاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في مدح الشخص.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: استشعار أمانة الكلمة وعدم كيل المدح لغير المستحقين له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على القصد وعدم مدح الشخص في وجهه إلا بالاعتدال وعدم التملق وتحري الحق:

إن المبالغة في المدح والإطراء قد تؤدي في الغالب إلى الكبر والعجب بالنفس، لذا جاء نهي النبي ﷺ في الحديث عن المبالغة والإطراء في المدح، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: "سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل" وفي رواية أبي بكرة "ويحك قطعت عنق صاحبك". قال القاضي عياض: (قال العلماء: هذا كله في التفاوت في المدح ووصف الإنسان مما ليس فيه، أو لمن يخشى عليه العجب والفساد بسبب المدح)[2]. وقال القرطبي: (قوله: "ويحك! قطعت عنق صاحبك"، وفي حديث أبي موسى: "قطعتم ظهر الرجل" كل ذلك بمعنى أهلكتموه. ويعني بذلك كله: أن الممدوح إذا أكثر عليه من ذلك يُخاف عليه منه العجب بنفسه، والكبر على غيره، فيهلك دينه بهاتين الكبيرتين، فإذاً المدحُ مظنَّة الهلاك الديني، فيحرم، لكن هذه المظنة لا تتحقَّقُ إلا عند الإكثار منه، والإطراء به، وأما مع الندرة والقلَّة؛ فلا يكون مظنَّة، فيجوزُ ذلك إذا كان حقاً في نفسه، ولم يقصد به الإطراء، وأُمن على الممدوح الاغترارُ به. وعلى هذا يُحمل ما وقع للصحابة رضي الله عنهم من مدح بعضهم

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٩١).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٤٩/٨.

لبعض مشافهة ومكاتبة. وقد مُدح النبي ﷺ مشافهة نظماً ونثراً، ومدح هو أيضاً جماعة من أعيان أصحابه مشافهة، لكنَّ ذلك كلَّه إنما جاز لَمَّا صحَّتِ المقاصد، وأُمِنتِ الآفاتُ المذكورة)[١].

وقال النووي: (قوله ﷺ "قطعت عنق صاحبك" وفي رواية "قطعتم ظهر الرجل" معناه: أهلكتموه، وهذه استعارة من قطع العنق، الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب)[٢] لأن ذلك يوجب أن هذا الممدوح يترفع ويتعالى، وقد أمر النبي ﷺ أن يحثى التراب في وجوه المداحين[٣]، وإنما الواجب إن كان لا بد من المدح، أن يعتدل الإنسان في المدح ولا يبالغ فيه.

ثانياً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء وبيان الصواب في المدح:

يلاحظ ذلك في الحديث في نهي النبي ﷺ لمن أطرى في مدح غيره "ويحك قطعت عنق صاحبك" وبيانه ﷺ لما ينبغي "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يُزَكِّى على الله أحد"[٤] وفي ذلك بيان لصفة من أهم صفات الداعية، وهي متابعته للمدعوين وتصحيحه للأخطاء والمخالفات التي قد تقع منهم، "فالداعية طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله"[٥]، ومن الأحاديث الدالة على تفقد الداعية والإمام لأحوال المدعوين، ما روي عن عبدالله بن عمر ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ. فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيَّةُ سَاعَةٍ هذِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٢٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٣٠/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٦١.

(٥) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٦.

أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ النِّدَاءَ. فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ تَوَضَّأْتُ. قَالَ عُمَرُ: وَالْوُضُوءَ أَيْضاً وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ))[١]. قال النووي رضي الله عنهما: (فيه تفقد الإمام رعيته وأمره بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة وإن كان كبير القدر)[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في مدح الشخص:

لقد نهى النبي ﷺ عن الإطراء والقطع في المدح، فإن كان الإنسان مادحاً لا محالة، فليقل كما أرشد النبي ﷺ في الحديث، حيث قال ﷺ "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة، فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحد" والمعنى فليقل أحسب أن فلاناً كذا والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازماً بذلك، ومعنى النهي هنا أي لا تزكوا أحداً على الله لأنه أعلم بكم منكم)[٣] قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٤] أي تمدحوها وتشكروها وَتَمُنُّوا بأعمالكم[٥]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٦] وإذا كان قد نهى الإنسان عن أن يزكي نفسه فعن غيره أولى، (وقد شاع من آداب عصر النبوة بين الصحابة التحرز من التزكية وكانوا يقولون: إذا أثنوا على أحد لا أعلم عليه إلا خيراً ولا أزكي على الله أحداً)[٧].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: استشعار أمانة الكلمة وعدم كيل المدح لغير المستحقين له:

إن من المعلوم لدى المؤمن أن كل ما يتلفظ به مسجل عليه محاسب عليه إن خيراً

---

(١) أخرجه البخاري ٨٧٨، ومسلم ٨٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٩٢/١٠.

(٤) سورة النجم، آية: ٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٢/٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٩.

(٧) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٢٦/٢٧/١١.

فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١] وأن الكلمة أمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢] قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له)[٣]. وإذا استشعر الإنسان ذلك فلا يترك العنان للسانه في الإطراء في مدح الآخرين، أو مدح غير المستحقين لذلك، (وذلك بأن يمدح غيره، ويغلو في إطرائه، ويصفه بما لا يستحقه، فهذا محرم وهو كذب وخداع، وهو أيضاً ضرر على الممدوح)[٤]. بل هو من دروب الهلاك كما جاء في الحديث "ويحك قطعت عنق صاحبك".

قال الطيبي: (قوله: "ويلك قطعت عنق صاحبك" هذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك، لكن هذا الهلاك في الدين، وقد يكون في الدنيا)[٥].

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٤/١٢/٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٣٠/٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، ١٠٤/٩.

الحديث رقم (١٧٩١)

١٧٩١- وعن أبي بكرة ﷺ: أنَّ رجلاً ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْراً، فقال النبيّ ﷺ: ((وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ)) يَقُولُهُ مِرَاراً: ((إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ[١]، وَلاَ يُزَكِّى عَلَى اللهِ أَحَدٌ)). متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

ويحك: هي كلمة رحمة وتوجع[٣].

قطعت عنق صاحبك: معناه: أهلكتموه وهو استعارة من قطع العنق لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب[٤].

وحسيبه الله: محاسبه على عمله الذي يعلم حقيقته[٥].

الشرح الأدبي

هذا درس من دروس النبوة، وتوجيه من توجيهات السنة المباركة؛ فالمسلم مطالب بأن ينأى عن المبالغة في الثناء، والمبالغة في الذم؛ لأن التوازن من معالم التصور الإسلامي، والغرور أحد مداخل الشيطان إلى النفس، والمبالغة في الثناء والمدح تغمر الممدوح بالغرور والتكبر، والتعالي والجحود، وهذا الحديث في رصده لهذه الظاهرة السلبية يتسم بعدة ظواهر فنية وأسلوبية، تضفي مسحة الجمال على صياغة الحديث،

---

(١) لفظهما: (والله حسيبه).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠/٦٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٢/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٢/١٠.

ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر، الذي يحكي هذا المشهد القصصي؛ حيث يحكي أبو بكرة، "أن رجلاً... الحديث، وعدم تحديد اسم المادح، وكذلك عدم تحديد اسم الممدوح، يفيد أن القضية ليست قضية أشخاص؛ وإنما قضية سلوك ومبدأ، يرسيه رسول الله ﷺ؛ وهو عدم المبالغة في الإطراء، والبعد عن ادّعاء اليقين في الثناء؛ لأن الذي يعلم السرّ وأخفى هو الله العلي الأعلى، وهو أعلم بالسرائر، وهو المحيط بما في الضمائر.

وفي الحديث إيجاز بالحذف في قوله: "فأثنى عليه رجل خيراً"؛ فكلمة "خيراً" مفعول به لفعل محذوف تقديره قال خيرًا.

وخيراً: لفظ يجمع كل الصفات الحسنة، وكل الشمائل الطيبة.

وقوله: "قطعت عنق صاحبك" كناية عن الهلاك المعنوي؛ لأن المدح يقود إلى الغرور، والغرور يقود إلى الافتتان بالنفس والوقوع في حمأة الباطل، ومصائد الشيطان؛ لأن المدح ذبح للطرفين، والتكرار في قوله: "يقول مراراً"، للمبالغة في الزجر له ولغيره عن مدح من كان مثل الممدوح في الخوف عليه من نحو العجب، وأسلوب الشرط في قوله: "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا" يوحي بالتشكك وعدم اليقين؛ لأن "إن" لا تفيد التحقق، وذلك يرشد إلى المنهج الإسلامي، الذي لا يؤيد المبالغة في المدح، وجواب الشرط يضع الحل، ويرسى دعائم الموقف، إذا كان لا بد من الثناء، فليقل: أحسب كذا وكذا، وقوله: "وحسيبه الله، ولا يُزكّى على الله أحد"، يوحي بأن الله يحاسب كل من يَمْدح ويثنى بدافع التملق والنفاق؛ لأن الله أعلم بالسرائر، وأخبر بما في الضمائر، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٩٢)

١٧٩٢- وعن همام بن الحارث، عن المِقْدَادِ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمانَ رضي الله عنه، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ[١]، فَجَعَلَ يَحثو في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ. فقالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأنُكَ؟ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: **((إذَا رَأيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ))**. رواه مسلم[٢].

فهذهِ الأحاديث في النَهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ ويَقينٍ، ورِيَاضَةُ نَفْسٍ، ومَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يَفْتَتِنُ، ولاَ يَغْتَرُّ بِذلِكَ، ولاَ تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ ولاَ مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ فِي وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً، وَعَلَى هَذا التفصيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإبَاحَةِ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لأبي بكْرٍ رضي الله عنه: **((أرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ[٣]))** أيْ مِنَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الآخر: **((لَسْتَ مِنْهُمْ))**[٤]: أيْ لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلاَءَ.

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم لعُمَرَ رضي الله عنه: **((مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ))**[٥].

والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ، وقد ذكرتُ جملةً مِنْ أطْرَافِهَا في كتاب "الأذكار"[٦].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

---

(١) عند مسلم زيادة: (وكان رجلاً ضخمًا).

(٢) برقم (٣٠٠٢/٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧/٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦/٢٢).

(٦) انظر: باب المدح (ص: ٣٩٥).

غريب الألفاظ:

فجثا على ركبتيه: جلس على ركبتيه[١].

يحثو في وجهه الحصباء: يرميه بالحصى الصغير[٢].

فجاً: هو الطريق الواسع[٣].

الشرح الأدبي

إن حديث رسول الله ﷺ في هذا النص يأتي برهاناً ساطعاً، ودليلاً يقينيًا على موقف الإسلام من المدح الزائف، والثناء المطغي؛ فالمقداد يرفض ما سمعه من مدْح لعثمان؛ حيث حثا "الحصباء" في وجه المادح، أي: رمى صغار الحصى في وجهه، ويستغرب عثمان هذا الموقف، فيقول مستفهماً في استنكار واعتراض: ما شأنك؟

وهذا الحوار بين المقداد وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، يُفْصح عن سعة صدر عثمان، وقبوله لآراء الآخرين، واقتناعه بحجة المقداد؛ لأنه استشهد بحديث رسول الله، وهو لا ينطق عن الهوى.

والبيان النبوي جاء في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا".. وهي تفصح عن تحقق العقوبة التي يستحقها المدّاحون المغالون ووجوبها، والذين يكذبون في أقوالهم، ويزينون للناس الباطل بما يقدمون من أقوالٍ كاذبة، وأوهامٍ غاربة، وآمال هاربة، وأمانٍ غائبة: "إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب".

والإسلام لم يرفض المديح كله، ولم ينه عن جميع ضروبه وأشكاله؛ بل أجاز مديح الفضلاء وأهل الخير، بل ندب إليه؛ ففي الثناء عليهم تمجيد لقيم الحق وإذاعتها.

وقد تصدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمديح التكسُّب، وهو المتاجرة بالكلمة، واستئكال عقل الممدوح وفتنته بها، ونهى الممدوح أن يصل الشاعر المادح على مدحه؛

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ث و).

(٢) المرجع السابق ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ث و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ج ج).

فإن هذا يشجعه على السؤال، ويجرئه على التكسب بشعره، ويعطله عن التماس الرزق الشريف، ويستمرئ الممدوح من وجه آخر طعم الفخر، وحلاوة الثناء، وزهو الفوقيه، وقال عمر للحطيئة: إياك وكل مدحة مجحفة، قال: وما المجحفة؟ قال: تقول: بنو فلان خير من بني فلان؛ امدح ولا تفضّل[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭬ على الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

ثانياً: من آداب المدعو: التزام الموضوعية والصدق والقصد في المدح وعدم المبالغة.

ثالثاً: من آداب المدعو: اليقظة لأساليب المتملقين في المدح والكذب للتكسب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭬ على الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة ﭬ أحرص ما يكونون على الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ وامتثالها، وفي الحديث أنموذج تطبيقي، ومثل حي لذلك في فضل المقداد ﭬ، فعن همام بن الحارث عن المقداد ﭬ أن رجلاً جعل يمدح عثمان ﭬ فعمد المقداد فجثا على ركبته، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان ﭬ: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، قال النووي: "هذا الحديث قد حمله على ظاهره المقداد، الذي هو راويه، ووافقه طائفة وكانوا يحثون التراب في وجوههم حقيقة، وقال آخرون: معناه: خيبوهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم"[٢].

وما صدر عن الصحابة ﭬ يدل على مدى استجابتهم لأوامر رسول الله ﷺ التي أمرنا الله بطاعتها وحذرنا من مخالفته، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

---

(١) انظر: كنز العمال، ٨٤٦/٣. وانظر: شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، د. وليد قصاب.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، ففي الاستجابة لأوامره ﷺ الحياة والتوفيق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢]، من علوم الديانات والشرائع، لأن العلم حياة كما أن الجهل موت، ولبعضهم:

لاَ تعْجَبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُه   فَذَاكَ مَيتٌ وَثَوْبُهُ كَفَن[٣]

والاستجابة لله وللرسول ﷺ مقتضى الإيمان، وفيه الحياة (إذا دعاكم لما يحييكم)، وذلك وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله ﷺ على الدوام[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: التزام الموضوعية والصدق والقصد في المدح وعدم المبالغة:

لقد جاءت الأحاديث آمرة بالتزام الموضوعية والصدق والاعتدال والقصد في المدح، وما جاء من نهي عن المدح فمحمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كتنشيطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به، كان مستحباً[٥]، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٦][٧].

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري ص ٤٠٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٦) سورة المائدة، آية: ٢.

(٧) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/ ١٨٣٠.

فقد ثبت أنه ﷺ مدح البعض إظهاراً لفضلهم، روي أنه ﷺ قال لأشج عبدالقيس: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[1]، قال النووي: "وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه، وأما استحبابه فيختلف بحسب الأحوال والأشخاص"[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: اليقظة لأساليب المتملقين في المدح والكذب للتكسب:

إن من آداب المدعو الكيس الفطن أن يكون يقظاً لما يلقى على مسامعه، ولا يخدع بالمزين من الكلام، بل من كانت هذه آدابه، أن يُقابل بنقيض قصده من الحرمان من العطايا، بل ويعنف على ذلك كما جاء الحديث: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه، لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به، ولذلك تأول العلماء قوله ﷺ: (فاحثوا في وجوههم التراب)، أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل"[3].

قال القاضي عياض: "وقوله: (احثوا التراب في وجوه المداحين) فقد حمله المقداد وغيره ممن جاء بعده على ظاهره، وقال: خيبوهم ولا تعطوهم شيئاً لأجل مدحهم، من قولهم تربت يداه، وقيل: إذا مُدحتم فتذكروا أنكم من تراب وتواضعوا ولا تعجبوا بالمدح، وقوله: (أحسب ولا أزكي على الله أحداً) في هذا أنه لا يقطع على عاقبة أحد ولا ضميره، إذ ذاك مغيب عنا وإنما يقول بحسب الظاهر"[4].

وقال أبو العباس القرطبي في قوله: (أحسب فلاناً...): "ظاهر هذا: أنه لا ينبغي للإنسان أن يمدح أحداً ما وجد من ذلك مندوحة، فإن لم يجد بداً مَدح لما يعلمه من أوصافه، وبما يظنه، ويتحرز من الجزم والقطع بشيء من ذلك، بل يتحرز بأن يقول

---

(١) أخرجه مسلم ١٧، ١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٩٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/٥٥٠.

فيما أحسب أو أظن ويزيد على ذلك، (ولا أزكي على الله أحداً)، أي لا أقطع بأنه كذلك عند الله؛ فإن الله تعالى هو المطلع على السرائر، العالم بعواقب الأمور"[١].

وقد جمع محمد تقي العثماني في تكملة فتح الملهم أقوال العلماء في معنى: (احثوا التراب في وجوه المداحين) فقال: "قوله: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب) قد فسر العلماء هذا الحديث على وجوه:

الأول: أنه محمول على حقيقته، فينبغي أن يُحثى التراب على وجه المادح حقيقة، وهو الذي استعمله المقداد رضي الله عنه راوي الحديث. وقد ورد مثل ذلك عن بعض السلف، وقد حكى الأبي في ذلك قصة للشيخ ابن إسحاق الجبيناني.

الثاني: أن حثي التراب كناية عن تخييبه، والمراد من المداحين من يتملق لأخذ المال والصلة وتخييبه أن لا يعطى، أو من يريد الفتنة بإلقاء العجب في نفس الممدوح، فتخييبه أن لا يُعجب الإنسان بنفسه.

الثالث: المراد أن يقول الممدوح للمادح: (بفيك التراب) والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله.

الرابع: أن المقصود أن يأخذ الممدوح تراباً، فيبذره بين يديه ليتذكر أصله وأن مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه. وعلى هذا، فقوله (في وجوه المدّاحين) معناه: بين أيديهم وفي مواجهتهم.

الخامس: أن المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب، لأن كل ما فوق التراب تراب. وبهذا جزم البيضاوي وقال: شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة كذا في الفتح.

السادس: معنى الحديث أنه ينبغي للممدوح أن يقوم عن مجلس المادح ويثير بقيامه التراب عليه، ذكره الأبي وقال: إنه أبعد التأويلات.

ويبدو أن أفضل التأويلات هو الثاني، والمقصود الحث على منعه من المدح، وعدم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٢٧ – ٦٢٨.

تشجيعه على ذلك. وهو الذي اختاره أكثر السلف.

قال الخطابي: "المدّاحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح. فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمدّاح. وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول عين التراب، وحثيه في وجه المادح. وقد يُتأول أيضاً على وجه آخر، وهو أن يكون معناه: الخيبة والحرمان، أي: من تعرض لكم بالثناء والمدح، فلا تعطوه واحرموه. كنى بالتراب عن الحرمان، كقولهم: ما في يده غير التراب وكقوله ﷺ: ((إذَا جاءَك يَطْلُبُ ثمنَ الكَلْبِ فامْلأ كَفَّهُ تُرَاباً))[1]".

نقله البغوي في شرح السنة (١٣/١٥١) ثم قال: "وفي الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه، لأنه قلّما يسلم المادح عن كذب يقوله في مدحه، وقلّما يسلم الممدوح من عُجب يدخله. وروي أن رجلاً أثنى على رجل عند عمر، فقال عمر: عقرت الرجل، عقرك الله".

والحاصل؛ أن المدح بغرض تشجيع الممدوح على أفعال الخير جائز، كما ذكره الخطابي، لأن ذلك ثابت من النبي ﷺ بمناسبات كثيرة. والمدح المكروه هو ما خيف فيه أن يفتتن الممدوح بالعجب، أو ما قصد به التملق وأكل الأموال بالباطل. وبما أن الفرق بينهما دقيق ربما لا يدركه المرء، فالأحوط ما ذكره البغوي من الاجتناب عنه في كل موضع مشتبه، والله سبحانه وتعالى أعلم"[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٨٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٧٤).

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٢/٢٩٢ - ٢٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالأحداث:

يتعرض الناس في حياتهم للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجه عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة أو توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أن تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء[1].

وأسلوب التربية بالأحداث جاء في أحاديث الباب في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنى عَلى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فَقَالَ: أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ».

وكذلك في حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا فقال النبي ﷺ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ....» إلخ الحديث.

كذلك استخدم المقداد رضي الله عنه أسلوب التربية بالأحداث عندما رأى رجلاً يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد، فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتهم المداحين....إلخ» الحديث.

ولاشك أن طريقة التربية بالأحداث من أساليب التربية الفعالة إذ يستغل المربي حدثاً معيناً لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه أو التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثرَ قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

والتغيرات العابرة التي تأتي "على البارد" بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر[١].

فعلى المربي ألا ينتظر وقوع الأحداث بطريقة تلقائية حتى يستغلها في تشكيل المتعلم وتوجيه سلوكه. فالمنهج قد يخطط للأحداث وينظمها بحيث يمر بها المتعلم، وكأنها أحداث تلقائية، فينفعل بها ويتأثر ويستغل المربي ذلك في عملية التوجيه والتشكيل. حتى يتحقق الهدف من التربية وهو تغيير السلوك في الاتجاه المطلوب غرسه في تصرفات وأقوال المتعلمين[٢].

ثانيًا: من أساليب التربية: التكرار:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التكرار في قوله: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» يقول الراوي: يقوله مرارًا.

ولاشك أن أسلوب التكرار أسلوب تربوي يجعل من الأمر المكرر عند المرء، عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[٣].

فيجب على المعلم تكرار الأشياء الهامة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيدًا لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر، وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهمًا جيدًا دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ. إن التكرار من الأساليب التعليمية المستخدمة لتثبت التعلم والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكينًا لسامعيه لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع، وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم[٤].

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ١٥١/٢.

(٢) انظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦-٤٤٩.

(٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، ١٢٨ بتصرف.

(٤) المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢١٦، ٢١٧.

ثالثًا- من واجبات المربي الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ:

يجب على المربي أن يقتدي برسول الله ﷺ في كل أقواله وأفعاله وقد اقتدى المقداد بن الأسود رضي الله عنه عندما رأى رجلاً يمدح عثمان رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء وأقره عثمان رضي الله عنه ولم ينكر عليه.

وقد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين شخصية الرسول ﷺ، قدوة متجددة على مر الأجيال، متجددة في واقع الناس "كلما قرأنا أخباره ازددنا حبًا له واقتداءً به"[(١)].

فالمربي القدوة يتمثل سنة وأخلاق الرسول ﷺ ابتداءً ويترجمها إلى سلوك عملي أصيل، بحيث يكون نابعًا من ذاته ولا مكان للتكلف فيه، فالمربي أبًا أو أمًا أو جدًا أو نحو ذلك، ينبغي عليه أن يدرك أولاً وجوب التزامه بسنة النبي ﷺ وأحكام الشريعة[(٢)].

رابعًا- من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

إن التربية الإسلامية تربية متوازنة ويظهر هذا التوازن من أحاديث الباب حيث نهت بعض الأحاديث عن المدح، وأثبت بعضها المدح في حق بعض الصحابة، كأبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه.

فالمدح إذا كان لشخص مأمون الجانب من الغرور والتكبر، قد يكون من إشارات الاستحسان، ودواعي التشجيع والإجادة، واستحثاث الهمم إلى جلائل الأعمال والإشادة بذكر المجد العامل، وحفز العزائم على الدأب والسعي لتحصيل المحامد وابتناء المكارم، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولي الهمم وتثبيط لهم، وفت في عضدهم، وإماتة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط، ويعبرها الغمص والزراية كل هذا خير مادام القصد ما ذكر[(٣)].

---

(١) أصول التربية، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٠٧.

(٢) انظر: أصول التربية، د. أمين أبولاوي ص ٨٠.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤١، ٢٥٢.

أما المدح إذا كان لشخص غير مأمون الجانب فيضره على وجهين: أحدهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح وفتر ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرًا، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال ﷺ: «قطعت عنق صاحبك»[1].

كما أن المادح قد تصيبه من المدح آفات منها:

أ - أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب.

ب - أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا.

ج - أنه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه، لذلك قال ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا».

د - أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز[2].

فالتربية الإسلامية تنشد في المربي الإنصاف، فلا يمدح إلا من كان أهلاً للمدح مأمون الجانب من الغرور والعجب بالنفس.

كما أنها لا تقيده بالمنع المطلق من المدح، ولا تطلق له العنان في مدح الجميع بل تطلب منه التوازن بين المصالح والمفاسد، فإذا كان ثناؤه على بعض أفعال المتربين مشجعًا لهم وحافزًا على الإجادة والتفوق فلا مانع، بل هو واجب يجب عليه القيام به حتى تحقق التربية هدفها.

أما إذا رأى أن مدحه لبعض المتربين قد يدخل في نفوسهم الغرور والعجب بالنفس فينبغي عليه أن يتجنب هذا المدح والإطراء حتى لا يكون سببًا في إفسادهم.

وهذا هو التوازن المقصود، والتوازن من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي

---

(١) تزكية الأنفس، سعيد حوى ص ٤٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٤، ٤٣٥.

لا توجد في تربية سواها، حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على أساس من الاعتدال والاستقامة، وتقيم مجالاً واسعًا متوازنًا للاختيارات والبدائل تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها تكون بعيدة عن التطرف والإغراب[١].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٣٨، ٣٩.

٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[النساء: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥].

الحديث رقم (١٧٩٣)

١٧٩٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشَّامِ حتَّى إذا كَانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصْحَابُهُ - فَأَخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ. قَال ابن عباس: فقال (لي) [1] عمر: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاستَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ[2]: خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعضهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأصْحَابُ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاء. فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ[3]، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبيلَ المُهَاجرينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ[4] رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بالنَّاسِ، وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ رضي الله عنه في النَّاسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عليْهِ، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفِراراً مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فقالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَة! - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلاَفَهُ - نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ، أرَأيْتَ لَو كَانَ لَكَ إبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، ألَيسَ إنْ رَعَيْتَ الخصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللهِ، وَإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبدُ

---

(١) (لي) لا توجد عندهما.

(٢) عندهما زيادة: (قد).

(٣) عند مسلم زيادة: (له).

(٤) لفظ البخاري: (منهم عليه)، و (منهم) لا توجد عند مسلم.

الرَّحمانِ بنُ عَوفٍ رضي الله عنه ، وَكَانَ مُتَغَيِّباً في بَعْضِ حاجَتِهِ، فقالَ: إنَّ عِنْدي من هَذَا علماً، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: ((**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بأرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وإِذَا وَقَعَ بأرْضٍ وَأنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِراراً مِنْهُ**)) فحمِدَ اللّهَ تَعَالَى عمرُ رضي الله عنه وانصَرَفَ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بسرغ: قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز في وادي تبوك[٢].

الأجناد: مدن أهل الشام، فلسطين، والأردن ودمشق وحمص، وقنسرين[٣].

الوباء: المرض الذي تفشى وعمّ الكثير من الناس وهو الطاعون[٤].

بقية الناس: أي الصحابة[٥].

ارتفعوا عني: أي اخرجوا[٦].

مشيخة قريش من مهاجرة الفتح: أي مشايخ قريش الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح[٧].

مصبح على ظهر: أي مسافر راكب على ظهر الراحلة راجع إلى وطني[٨].

عدوتان: العدوة: جانب الوادي[٩].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٢٩، ومسلم ٢٢١٩/٩٨ ولفظهما سواء.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢١٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٩٥/١٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠.

(٦) انظر: المرجع السابق ١٩٥/١٠.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤.

(٩) رياض الصالحين ٦٠٦.

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من سيرة عمر رضي الله عنه واجتهاده في ظل اقتدائه بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والحديث يموج بعدة ظواهر فنية وأسلوبية، تفصح عن المعنى، وتبرز المقصود.

ومن هذه الظواهر: بدء الحديث بالتوكيد، حيث يؤكد ابن عباس الخبر؛ حتى لا يتشكك صاحب هوًى في أحداثها؛ لأنها جزء من تاريخ الإسلام، وبرهان ساطع على استجابة الصحابة لأمر الله عز وجل، في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2].

فالتأكيد يفصح عن واقعية هذا الحدث التاريخي بكل تفاصيله، والحوار يضفي على الحديث سمة المشورة ومعرفة الآخر.. وينفي عن عمر هذه الصفة التي عرف بها، وهي القوة والشكيمة؛ فقوته تكون لقمع الأعداء وكل من يجاهر بالمعصية، ويتعدى حدود الله، والحوار المقنع تشعّب، فكان بين عمر وأبي عبيدة وأصحابه وابن عباس وكان بين عمر والمهاجرين، وبين عمر والأنصار، وبين عمر ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح، وتقديم المهاجرين على الأنصار يفصح عن تقدير عمر لهم ومعرفته بمكانتهم؛ لأن لهم سابقتهم في الإسلام، ولكنه لم يقتنع برأي المهاجرين، ولا رأي الأنصار، واقتنع برأي مشيخة قريش من مهاجرة الفتح؛ حيث اتفقوا ولم يختلفوا، وأشاروا على عمر بالرجوع؛ فراراً من الوباء الذي وقع بالشام، وقوله: "معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله": من عطف الخاص على العام وتخصيص أصحاب رسول الله بالذكر للتنبيه على قدرهم، وللإيحاء بأنه يجب أن لا يتعرضوا للوباء، وقيل: إن هذا الرأي مبني على أصل من أصول الشريعة، وهو: الاحتياط والحذر، ومجانبة أسباب الإلقاء باليد إلى التهلكة.

والإيجاز بالحذف يتمثل في قول ابن عباس رضي الله عنهما: فدعوتهم: أي: مشيخة قريش، والتقدير: فدعوتهم فاستشارهم، وقوله: "إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه"، كناية

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

عن الرجوع إلى المدينة، بناء على المشورة والاجتهاد، وطلباً للنجاة وعدم التعرض للتهلكة.

وفي قول عمر: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة"، إيحاء وإيجاز بالحذف، يُفصح عن بلاغة عمر؛ حيث لم يصرح بالمراد؛ حِرْصاً على مكانة أبي عبيدة لديه، فجواب الشرط محذوف، وتقديره: لآذيته لاعتراضه، أو تقديره: لم أتعجب منهم، وإنما أعجب منك لفضلك وعلمك.

وقد لجأ عمر رضي الله عنه إلى الإقناع عن طريق الاستفهام والقياس، والمجيء بالنظير والشبيه: أو التشبيه الضمني، وذلك بعد أن قال أبو عبيدة، "أفراراً من قدر الله"، والاستفهام هنا للإنكار والاعتراض، فقال عمر هذه العبارة البليغة المقنعة: "أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خَصْبة، والأخرى جَدْبة، أليس إن رعت الخصبة رعتها بقدر الله، وإن رعت الجدْبة رعتها بقدر الله؟". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: منع القدوم على بلد الطاعون، وهو الوباء أياً كان، لأن دخول البلد التي انتشر فيها الطاعون، فيه خطر إلقاء النفس في التهلكة، وقد نهانا الشرع عن ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2].

ومنع الخروج من البلد التي انتشر فيها الطاعون فراراً، لأن الفرار من القدر لا يفيد، أما لو خرج لعارض كحاجة أو نحوها، فلا بأس به[3].

---

(١) الحديث رقم (١٧٩٣)، (١٧٩٤).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٠٥/١٤، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٥٥/٨، وكفاية الطالب الرباني ٦٤٤/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٣١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١٠٠/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٤/٥، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٤٣/٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من تاريخ الدعوة: خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الشورى.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر والحوار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

سادساً: من صفات الداعية: الحكمة والفقه.

سابعاً: من واجبات الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثامناً: من أهداف الدعوة: الحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.

تاسعاً: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

عاشراً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من أخطار المرض واليقين بأن الأمراض لا تنقل إلا بقدر الله.

أولاً- من تاريخ الدعوة: خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ...).

قال ابن حجر: "ذكر سيف بن عمر في (الفتوح) أن ذلك كان في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة، وأن الطاعون كان وقع أولاً في المحرم وفي صفر ثم ارتفع، فكتبوا إلى عمر فخرج، حتى إذا كان قريباً من الشام بلغه أنه أشد ما كان، وذكر خليفة بن خياط أن خروج عمر رضي الله عنه إلى سرغ كان في سنة سبع عشرة"[2].

وقال القرطبي: (وقوله: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام" كان هذا الخروج منه بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٩٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٩٤ - ١٩٥.

وكان يتفقد أحوال رعيته، وأحوال أمرائه. وكان قد خرج قبل ذلك إلى الشام لما حاصر أبو عبيدة إيلياء، وهي بيت المقدس، عندما سأل أهلها أن يكون صلحهم على يدي عمر، فقدم وصالحهم. ثم رجع، وذلك سنة ست عشرة من الهجرة)(١).

وقد كان فتح بلاد الشام في عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَعلَمًا مهماً في تاريخ الدعوة الإسلامية، وذلك لانتشار الإسلام في هذه البلاد واسترداد المسلمين لبيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح:

يظهر ذلك في قول عمر رضي الله عنه: (ادع لي المهاجرين فدعاهم ثم دعا الأنصار ثم مشيخة قريش من مهاجرة الفتح)، قال النووي: "إنما رتبهم هكذا على حسب فضائلهم، قال القاضي: المراد بالمهاجرين الأولين من صلى القبلتين، فأما من أسلم بعد تحويل القبلة فلا يعدمنهم، قال: وأما مهاجرة الفتح فقيل: هم الذين أسلموا قبل الفتح: فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح، إذ لا هجرة بعد الفتح، وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة، قال القاضي: هذا أظهر لأنهم الذين ينطلق عليهم مشيخة قريش"(٢).

وقد أثنى الله عليهم وبشرهم بالنعيم، وهذا مما يدل على فضلهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٣).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦١٥/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٧/٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم"[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((الْمُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٢].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الشورى:

يظهر ذلك في استشارة عمر رضي الله عنه للمهاجرين والأنصار ومن معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

قال النووي: "ومن فوائد الحديث: استحباب مشاورة أهل العلم والرأي في الأمور الحادثة وتقديم أهل السابقة في ذلك"[٣].

والشورى من المبادئ الإسلامية التي أمر بها المولى تبارك وتعالى والتزم بها رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٥].

أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه[٦].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه رضي الله عنهم في الأمر إذا حدث تطييبًا لقلوبهم، ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عُرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٣/٤، رقم ١٩٢١٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، ٢١١/٧.

(٧) المرجع السابق ١٤٩/٢.

وغير ذلك كثير مما ورد عن مشاورته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، وكذلك صحابته من بعده، فلما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان رضي الله عنه عليهم"[1].

قال ابن عثيمين: "إن المشاورة من سمات المؤمنين كما قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)، فينبغي لمن ولاه الله أمراً ،وتردد في شيء من الأشياء، ولم يتبين له الصواب، أن يشاور غيره من ذوي العقل والدين والتجربة، وكذلك إذا كان الأمر عاماً يعم الناس كلهم، فإنه ينبغي أن يشاور حتى يصدر عن رأي الجميع"[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الأمر والحوار:

يظهر أسلوب الأمر في قول عمر رضي الله عنه: (ادع لي المهاجرين.. وادع لي الأنصار.. وادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش. وقوله: ارتفعوا عني).

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في توجيه دعوته إلى المدعو، لحثه على الاستجابة لها، وهو من الأساليب كثيرة الاستعمال، وقد ورد استخدامه في كثير من آيات القرآن وسنة خير الأنام.

ويظهر أسلوب الحوار في محاورة عمر رضي الله عنه مع المهاجرين الأولين، والأنصار ومن كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، وحواره مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

والحوار من أساليب الدعوة المهمة، لأنه يهدف إلى أن يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهه نظر الطرف الآخر، ويعرف فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال ما يظهر الطرف الآخر من نقد بأدلته الصحيحة.

ويكون هدف الحوار في الأصل، تعاون الفريقين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١١/٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٣٣/٢.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ:

يظهر ذلك في قول عمر ﷺ: (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة)، قال ابن حجر: "أي: لعاقبته، أو لكان أولى منك بذلك، أو لم أتعجب منه، ولكني أتعجب منك مع علمك وفضلك كيف تقول هذا؟"(١).

وفضائل أبي عبيدة ﷺ كثيرة وعظيمة، فقد قال عنه رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَميناً. وَإِنَّ أَمِينَنَا، أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ))(٢). ويكفيه فضلاً أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قال الذهبي في ترجمته: (هو أحد الأولين المهاجرين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبي بكر(٣). يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر. شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة.

وعن حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأهل نجران: ((لأبعثن -يعني عليكم أميناً حق أمين- فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة ﷺ))(٤))(٥).

وقال ابن عبدالبر: (وهو الذي انتزع من وجه رسول الله ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد، فسقطت ثنيتاه، وكان لذلك أثرم وكان نحيفاً معروف الوجه طوالاً أجناً، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠/١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٤٤، ومسلم ٢٤١٩.

(٣) انظر: خبر السقيفة، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣/٢٠٢، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري ص ٢/١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٤٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٥-٢٣.

قال رسول الله ﷺ: ((لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح))[١] وقال أبوبكر الصديق يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني -عمر، وأبا عبيدة وقال عمر إذا دخل عليه الشام -وهو أميرها- كلنا غيَّرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة، وله فضائل جمة)[٢].

سادساً- من صفات الداعية: الحكمة والفقه:

يظهر ذلك في استشارة عمر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم في الرجوع إلى المدينة، أم التقدم إلى بلاد الشام حيث وباء الطاعون، فإنه على ما عنده من الدين والعلم والعقل وإصابة الصواب، لم يفت في هذا إلا بعد المشاورة والمراجعة [٣].

وهذا يدل على حسن سياسته وحكمته وفقهه رضي الله عنه، فينبغي على الداعية التحلي بالحكمة والفقه في مواجهة الأمور، وحل ما يواجهه من صعاب، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤].

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ: أن يدعو الخلق إلى الله "بالحكمة"، وقوله: "وجادلهم بالتي هي أحسن"، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب)[٥].

(فالداعية لابد له من ثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً، ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٨٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٨٣٣.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٦١٣.

عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه؛ حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه)[١].

سابعاً- من واجبات الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام.

قال النووي: (واعلم أن في حديث عمر هذا فوائد كثيرة، منها خروج الإمام بنفسه في ولايته في بعض الأوقات، ليشاهد أحوال رعيته، ويزيل ظلم المظلوم، ويكشف كرب المكروب، ويسد خلة المحتاج، ويقمع أهل الفساد، ويخافه أهل البطالة والأذى والولاة، ويحذروا تجسسه عليهم، ووصول قبائحهم إليه، فينكفوا، ويقيم في رعيته شعائر الإسلام ويؤدب من رآهم مخلين بذلك، ولغير ذلك من المصالح)[٢].

ثامناً- من أهداف الدعوة: الحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

يظهر ذلك في قول أبي عبيدة رضي الله عنه: "أفراراً من قدر الله؟ ورد عمر رضي الله عنه: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟" قال القرطبي: (فبعد أن استشار عمر رضي الله عنه مشيخة قريش لكمال خبرتهم للأمور، ولم يختلف عليه منهم أحد. فترجح عنده رأيهم، ونادى في الناس إني مصبح على ظهر، أي: على ظهر طريق، أو ظهر بعيرٍ مترحلاً، فأصبحوا عليه، أي: مرتحلين. وهذا يدلُّ: على أنه إنما عزم على الرجوع لرأي أولئك المشيخة، لما ظهر أنه أرجح من رأي غيرهم ممن خالفهم. ووجهُ أرجحيةِ هذا الرأي: أنه جمع فيه بين الحزم، والأخذ بالحذر، وبين التوكل، والإيمان بالقدر. وبيان ذلك: بحجة عمر على أبي عبيدة رضي الله عنهما حين قال له: أفراراً من قدر الله؟! وذلك: أن أبا عبيدة ظهر له: ألا يرجع، ويتوكل على الله، ويسلّم للقدر؛ لأن ما يقدر عليه لا ينجيه منه رجوع، ولا فرار. فأجابه عمر رضي الله عنه بأن قال له: لو غيرُك قالها! أي: ليت غيرك يقول ذلك القول. فكأنه قال:

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، ٢٠، ٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٥.

لا يليقُ هذا القول بك لعلمك وفهمك، وإنما يليق ذلك بغيرك ممن قل علمه، وقصر فهمه. ثم احتجَّ عليه بأن قال: نعم؛ نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله؛ إذ لا محيص للإنسان عما قدَّره الله عليه، لكن أمرنا الله بالتحرُّز من المخاوف والهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقِّي من المكروهات، والحذر، وجلب المنافع، ودفع الضرر، ثم المقصِّرُ في ذلك ملومٌ عادةً وشرعاً، ومنسوبٌ إلى التفريط عقلاً وسمعاً؛ وإن زعم أنَّه المتوكل على الله، المسلِّم لأمر الله. ولما بيَّن عمرُ ذلك المعنى بالمثال؛ لاح الحقُّ، وارتفع الجدال، ثم لم يبرح عمر من مكانه حتى جاءه الحق ببرهانه، فحدَّثهم عبدالرحمن بما قاله في ذلك النبي ﷺ فسُرَّ بذلك عمر رضي الله عنه سروراً ظهر لديه، فحمد الله، وأثنى عليه، حيث توافق الرأي والسمع، وارتفع الخلاف، وحصل الجمع، فرجع من موضعه ذلك إلى المدينة سالماً موفوراً، وكان في سعيه مصيباً مشكوراً)[١].

فإذا كان الإسلام قد أمر بالتوكل على الله كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٢].

فإن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب، التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سننه في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٥].

فالشريعة الإسلامية تحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، قال ابن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٦١٧-٦١٨.
(٢) سورة الطلاق، آية: ٣.
(٣) سورة النساء، آية: ٧.
(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

رجب: "قال يوسف بن أسباط: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له"[١].

تاسعاً- من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر ذلك في ضرب عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه مثلاً براعي الإبل. قال ابن عثيمين: "إن ضرب الأمثال يقرب المعاني للإنسان، وذلك أن عمر رضي الله عنه ضرب مثلاً لأبي عبيدة رضي الله عنه: إنسان هبط وادياً ومعه إبل وله شعبتان، إحداهما مخصبة فيها الأشجار وفيها الحشيش وفيها كل شيء ينفع الإبل، والثانية مجدبة بيضاء، فمن المعلوم أن الإنسان لن يختار المجدبة، سوف يختار المخصبة، فاختياره للمخصبة بقدر الله عز وجل، وعدوله عن المجدبة بقدر الله عز وجل"[٢]. فضرب الأمثال يوضح المعنى ويقربه إلى الفهم. وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه مع أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يقرب له المعنى ويوضح له قصده.

عاشراً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من أخطار المرض واليقين بأن الأمراض لا تنتقل إلا بقدر الله:

يظهر ذلك في حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه)، وحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها)[٣].

قال القاضي عياض: (في هذا الحديث من العلم: توقي المكاره والتحفظ منها قبل وقوعها، وفيه التسليم لأمر الله وقدره إذا وقعت المصائب والبلايا، وهذا كما قال عليه السلام: ((لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا))[٤] وفيه

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٩٨ - ٤٩٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٣٣ - ١٨٣٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٧١، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٥/١٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١/١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٢٨.

أن الأمور كلها بقدر الله، وأنه لا ينجي الفار من القدر فراره، وفيه منع القدوم على بلاء الطاعون والوباء، وتحريم الخروج عنها فراراً من ذلك)(١).

فينبغي الحذر من أخطار المرض، فإذا سمع الإنسان بوباء أو بلاء نزل على أرض فلا يقدم عليه لقوله ﷺ: "فلا تقدموا عليه"، وقوله: "فلا تدخلوها". لأن دخول البلاد التي فيها الوباء، فيه تعريض الإنسان لنفسه للتهلكة وهو منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٢). فينبغي على الإنسان أن يحذر ذلك

وإذا كان الإنسان بأرض نزل بها الوباء، أي: البلاء، فلا يخرج منها لقوله ﷺ: (فلا تخرجوا منه فراراً)، وقوله: (فلا تخرجوا منها).

وذلك لأن ما قدر الله لا فرار منه، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾(٤).

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: وفي قوله: "فلا تخرجوا منه"، إشارة إلى الوقوف مع المقدور والرضا به، قال: وأيضاً فالبلاء إذا نزل إنما يقصد أهل البقعة لا البقعة نفسها، فمن أراد الله إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة، فأينما توجه يدركه، فأرشده الشارع إلى عدم النصب من غير أن يدفع ذلك المحذور)(٥).

فإذا نزل البلاء بأرض، وصبر عليه أهلها دون الخروج منها، راضين بقضاء الله وقدره وموقنين أن المرض لا ينتقل إليهم إلا بقدر الله، كان لهم أجر الشهداء، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في قوله عند ما سئل عن الطاعون: ((كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إلا مَا كَتَبَ اللَّهُ إلا كان لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ))(٦).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٢/٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٠/١٠.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٥٧٣٤.

الحديث رقم (١٧٩٤)

١٧٩٤- وعن أسامة بن زيد ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وأنْتُمْ فِيهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا)). متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

الطاعون: هو المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان[٢].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده قد تضمن جملتين، وكلتاهما جاءتا في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط فيهما إذا وهي تفيد التحقق، أي أن الناس لابد أن يتحققوا من الوباء الذي حل بأهل المنطقة، حتى لا يكون الأمر إشاعات ونشر للفزع بين الناس، والجملة الأولى ثمرتها الوقاية من الإصابة بالمرض، فمجرد السماع بأخبار الوباء المنتشر، يوجب على المسلم الإحجام عن الدخول لمنطقة الوباء، والتوجيه النبوي جاء في أسلوب الجَمْع؛ لأنه صادر إلى الأمة كلها، والنهي في جواب الشرط للوجوب، ولنتأمل ما يشع به هذا البيان النبوي من تعاليم وإرشادات وتوجيهات (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها)، أما الجملة الثانية فهي وقائية كذلك، ولكنها تحول دون انتشار المرض، حيث ينهى رسول الله ﷺ كل من كان في بلد وقع به الطاعون، أن لا يخرج من هذا البلد، خوفاً من أن يكون حاملاً للمرض.. فإذا خرج من بلد الوباء نشر عدواه بين الأصحاء.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٢٨، ومسلم ٢٢١٨/٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ع ن).

وهذا التوجيه النبوي يُعد إعجازا علمياً؛ لأنه يتوافق الآن مع ما قاله العلماء في قانون الحجر الصحي، والحجر الصحي كما قال د. محمد علي البار، من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية، فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة، قد يكون حاملاً للميكروب، كما قد يكون في فترة الحضانة، فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء فيعدي غيره، وينقل بذلك المرض إلى آلاف البشر، بل إلى ملايين البشر والله أعلم[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ، د. محمد على البار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بتحمل المسؤولية:

إن مما ينبغي أن يتربى عليه الشاب المسلم تحمل المسؤولية والمشاركة في العمل الجماعي، فإن الدعوة إلى الله عز وجل والعمل لإعزاز دينه ورفع رايته أكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون، ولكن الواجب على المسلمين التعاون والتضافر للقيام بالواجبات المفروضة على الأمة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1][2].

ويتجلى تحمل المسؤولية في هذا الباب في خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام ومعه أصحاب رسول الله ﷺ وقبل دخولهم الشام أخبروه أن الطاعون وقع بها، فاستشار المهاجرين والأنصار ومن كان معه من مشيخة قريش، هل يقدم إلى الشام ويعرض نفسه ومن معه من المسلمين للوباء أم يرجع، ليعرف رأيهم ويشركهم في تحمل المسؤولية معه.

وإن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته، فبدأ بالإمام فقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[3].

والإمام هو المسؤول الأول في الدولة الإسلامية، وقد أوجب الإسلام عليه أن يقوم بواجبات تمثيل الأمة والوكالة عنها، وفي مقابل ذلك أوجب الإسلام على الأمة تجاهه بعض الواجبات هي كالحقوق عليهم، لأن كل واجب لابد أن يقابله حق والعكس[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، ٨٩٣، ومسلم، ١٨٢٩.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٩٨.

والإنسان مسؤول عن كل عمل يقوم به وحده أو يشترك مع غيره أو يكون سببًا في وقوعه بالحض عليه أو الرضى به، ما دام عمله بإرادته واختياره[١].

والحياة مليئة بالمهام والمسؤوليات فعلى كل إنسان أن يتحمل مسؤولية ويضطلع بدوره في الحياة وعلى المربي أن يعود الناشئة على تحمل المسؤولية تجاه أنفسهم والآخرين وتجاه المجتمع الإسلامي بأسره.

ثانيًا- التربية على احترام أهل السبق في الإسلام وكبار السن:

دعا عمر رضي الله عنه المهاجرين الأولين، والأنصار، واستشارهم في أمر الوباء حتى يعلم رأيهم أيرجع أم يمضي إلى الشام، وفي هذا احترام لهم لسبقهم وفضلهم في الإسلام.

كما دعا إليه من كان معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح واستشارهم احترامًا لكبر سنهم ومكانتهم.

وهو بذلك يطبق عمليًا ما علمه المعلم والمربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يربي الصحابة الكرام على احترام من له سبق وبذل في الإسلام، فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقال: وكلا وعد الله الحسنى.

ومن ذلك: لما اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذهب أبو بكر ليعتذر إلى عمر رضي الله عنهما فأبى قبول اعتذاره، وذهب أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه القصة فغضب صلى الله عليه وسلم لغضب أبي بكر، وقال: «فهل أَنْتُمْ تَارِكُوا لِيَ صَاحِبِي» مرتين، فما أُوذِيَ بَعْدَهَا[٢].

وكذا لما اختلف عبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وعبدالرحمن من المهاجرين الأولين، ومن العشرة المبشرين، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن وقال: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصفه»[٣].

مع أن خالدًا من أصحابه صلى الله عليه وسلم إلا أن عبدالرحمن أخص به وأقدم صحبة منه. وفي

---

(١) الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، د. حمدي عبدالعال، ص ٢٩-٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤٠.

هذا تربية للأمة لاحترام أهل السبق والعلم والفضل، وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم والسبق والتقوى، لا بالحسب والنسب والمال[1].

ثالثًا- التربية بالمشورة:

المشورة تعني: عرض الأمر الذي فيه إشكال على من يتوسم فيهم الفكر الحصيف والرأي السديد، من ذوي التجارب والخبرات وسماع أقوالهم المختلفة للوصول إلى حل مناسب لذلك الإشكال، لاتخاذ القرار المناسب.

وهي تعني أيضًا: عدم الاستبداد والانفراد بالتصرف قبل معرفة ما للأمر وما عليه عند مناقشته، وتبادل وجهات النظر حوله، حتى تظهر المصلحة فيه، ويستبان وجه الصواب من المحاورة والمناقشة[2].

وهذا ينطبق على ما فعله عمر رضي الله عنه من مشورة من معه من المهاجرين الأولين والأنصار، ومن معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

حيث استشارهم في أمر الوباء لمعرفته بحصافة رأيهم، وتجاربهم وخبراتهم حتى يسمع الأقوال المختلفة ويصل إلى حل مناسب لاتخاذ القرار، وهذا يدل على عدم استبداده رضي الله عنه باتخاذ القرار، بل في هذا التزام بالمشورة التي أمر بها الإسلام.

والمشورة كأسلوب تربوي ناجح، له أثره الواضح على المستهدفين بالتربية بها ومن فوائدها التربوية ما يلي:

أ - أنها تنمي العقل وتفجر طاقاته الكامنة، وتستثمر أجود ما فيها، وتدفع الجميع إلى حالة من الوعي والإدراك والتفكير المنطقي السليم الذي يجعل من الجميع عناصر خير مفيدة في المجتمع، متعاونة في كل ما يُعلي شأنه.

ب - كونها مدرسة تربوية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها، وتحقق ذاتها، وتعبر عن إرادتها، ومواقفها الفكرية من قضاياها المصيرية.

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) انظر: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، ص ١٥، نقلاً عن موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون، ٩/٤٩.

وهي تدرب المستشار على المساهمة في الحكم والإدارة وتعينه بالتجربة وجودة الرأي والتفكير، كما وأنها خير وسيلة تكشف عن الكفاءات والقدرات وبها يظهر الأَكْفَاء وتستفيد الأمة من كفاءاتهم[1].

ج - أنها تعطي المستشار دفعًا وحماسًا يجعلانه يبذل ما في وسعه من نصح وإخلاص وأمانة لتحقيق الصواب.

د - أنها تقنعه بأهمية القضية المطروحة عليه، وتنمي فيه الحرص الكبير على نجاحها، لأنه شارك في التخطيط والإعداد لها[2].

وعندما تكون الشورى هي السائدة في المجتمع، فإن القلوب تأتلف والنفوس تتقارب، وتشيع روح الألفة والمحبة والتعاون بين أفراد المجتمع على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم[3].

فعلى أفراد المجتمع بث روح المشورة فيم بينهم.

أما المدارس والمعاهد العلمية على مختلف مستوياتها، فدورها أعظم، ومسؤوليتها أخطر، فهي تتحمل العبء الأكبر في بث روح المشورة بين الأجيال وتنشئتهم على حبها وتمثلها، واتخاذها منهجًا وسلوكًا في الحياة، ويكون ذلك من المناهج المدرسية بحيث تتضمن مفرداتها التركيز على إبراز أهمية المشورة في حياة الفرد والمجتمع، وتجسيم الخطر الحاصل من تعطيل هذا المبدأ، وسيادة الاستبداد والانفراد بالرأي، وما يعقب ذلك من فساد وهلاك للجميع[4].

رابعًا- من أساليب التربية: الحوار والمناقشة:

أسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة في طرح وتناول القضايا

---

(١) حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها، د. محمد عبدالقادر أبو فارس ص ١٠، ١١، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٤.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ٤٩/ ٢٣.

(٤) المرجع السابق ٤٩/ ٨١.

المختلفة، ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب في محاورة عمر رضي الله عنه للمهاجرين، والأنصار، ومشيخة قريش رضي الله عنهم أجمعين، في أمر الوباء الذي وقع في الشام.

وكذلك محاورته ومناقشته رضي الله عنه مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ويعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والإقناع، والإقناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل وترسيخ العقيدة.

ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع، ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته[1].

خامسًا- التربية بضرب الأمثلة والتشبيه:

من أساليب التربية المفيدة في توضيح المعنى وتقريبه إلى الأفهام ضرب الأمثال.

وذلك أن عمر رضي الله عنه ضرب مثلاً لأبي عبيدة بإنسان معه إبل وله شعبتان إحداهما مخصبة، وفيها الحشيش والعشب والأشجار التي تنفع الإبل، والثانية مجدبة لا عشب فيها، فإن الإنسان لابد أن يختار الأولى، فاختياره للأولى بقدر الله، وتركه للثانية بقدر الله.

وضرب الأمثلة وتشبه المعنوي بالمحسوس من الأمور الفعالة، ذلك لأن الصورة المحسوسة، أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد، وتبرز الأجزاء، وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين، أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها، فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء، زاهية الألوان، نابضة بالحركة، ولهذا كان أسلوب التشبيه وضرب الأمثلة من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وأخرون ص ٨٥، ٨٦.

أساليب البلاغة القرآنية، أو البلاغة النبوية، إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك، وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة، وتدرسها، وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حكمك بعيدًا عن الخطأ، قريبًا من الصواب[١]".

فيعد أسلوب ضرب الأمثال أحد أساليب التربية الإسلامية المهمة والفعّالة والمؤثرة، بحيث إن المربي الناجح يستطيع عن طريقه مساعدة الطفل في فهم الأشياء غير المحسوسة بتقريبها إلى فهمه بضرب أمثال بالأشياء المحسوسة لديه[٢]".

سادسًا- التربية الوقائية:

إن الوقاية نوع من أنواع التحذير، وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما، من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه، فالوقاية الصحية للإنسان تكمن في تحذيره من ارتياد المواطن الموبوءة، أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو حقنه بجرع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين. والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة، التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والمجتمع إلى الضعف والهوان...

وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق.

وهي كذلك بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة[٣]".

ومن التربية الوقائية في الإسلام إذا انتشر وباء الطاعون في مكان، اتخاذ الحيطة بالبعد عن مصدره بعدم الدخول في الأرض الموبوءة به، وكذلك عدم نشر الوباء في

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح، ١٢٥/١.

(٢) أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن عبدالوهاب البابطين ص ٥٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

الأماكن الأخرى بالخروج إليها من الأماكن الموبوءة، ودل على ذلك حديثا الباب الأول حديث ابن عباس ﷺ الطويل الذي جاء في آخره أن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ. وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».

والثاني حديث أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها».

فإن الإيمان بقضاء الله وقدره أحد أركان الإيمان، والإسلام يأمر الإنسان مربيًا إياه، أن يحافظ على جسده، ويقيه من الأمراض والتربية الإسلامية، كما تبدو في ضوء الحديث الشريف تتضمن هذا الجانب في تربية الجسد[1].

فالإنسان لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة في البيئة الملوثة، وما كان ليحافظ على صحة بدنه وسلامة عقله في تلك البيئة، لو لم يتعلم كيف يحمي ذاته من آثار التلوث السيئة، والفضل في ذلك يرجع إلى ما اكتسبه من معرفة، وما تعلمه عن طريق التربية التي يتزايد انتشارها وتتعقد أساليبها باستمرار[2].

وللتربية دورها في تعليم الإنسان أين يكمن الخطر ويوجد ميكروب المرض[3].

وتعليمه أيضًا كيف يقي نفسه من هذه الميكروبات[4].

ومن خلال ذلك يتضح لنا أهمية التربية الوقائية في الإسلام.

❁ ❁ ❁

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٧٩.

(٢) تعلم لتكون، ايدجار فور وآخرون، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، ط/٢، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: ١٩٧٦م ص ٤٤.

(٣) الرسول ﷺ، سعيد حوى ص ٤٤.

(٤) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ٢٨٠.

٣٦٢- باب التغليظ في تحريم السحر

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[البقرة: ١٠٢].

الحديث رقم (١٧٩٥)

١٧٩٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)). قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ؛ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يبدأ بالأمر المباشر الصادر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة كلها في كل زمان ومكان، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات".

وهذه البداية الصريحة الصارمة مشحونة بالتشويق والإثارة والحث على الانتباه والإصغاء، ولذلك انبثق هذا الحوار الدالّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلى المعرفة والتفقه في دينهم.

فقالوا في لهفة وتشوق يا رسول الله "وما هن" وتأمل هذا النداء الحميم الذي يفيض حباً ومحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: حيث قدَّم الصحابة نداءهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الضمير المنفصل العائد على السبع الموبقات، في قولهم "وما هن"، وهذا التقديم يوحي بأنهم سيستجيبون لهذا النهي، وذلك الأمر، وسؤالهم للوقوف على حقيقة هذه السبع الموبقات، ليس للاعتراض، أو التفكير في الاجتناب أم لا؟ ويُفصِّل رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ١٤٥/٨٩ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٩٩٩.

القول بعد الإجمال، ويوضح الأمر بعد الإبهام، والتعريف "بأل" هو الثوب اللغوي الذي ارتدته هاتان الكلمتان "السبع الموبقات"، وفي ذلك إيحاء بأن هذه الأمور السبعة من أخطر الأمور وأكبرها في اقتياد الإنسان إلى الهلاك، "وأل" هنا للعهد وفي مقدمتها الشرك بالله، وهو من أكبر الكبائر، لأنه كفر بالله: وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(١).

والسحر يلي الشرك بالله في خطره وضرره، وفي ذلك إيماء إلى غلظة وفظاعة شأنه، ولذلك قُدّم على القتل المحرم، لأن السحر كله حرام وكفر بالله، أما القتل فقد يكون واجباً في القصاص، والحد والردة، وكرر لفظ "أكل" في سياق النهي عن أكل الربا، والنهي عن أكل مال اليتيم، إشارة إلى أن آكل مال اليتيم يتساوى في عقوبته، وفظاعة جرمه مع آكل الربا، فهو يأكل في بطنه ناراً، وصياغة هذه السبع الموبقات جاءت متناسقة متوازنة متشابهة، فهي كلها من المصادر ومتعلقاتها، "الشرك، والسحر وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات"، وهذه المصادر توحي بأن مرتكبي هذه السبع الموبقات لا يكتفون بالفروع، ولكنهم يخططون لجرائمهم، وهذه السبع الموبقات تهلكهم هلاكاً مقيتاً، وتقتلع جذور كل عمل طيب، ولذلك ليس من العجيب أن يبدأ رسول الله ﷺ بقوله الذي يلحق فيه: "أل" العهد المعرّف بهذه السبع فيقول: اجتنبوا السبع الموبقات، وقال العلماء: كل من السبع بانفراده موبق في الدين، والله أعلم.

المضامين الدعوية(٢)

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦١٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

تهدف التربية الإسلامية إلى وقاية المسلمين من الموبقات المهلكات التي توجب لهم مقت الله ومقت الناس وتعرضهم لشديد العذاب في الدنيا والآخرة[(١)].

وقد جاءت التربية الوقائية في هذا الباب من سبع موبقات كل واحدة من هذه السبع توقع صاحبها في الهلكة[(٢)].

فقال رسول الله ﷺ: ((اجتنِبوا السَّبعَ الموبقات. قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتْلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ؛ وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيم، والتَّولّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ)).

والتربية الإسلامية هدفها تربية المسلم الذي تتحقق فيه عبودية الله وحده، وتتحقق بتحقيقها كل فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة، والأخلاقية من ورع، وعفة، وقوة، وشجاعة، وحرص على الفضائل، واجتناب كل الرذائل والانحرافات العقدية، والاجتماعية، والأخلاقية.

والمربي الناجح الحريص على مصلحة المسلمين هو الذي يعمل جاهدًا على وقايتهم من هذه المهلكات، وذلك ببيان خطورتها، وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، وبيانه لمن يقوم بتربيتهم، أن هدف التربية هدف رباني لا يأتي إلا كاملاً يستمد كماله من الكمال الإلهي، فهو في كل المجالات، يبعدنا عن النقائص، ويوجهنا نحو الفضائل وخير الإنسانية أفرادًا ومجتمعات، كما أنه يأتي شاملاً يكتنف الحياة من جميع جوانبها، والنفس الإنسانية من كل نواحيها، ويأتي عامًا لكل الناس فهو إنساني وليس خاصًا بمصالح أمة معينة أو قوم بخصوصهم.

ويأتي صالحًا للبقاء والخلود على مر الزمن وهو يستمد خلوده من أنه جاء من عند

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٩٢.

(٢) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٤٠.

الله. ويأتي الهدف الرباني موافقًا للفطرة الإنسانية، وفطرة الإنسان لا تتغير على مر الزمن، من حيث هو فرد، ومن حيث هو عضو في جماعة، ومن حيث هو بشر من دم ولحم وله نوازعه وشهواته، ودوافعه الغريزية؛ من حيث هو إنسان له عقله وإرادته وقدرته على الخير والشر؛ فهدف التربية الإسلامية يربي كل هذه النوازع والدوافع والفطرة ويوجهها كلها نحو مثلها الأعلى، نحو عبادة الله الذي خلق الإنسان وإليه مرجعه ومآله.

وهو هدف خصب تتولد عنه الثمرات الطيبة وليس عقيمًا لأنه لا يجافي الفطرة، ولا يصد طاقات الإنسان بل يحرضها على الإنتاج الخير، ويدفعها إليه دفعًا، ويستوفي منها كل خير تستطيع تقديمه للفرد والجماعة[1].



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٣، ١٠٤.

٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالمصحف إلَى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدوّ

الحديث رقم (١٧٩٦)

١٧٩٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قَالَ: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُسَافَرَ بالقُرآنِ إلَى أرْضِ العَدُوِّ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير، وهو كما يقول الرافعي، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه الضمائر، وكم صدوا عن سبيله صداً، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر، واعترضوه بالألسنة رداً، ولعمري من يرد على الله القدر؟

وألفاظ القرآن إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة، فمنها جنتها وضرامها[2]، ومعانيه هي: عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان.

والحديث الشريف يوجه كل مسلم إلى أن يحافظ على قداسة القرآن ، وأن لا يلقيه في يد لا تعرف قدره، ولا تحترم قدسيته، ويصاغ الحديث في أسلوب خبري مَحْكيّ عن رسول الله يبدأ بالفعل "نهي"، والناهي هو رسول الله ﷺ، والمنهي عنه: هو السفر بالقرآن إلى أرض العدو، وهذا النهي مقيد بحالة الخوف من وقوع القرآن في

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٩٠، ومسلم ١٨٦٩/٩٢ ولفظهما سواء.

(٢) الضِّرَامُ: اشتعال النار، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ر م ت).

أيدي العدو فيهينه الأعداء، أما إذا أمن صاحب القرآن ذلك، فيكره حمله سداً للذريعة وأخذاً بالأحوط، فلا جرم أن القرآن سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صيانة القرآن وحفظه من الامتهان.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على القرآن الكريم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على صيانة القرآن وحفظه من الامتهان:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

قل النووي: "وفيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار، مخافة أن يناله الأعداء فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذ لعدم العلة"[2].

قال القرطبي: (وظاهر هذا النهي: تحريم السفر به مطلقاً، فتستوي فيه الجيوش والسرايا. وهو مذهب مالك، وقدماء أصحابه، وسحنون، وابن حبيب. وذهب أبو حنيفة وغيره: إلى الفرق بين الجيوش العظام فيجاز ذلك فيها، وبين الصِّغار فيمنع ذلك فيها؛ نظراً إلى العِلّة التي نصَّ عليها في الحديث، حيث قال: "فإني لا آمن أن يناله العدو" ونيلُ العدو له في الجيوش العظام نادرٌ. ولأصحاب القول الأول بعد تسليم العلة المذكورة التمسك بسد الذريعة، وبأنَّ نسيانه، وسقوطه ليس نادراً)[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٩٨/٣، ٦٩٩.

وقال الشيخ تقي العثماني: (وقال السرخسي في شرح السير الكبير شارحاً لحديث الباب "تأويله: هذا أن يكون سفره مع جريدة خيل لا شوكة لهم. هكذا ذكر محمد. وذكر الطحاوي أن هذا النهي كان في ذلك الوقت، لأن المصاحف لم تكثر في أيدي المسلمين، وكان لا يؤمن إذا وقعت المصاحف في أيدي العدو، وأن يفوت شيء من القرآن من أيدي المسلمين، أو يغيّر بعض ما في المصاحف مما يعلمون أنه لم يبق بأيدي المسلمين، ويؤمن مثله في زماننا هذا، لكثرة المصاحف وكثرة القراءة. قال الطحاوي: ولو وقع مصحف في أيديهم لم يستخفوا به، لأنهم وإن كانوا لا يقرّون بأنه كلام الله تعالى، فهم يقرّون بأنه أفصح الكلام بأوجز العبارات وأبلغ المعاني، فلا يستخفون كما لا يستخفون بسائر الكتب، ولكن ما ذكره محمد أصح، فإنهم يفعلون ذلك مغايظة للمسلمين، وقد ظهر ذلك من القرامطة حين ظهروا على مكة، جعلوا يستنجون بالمصاحف)[1].

فذكر ابن عمر رضي الله عنهما نهي الرسول ﷺ عن السفر بالمصحف إلى بلاد الكفار، من أجل الحث على صيانته وحفظه من الامتهان.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن نهي الرسول ﷺ عن السفر بالقرآن الكريم إلى بلاد الكفار.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في إخبار المدعوين بالحقائق وأمور دينهم ودنياهم، وهو من الأساليب التي تنتشر بها الدعوة سواء عن طريق الداعية أم المدعوين؛ ذلك لأن المدعو الذي هداه الله تعالى إلى الانصياع إلى الحق، ثم قام بتطبيق منهج الله، لا يتم إيمانه، ولا يكمل إلا بأن يتحول إلى داعية إلى الله تعالى، يدعو غيره من الناس إلى عبادة الله وحده واتباع ما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٠/٩.

وهكذا يكون العمل للإسلام، والدعوة إليه حلقة محكمة البناء، يتحول المسلم فيها من مدعو إلى داع لغيره، ثم يتحول هذا المدعو إلى داع وهكذا [1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على القرآن الكريم:

يظهر ذلك في نهي النبي ﷺ عن السفر بالقرآن إلى بلاد الكفار، فالقرآن هو أشرف وأعظم الكتب، فهو كلام الله عز وجل، "فهو يحمل العلم الإلهي، والحكمة الربانية، والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال، والمنعوتة بالتوفيق والهداية، والمنزهة عن كل قصور ونقص، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]"[3].

وهو دستور الأمة ونورها الساطع، من تكلم به صدق، ومن التزم به نجا، ومن دعا إليه أجر، وهو أشرف وأعظم من أن يكون في يد العدو، ولهذا ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو، ومن ذلك تتضح أهمية الحفاظ على كتاب الله، فينبغي على كل مسلم أن يحرص على الحفاظ على كتاب الله، وأن يبعده عن أي يد تريد أن تنال منه، أو يتعرض لأي صورة من صور الامتهان.

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧، نقلاً عن فقه الدعوة ٢/١٠٤٠.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦.

(٣) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

إن من أبرز ما تهدف إليه التربية الإسلامية صيانة المصدر الأول لها وهو: القرآن الكريم، لأنه المصدر الذي تستمد منه التربية الإسلامية: أصولها ومبادئها وأهدافها وقيمها ووسائلها وأساليبها وكافة ما يتصل بها، إن القرآن الكريم والسنة النبوية يمثلان الينبوع الأصلي للتربية الإسلامية، ومن هنا جاء نهي النبي ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وذلك إذا تيقن المسلم بأن القرآن سيُهان ويُمتهن بأي شكل من الأشكال، إن النبي ﷺ أراد أن يغرس في نفوس أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم ويربيهم على أهمية الحفاظ على القرآن الكريم والحرص على صيانته، والحذر من امتهانه بأي شكل، حتى يرسخ في نفوس المسلمين أهمية الحفاظ على القرآن الكريم، لكن هناك أمرًا ينبغي إيضاحه لكل مسلم: أنه إذا انتفى هذا المانع، وتيقن المسلم بأنه لن يتعرض القرآن للامتهان، فإنه ينبغي للمسلم أن يسافر ومعه القرآن، حتى يقرأ فيه ويراجع ما حفظ منه، أو يتأمل في آياته، أو يُعلم القرآن لغيره، أو غير ذلك من الأهداف المشروعة.



٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

الحديث رقم (١٧٩٧)

١٧٩٧- عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((الَّذي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((إنَّ الَّذي يَأكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

الشرح الأدبي

كان المصطفى ﷺ قدوة في الزهد والقناعة وفي كل سلوك إيجابي مثمر، يَدْفع بالحياة إلى الترقي والتكافل والتآلف، ويقضي على مظاهر البذخ والثراء والإسراف، وهذا الحديث الشريف يصور المسرفين المترفين الذين يبالغون في الزينة والتباهي، فيشربون ويأكلون في آنية الذهب والفضة، تصويراً قبيحاً منفراً، فإذا كانوا قد تمتعوا في دنياهم، فهم في أخراهم يسمعون للنار أصواتاً في بطونهم، والتعبير بقوله: "يجرجر"، يشخص هذه الصورة ويجسدها، ففي المصباح يقال جرجر فلان الماء في حلقه، إذا تجرع جرعاً متتابعًا يسمع له صوت، والجرجرة كناية عن ذلك الصوت، وهذا النص من الأحاديث المهوِّلة، التي يتضح في تصويرها تلازم القبح مع الرعب وشدة الوعيد، فالقبح في أن هذا العاصي مترف مهتم ببطنه، حتى صار يجرجر ما فيها وكأنه حيوان يجر عربة، وكأن بطنه غدت ثقيلة تحتاج إلى جرّ لما امتلأت به من

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٣٤، ومسلم واللفظ له ٢٠٦٥/١، وتقدم برقم ٧٧٨). أورده المنذري في ترغيبه ٣١٢٦.

(٢) بعد حديث رقم ٢٠٦٥/١، بدون رقم.

الشراب الذي انقلب ناراً، ومع الفعل المضارع، "يجرجر"، يحصل تجاوز زمني من خلال النص، إذ ينقلنا من عالم الشهود في الحياة إلى غيب العقاب في نار جهنم، فكأن هذا الآكل يستحضر شيئاً من نار جهنم في بطنه في لحظة استعماله لهذه الأواني، فيتغلغل الغيبي في المشاهد من خلال الحيز الزماني والحيز المكاني.

والصورة التي تصور هذا النموذج، وتجسد عقابه في هذه الصورة المنفرة، يتصدرها "التوكيد"، المقرون "بما" الكافة والمكفوفة، وهي تفيد الحصر، فالتوكيد مع الحصر يطبع هذه الصورة بطابع اللزوم والثبات، وذلك للتنفير والتخويف من السلوك المترف، وجحود النعمة والبطر، والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٧٧٨).

الحديث رقم (١٧٩٨)

١٧٩٨- وعن حُذَيفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نهانا عنِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وقالَ: **((هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ))**. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية في الصحيحين[2] عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **((لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلاَ تَأكُلُوا فِي صِحَافِهَا))**.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ كما يقول البخاري ما كان يتجوَّز من اللباس، أي كان يتوسع فلا يُضيّق بالاقتصار على صنف بعينه، أو لا يضيق بطلب النفيس الغالي، بل يستعمل ما يتيسر، وقال القاضي عياض: كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده، فيلبس في غالب أحواله الشملة والكساء الحسن والأردية والأُزُر.

وفي ضوء هذا السلوك النبوي في ملبسه، نقرأ هذا الحديث الشريف، ونكتشف بعض أسراره التعبيرية، فالحديث يبدأ بتأكيد الخبر، من قول حذيفة "إن النبي ﷺ نهانا".

والنهي صادر إلى مجموع الأمة "وناء" الدالة على غير الفاعلين ترشد إلى ذلك، والمنهي عنه يتمثل في مظهرين من مظاهر سلوك المسلم اللباس والشراب، والطعام تابع للشراب، حيث نهى رسول الله عن الشرب والأكل في آنية الذهب والفضة، ونهى جميع المسلمين عن لَبْس الملابس المنسوجة من الحرير والديباج، وتحريم الحرير والديباج مقصور على الذكور؛ لأن علة تحريمه -من أن فيه خنوثة تنافى شهامتهم- مقصور عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٣٢، ومسلم ٢٠٦٧/٤، وانظر: الحديث رقم ٧٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧/٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٢٧.

وختام الحديث تعليل للتحريم، وإقناع للمسلمين، ووعد وبشارة لهم، حيث قال رسول الله: "هن" أي الحرير والديباج، وآنية الذهب والفضة، "لهم" أي للكفار والمشركين في الدنيا، وهذه الجملة توحي بأن من تشبه بالكفار في هذا فهو منهم، أو يخشى عليه الفتنة في دينه بارتكابه هذا المحرم، والجملة الثانية: وهي تقابل الأولى في ضدية الدلالة والمصير، حيث قال مخاطباً جموع المؤمنين "وهي" أي هذه الأدوات، والملابس: "لكم في الآخرة"، أي في الجنة، وما أجمل هذا الوعد النبوي !! والجملتان وردتا في ثوب الجملة الاسمية دلالة على ثبات هذا الوعد الذي يبشر المؤمنين بنعيم الجنة، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧٧٧).

الحديث رقم (١٧٩٩)

١٧٩٩- وعن أنس بن سيرين، قَالَ: كنتُ مَعَ أنس بن مالك ﷺ، عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ؛ فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلَى إنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأكُلْهُ، فَقِيلَ لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلَى إناءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأكَلَهُ. رواه البيهقيُّ[١] بإسناد حسن.

(الخَلَنْج): الجفْنَةُ.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

نفر من المجوس: نفر اسم يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة[٢].

فالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وتصنع الآن من النشا والماء والسكر[٣].

خلنج: أي: الجفنة[٤].

الشرح الأدبي

لقد توعد رسول الله ﷺ في حديث سابق بأن الذي يشرب في آنية الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وفي الحديث السابق على هذا الحديث فصل القول، ومَزَج قوله بالوعد والبشارة لكل مسلم يقتدى برسول الله ﷺ في الزهد والقناعة، والإعراض عن زينة الحياة الدنيا، وقال هن لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة.

وفي ضوء هذه السيرة العطرة، والبيان النبوي المقنع، الذي يجمع بين الترغيب

---

(١) السنن الكبرى ٢٨/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ا ل و ذ ج).

(٤) رياض الصالحين ٦٠٨.

والترهيب، أشرق سلوك أنس بن مالك، وتجلى موقفه الإيماني في هذا المجلس، الذي حاول المجوس فيه أن يفتنوه في دينه، وأن يغروه بعدم الاقتداء بالرحمة المهداه، والسراج المنير، محمد بن عبدالله ﷺ، وأتوا بالطعام على إناء من فضة، فهل يجامل أنس بن مالك المجوس ويخالف تعاليم دينه.؟ أم لابد من الثبات على المبدأ، والاعتزاز بسلوك المصطفى ﷺ؟؟

إن أنس بن مالك رفض الأكل انطلاقاً من التمسك بمبادئ الإسلام، واقتداء بالنبي ﷺ، وقال لمن قدم الطعام: حوله أي بدِّل الإناء، وجيء بالطعام على إناء من خلنج وهو مصنوع من خشب شجر فارسي، فأكله أنس بن مالك، ومعه ابن سيرين راوي هذا الحديث الشريف: وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعام يقول: باسم الله، فإذا فرغ قال: "اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت"... آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: المجوس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل في أواني الفضة.

أولاً- من أصناف المدعوين: المجوس:

يظهر ذلك في قول أنس بن سيرين: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنه عند نفر من المجوس.

والمجوس هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية يزدان وأهرمن، ومسائلهم تدور على قاعدتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة.

وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً، وهم فرق كثيرة، عبدة النار فرقة ضالة

تفلسفت فوقعت في هذه الترهات. تكون دعوتهم بتعريفهم بالرب الخالق عز وجل المحيي المميت، الذي أوجدهم لأمر عظيم وسخر لهم ما في الأرض جميعاً، كي يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به أحداً.

وذلك باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة الباهرة على وجود إله واحد لا شريك له، ولا ند ولا ظهير، وأن هذا الكون بقبضته سبحانه وتعالى، وحتى لا يكون للبشر حجة أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ختمها بخير كتبه، وخاتم رسله محمد ﷺ مع استخدام كل الوسائل المتاحة لبيان حاجة الإنسان للدين، وأن حياته لن تكون متوازنة إذا كان هكذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يدين بالإسلام الذي ارتضاه الله لناس كافة، بل للإنسان والجن[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب:

يظهر ذلك في قول أنس بن سيرين: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنه عند نفر من المجوس، فجيء بفالوذج على إناء من فضة، لم يأكله فقيل له حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ على إناء من خلنج وجيء به فأكله.

وفي هذا حث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب، وذلك لنهي النبي ﷺ عن الأكل والشرب في آنية الفضة، وإخباره بأنها للكفار في الدنيا ولنا في الآخرة.

فعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال: ((هنَّ لهم في الدنيا، وهن لكم في الآخرة))[2].

وأخبر ﷺ أن الذي يأكل في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ))[3].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٣، ومسلم ٢٠٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٣٤، ومسلم ٢٠٦٥.

وهذا يدل على أن الأكل والشرب في آنية الفضة من كبائر الذنوب، وأنه لا يحل لمؤمن أن يفعل ذلك[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل في أواني الفضة:

يظهر ذلك في امتناع أنس رضي الله عنه عن الأكل في إناء الفضة، وهذا يدل على امتثاله لنهي النبي ﷺ عن الأكل والشرب في إناء الفضة، ومما يؤكد امتثال الصحابة رضي الله عنهم لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل والشرب في أواني الفضة ما فعله حذيفة رضي الله عنه؛ فعن ابن أبي ليلة: أنهم كانوا عند حذيفة رضي الله عنه، فاستسقى فسقاه مجوسي فلما وضع القدح في يده رماه به وقال: لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين، كأنه يقول: لم أفعل هذا، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا))[٢].

والمسلم ينبغي عليه أن يمتثل لتوجيهات النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

قال السعدي: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله"[٤].

ومن أجل ذلك يجب على المسلم امتثال توجيهات النبي ﷺ بترك الأكل والشرب في أواني الفضة.

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٤٢/٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٤٢٦، ٥٦٣٢، ومسلم ٢٠٦٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الرجولة، وترك الترف:

لقد حرم الإسلام على المسلمين رجالاً ونساءً استعمال آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال، كما حرم على الرجال لبس الحرير والديباج والذهب والشرب في آنية الفضة.

ومن أحاديث الباب التي تؤيد هذا منها قوله ﷺ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ نهانا عن الْحَرير والدِّيباج والشرب في آنيةِ الذهبِ والفضةِ، وقال: هنَّ لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة».

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ. وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا».

وما نهينا عن هذه الأشياء المذكورة إلا لنتربى ونتخلق بأخلاق الإسلام التي تؤصل معاني الرجولة والتميز وعدم التشبه بالكفرة. إذ العادة أن المسلم لا يبالغ في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه وأثاثه إلى درجة الإفراط لأن الإسلام يربي المسلمين على الرجولة والاعتزاز بالقيم والمبادئ الإسلامية، وعدم التشبه بغير المسلمين، والحرص على التخلق بأخلاق الإسلام والبعد عن كل ما يتنافى معها من ملبس أو مظهر أو استعمال الذهب في اللبس أو الشرب أو الشرب في أواني الفضة.

وقد كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يلبس البرد الغليظ الحاشية، ويفترش الحصير، ويتوسد الجلد حشوه الليف، ويركب البعير والفرس والبغلة والحمار، مرّة بسرج، ومرة بلا سرج، ويردف خلفه وبين يديه، ويمشي المسافة الطويلة على رجليه، ويأكل ما تيسر من الطعام، ويأتدم اللحم والعسل، وأحيانًا بالخل.

فلا ينبغي لمؤمن متأس بنبيه، ممتثل لأمره ونهيه أن يلبس الذهب أو الحرير اللذين حلا للنساء، وحرما على الرجال، وإنما يلبس الحرير من الرجال من لا خلاق له، ومن لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو لأنه

قد استعجل طيباته وأذهبها في حياته الدنيا.

وحلية أهل الجنة الذهب واللؤلؤ، ولباسهم الحرير وفرشهم الطنافس، وأرائكهم الديباج[١].

وجاء في استعمال آنية الذهب والفضة نهي شديد كما ورد في أحاديث الباب، وهذا يدل على هدف التربية في البعد عن الترف، والبعد عن الإسراف والخيلاء، فلابد من غرس قيمة استعمال الأشياء في مواضعها الصحيحة، فخير لنا من اتخاذ الذهب والفضة أواني أن نستثمرها في الأعمال الصناعية أو الزراعية، أو نتجر بهما فننمي ثروتنا، ونعز أمتنا[٢].

ولكن مما يورث الأسى والأسف أنه قد كثر الترف، واستخف المسلمون بالمحرمات، ففاضت المنازل بآنية الفضة والذهب، وأسرف النساء في الحلي إسرافًا يؤدي إلى سوء الحال، وضياع المال، وإرهاق الرجال.

ولو أخذت الأمة المحمدية بشريعة نبيها، وتعاليم دينها أمرًا ونهيًا، لصلح المجتمع وسعد الأفراد والجماعات، واستقامت الأخلاق ولعاد لهم ما فقدوا، ولكنهم أعرضوا عن خطاب الله لهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣][٤].

ثانيًا- أسلوب الترغيب والترهيب:

جاءت أحاديث الباب مرهبة للمسلمين من الشرب في آنية الذهب والفضة بجرجرة نار جهنم في بطن من يستعملها، ومرهبة للرجال من لبس الحرير والديباج والذهب، بعدم اللبس في الآخرة.

كما رغبت الرجال في عدم لبس الحرير والديباج، وعدم الشرب في آنية الذهب والفضة، بلبسهم واستعمالهم لها في الآخرة.

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٩٤، ٩٥.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٦٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٩٥.

وأسلوب الترغيب والترهيب يتماشى مع الطبيعة البشرية، والذي لا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان[1]، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة[2].

مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي والأمثلة على ذلك يصعب حصرها من الكتاب والسنة[3].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

لقد استخدم أنس بن مالك ﷺ أسلوب الممارسة العملية، وذلك بالعمل بسنة رسول الله ﷺ عندما امتنع عن أكل الفالوذج الموضوع على إناء من فضة.

ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه. وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران، في الدنيا والآخرة. فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران.

ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين ص ٢٤٠، نقلاً عن توحيد الفكر التربوي، د. محمد فاضل الجمالي ص ١١٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

٣٦٥- باب تحريم لبس الرجل ثوباً مزعفراً

الحديث رقم (١٨٠٠)

١٨٠٠- عن أنس رضي الله عنه قَالَ: نَهَى النبيُّ ﷺ أنْ يَتَزَعْفَرَ الرجُل. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتزعفر الرجل: أي يتطيب بالزعفران[٢].

الشرح الأدبي

إن الخيلاء سلوك يرفضه الإسلام، فالمسلم من سماته التواضع والنظافة وحسن الهيئة، ولكنه بمنأى عن التكبر والترفع اقتداءً برسول الله ﷺ فقد جاء عن أنس أنه قال ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٣].

وفي ضوء هذه السمة التي تميز المؤمن في ملبسه ومشربه ومأكله، وهيئته اقتداء برسول الله ﷺ ينهي النبي ﷺ "أن يتزعفر الرجل"، والتزعفر هو المبالغة في الزينة والزخرف والإطلاء بالزعفران، تمسكاً بالخيلاء، وإسرافاً في الزينة التي ينهي عنها رسول الله ﷺ، وصيغة التفعيل في قوله ﷺ "أن يتزعفر الرجل"، تدل على التكلف والمبالغة، والمصدر المؤول المكون من أن والفعل المضارع يوحي بالتكلف، كذلك التفنن في الزينة والزخرف، وهذا ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: اجتناب التشبه بالنساء في اللباس.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٨٤٦، ومسلم ٧٧/٢١٠١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٣، ومسلم ٢٣٣٠.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٠٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠١).

ثانياً: من مهام الداعية: بيان اللباس الذي يجب على المدعو عدم ارتدائه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تميز المسلم في لباسه وعدم تشبهه بلباس الكفار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اجتناب التشبه بالنساء في اللباس:

يظهر ذلك في حديث أنس ﷺ الذي ذكر فيه نهي النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل.

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال: "أمك أمرتك بها؟" قلت: أَغْسِلُهُما؟ قال: "بل أَحْرِقْهُما".

وفي رواية: فقال: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها)[1].

قال النووي: "قوله ﷺ: (أمك أمرتك بهذا)، معناه: أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن، وأما الأمر بإحراقهما فقيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل"[2].

ويؤيد ذلك ما ورد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: هَبَطْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ ثَنِيَّةٍ فالْتَفَتَ إلَيَّ وَعَليَّ رَيْطَةٌ[3] مُضَرَّجَةٌ بالْعُصْفُرِ فقال: ((مَا هذِهِ الرَّيْطَةُ عَلَيْكَ؟)) فَعَرَفْتُ مَا كَرِهَ، فأَتَيْتُ أهْلِي وَهُمْ يَسْجُرُون تَنُّوراً لَهُمْ فَقَذَفْتُهَا فِيهِ ثُمَّ أتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فقال: ((يَا عَبْدَ الله مَا فَعَلَتَ الرَّيْطَةَ))، فأَخْبَرْتُهُ، فقال: ((ألاَ كَسَوْتَهَا بَعْضَ أهْلِكَ فإنَّهُ لا بَأْس بِهِ لِلنِّسَاءِ))[4].

قال ابن تيمية: "كما أن الفرق بين الرجال والنساء لما كان مطلوباً ظاهراً وباطناً؛ لعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء وقال: ((أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ))[5]"[6].

---

(١) مسلم ٢٠/٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣١٨.

(٣) الرَّيْطة: كل ثوب لين رقيق، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ا ل ر ا ئ ط ة).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٦٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٣١).

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٨٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٢/٢٨٢.

وقال ﷺ: ((لَعَنَ رسولُ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ والْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))[١].

فينبغي للمسلم اجتناب التشبه بالنساء، حتى يتجنب اللعن الذي توعد به رسول الله ﷺ من تشبه بالنساء أو العكس، أما اجتناب التشبه بالكفار في لباسهم فيظهر في قوله ﷺ: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها).

قال ابن تيمية: "علل النهي عن لبسها بأنها من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا أو مما يعتاده الكفار لذلك"[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))[٣]. فينبغي اجتناب التشبه بالكفار.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان اللباس الذي يجب على المدعو عدم ارتدائه:

يظهر ذلك من عموم الحديثين[٤] حيث نهى النبي ﷺ الرجال عن لبس المعصفر.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين للمسلم ما يجب عليه عدم ارتدائه من اللباس، فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَلاَ تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: ((أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عنْ لُبْسِ الْقَسِّيِّ وَعنْ لُبْسِ الْمُعَصْفَرِ))[٦].

وغير ذلك من الأحاديث الكثير، التي بيّن فيها ﷺ للمسلمين ما يجب عليهم اجتنابه من اللباس، وكان نهيه ﷺ عن لبسها، إما لما فيها من التشبه بالنساء، أو التشبه بالكفار، وإما لما فيها من الخيلاء والتكبر.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٨٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/٣٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٤٠٣١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

(٤) الحديث رقم (١٨٠٠)، (١٨٠١).

(٥) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٠٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤١٢).

فينبغي على الداعية الاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك، فيبين للمدعوين اجتناب اللباس الذي نهى عنه الإسلام، ويبين لهم علل ذلك، حتى يقبلوا نهيه بنفس راضية عالمة العلة من النهي.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: اهمية تميز المسلم في لباسه وعدم تسبه بلباس الكفار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها).

لقد بعث الله تعالى محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر [١].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢].

فجعل الله محمداً على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك. فإن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أو شك أن يواقعه [٣]، فينبغي البعد عن هديهم الظاهر في اللباس وغيره.

ومن ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابة رضي الله عنهم، ثم عامة الأئمة بعده وسائر الفقهاء، جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم، أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم: قلنسوة، أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر...

فمقصود ذلك التميز عن المسلمين في اللباس ونحوها.. ليتميز المسلم عن الكافر ولا يتشبه أحدهما بالآخر في الظاهر، ولم يرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأصل التمييز بل التميز في عامة الهدي، على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضع [٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٩٢/١.

(٢) سورة الجاثية، آية: ١٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٩٨/١.

(٤) المرجع السابق ٢٦٣/١ - ٢٦٥.

الحديث رقم (١٨٠١)

١٨٠١- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: رأى النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: ((أُمُّكَ أمَرَتْكَ بِهَذا؟)) قلتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: ((بَلْ أَحْرِقْهُمَا))[١].

وفي رواية، فَقَالَ: ((إنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

ثوبين معصفرين: أي مصبوغين بالعصفر الأصفر[٣].

الشرح الأدبي

إننا نقتبس من هذا الحديث الشريف: كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه الالتزام بالمنهج الإسلامي قولاً وعملاً، وهيئة وسلوكاً، وهذا التعلم تشع به صياغة الحديث الشريف... فقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما رأى النبي "عليّ ثوبين معصفرين" يفيد التحقق من عدم التزام عبدالله بالمنهج الإسلامي في ملبسه، لأن الرؤية هنا بصرية وعلمية، والرائي هو النبي المبلغ عن ربه، والذي لا ينطق عن الهوى، وتقديم الجار والمجرور "عليّ" ، يفيد تلبس عبدالله بهذا الصنيع المخالف، والحوار التدرجي الذي يقود إلى الإقناع، من طرق التعلم والمعرفة في الإسلام، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع عبدالله، وبدأ حواره بالسؤال: "أمك أمرتك بهذا؟" وهو سؤال فيه إنكار وتعريض، ويوحي هذا الاستفهام المشع بكثير من دلالات الإنكار، بأن الذي لبسه "عبدالله" من ملابس النساء، وتأتي الإجابة موجزة: حيث لم يجب بنعم أو لا ، وإنما فهم مقصد رسول

---

(١) مسلم برقم ٢٨/٢٠٧٧.

(٢) برقم (٢٧/٢٠٧٧).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣١٧.

الله ﷺ من السؤال، وقال متسائلاً: أغسلهما: والاستفهام هنا حقيقي: فعبدالله يرغب في معرفة الحكم الصحيح، وهذا موقف إيجابي يجب أن يتحلى به كل مسلم في اتباع المنهج، والعمل بالسنة الشريفة المباركة.

ويجيبه رسول الله إجابة صارمة حاسمة تتضمن الإضراب عن المظهر الذي يتشبه فيه "عبدالله" بالكفار، ثم الأمر بحرق هذين الثوبين وليس غسلهما فقط : قال: "بل أحرقهما"، وتتسم الجملتان اللتان ختم بهما الحديث الشريف بالسجع بينهما، والجناس الناقص، وهما يحدثان إيقاعاً صوتياً مؤثراً يبقى أثره في النفس، ويدعو للاستجابة السريعة، والطاعة والسمع، واتباع ما أمر به رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- تحريم اتخاذ[1] الحرير على الرجال دون النساء، لبساً، واستعمالاً فيحرم جعله وسادة أو لحافاً، أو ملاءة أو غير ذلك، وهذا عند جمهور الفقهاء[2]؛ لأحاديث الباب، ولقول رسول الله ﷺ من حديث علي رضي الله عنه "إن هذين حرام على ذكور أمتي حلال لإناثهم"[3].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٥٥/٦، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٢٤٨/١، وكفاية الطالب الرباني ٥٨٤/٢، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠٩/١٦ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٧٧/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٤٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨١/١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣٧٩/١.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/١٧. فقد ذهب أبو حنيفة وبعض المالكية إلى جواز استعمال الحرير في البسط والافتراش والوسائد.

(٣) أخرجه أحمد ٩٦/١ رقم ٧٥٠، ٩٣٥، وأبو داود ٤٠٥٧، والنسائي ١٦٠/٨، وابن ماجه ٣٥٩٥، وصحّحه محققو المسند ١٤٦/٢.

ولأنه فعل الأكاسرة، فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم وزي الأعاجم، وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (لأن أتكئ على جمر الغَضَى[١] أحب إليَّ من أن أتكئ على مرافق الحرير).

ولأنه يورث البدن - نظراً للمسه الناعم- بعض صفات الأنوثة والتخنث، ولهذا لا تكاد تجد من يلبسه إلا وعلى شمائله من التخنث والتأنث، والرخاوة ما لا يخفى[٢].

وفي حكم اتخاذ الحرير، والحالات التي يجوز اتخاذه فيها، كلام طويل ليس محله هنا، فليرجع إلى المطولات من كتب فقه المذاهب[٣].

٢- تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٩٧).

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) الغَضَى: شجر خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمانًا طويلاً لا ينطفئ، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ض ا).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٨٩/٣.

(٣) وقد مضى ذكر بعضها في أول الكلام في فقه هذا الحديث.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية: عدم تشبه الرجال بالنساء:

تهدف التربية الإسلامية أن تكون طبيعة الرجل متميزة، وأن يكون مظهره صورة صادقة لهذه الطبيعة.

كما أرادت ذلك للمرأة، فنهت الشريعة الإسلامية كلا منهما أن يتشبه بالآخر، وحرم عليه ذلك وسواء أكان التشبه في اللباس، أم الكلام، أم الحركة، أم غير ذلك[١].

لهذا جاء في هذا الباب عن أنس رضي الله عنه قال: « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ. فَقَالَ «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا. قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

وهذا النهي خاص بالرجال لأن الثياب المصبوغة بذلك مما يتزين به النساء[٢].

والمسلم لا يلبس لبسة المرأة المسلمة، والمسلمة لا تلبس لبسة الرجل لتحريم الرسول ﷺ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[٣].

في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لُبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لُبْسَةَ الرَّجُلِ»[٤].

فالرجل له صفاته التي ينبغي أن يحرص على التميز بها عن المرأة - وكذلك المرأة - منها اللباس، فما يناسب المرأة لا يناسب الرجل، كما أن الشريعة الإسلامية وضعت أحكاماً للباس الرجل وأحكاماً للباس المرأة فينبغي على كل مسلم ومسلمة الالتزام بها.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى ضرورة التميز في اللباس بين البنت والولد، فلا تتشبه

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق ص ٣٥، بتصرف.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢/٢٦٥.

(٣) أخرجه البخاري، ٥٨٨٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٢/٣٢٥، رقم ٨٣٠٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

البنت بالولد في اللباس أو غيره ولا الولد بالبنت، وذلك لأن تشبه الولد بالبنت في اللباس وغيره يؤدي إلى ضعف شخصيته وقلة رجولته، واتصافه بصفات البنات مما ينافي ما خلق من أجله من الرجولة والخشونة والقيام بالأعمال الجادة في الصناعة والتجارة والجهاد وغيرها من الأعمال، أما البنت إذا تشبهت بالولد في اللباس وغيره فسوف تطغي عليها صفات الذكورة، وهذا يتنافى مع ما خلقت له من الرقة والحنان والجمال الذي جبلها الله عليه.

ثانيًا- من أهداف التربية الإسلامية: عدم التشبه بالكفار:

تهدف التربية الإسلامية إلى مخالفة الكفار وعدم التشبه بهم فيما ليس بضروري من لباس وغيره لهذا قال النبي ﷺ في رواية: «إِنَّ هَـٰذَا مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلاَ تَلْبَسْهَا». لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حينما رأى عليه ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ.

فينبغي مخالفة الكفار في اللباس وعدم التشبه بهم قال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

فالمسلم لا يتشبه بالكافرين أعداء الله وأعداء الدين، بل يرتدي ما أمر به الدين وما هو ليس من لبس الكافرين، فعلى المربي توجيه المسلمين وخاصة الناشئة منهم إلى عدم تقليد الكافرين في اللباس، لأن هذا التقليد الظاهري قد يمتد إلى التقليد في أشياء باطنية تخالف أحكام الدين، كما أن هذا التقليد الأعمى للكافر يمحو شخصية المسلم، ويجعله مقلداً متبعاً لكل ما أتى به المشركون، في حين أن ديننا العظيم يربي فينا الشخصية القوية القادرة على القيادة والتميز الداعية إلى تقليدها والتأثر بها، لا أن تذوب في تقليد غيرها من الكفرة والمشركين الذين لا يلتزمون بدين ولا يتقيدون بأخلاق أو مثل.

فعلينا نحن جميع المسلمين وخاصة شباب الجيل البعد عن تقليد ومحاكاة الكافرين فيما يرتدون من لباس وتصاميم تخالف آدابنا ومثلنا الراسخة والنابعة من ديننا.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابو داود، ٤٠٣١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

٣٦٦- باب النهي عن صمت يوم إلَى الليل

الحديث رقم (١٨٠٢)

١٨٠٢ - عن عليٍّ ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: ((لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلاَ صُمَاتَ يَومٍ إِلَى اللَّيْلِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد حسن.

قال الخَطَّابي في تفسير هذا الحديث: كان من نُسُك الجاهلية الصُّمَاتُ، فَنُهو في الإسلام عن ذلك، وأُمِروا بالذكر والحديث بالخير.

ترجمة الراوي:

عليّ بن ابي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٧٢).

غريب الألفاظ:

اليُتم: فقد الصبي أباه قبل البلوغ[2].

احتلام: إدراك سن البلوغ وإنزال المني في المنام[3].

صمات يوم: سكوت[4].

الشرح الأدبي

يشع هذا الحديث بعدة مفاهيم يجب أن يفطن لها كل مسلم، لأن معرفتها تفتح آفاقًا من المعرفة، ونوافذ من الوعي، تجعل الإنسان أهلًا للمسؤولية ملتزمًا بمعالم التصور الإسلامي، ومنها: التوازن في شخصيته، والثبات على مبادئه، والإيجابية في سلوكياته، ومواقفه وعلاقاته بالآخرين في المجتمع وبأفراد الأمة بصفة عامة.

ومفهوم اليتم في الإسلام ينتهي بعد الاحتلام أو البلوغ، وبعدها يصير المرء رجلًا

---

(١) برقم ٢٨٧٣. قال ابن حجر في الكافي الشافي ١/٤٥٤: إسناده حسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي ت م).

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٥.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢٢٤.

مسؤولًا عن أعمال، مكلفًا بما فرض عليه من عبادات وتشريعات، واليتم: في اللغة الانفراد، أو فقدان الأب، واليتيم: الفرد، وكل شي يعز نظيره، وهو يتيم، ما لم يبلغ الحلم. ومن معاني اليتم الهمّ، وبالتحريك اليَتَم، الإبطاء.

وهذه المعاني: تفيد أن اليتيم ضعيف الجانب مكسور الجناح، ولكن بعد أن يبلغ الحلم، يصير رجلاً مكلفًا مسؤولاً.. يكد ويشقى، ويواجه أعباء الحياة في صبر وشجاعة، وإيمان وقوة، وهذا هو السر الذي يشع به البيان النبوي، "لا يُتم بعد احتلام"، حيث تكمن وراءه دلالات كثيرة تقود المسلم إلى اجتياز كل الصعاب، وتخطي العوائق بالإيمان والعمل الصالح، والقيام بواجبات التكليف، وأما الأمر الثاني الذي نفاه رسول الله فهو التزام الصمت، والانقطاع عن الكلام يومًا كاملاً، بدافع النفور من الناس، أو الميل إلى العزلة، وتجنب حركة الحياة، وهذا الصمت يؤدي إلى الاكتئاب، وفقدان الثقة بالنفس، أما إذا كان الصمت بدافع الرغبة في التأمل والتفكر والتدبر، فهو مستحب ولكن لا يكون طيلة اليوم، حتى لا يفتقد الناس أثر هذا الصامت، وحتى لا يتشبه من يرتضي هذا السلوك بكهان الجاهلية، فقد كان من نسك الجاهلية الصمات كما يقول الخطابي: فنهوا في الإسلام عن ذلك وأمروا بالذكر والحديث بالخير. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة الصمات إلى الليل، وذلك لأنه كان من نسك الجاهلية، فلما جاء الإسلام نهى عنه، وأمر بالذكر والحديث بالخير. وإن نذره، لم يجب عليه الوفاء به، لأنه كنذرة المعصية.

وهذا هو الذي عليه جماهير الفقهاء[1].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٤٩/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٩٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٦/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٣/٢، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٣٧٥/١، والفروع، ابن مفلح ١٤٣/٣-١٤٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٣.

وقال أبو ثور وابن المنذر[١]، له أن يفعله إن كان ذلك أسلم له، لقول النبي ﷺ "من صمت نجا"[٢].

ولكن يناقش هذا: بأنه محمول على الصمت عما لا يعنيه من الكلام[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الصمت الطويل.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: فضل الكلام بذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس.

رابعًا: من صفات الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ: (لا يُتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل)، حيث بيّن أن الطفل بعد الاحتلام لم يعد يتيمًا، وبين أنه لا يصح الصمات إلى الليل، وبين أن ذلك حفظه عن رسول الله ﷺ.

وقول أبي بكر رضي الله عنه لمن حجت مصمتة: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية.

حيث بيّن أن الصمت كان في الجاهلية والإسلام نهى عنه.

---

(١) الفروع، ابن مفلح ١٤٣/٣-١٤٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٨/٢، ١٧٧ رقم٦٤٨١، ٦٦٥٤، والترمذي ٢٥٠١ وحسّنه محققو المسند، وانظر تتمة تخريجه في: المسند ١٩/١١.

(٣) الفروع، ابن مفلح ١٤٤/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٨٠٢) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٣).

والداعية ينبغي عليه أن يبين ويوضح للمدعوين الحقائق، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[2]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة.

وقد كان ﷺ (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه حقيقة ما يدعوهم إليه وأصله[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الصمت الطويل:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ: (... ولا صمات يوم إلى الليل)، وقول أبي بكر رضي الله عنه: (تكلمي، فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية).

قال ابن تيمية: "فأخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصدًا ذلك عيب هذا العمل وذمه.

وتعقيب الحكم بالوصف: دليل على أن الوصف علة، ولم يشرع في الإسلام، فيدخل في هذا: كل ما اتخذ من عبادة، مما كان أهل الجاهلية يتعبدون به، ولم يشرع الله التعبد به في الإسلام، وإن لم ينوه عنه بعينه كالمكاء والتصدية، فإن الله تعالى قال للكافرين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[4].

والمكاء: الصفير ونحوه.

والتصدية: التصفيق.

فاتخاذ هذا قربة وطاعة من عمل الجاهلية الذي لم يشرع في الإسلام، وكذلك

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

بروز المحرم وغيره للشمس، حتى لا يستظل بظل، أو ترك الطواف بالثياب المتقدمة، أو ترك كل ما عمل في غير الحرم، ونحو ذلك من أمور الجاهلية التي كانوا يتخذونها عبادات، وإن كان قد جاء نهي خاص في عامة هذه الأمور، بخلاف السعي بين الصفا والمروة، وغيره من شعائر الحج، فإن ذلك من شعائر الله، وإن كان أهل الجاهلية قد كانوا يفعلون ذلك في الجملة [1].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: فضل الكلام بذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس:

يظهر ذلك من عموم الحديثين[2] فالنهي عن الصمت لأن هذا يؤدي إلى ترك التسبيح والتهليل والتحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن وغير ذلك [3].

والمسلم إذا تكلم ينبغي ألا يتكلم إلا بخير قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

قال السعدي: "لا خير في كثير مما يتناجون به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير؛ فإما لا فائدة فيه، كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: (إلا من أمر بصدقة)، من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ. وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ))[5].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٣٧١/١ - ٣٧٢.

(٢) الحديث رقم (١٨٠٢)، (١٨٠٣).

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٤٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

أو معروف: وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضًا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر.

أو إصلاح بين الناس: والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجد الشر والفرقة، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس.

فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير كما دل على ذلك الاستثناء[1].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ))[2].

فهذا يدل على أن الإنسان ينبغي أن يتكلم بذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، ولا يصمت عن هذه الأشياء بل يصمت عن المعاصي.

رابعًا- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

يظهر ذلك في قول قيس بن حازم: دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها: زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم؟

وهذا يدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على تفقد أحوال المدعوين وله في ذلك القدوة في رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ حريصًا على تفقد أحوال المدعوين.

ومما يدل على اهتمام النبي ﷺ بأحوال المدعوين، أنه كان يتفقدهم كي يتعرف على أحوالهم فيزودهم بالتوجيه المناسب لهم، أو يعلق على غيابهم بما يفيدهم والسامعين، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَبيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثابتَ بن قَيْس، فقال رجُلٌ يا رَسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوَجَده جالسًا في بيتِهِ مُنكِّسًا رأسَه، فقال له: ما شأنُكَ؟ فقال شرٌّ. كانَ يَرْفع صَوْته فوقَ صوتِ النَّبيِّ ﷺ فقد حَبطَ عَمَلُه وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ ﷺ فأخبرَه أنَّه قال

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ٦١٨٣، ومسلم ٤٧.

كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليْه المرَّةَ الآخِرَة ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: ((إنَّك لَسْتَ من أهل النَّار، ولكنَّك من أهلِ الجنَّة))[١].

ومما نجده في هذه القصة أن النبي الكريم ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فتعرف على حاله، ثم قدم له التوجيه الذي أخرجه به -بفضل الله تعالى- عما كان هو فيه من الهم والغم[٢].

وقال النووي: "وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم، أن يتفقد أصحابه، ويسأل عمن غاب منهم"[٣].

(١) أخرجه البخاري ٤٨٤٦، مسلم ١١٩.

(٢) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١١١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩.

الحديث رقم (١٨٠٣)

١٨٠٣- وعن قيس بن أبي حازم، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه عَلَى امْرأَةٍ مِنْ أحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لاَ تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ: مَا لَهَا لا تتكلمُ؟ فقالوا: حَجَّتْ مصمِتةً، فقالَ لها: تَكَلَّمِي، فَإنَّ هَذَا لاَ يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

غريب الألفاظ:

أحمس: من قريش، ومن وَلَدتَ قُريش، وكنانة، وجديلة قيس، سُمّو حُمسًا لأنهم تحمسوا في دينهم أي: تشددوا[2].

مصمتة: ساكتة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحوار المشرق بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه والصحابة بشأن هذه المرأة المسلمة التي بالغت في العبادة.. يعد تنفيذًا لمنهج الإسلام المعتدل المتوازن، فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه، والقصد والاعتدال في العبادة من مقومات المسلم في عبادته ومعاملاته، وسلوكياته.

والحديث يَرْصد مشهدًا واقعيًا حيث رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه امرأة يقال لها زينب: "لا تتلكم": أي أنها لا تخاطب أحدًا، ولا يخاطبها أحد، وهي تظن أن هذا الصمت من إكمال العبادة، وأن حجها سيكون أفضل في ظل الصمت وعدم الكلام.

ومن جماليات التعبير في الحديث مجيء هذه الجملة في موقع: الحال: "لا تتكلم"،

---

(١) برقم ٣٨٣٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٥/٧.

وهذا تصوير لحال هذه المرأة وتشخيص لواقعها، ثم يجيء استفهام أبي بكر وهو استفهام إنكاري؛ حيث قال: "مالها لا تتكلم؟" والإنكار رفض لهذا الصمت الذي وهمت هذه المرأة بأنه مكمل للعبادة، ولم يقل لها: مالك لا تتكلمين؟ لأنها في صمتها لن ترد عليه، وحتى لا تظن أنه يُعنفها، وذلك من حكمة أبي بكر ﵁ في التوجيه والإرشاد، ولكن حين عرف السبب، وقال له ﵁ الصحابة: حجت مُصمته، قال لها: تكلمي، والتوجيه هنا جاء في صيغة الأمر الحاسم: لأن الصمت بدعة في هذه الحالة، وجاء التعليل المؤكد بعد هذا الأمر الصريح، فقال: فإن هذا لا يحل.

وتكرار اسم الإشارة يرشد إلى ضرورة الانتباه، وسرعة الاستجابة والإقلاع عن هذا السلوك، والجملة الأخيرة... "فتكلمت"... تفصح عن استجابة هذه المرأة لأمر أبي بكر ﵁، وعدم مجادلته فيما قال.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث تكرار العطف بالفاء في جمل الحديث المتعاقبة: على هذا النحو (فرآها- فقال- فقالوا- فقال لها- فتكلمت)

وهذا التوالي الذي انبثق من خلال العطف بالفاء ينبئ عن سرعة أبي بكر ﵁ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا منهج إسلامي راسخ الدعائم، ثابت الأصول مستمد من قول رسول الله ﷺ "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من وسائل التربية الحفظ:

إن الحفظ نعمة من الله ينعم بها على من شاء من عباده، فينبغي لطالب العلم أن يكون على استحضار للأدلة والنصوص الشرعية.

فلقد كان الرسول ﷺ حريصًا على حفظ القرآن إذا أنزل عليه، فأمره الله تعالى إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1].

ولقد وهب الله صحابة نبيه ﷺ حافظة قوية مكنتهم من حفظ القرآن والسنة في صدورهم ونقله إلى غيرهم من الصدور إلى السطور.

وفي هذا الباب ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: حَفِظْتُ عن رَسُولِ الله ﷺ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إلى اللَّيْلِ».

فالحفظ وسيلة تربوية هامة، وهذا ليس في العلوم الإسلامية فقط، بل في كل العلوم التي تتطلب إجابات محددة بنصوص موثقة. فالحفظ ضروري لكل العلوم، والذاكرة الحافظة تخدم صاحبها في كل مكان ما دام مستعدًا لكل سؤال يلقى عليه.

ومما يدل على أهمية الحفظ وانه لا يكفي الفهم فقط، أن كثيرًا من العلوم كالرياضيات والعلوم والحاسب الآلي والفلك وغيرها ترتكز على حقائق وقوانين ومعادلات لابد من حفظها للوصول لنتائجها الصحيحة، ولا يكفي فهمها بل لابد من حفظ كل مسألة فيها لتؤدي غرضها[2].

وقس على ذلك تعلم اللغات الأجنبية فلابد فيه من حفظ مفردات وقواعد وتراكيب تلك اللغة ليستطيع التعبير عما يريد بألفاظ صحيحة.

---

(١) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٩٥، ٩٦.

فلابد أن نشجع الطلاب والطالبات على الحفظ ليخرجوا وقد تسلحوا بسلاح علمي قويم يستطيعون به نفع أنفسهم وإخوانهم ومجتمعهم، ولاشك أن الفهم مهم ولكن الحفظ أهم في بعض المواد لأنه يخدم صاحبه وهو الذي يميز النابغين المتفوقين عن غيرهم حيث حفظوا المقررات وسددوا في الإجابات فحازوا قصب السبق[1].

وأول ما ينبغي أن يتربى على حفظه الصغير حفظ كتاب الله جل وعلا، لاسيما في الصغر الأذهان صافية، وقدرة الصغار على الحفظ فائقة، والذي ليس في جوفه شيء من القرآن فهو كالبيت الخرب.

ثم بعد أن يحفظ القرآن الكريم أو ما تيسر له، فعليه أن يشرع في حفظ بعض أحاديث السنة النبوية لينال الأجر الوارد بدعاء المصطفى ﷺ بقوله: «نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[2].

ثم بعد ذلك ينتقل طالب العلم لحفظ ما شاء من المتون العلمية النافعة المختصرة، فإنها ركيزة مهمة من ركائز العلم يحسن البدء بها لأنهم قالوا: لن تنالوا العلوم إلا بحفظ المتون.... ومن رام الوصول حفظ الأصول[3].

ثانيًا- التربية بالأحداث والمواقف:

الأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان[4].

وقد استغل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حدث وموقف امرأة من أحمس يقال لها: زينب، فرآها لا تتكلم: فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت مصمته، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية فتكلمت، فوجهها إلى عدم الصمت الطويل لأن هذا من أعمال الجاهلية فأثر في سلوكها هذا وعدله.

---

(١) المرجع السابق ٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٦٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد عبدالله الباتلي ص ٩٧، ٩٨.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٣٨.

والأحداث وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[١].

والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها[٢].

والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية وعن طريق التأمل إن كانت داخلية[٣].

ولقد اتبع المربي الأول رسولنا الكريم ﷺ أسلوب التربية العملية، تعليمًا وتدريبًا، وربط التوجيه بالأحداث والوقائع الجارية في حياة الناس، والتربية الإسلامية في هذا المجال تظهر من خلال حديث الرسول ﷺ وقبله القرآن الكريم[٤]. تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان، كما تصوره الإسلام[٥].

ثالثًا: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

تميزت التربية الإسلامية بموازنتها بين الأشياء فلم تغفل جانباً أو تهتم بجانب على حساب جانب.

يتجلى هذا التوازن في هذا الباب في النهي عن صمت يوم إلى الليل، وهذا في قول الإمام علي رضي الله عنه حفظت عن رسول الله ﷺ «...ولا صمات إلى الليل» وأمر أبي بكر رضي الله عنه المرأة الأحمسية بالكلام عندما رآها صامتة.

فإذا قارننا بين هذا النهي وبين الأصل العام في الشريعة الإسلامية بحفظ اللسان، يتضح لنا التوازن في ذلك، فإن الشريعة لم تأخذ بعمل أهل الجاهلية بنذر الصمت يوماً أو ليلة والتعبد به وقهر النفس، وكذلك لم تطلق العنان للسان فيتحدث بما شاء،

---

(١) فلسفة التربية كما يحددها القرآن، علي خليل ص ١٢١.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ٥٧٢.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٤٩/١.

(٥) في التربية الإسلامية د. عبدالغني عبود ص ١٥٧.

وكيف شاء ولكنها وازنت بين الأشياء فحثت على الصمت في الكلام، في الحشو والعبث وأذى الناس، وأمرت بالكلام في الخير والذكر والتسبيح والتهليل فهذه الأشياء عبادة لا يجوز الصمت عنها عمدًا أو إيثار الصمت عنها، قال تعالى في ذلك: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ»[2]. فعلى المسلم أن يوازن بين كلامه وصمته فإذا كان الكلام خيرًا وفيه الثواب ورضا الله تحدث، وإذا كان الصمت خيرًا له صمت، وآثر الصمت على الكلام.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى التحدث بالخير والذكر والدعاء والصمت عن الشر والأذى للمسلمين.



(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٧٤ رقم ٦٦٢١، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١١/١٩٢.

٣٦٧- باب تحريم انتساب الإنسان إِلَى غير أَبيه وَتَولّيه إِلَى غير مَواليه

الحديث رقم (١٨٠٤)

١٨٠٤ - عن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أبيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ غَيْرُ أبيهِ، فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

ادَّعَى: انتسب[2].

الشرح الأدبي

إن الإسلام دين النقاء، والصفاء، ومن أصوله المقررة عدم اختلاط الأنساب، حتى تتحدد الحقوق، ولا يُعتدى على الحرمات، ولا تضطرب العلاقات الاجتماعية، وهذا هو الحديث الأول في باب: تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه.

والحديث الشريف يوضح الموقف الحاسم من هذه القضية.. حيث تضمنت صياغته اللغوية ثلاث جمل، وكل جملة تتآزر مع الأخرى في تجسيم المراد، وتحديد المقصود، فالجملة الأولى تتكون من أداة الشرط وفعل الشرط "من ادَّعى إلى غير أبيه" وهذا الشرط فيه إنذار ووعيد يفهم من السياق، والجملة الثانية: وهي "حالية" حيث تصور واقع هذا المدّعى لأنه يعلم أن ادّعاءه غير صحيح، فهو يزيف الأنساب، وهو يحاول أن يتبرأ من جذوره، وينتمي إلى غير حقله، ويخرج عن دائرته، "وهو يعلم أنه غير أبيه"، والجملة الثالثة تتم المعنى، وتفصح عن المقصود، وتحدد المراد وهو العقاب الشديد الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٦، ومسلم ٦٣/١١٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٥٧.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، في (د ع و).

يحل بهذا المدّعى، وهل هناك أقسى من هذا العقاب، الذي يحرم الجنة على كل من يلجأ إلى هذا السلوك الاجتماعي الشائن، "فالجنة عليه حرام"، وجواب الشرط يجيء في قالب الجملة الاسمية، التي تدل على الثبات وعدم الخضوع للزمن.. وتحرك الحدث، فالعقاب ثابت ومؤكد، وفي اللغة تحديد لدلالة هذا المدّعي، فالمدْعاةُ، الادعاء في النسب، والدَّعي: المتهم في نسبه، ويقولون: ادّعاه: صيره يُدْعى إلى غير أبيه، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديثين[2] من الفقه:

١- تحريم انتفاء الشخص من نسبه المعروف[3]، والادعاء إلى غير أبيه[4].

٢- إن معنى قوله "فالجنة حرام عليه" فيه تأويلات[5]:

أحدها: إن ذلك محمول، على المستحل لذلك.

ثانيها: إن الجنة محرمة عليه أولاً عند دخول الفائزين، وأهل السلامة، فيمنع من دخولها إلى أن يعذب بذنبه، إذا أراد الله ذلك، وقد يعفو سبحانه وتعالى عنه فلا يجازيه.

ثالثها: إن ذلك محمول على الزجر عن هذا الأمر، لما يؤدي إليه ذلك من فساد[6].

٣- جواز إطلاق الكفر على المعاصي، إذا قصد بذلك الزجر[7].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٢) الحديث رقم (١٨٠٤)، (١٨٠٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢/٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٤) وليس معنى هذا الحديث أن من اشتهر بالنسبة إلى غير أبيه يدخل في الوعيد كالمقداد بن الأسود رضي الله عنه وإنما المراد به من تحول عن نسبته لأبيه عامدًا مختارًا. انظر في ذلك: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥/١٢، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢/٢.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه وهو يعلم.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على الأنساب ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وقوله ﷺ: (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)[2].

حيث أخبر ﷺ عن تحريم انتساب الرجل إلى غير أبيه وهو يعلم، والإخبار من أهم أساليب الدعوة، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالإخبار والبلاغ لأمته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3].

ثم اهتدى بهديه ﷺ أصحابه رضي الله عنهم فدعوا الناس إلى الهدى، وأخبروهم عن أمور دينهم ودنياهم، وما سمعوه وشاهدوه عن رسول الله ﷺ امتثالاً لأمره ﷺ: ((وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[4]، وقوله ﷺ: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[5].

فالإخبار من أساليب الدعوة، التي ينبغي أن يستخدمها جميع المسلمين دعاة ومدعوين للإخبار بأمر الدين.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٦٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٠٤ ومسلم ١٣٥٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه وهو يعلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وقوله ﷺ: (فمن رَغِبَ عن أبيه، فهو كفر).

قال ابن كثير: "وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم"[1].

وقال الطيبي: "قوله: (من ادعى)، الدعوة بالكسر في النسب، وهو أن ينسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه، والادعاء إلى غير الأب مع العلم به حرام، فمن اعتقد إباحته كفر لمخالفة الإجماع، ومن لم يعتقد إباحته ففي كفره وجهان: أحدهما أنه أشبه فعله فعل الكفار، والثاني: أنه كافر نعمة الإسلام، أقول: ومعنى قوله: (الجنة عليه حرام)، على الأول ظاهر، وعلى الثاني تغليظ"[2].

قال ابن أبي جمرة: (والحكمة في ذلك أنه لما خالف هذا حكمة الله سبحانه وتعالى في عبيده، وترتب على ما فعله تحريم ما أحله الله، وتحليل ما حرمه الله، وترتب عليه هذا الوعيد العظيم، ولو اعتقد أن ذلك جائز لكان كافرًا، بيان ذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[3] "وحلل من النسب وحرم منه ما شاء" أعني في التناكح بينهم حسب ما يعرف ذلك من أحكام الشريعة، وقد تقرر الحكم به فلا يحتاج إلى ذكره، فإذا انتسب هذا إلى غير أبيه، فقد ابتعد عن هذا النظام البديع، وحرم على نفسه وعلى غيره نكاح من قد أحله الله له ولغيره، وحلل لنفسه ما قد حرمه الله عليه وعلى غيره، فإنه يتزوج بتلك النسبة التي انتسبها ذوي محارمه الحقيقيين وهم عليه حرام، ويحرم على نفسه أو على غير محارمه الزوريين بحسب انتسابه، فيكون حرم من ذلك ما أحله الله تعالى "وأما قولنا" هل يتعدى الحكم إلى غير هذا أم لا؟ فحيث وجدنا من خالف حكم الله تعالى مثل ما فعل هذا، قلنا له الحكم فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٩/٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٥٥/٦.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

كالحكم في هذا سواء، لأنه بواحدة مما فعل هذا يكون الخلود في النار، أعني في الاعتقاد لقول الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[1].

وبإجماع الأمة أن من أحل واحدة مما حرمه الله سبحانه، أو حرم واحدة مما أحله الله عامدًا لذلك مستبيحًا لذلك، أنه كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كفرًا، وفيه معنى آخر وهو سوء أدب العبودية مع الموالية، لأن حكم العبودية اتباع كل ما أمرت به الموالية فالعبد إذا خالف حكم مولاه وجب أدبه، ولذلك قال بعض أهل التوفيق: أعظم الكرامات، الاتصاف بأوصاف العبودية، وامتثال أمر الربوبية، جعلنا الله من أهلها بمنه)[2].

قال ابن عثيمين: "فإن الإنسان يجب عليه أن ينتسب إلى أهله: أبيه، جده، جد أبيه.. وما أشبه ذلك، ولا يحل له أن ينتسب إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه ليس بأبيه"[3].

ومما يدل على أهمية الانتهاء عن الانتساب لغير الأب مع العلم، أمر المولى تبارك وتعالى بنفي نسب غير الآباء، وأمره بالانتساب للآباء، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[4].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله): هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وهذا هو العدل والقسط"[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٥.

(٢) بهجة النفوس ٤/٢٣٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤ - ٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٧٧.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على الأنساب ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم:

يستنبط هذا من عموم الحديثين، حيث حرم الإسلام الانتساب إلى غير الآباء مع العلم، وبيّن رسول الله ﷺ أن من يفعل ذلك تحرم عليه الجنة، وقال هو كفر.

قال ابن حجر: "وقال بعض الشرّاح: سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله كأنه يقول: خلقني الله من ماء فلان، وليس كذلك لأنه إنما خلقه من غيره"[١].

فالأب سبب وجود الإنسان في الدنيا، فيجب على الإنسان أن يحافظ على نسبه منه ويحترم نسبه له، دون أن يزدري نسبه وينتسب لغيره؛ فالإسلام حافظ على الأنساب وحرم الاعتداء عليها، وذلك لأن الأنساب هي قوام القرابة في الأسرة، ودعامة الرابطة بين أفرادها، ومن أجل ذلك حرص الإسلام على حمايتها من كل ما يؤدي إلى اختلاطها أو يوهن حرمتها، فكان من أهدافه الرئيسة المحافظة على الأنساب، ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٥٦.

الحديث رقم (١٨٠٥)

١٨٠٥ - وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبِيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ**)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

لقد أمر الله الحق سبحانه بالإحسان إلى الوالدين، وإلى التباهي بالانتساب إليهما، لأن الأبناء ثمرات الآباء، والثمار لا تنضج إلا في ظلال الارتباط بالجذور، والنمو في حقل خصب مترع بالحياة، ومظاهر التآلف والتراحم والمصافاة، وهذا الحديث الشريف إنذار إلى الأبناء الذي يحاولون قطع صلاتهم بجذورهم بحثًا عن حقْل جديد، وهيهات هيهات أن يفوزوا بما يريدون، وما هي إلا أوهام في متاهاتها يغرقون، وفي مفازاتها يضلون.

والحديث الشريف يتكون من جملتين: الأولى صيغت في أسلوب إنشائي.. حيث تبدأ بأداة النهي "لا" والنهي موجه إلى أفراد الأمة كلها، "لا ترغبوا عن آبائكم" أي لابد من التمسك بالانتساب إلى الأب، وعدم قطع هذه الصلة التي كرّمها الله عز وجل، فقال: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[2]. ولا يضير صاحب الجاه أو السلطان أن يكون أبوه فقيرًا، أو ضعيف الجاه أو المكانة، فحق الأبوة فوق كل هذه الأعراض المتغيرة، لأنه جوهر الحياة، وبوابة النجاة.

والجملة الثانية: جاءت في أسلوب الشرط والجواب، وهي تفسير للنهي في الجملة الأولى، وكأنها إجابة لسؤالٍ ينشأ في الذهن.. وتقديره: ما جزاء من يرغب عن أبيه ويتبرأ منه، فقال رسول الله، "فمن رغب عن أبيه فهو كُفْر"، وأسلوب الشرط مناسب

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٨، ومسلم ٦٢/١١٣ ولفظهما سواء.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥.

للدلالة في هذا الحديث: لأن الجزاء من جنس العمل، والحديث يتسم بالإيجاز لأنه يتضمن مقاصد كثيرة، ويومئ إلى قضايا اجتماعية تتكرر في كل بيئة، وفي كل زمان، وتكرار مادة "رغب" مرتين، للتنفير من هذا السلوك الجاحد الشائن، وكذلك تكرار: مادة "الأبوة" مرتين "آبائكم" "وأبيه" للتأكيد على حق الأبوة، وللتذكير بالحفاظ على هذا الحق، والتمسك بالانتساب إليهما، ويؤكد هذا الحق إضافة لفظ "آباء" إلى ضمير المخاطب الدال على الجمع : كم، وهو ضمير متصل للتعبير عن هذا الالتحاق والترابط بين الآباء والأبناء، وكذلك إضافة "أب" إلى الضمير المتصل: وهو "الهاء" العائد على كل ابن في هذا الوجود، لتأكيد حق الأبوة، وجملة جواب الشرط، تجيء في صيغة الجملة الاسمية، لتأكيد ثبات العقوبة التي تحل بكل جاحد راغب عن أبيه، ولم يقل فهو كافر: لأن الكفر مصدر، ودلالته أقوى من اسم الفاعل، "كافر"، وكأن هذا الصنيع من الابن هو الكفر نفسه، كفر بالله تعالى، أو كفر بالأب وحقه المشروع، وهذا من سمة بلاغة النبوة، وجوامع كلمه ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٠٦)

١٨٠٦ - وعن يزيد بن شريكِ بن طارقٍ، قَالَ: رَأيتُ عَلِيًّا ﷺ عَلَى المِنبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يقُولُ: لاَ واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إلاَّ كِتَابَ اللهِ، وَمَا فِي هذهِ الصَّحِيفَة، فَنَشَرَهَا فَإذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإبلِ، وَأشْيَاءُ مِنَ الجرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً. ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أدْنَاهُمْ، (فَمَنْ أخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً) [١]. وَمَن ادَّعَى إلَى غَيرِ أَبيهِ، أَوْ انْتَمَى إلَى غَيرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً)). متفق عَلَيْهِ[٢].

"ذِمَّةُ المسلمين" أي: عهدهم وأمانتهم و"أَخْفَرَهُ": نقض عهده. "والصَّرْف" التَّوْبَة، وقيل: الحِيلَة "والعَدْل": الفداء.

ترجمة الراوي:

علىّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

أسنان الإبل: أعمار الإبل[٣].

الجراحات: الجنايات ما دون النفس قد لا تكون بالقطع والإبانة؛ بل بالجرح، وهي أنواع كثيرة تتفرع عن أصلين: الجراح الواقعة على الرأس، والجراح الواقعة على باقي الجسد[٤].

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ١٣٧٠/٤٦٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٧٠، ومسلم واللفظ له. ١٣٧٠/٤٦٧، أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٥٩).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ن ن).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر ح)، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/١٦ - ٢٢.

عير: جبل بالمدينة المنورة من الشرق إلى الغرب[1].

ثور: جبل ثور بالمدينة[2].

صرفًا ولا عدلاً: الصرف: التوبة، وقيل الحيلة. والعدل: الفداء.

ذمة المسلمين: عهدهم وأمانتهم[3].

فمن أخفر مسلمًا: نقض عهده[4].

مواليه: المولى[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث جاء في سياق خطبة لعليّ بن أبي طالب ﷺ، وفي هذه الخطبة يستشهد علي بن أبي طالب ﷺ: بحديث رسول الله ﷺ: في تكذيب الرافضة الذين زعموا أن رسول الله ﷺ خص عليًا عن سائر الناس بعلم لم يطلعوا عليه، وفي الحديث تأكيد على عدم نقض العهد، وعدم قطع الصلة بين الابن وأبيه، وكذلك المولى لا ينتمي إلى غير مواليه.

والحديث يموج بعدة ظواهر أسلوبية توصل معانيه، وتوضح مقاصده، ومن هذه الظواهر الجمالية:

أ- القسم في مفتتح كلام "علي بن أبي طالب" حيث قال: "لا والله"، وقيل "لا" مزيدة للتأكيد أو لنفي كلامٍ وقع قبلها، أي ليس عندنا ما يقوله هؤلاء الرافضة، والقسم يؤكد هذا النفي.

ب- أسلوب القصر في قوله: ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة.

والقصر هنا عن طريق "النفي والاستثناء": وفي ذلك قصْر للعلم والمعرفة على كتاب الله سبحانه وما ورد عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، والصحيفة في هذا الحديث تضمنت توجيهات رسول الله ﷺ.

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٨٠.

(٢) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٣) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٤) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ى).

ج- الإيقاع الصوتي المؤثر المتمثل في السجع في قوله: "ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ"، وهذا من الإيجاز في البيان النبوي: مع التحديد والتركيز والتأثير، ففي كلمتين حدّد موقع الحرم النبوي، وحرم المدينة.

د- أسلوب الشرط الذي تكرر ثلاث مرات في سياقات متعددة، ولكنها كلها تنطلق من دائرة المحافظة والتمسك بالأصول، والمحافظة على الحرمات، ومنها: المحافظة على حرمة المدينة المنورة "فمن أحدث فيها..."، والمحافظة على عهد الأمان، "فمن أخفر مسلمًا..." والمحافظة على النسب والانتماء "ومن ادعى إلى غير أبيه" ومجيء هذه التوجيهات في أسلوب الشرط والجزاء للتأكيد على عقاب من يخالف: فهو سيلقى عقابه: فالجزاء من جنس العمل.

هـ- تكرار بعض الجمل للتأكيد على عقاب المخالفين والجاحدين، والذين لا يحافظون على حرمة المدينة المنورة، والجملة التي كُرِّرت اتحدت وظيفتها النحوية، فهي جواب للشرط في الجمل الثلاث (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وتكرار قوله: لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: ثلاث مرات: يؤكد أن العقوبة التي ستلحق بهؤلاء المخالفين ليست وعيدًا فقط، ولكنها عقوبة حقيقية، وأيُّ عقوبة أشد وأنكر من "لعنة الله والملائكة والناس أجمعين": والله لا يقبل فريضته، ولا نافلته قبول رضا حيث قيل بأن: الصرف، الفريضة، والعدل النافلة، وقيل: الصرف التوبة، والعدل: الفدية، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم شجر المدينة، وصيدها، لأنها حرم ما بين جبلي عير، وثور[1]، كحرم

---

(١) اعتقد بعض كبار العلماء أن ذكر "ثور" في الحديث جاء على سبيل الخطأ على أساس أنه جبل في مكة، وليس في المدينة، وزعموا أن أصل الحديث (من عير إلى أحد)، وليس كذلك، بل "ثور" جبل صغير حذاء "أحد" عن يساره جانحًا إلى ورائه، فعلم من ذلك أن ذكر "ثور" في الحديث صحيح، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته، وعدم بحثهم عنه. انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٢/٥.

مكة وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، من المالكية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، وغيرهم.

لكن قال مالك والشافعي، إن قطع شجرًا، أو قتل صيدًا، فلا ضمان عليه، لأنه ليس محلاً للنسك فأشبه الحمى[٤].

وقال ابن أبي يعلى[٥]: يجب فيه الجزاء كحرم مكة، وبه قال بعض المالكية.

وذهب أبو حنيفة[٦] إلى أن المدينة ليست بحرم، ولا يثبت له الأحكام من تحريم قتل الصيد، وقطع الشجر.

والراجح: الأول للأحاديث الدالة على ذلك.

٢- تحريم خفر ذمة المسلم، ونقض عهده، فإذا أَمَّنَ مسلم بعض الكفار، فإن أمانه ماض.

وهذا خاص بأمان بعض الكفار دون جماعتهم، إذ لا يجوز لمسلم أن يعطي أمانًا عامًا لجماعة الكفار، فإن فعل ذلك لم يجز، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل الجهاد[٧].

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٧٩/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٢٨٤/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٧٣/٣.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٩/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٦٨/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٢٧/٦.

(٣) المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢٠٧/٣، والفروع، ابن مفلح ٢٥٩/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥٦٠/٣.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٧٩/٢، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٢٧/٦.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٣/٥، وبه قال الشافعي في القديم، الروضة ١٦٨/٣.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٣/٥.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/٦.

٣- تغليظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، وانتماء العتيق إلى غير مواليه لما في ذلك من كفر النعمة، وتضييع حقوق الإرث، والولاء، والعقل، وغير ذلك، علاوة على قطيعة الرحم، والعقوق[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الرد على من ادعى أن النبي ﷺ خصّ عليًا رضي الله عنه بعلم دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرمة المدينة المنورة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ارتكاب المعاصي في المدينة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الانتساب إلى غير الأب والانتماء إلى غير الموالي.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ادعاء الإنسان ما ليس له.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اتهام المسلمين بالكفر أو رميهم بأنهم أعداء الله.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر هذا في قول يزيد بن شريك بن طارق: رأيت عليًا رضي الله عنه على المنبر يخطب.

(منذ أقدم العصور والخطبة من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس، للتأثير في مشاعرهم، ولإقناعهم بالأفكار الجديدة والعقائد الجديدة، وبقي شأن الخطابة كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وما تلاها من حكومات، بل بقي شأنها كذلك في كل ثورة حدثت على وجه البسيطة، وذلك في العصور القديمة والوسطى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٣/٩.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٨٠٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٧).

والحديثة، وسيبقى لها هذا الشأن حتى تبدل الأرض غير الأرض)[١].

(والخطابة تعد من شعائر الإسلام، ففي كل جمعة يجتمع المسلمون في جامع يسمعون خطيبًا يُذكّر بالإسلام ويعلمهم أحكامه.. وفي كل عيد يجتمعون بحشد أكبر للغرض نفسه.. وفي الحج يستمع الحجيج - من بقاع العالم - إلى الخطيب وهو يُذكّر وينصح في عرفة، وعلى الخطيب أن يصور الحدث أو الفكرة بكل دقة ووضوح، وأن يستعمل في خطبته كل ما من شأنه جذب انتباه الناس بالأسلوب الحسن الجميل)[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: القسم:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: (لا والله ما عندنا..)، ويعد القسم وسيلة مهمة من وسائل إبلاغ الدعوة، (وذلك لأن القسم وسيلة قولية موجزة قصيرة تلائم الطباع الذكية النبيهة التي تكفيها الإشارة، والقسم وسيلة قديمة عرفها الناس قديمًا، واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية، والقسم أيضًا وسيلة إقناع، لأنها تعمل على ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا)[٣].

ثالثا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: "ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله".

إن القرآن الكريم مصدر الدعوة الأول، ودستورها الثابت، الذي لا يأتيه الباطل، فهو كلام الله تعالى ووحيه، غير مشوب بأوهام البشر ولا بأهوائهم، مبرأ من التحريف والتبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٤]، ومنزه عن النقص والقصور، فهو إذن

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط/١، دار الفكر العربي: ١٩٧١م ص ١٧٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان ص ١٠٦ - ١٩٧.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩-٣٣٠، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٩١ نقلا عن الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ١٢١-١٢٢.

(٤) سورة الحجر، آية: ٩.

الخير الخالص، والنور الصافي، ليس لجبريل عليه السلام منه إلا النقل، ولا لمحمد ﷺ إلا التلقي والتبليغ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[1].

فالقرآن الكريم يحمل العلم الإلهي، والحكمة الربانية، والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال، والمنعوتة بالتوفيق والهداية، والمنزهة عن كل قصور ونقص.

والقرآن الكريم بالنسبة للداعية حجته التي لا تضل، وبينته التي لا تزول، ورايته التي لا تتوارى، يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاءً ووضاءة، ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا.. لسان من لا لسان له، وفصاحة من لا فصاحة عنده، وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم، كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار، وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج، أو شرور وآثام، وفتن وأهواء[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الرد على من ادعى أن النبي ﷺ خصّ عليًا رضي الله عنه بعلم دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم:

ويظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: (لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة...).

قال النووي: "هذا تصريح من علي رضي الله عنه بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم أن عليًا رضي الله عنه أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة، وأنه ﷺ خصّ أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم، وهذه دعاوى باطلة، واختراعات فاسدة لا أصل لها، ويكفي في إبطالها قول علي رضي الله عنه هذا"[3].

قال ابن عثيمين: "وفي إقسام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو الخليفة الرابع، والبار

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

(٢) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٥.

الصادق بدون قسم - أن النبي ﷺ لم يخصهم بشيء، دليل على كذب الرافضة والشيعة الذين يقولون: إن النبي ﷺ عهد بالخلافة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ظالمون معتدون كافرون منافقون هكذا - والعياذ بالله - يصفون خير هذه الأمة بهذه الأوصاف، نسأل الله العافية، ونسأل الله أن يجازيهم بما يستحقون به من عدله إنه على كل شيء قدير، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إن كانوا صادقين في محبته وولايته وأنهم يتولونه وأنهم شيعته، فليصدقوه بهذا اليمين الذي أقسم به على المنبر - وهو يخطب الناس معلنًا أن النبي ﷺ ما خصهم بشيء أبدًا إلا كتاب الله الذي يقرأه المسلمون صغارًا وكبارًا إلى يومنا هذا - والحمد لله - (وما في هذه الصحيفة)، ثم نشرها وقرأ فيها شيئًا من أسنان الإبل في الزكاة والثياب والجراحات التي لم تبين في هذا الحديث، وإنما بينت في أحاديث أخرى"[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرمة المدينة المنورة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور).

لقد جعل الله تعالى المدينة حرمًا كما هو الحال في الحرم المكي، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا بلغت حد التواتر[٢].

منها: عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا. وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ. وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَي مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ))[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المدينةُ حَرَمٌ من كذا إلى كذا، لا يُقطَعُ شجرُها، ولا يُحْدَثُ فيها حدَثٌ. مَن أحدَثَ فيها حدَثًا فعليهِ لَعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ))[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٤٦/٢.

(٢) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم خاطر ٦٠/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٢٩، ومسلم ١٣٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٦٧، ومسلم ١٣٦٦.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من ارتكاب المعاصي في المدينة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا..).

قال النووي: "قال القاضي: معناه: من أتى فيها إثمًا أو آوى من آتاه وضمه إليه وحماه..

وقوله: عليه لعنة الله إلى آخره: هذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا، قال القاضي: واستدلوا بهذا على أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة، ومعناه: أن الله تعالى يلعنه وكذا يلعنه الملائكة والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالى، فإن اللعن هو الطرد والإبعاد، قالوا: والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه، والطرد عن الجنة أول الأمر، وليست كلعنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الإبعاد، وقوله: (لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً)، قال القاضي: وقيل: المعنى: لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا، وإن قبلت قبول جزاء، وقيل: يكون القبول هنا بمعنى تكفير الذنب بهما، قال: وقد يكون معنى الفدية هنا: أنه لا يجد في القيمة فداء يفتدي به، بخلاف غيره من المذنبين الذي يتفضل الله عز وجل على من يشاء منهم؛ بأن يفديه من النار بيهودي أو نصراني بما ثبت في الصحيح"[1].

وكل ذلك يدل على الترهيب من ارتكاب الإثم في المدينة وإيواء من يرتكبه.

سابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الانتساب إلى غير الأب والانتماء إلى غير الموالي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً).

وحديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر...))[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٠٨.

قال النووي: "قوله ﷺ: (ومن ادعى لغير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، هذا صريح في غلظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، أو انتماء العتيق إلى ولاء غير مواليه، لما فيه من كفر النعمة، وتضييع حقوق الإرث والولاء والعقل وغير ذلك، مع ما فيه من قطيعة الرحم والعقوق)[1].

وقال القرطبي: (قوله: "ليس من رجل ادّعى لغير أبيه، وهو يعلمه، إلا كفر" أي: انتسب لغير أبيه رغبةً عنه مع علمه به، وهذا إنما يفعله أهل الجفاء والجهل والكبر؛ لخسة منصب الأب، ودناءته، فيرى الانتساب إليه عارًا، ونقصًا في حقه، ولاشك في أن هذا محرم، معلوم التحريم، فمن فعل ذلك مستحلاً فهو كافرٌ حقيقة، فيبقى الحديث على ظاهره، وأما إن كان غير مستحل، فيكون الكفر الذي في الحديث محمولاً على كفران النعم والحقوق، فإنه قابل الإحسان بالإساءة، ومن كان كذلك صدق عليه اسم: الكافر، وعلى فعله: أنه كفر، لغةً وشرعًا، على ما قررناه، ويحتملُ أن يقال: أطلق عليه ذلك، لأنه تشبّه بالكفار أهل الجاهلية، أهل الكبر والأنفة، فإنهم كانوا يفعلون ذلك)[2].

ثامنًا – من موضوعات الدعوة: الترهيب من ادعاء الإنسان ما ليس له:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار..).

قال القرطبي: (وقوله: "من ادّعى ما ليس له فليس منا" ظاهره التبري المطلق، فيبقى على ظاهره في حق المستحل لذلك، ويتأول في حق غير المستحل بأنه ليس على طريقة النبي ﷺ ولا على طريقة أهل دينه، فإن ذلك ظلم، وطريقة أهل الدين العدل وترك الظلم، ويكون هذا كما قال: ((ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب))[3] ويقرب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥١٩، ومسلم ١٠٣.

منه: ((من لم يأخذ من شاربه فليس منا))(١)) (٢).

قال النووي: "وفي الحديث تحريم دعوى ما ليس له في كل شيء، سواء تعلق به حق لغيره أم لا، وفيه أنه لا يحل له أن يأخذ ما حكم له به الحاكم، إذا كان لا يستحقه"(٣).

وقال ابن حجر: "ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشيء ليس هو للمدعي، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالاً وعلمًا وتعلمًا ونسبًا وحالاً وصلاحًا ونعمة وولاء وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك"(٤).

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من اتهام المسلمين بالكفر أو رميهم بأنهم أعداء الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه)، قال ابن حجر: "والحاصل أن المقول له إن كان كافرًا كفرًا شرعيًا، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه"(٥).

قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلاً مُسْلِمًا، فَإِنْ كَانَ كَافِرًا وَإِلاَّ كَانَ هُوَ الْكَافِرُ))(٦).

وتجد طائفة من الناس مما أعمى الله بصيرتهم، ولغوا في أعراض الناس تكفيرًا وتبديعًا وتفسيقًا، وكأن الله تعبدهم بذلك، والواحد منهم يطلق عبارة التكفير أو التبديع أو التفسيق وهو منشرح بها صدره، مع أن السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٥٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٥.

(٥) المرجع السابق ١٠/٤٨١.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٠٤، ومسلم ٦٠.

على هداهم من أئمة الإسلام - كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - كانوا يتحرجون من ذلك كثيرًا، وخصوصًا في التكفير، حيث لم يتلفظوا بشيء من ذلك إلا بعد أن قامت لديهم أدلة لا تقبل الشك، وانتفت في حق المعين الموانع وقامت عليه الحجة"[1].

لأن اتهام المسلمين بالكفر، أو رميهم بأنهم أعداء الله، من أخطر الأشياء وأشدها جرمًا، لما فيها من الرمي بالباطل.

(١) كتاب الآداب، د. فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ١٣٧ - ١٣٨.

الحديث رقم (١٨٠٧)

١٨٠٧- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه : أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ ، يقول: ((لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إلاَّ كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُو اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)). متفق عَلَيْهِ[١]، وهذا لفظ رواية مسلم.

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ليتبوأ مقعَده: لينزل أو يتّخذه[٢].

حار: عاد ورجع[٣].

الشرح الأدبي

يؤكد هذا الحديث تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه، وكذلك تحريم اتهام أي إنسان بالكفر، إلا إذا كانت للمتهم بينة وأدلة قاطعة على ما يقول.

والحديث في مبناه يفصح عن معناه، وأسلوبه الرصين يضيء كثيرًا من مقاصد معناه المبين.

وتتعدد أنواع الجمل والأساليب على الرغم من قلة الألفاظ: فالجملة الأولى يغلفها أسلوب القصر عن طريق النفي بـ "ليس"، والاستثناء "بإلا" (ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر).

وهذا القصر مع بلاغته وإفصاحه عن طبيعة هذا الجرم الذي ارتكبه ذلك الدعيُّ يتضمن بعض السمات البلاغية في داخل هذه الجملة: ومنها "من" الزائدة، والزيادة هنا

(١) أخرجه البخاري ٣٥٠٨، ومسلم واللفظ له ٦١/١١٢. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٥٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب و أ).

(٣) المرجع السابق في (ح و ر).

ليست إسهابًا أو ترفًا لفظيًا.. ولكنها للتأكيد والاستقصاء: فأي رجل مهما كان شأنه وجاهه وسلطانه يدعى لغير أبيه فهو كافر، وتنكير كلمة "رجل" للشيوع والعموم، وقد يكون للتحقير، لأن من يَدَّعى لغير أبيه لا يستحق التكريم.

والجملة الثانية "ومن ادعى ما ليس له فليس منا"، تأكيد للدلالة في الجملة الأولى، ولكن الدلالة هنا أعم وأشمل فهي قاعدة عامة تحرّم على كل إنسان أن يدعي ما ليس له، أو يسلب حق غيره، أو يعتدي على الحرمات، وقوله: "فليس منا" يفصح عن مقاصد كثيرة تتجمع خيوطها في أنه خرج عن جماعة المسلمين.

ولتأكيد هذه الدلالة، وهذه العقوبة: تجيء الجملة الثالثة في أسلوب الأمر، وهو أمر ساخر وفيه تهديد ووعيد، لأنه إنباء عن المستقبل المظلم الذي تجسد في هذا البيان النبوي البليغ، "وليتبوأ مقعده من النار"، والجملة الثالثة جاءت في أسلوب القصر، وفيها إنذار لكل من يتهم غيره بالكفر، فمن فعل ذلك عاد سهْم التهمة إليه ولحق به الكفر، وقيل هذا التعبير محمول على الزجر والتنفير من إلحاق التهم بالآخرين، وفي ذلك محافظة على العلاقات بين المسلمين، وحرص على الترغيب ورفض للترهيب، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم انتساب الشخص إلى غير أبيه، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٨٠٤).

٢- تحريم الدعوى بشيء ليس للمدعي، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها، مالاً أو غيره، ويزاد في التحريم بزيادة المفسدة المترتبة عليها[1].

٣- تحريم نسبة المسلم إلى الكفر وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٣٤) والحديث رقم (١٧٣٥).

المضامين الدعوية[2]

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية: المحافظة على الأنساب:

من احترام الإسلام للمسلم، صيانة النسب فلا يجوز الطعن في نسب ثابت شرعًا، وهذا من أكبر مفاخر الإسلام، وكذلك لا يجوز لمسلم أن ينتسب إلى غير أبيه مهما كانت الأسباب، وإلا حُرِمَ رحمة الله عز وجل[1].

وقد جاءت أحاديث الباب صريحة في هذا منها قوله ﷺ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». وقوله ﷺ: «لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ».

والحديث المطول الذي رواه يزيد بن شريك بن طارق عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ يفيد وقوع من فعل ذلك في غضب الله ولعنته «وَمَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، ... فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. لاَ يَقْبَلُ اللّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً».

وقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ»، فهذا تحذير شديد من النبي ﷺ من الرغبة عن الآباء والانتساب إليهم. لأن الأصل في الإسلام الانتساب إلى الأب، ولا يجوز التخلي عنه إلى نسب آخر - كما هو الحال في بعض البلاد الإسلامية - تمشيًا مع العادات الغربية بانتساب المرأة إلى نسب زوجها بعد زواجها، وتركها الانتساب لأهلها، فهذا حرام كما هو منطوق الأحاديث الشريفة[2]، ويلحق بهذا ما يفعله بعض المشاهير من الانتساب إلى غير آبائهم الأصليين. فكل هذا يدل على خسة ونذالة مع الوالد، فبدلاً من مكافأته وبره بالتشرف بالانتساب إليه، يكون الانتساب إلى غيره.

فينبغي على المربي والمجتمع بأسره غرس قيمة الانتساب إلى الآباء في نفوس الناشئة، وتنشئتهم على احترام الآباء وتقديرهم لا التبرئ من الانتساب إليهم، وليعلم

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد ص ٢٨٥.

(٢) انظر: بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي ص ٢٢١ ، ٢٢٢.

الجميع أن الأب من اختيار الله للإنسان فقد اختار الله لكل إنسان من بين البشر أبًا واحدًا، ولا يوجد اختيار أفضل من اختيار الله عز وجل، فينبغي على المسلم أن يفضل ويعتز باختيار الله له بالانتساب إلى أبيه، ولا يسعى إلى أن يختار غيره، أو يرضى باختيار غيره له أبًا غير أبيه.

ثانيًا- أسلوب الترهيب:

لقد رهبت أحاديث الباب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه، بالحرمان من الجنة، وكفر من يرغب عن أبيه ويدعى إلى غيره، ولعنة الله وملائكته والناس أجمعين له ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، وأنه ليس من المسلمين، وليتبوأ مقعده من النار.

ورهبت من أحدث حدثًا في المدينة المنورة، وإيواء من أحدث حدثًا فيها. كما رهبت من تولية العبد لغير مواليه، ورهبت من رمي المسلم بالكفر، أو عداوة الله.

وأسلوب الترهيب من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في أي زمان ومكان، لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، وهو وعيد وتهديد بعقوبة مؤكدة تترتب على القيام بسلوك غير مرغوب فيه، وهو يؤدي دورًا مهمًا في تغيير سلوك الأبناء خاصة إذا أحسن استخدامه، وإذا أدرك الأبناء من خلال هذا الأسلوب النتائج التي يمكن أن تترتب على سلوكهم غير المقبول[١].

ثالثًا- من مصادر التربية: القرآن الكريم:

من مصادر التربية التي يتضمنها هذا الباب: القرآن الكريم، وهذا في قول علي بن أبي طالب ﷺ: «لاَ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللَّهِ».

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتربية الإسلامية، والذي تُستَمّد منه، وفي هديه أهدافُها، ومادتُها، وطرقها ووسائلُها، والذي على ضوئه تقيم تلك التربية وتعدل. فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها[٢].

ولقد ترك أثرًا لا شك فيه في تربية النفس، بداية من الرسول ﷺ الذي كان

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٤، ٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٦٥.

خلقه القرآن، وقال تعالى له: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1]، والصحابة لم يتوقفوا عند مجرد حفظ القرآن بل تعدى ذلك إلى العمل به وتطبيقه حتى كان له أثر عظيم في تربيتهم.

والقرآن الكريم يربى من خلال الإقناع العقلي المقترن بالعواطف والانفعالات الإنسانية ويبدأ من المحسوس إلى المجرد، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله وعظمته، وهو في ذلك يستخدم أساليب تربوية عدة منها: الاستفهام بغرض التقريع أو التنبيه أو التحبيب، والتذكير بالجميل أو نحو ذلك مما يثير في النفس الانفعالات الربانية كالخضوع والشكر، ثم محبة الله، ثم تأتي العبادات والسلوك المثالي تطبيقًا عمليًا للأخلاق الربانية، وحسبنا أن نبين أن القرآن الكريم قد بدأ بآيات تربوية فيها إشارة إلى أن أهم أهدافه تربية الإنسان بأسلوب حضاري فكري عن طريق الاطلاع والقراءة والتعلم والملاحظة العملية، وهكذا يقرر القرآن الكريم قابلية الإنسان للتربية[2].

رابعًا- من وسائل التربية: الكتابة:

تعتبر الكتابة من وسائل التربية المفيدة وتظهر هذه الوسيلة في هذا الباب في قول يزيد بن شريك: رأيت عليًا ﷺ على المنبر يخطب فسمعته يقول: «لاَ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ .... وما في هذه الصحيفة" فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل أو أشياء من الجراحات، وفيها قال رسول الله ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ.....إلخ» الحديث.

وفي ذلك جواز كتابة العلم، وأن السنة كُتب بعضها زمن رسول الله ﷺ[3].

إن الكتابة أمر مهم لطالب العلم، ويحتاج دائمًا لتدوين مسموعاته ليرجع إليها متى شاء، لأن الإنسان مهما أوتي حفظًا وفهمًا فإنه عرضة للنسيان، وعدم استذكار تلك المسائل التي سمعها منذ زمن وكلما بعدت المدة كان النسيان أحرى.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٣٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ١٢.

(٣) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/ ٢٧٠.

ولقد كان النبي ﷺ ينزل عليه القرآن، يستدعي أحد كتاب الوحي من أصحابه ليكتب الآيات التي نزلت[١].

كما شجع ﷺ على تعلم الكتابة، بافتداء أسرى بدر، بتعليم عشرة من أبناء المسلمين، فوضع بذلك أساسًا حضاريًا للتربية الإسلامية[٢].

وأمر ﷺ بكتابة حديثه لمن طلبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ قامَ رَسُولُ الله ﷺ فذكر الخطبة: فقامَ رَجُلٌ مِنْ الْيَمَنِ، فقالَ يَا رَسُولَ الله اكْتُبوا لِي، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: اكْتُبُوا لأبِي شَاةٍ»[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ أحَدٌ أكثرَ حَديثًا عنهُ منِّي، إلا ما كان من عبدالله بنِ عمرو، فإنه كان يكتُبُ ولا أكتُبُ»[٤].

فالكتابة وسيلة تربوية مهمة لحفظ العلم والإفادة منه، كما أنها وسيلة وأداة تنوير وتثقيف، وخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه وسائل الكتابة، من صحف ومجلات، وكتب قصصية وأدبية وغيرها من الوسائل المكتوبة، فينبغي على القائمين على هذه الوسائل العناية بها بإبراز القيم الإسلامية المختلفة، من أجل تنوير وتثقيف وتربية المجتمع المسلم عليها.

خامسًا- من أهداف التربية: البعد عن تكفير المسلمين ووصفهم بعداوة الله:

إن التكفير والتفسيق، والإخراج من الملة أمر خطير، وذنبه عظيم لهذا قال ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

يقول شيخ الإسلام: "ومن جالسني يعلم ذلك مني ؛ أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسبَ معيَّنٌ إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية؛ إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإني أقرر

---

(١) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٩٠.

(٢) التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني ص ١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٢، ومسلم واللفظ له ١٣٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣.

أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية"[١].

هذه قضية أصولية في العمل الإسلامي عدل في فهمها الكثير من الدعاة عن جادة الصواب، فتارة يحكم أحدكم بالكفر على أخيه المسلم لمجرد مخالفته لقضية اعتقادية كل له برهانه ودليله، وتارة يحكم عليه بالفسق والمعصية لقضية فرعية يتعذر فيها الجمع على قول واحد، بل الأدهى من ذلك والأمر، أن أحدهم يدعى لنفسه ولجماعته سلامة الاعتقاد والاجتهاد مطلقًا، ولغيره مظنة الخطأ والزلل. متجاهلاً هدي القرون الأول من الصحابة والتابعين، فهذه عائشة وغيرها من الصحابة كانوا يتنازعون في رؤية محمد ﷺ لربه، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لا تقول لابن عباس وغيره من المنازعين لها أنه مفتر على الله، يقول صاحب متن الطحاوية[٢] مبينًا الضابط الشرعي في التكفير والتفسيق وعدمه: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله" لقوله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا»[٣]. ويوضح لنا شارحها[٤] بقوله: وأما الشخص المعين، إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإن من أعظم البغي أن يشهد علي معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، لأن الشخص المعين، يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩/٣.

(٢) أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩١، بلفظ «مَنْ صَلَّى صَلاتَنا، واستَقبَلَ قِبلتَنا، وأكلَ ذَبيحتَنا، فذلكَ المُسلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللهِ وذمة رسولهِ، فلا تَخفِروا اللهَ في ذِمَّتِه».

(٤) علي بن أبي العز الأذرعي.

ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص[1]، ومن هنا فنحن لا نكفر مسلمًا أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأي أو بمعصية إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة ونحوهما[2].



(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، أحمد يوسف الأنصاري ص ٣٦، ٣٧.

٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عز وجل أو رسوله ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢].

الحديث رقم (١٨٠٨)

١٨٠٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **((إنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ[١]، وَغَيْرَةُ اللهِ، أنْ يَأْتِيَ (المَرْءُ) [٢] مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ[٣]))** متفق عليه[٤].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن المسلم مطالب بالالتزام بما أمره به ربه، وبالانتهاء عما نهاه الله تعالى عنه، وإن الحق سبحانه وتعالى يغار أن تُنتهَك حرماته، وهذا الحديث الشريف في منطوقه البياني الدال المفيد يتصدره التأكيد بـ "إن" حيث يقول رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يغار"، وهذا التأكيد يفصح عن صدق الخبر، وعن الرغبة في إقناع المتشككين في ذلك، والشاك يساق إليه الخبر في ثوب التأكيد حتى يزول الشك من ذهنه، ويتفتح قلبه لضياء اليقين، وتستجيب حواسه لنداء الإيمان فيعي ما يَسْمع وينفذ ما يقرأ أو يُلقى إليه

---

(١) عند مسلم زيادة: (وإن المؤمن يغار).

(٢) لفظ البخاري: (المؤمن)، والمثبت لفظ مسلم.

(٣) (عليه) لا توجد عند البخاري.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٢٣، ومسلم ٢٧٦١/٣٦، وتقدم برقم ٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٤٥٢.

من تعاليم وتوجيهات، والفعل "يغار" يرشد إلى استمرار هذه الغيرة، لأن الناس في صراعهم مع مكابدات الحياة يقترفون المعاصي، ويجترحون السيئات، والغيرة بالنسبة إليه تعالى كما قال العلماء غايتها المنع، أي منع العبد من فعل المحرمات "والجملة الثانية" في الحديث إخبارية اسمية وهي تفسير لمفهوم "غيرة الله" لأنها ليست كغيرة البشر، فالبشر يغارون حسداً وحقداً، على غيرهم، وبدافع من التضرر والأذى كما تغار النساء من الضرائر، ودلالة الغيرة في اللغة: لا تتفق مع مفهوم الغيرة في هذا الحديث...، ففي الحديث تغير عن حاله تحول وغيَّره: جعله غير ما كان وحوَّله وبدَّله، ويقولون: أغار أهله، تزوج عليها فغارت.

ومفهوم الغيرة في هذا الحديث له أفق جديد يتسق مع منهج الإسلام في علاقة العبد بربه، وعلاقته بالناس، وما أوجز هذا البيان، وما أجمله! وما أشمله! وما أكمله! وهو قول رسول الله ﷺ وغيرة الله أن يأتي المرءُ ما حرم اللهُ عليه".

وتكرار لفظ الجلالة في الحديث ثلاث مرات، لمزيد من التأثير في النفوس، وزرع الهيبة والخوف من الله تعالى في القلوب، وللإشعار بأن الأمر جد، وأن غيرة الله لا يطيقها أي إنسان مهما كان، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي عن ارتكاب ما حرم الله تعالى من الفواحش وسائر المنهيات، والمحرمات، لأن حمى الله في أرضه محارمه، ولأجل الغيرة، حرم الله الفواحش ما ظهر منها، وما بطن[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٧/٧٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤/٢٧٧.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تعظيم حرمات الله واجتناب المعاصي:

إن من أعظم أهداف التربية الإسلامية تعظيم حرمات الله واجتناب المسلم للمعاصي، لذا كان تحذير الإسلام من ارتكاب ما نهى الله عز وجل أو رسوله ﷺ.

وجاء حديث الباب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اللّه تعالى يغار، وغيرة اللّه أن يأتي المرءُ ما حرم اللّه عليه».

فإن من أمارات صدقِ الإيمان وقوتّه بُعد العبد عن معصية الله تبارك وتعالى وتعظيمه لمحارمه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «المؤمنَ يرَى ذنوبهُ كأنه قاعدٌ تحتَ جَبل يَخاف أن يَقعَ عليه، وإن الفاجرَ يَرى ذنوبهُ كذُبابٍ مرَّ على أنفهِ فقالَ به هكذا - قال أبو شهاب بيدهِ فوق أنفهِ»[1].

ومن ثم كان من أهم ما ينبغي أن يعني به المربي، غرس تعظيم حرمات الله ومعاصيه في نفوس من يربيهم.

ومن الوسائل التي تعينه على ذلك:

أ- تذكيرهم بشأن الذنوب والمعاصي وخطورتها، وأثرها على النفس.

ب- ابتعاده هو عنها، ومجانبته إياها.

ج- أن يروا منه تعظيمها واستنكاف إتيانها، وتأثره حين يرى أحدًا يواقعها، وهو سلوك لا يستطيع أن يتكلفه من لم يستقر تعظيم حرمات الله في قلبه.

د- أن يجنبهم المواطن التي تظهر فيها المعاصي، ويعوِّدهم على هجرها إن لم يستطيعوا إنكارها، لذا فقد عظم الشرع عقوبة المجاهر بالمعصية، ونهى عن مجالسة أهل العصيان إن لم يرتدعوا عن ذلك ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٠٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٠.

هـ- ألا يتساهل بمجاهرة أحد بها، وأن يناصحه حين يراه وقع. محذرًا إياه من شؤمها وأثرها[1].



(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٦٠، ٦١.

٣٦٩- باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيًا عنه

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[فصلت: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

الحديث رقم (١٨٠٩)

١٨٠٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاَّتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرك فَلْيَتَصَدَّقْ**)) متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

باللات والعزى: اللات: اسم صنم كان لثقيف بالطائف. والعزى: أيضًا صنم من الأصنام، كانا يعبدهما المشركون[٢].

أقامرك: ألاعبك القمار[٣].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٨٦٠، ومسلم ١٦٤٧/٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل و ت)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ٢٨٠.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق م ر).

الشرح الأدبي

إن معالم التصور الإسلامي لها آفاقها وأبعادها، التي يجب أن يفيء إليها المسلم من هجير الأفكار المادية، ومن نوازع القلق، ولوافح الشرور، وهذه المعالم التي يَسْبح في هالاتها قلبُ المسلم، ويحلّق عقله في ملكوتها هي: (الربانية-الثبات- التوازن- الشمولية-الواقعية-الإيجابية - التوحيد).

وعقيدة التوحيد تحصين لقلب المسلم ولسانه وعقله من الحلف بغير الله عز وجل، ولذلك يضع رسول الله ﷺ أمام كل مسلم هذه القاعدة الشرعية، التي تنجيه من ظلمات التردي في مهاوي الشرك والغواية والضلال، وهذه القاعدة تصاغ في قالب الشرط والجواب: في قوله ﷺ: "من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل "لا إله إلا الله". وجواب الشرط واجب التنفيذ لأنه تصدّرته لام الأمر، ومقول القول الواجب النطق به -تكفيرًا عن الحلف باللات والعزى- هو شهادة التوحيد "لا إله إلا الله".

والجزء الثاني من الحديث يعالج سلوكًا اجتماعيًا معوجًا، وهو "المقامرة"، ومَنْ تواعد مع صاحبه على مثل هذا السلوك، فإن كفارة هذا السلوك المنحرف عن طريق الهداية، وعن معالم التصوير الإسلامي: هو التصدق، والمقابلة بين المقامرة والتصدق، ترشد إلى أن المقامرة سلوك خاسر يفسد العلاقات، ويمُزقُ الأواصر، ويشوّه صورة المجتمع، وأما التصدق، فهو دواء ناجع لداء المقامرة، فالتصدق عطاء، والمقامرة وباء، والتصدق إصلاح وتراحم ، والمقامرة إفساد وتخاصم، والمقامرة إفلاس وضياع، والتصدق إثراء وقضاء على الآلام والأوجاع.

وجواب الشرط مقترن بلام الأمر، فهو واجب التنفيذ: حتى يتطهر العبد من دنس المقامرة، كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[1]. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

١- تحريم الحلف باللات، والعزى، وغيرهما من الأصنام، هذا ما لم يعتقد تعظيمها، فإن اعتقد تعظيمها كفر[1] والعياذ بالله.

ولكن هل تجب عليه كفارة لهذا الحلف أم لا؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[2]، ويرون أن من حلف باللات والعزى، وغيرهما من الأصنام لا تجب عليه كفارة، وكفارته أن يقول: لا إله إلا الله.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أ- حديث الباب، وفيه أن الرسول ﷺ قد أمر من حلف بذلك أن يقول: لا إله إلا الله،ولم يذكر كفارة[3].

ب- ولأن الكفارة وجبت في الحلف بالله تعالى صيانة لأسمائه وصفاته، وغيره -تعالى- لا يساويه في ذلك[4].

ج- ولأن الأصل عدم الكفارة، حتى يثبت فيها شرع، ولم يثبت بل الثابت هو قول: لا إله إلا الله، على نحو ما ذكرنا[5].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[6] ويرون أن من حلف بذلك تجب عليه

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٩/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٥/٢.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٩/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٥/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٧/١١، وإعانة الطالبين ٣١٤/٤، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٨٥/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٦/٩، والمحلى، ابن حزم ٥١/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

(٤) منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٨٥/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

(٦) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧٤/٥.

الكفارة، وذلك لأن الله تعالى قد أوجب على المظاهر الكفارة، لأنه منكر من القول وزور، والحلف بهذه الأشياء منكر من القول وزور، فتجب فيها الكفارة، كما وجبت في الظهار.

والراجح: هو ما ذهب إليه الجمهور، للحديث، وللمعنى الذي ذكروه.

٢- تحريم القمار، لأنه من أكل أموال الناس بالباطل[1]، ويجب على من قال لصاحبه تعالى أقامرك أن يتصدق تكفيرًا لخطيئته[2].

ولكن هل يتصدق بقدر معين من المال، أم بما تيسر؟

ذهب الجمهور[3] إلى أنه يجب أن يتصدق بما تيسر له، وبما تطيب به نفسه.

وذهب الخطابي[4] إلى أنه يجب عليه أن يتصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به.

والصواب الذي عليه المحققون هو الأول، لظاهر الحديث، ويؤيده ما جاء في رواية معمر التي ذكرها مسلم "فليتصدق بشيء"[5] فيكفي ما ينطبق عليه اسم الصدقة[6].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله وحث من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله.

ثانيًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية في الحلف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الدعوة للقمار وأهمية التوبة من المعاصي والذنوب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/٢٧١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣/٢٦٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٠٧، وفتح القاري ٨/٦١٢.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣/٢٦٧، وشرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٠٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٥١، والمحلى، ابن حزم ٨/٦١٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦١٢، وشرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٠٧.

(٥) أخرجه مسلم بعد الحديث ١٦٤٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦١٢، وشرح صحيح مسلم، النووي ١١/١٠٧.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله وحث من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: باللات والعُزى فليقل: لا إله إلا الله).

قال النووي: "إنما أمر بقول لا إله إلا الله، لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها، قال أصحابنا: إذا حلف باللات والعزى وغيرهما من الأصنام أو قال: إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام أو بريء من النبي ﷺ أو نحو ذلك، لم تنعقد يمينه، بل عليه أن يستغفر الله تعالى ويقول: لا إله إلا الله، ولا كفارة عليه سواء فعله أم لا، هذا مذهب الشافعي ومالك وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: تجب الكفارة في كل ذلك إلا في قوله: أنا مبتدع أو بريء من النبي ﷺ، أو واليهودية، واحتج بأن الله تعالى أوجب على المظاهر الكفارة لأنه منكر وزور، واحتج أصحابنا والجمهور بظاهر الحديث فإنه ﷺ إنما أمر بقول لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة، ولأن الأصل عدمها حتى يثبت فيها شرع، وأما قياسهم على الظهار فينتقض بما استثنوه"[١].

واللات والعزى أصنام كان يعبدها المشركون قبل الإسلام، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٢].

قال ابن كثير: "في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى)، فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية... وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر، تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر، لأنها أشهر من غيرها"[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٤٨.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٧ - ٤٥٦.

وقال ابن حجر: "قال البغوي في شرح السنة تبعًا للخطابي: ... وإنما أمره بالتوحيد، لأن الحلف باللات والعزى يضاهي الكفار، فأمره أن يتدارك بالتوحيد"[١].

وقال ابن عثيمين: (اللات صنم يعبده الجاهليون في الجاهلية وكذلك العزى... كما كانوا يحلفون بهما كما يحلفون بالله فيقولون: واللات، أو واللات والعزى، فإذا قال الإنسان ذلك فإنه شرك يداوى بالإخلاص، ولهذا قال: فليقل: لا إله إلا الله، ليداوي الشيء بضده)[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية في الحلف:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله...).

(فالحلف على الشيء يفيد توكيد المحلوف عليه، باقترانه بما يعظم عند السامع والمتكلم، وقد علمنا الرسول ﷺ بمن نحلف ونؤكد أقوالنا إذا أردنا الحلف ومن نعظم، فبين لنا أن نحلف بالله، لأن التعظيم الحقيقي لا يكون إلا له سبحانه وتعالى، وهو الجدير بالإجلال والإكبار[٣]، فقال ﷺ: ((مَن كانَ حالِفًا فَلْيَحلِفْ بالله أو لِيَصْمُت))[٤].

فينبغي على المسلم عدم الحلف إلا بالله، وعلى الداعية أن يحذر المدعوين من الحلف بغير الله، ويبين لهم أن الحلف بغير الله فيه مخالفة لشريعة الله وأوامره.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الدعوة للقمار وأهمية التوبة من المعاصي والذنوب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق).

قال القرطبي: (وقوله: "من قال: تعال أُقامِرْكَ فليتصدَّق" القول فيه كالقول في اللات؛ لأنهم كانوا اعتادوا المقامرة. وهي من أكل المال بالباطل. ولما ذمها النبي ﷺ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٤٥/١١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٥١/٢.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ٤٢٣٣.

بالغ في الزجر عنها، وعن ذكرها، حتى إذا ذكرها الإنسان طالبًا للمقامرة بها؛ أمره بصدقة. والظاهر: وجوبُها عليه؛ لأنها كفارة مأمورٌ بها، وكذلك قول: لا إله إلا الله. على من قال: واللات. ثم هذه الصدقة غير محدودة، ولا مقدرة، فيتصدَّق بما تيسَّر له مما يصدق عليه الاسم. كالحال في صدقة مناجاة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[1] فإنها غير مقدَّرة)[2].

قال الطيبي: "أقول: إنما قرن القمار بذكر الأصنام تأسيًا بالتنزيل في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ﴾[3]، فمن حلف بالأصنام فقد أشركها بالله في التعظيم، فوجب تداركها بكلمة التوحيد، ومن دعا إلى المقامرة فوافق أهل الجاهلية في تصدقهم بالميسر، فكفارته التصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به، أو بما تيسر مما يصدق عليه اسم الصدقة، وفيه أن من دعا إلى اللعب فكفارته التصدق، فكيف بمن لعب؟"[4].

وقال النووي: "قال العلماء: أمر بالصدقة تكفيرًا لخطيئته في كلامه بهذه المعصية، قال الخطابي: معناه فليتصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به، والصواب الذي عليه المحققون وهو ظاهر الحديث، أنه لا يختص بذلك المقدار، بل يتصدق بما تيسر مما ينطلق عليه اسم الصدقة[5]. فينبغي على المسلم إذا ارتكب معصية أن يتوب إلى الله ويتبعها بالحسنة، حتى تمحى عنه، قال رسول الله ﷺ ((... واتبع السيئة الحسنة تمحها))[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٦٢٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٧/٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٤٨.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن قال لصاحبه: تعالى أقامرك فليتصدق)، وأمره بالصدقة لمن دعا غيره إلى القمار، يدل على فضل الصدقة في تكفير الذنوب، وهذا ثابت في قوله ﷺ: ((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))[1].

كما أن الصدقة تكون وقاية من النار، كما قال رسول الله ﷺ ((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[2]. وقال ﷺ: ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوة، حتى تكون مثل الجبل))[3]. وهذه المباركة والزيادة وتضعيف الله لها، يدل على فضلها ومحبته تعالى لها.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية فتح باب التوبة أمام المذنبين:

إن فتح باب التوبة أمام المذنبين يحقق هدفًا تربويًا عظيمًا، وهو إعطاء الأمل - لمن ضعف أو ارتكب الذنوب أو سيطر عليه الشيطان من المسلمين - في التوبة والعودة إلى الله تعالى باستغفار، والندم على المعاصي والذنوب، والتكفير عنها بالصدقات، واتباعها بالحسنات فهي تمحو السيئات.

وقد جاء هذا الباب بعنوان ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيًا عنه، وفيه حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ فقالَ في حَلِفِهِ: باللاَّتِ والعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ».

وقد خاطب المولى تبارك وتعالى سائر العباد من المؤمنين والكافرين، المرتكبين لمعاصي الكفر أو الكبائر أن لا ييأسوا من رحمة الله فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. فإن باب التوبة مفتوح، وإن الرب غفور رحيم، وقد نقل عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية أوسع ما في القرآن من الآيات معنى، تَسَع العبادَ وتجبرهم وتحيي آمالهم في العودة إلى الله، وعن ابن مسعود: أنها أكثر آية فرجًا في القرآن[2].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتوبة وجعلها رجاءً للفلاح فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وعدّ المصر على ذنبه ظالمًا فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١١.

فالإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان، فهو ليس ملاكًا ولا شيطانًا، بل كائناً عاقلاً رفيعاً كريماً، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى عليين، وفيه من رغبات الجسم وأهواء النفس ما قرنه بالمزخرفين من الشياطين.. فمن طبيعته التسامي والارتقاء، ومن طبيعته السقوط والالتواء، وقد خلق هكذا بقضاء الله الكوني، وإرادة الله وحكمه الديني جاء منسجمًا مع قضائه الكوني، فما دامت طبيعة البشر قابلة للوقوع في الذنب، فإن الباب لا يوصد أمامه، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل في شقاء دائم وخطيئات يتبع بعضها بعضًا[1].

وقد كان الرسول ﷺ -مع أن الله تعالى أعلى منزلته ورفع قدره وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- لا يغفل يومًا عن التوبة والاستغفار ويوصي بها أصحابه رضي الله عنهم فيقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ. فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[2].

ففي التوبة تجديد للإيمان وفي الاستغفار حياة للقلب[3].

فينبغي على المسلم إذا ارتكب ذنبًا أن يبادر بالتوبة والاستغفار والتكفير عنه والتحلل منه بما يخرجه من دائرة الإثم، ويرجعه إلى ربه وإلى الصراط المستقيم رجوعًا جميلاً.

ثانيًا- من أهداف التربية: الحث على بذل الصدقات:

إن الصدقة جالبة لمحبة الله، ودافعة لمقته وغضبه ومنجية من آثار الآثام لذا قال ﷺ: «وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ».

فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ كما قال رسول الله ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[4].

فعلى المربي غرس حب التصدق في نفوس الناشئة حتى يتعود المسلم منذ الصغر على

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٧٩، ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ٨٠، ٨١.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

صفة الجود والكرم، والعطف على ذوي الحاجات والرحمة للفقراء، فالصدقة من أفضل الأشياء التي تعين المحتاجين، وتفرج كربات المكروبين، وتستر المعسرين، ومن أجل ذلك كان ثوابها عظيمًا، فينبغي الحرص عليها من كافة المسلمين، وغرس حبها في نفوس المتعلمين، ومما يعين على ذلك:

أ- أن يبين المربي لمن يقوم بتربيتهم ثوابها وفضلها عند رب العالمين.

ب- أن يحثهم على التصدق ولو بالقليل.

ج- أن يكون المربي مثالاً طيبًا وقدوة صالحة يقتدى بها، فيبدأ بنفسه بالتصدق حتى يكون فعله مطابقًا لقوله، فإن الفعل له تأثيره الكبير في نفوس المتعلمين، لأن من يقول الشيء ولا يفعله يكون منفرًا منه بفعله الذي لا يطابق قوله، فكيف يصدق الناشئة من يدعو إلى الشيء ولا يفعله، وينهي عن الشيء ويأتيه، فهذا خطأ جسيم ينبغي أن يحذره كل من يقوم بعملية التربية والتوجيه إذ أن الناشئة له متابعون، ويتأثرون بالسلوك سلبًا وإيجابًا، لذا وجب الحرص على التطابق بين القول والعمل.



١٨- كتَاب المنثُورَات وَالمُلَح

٣٧٠- باب أحاديث الدّجال وأشراط الساعة وغيرها

الحديث رقم (١٨١٠)

١٨١٠- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَداةٍ، فَخفَّضَ فِيهِ ورَفَّعَ حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَلَمَّا رُحْنَا إلَيْهِ، عَرَفَ ذلِكَ فِينَا، فقَالَ: ((مَا شَأنُكُمْ؟)) قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَداةَ، فَخفَّضْتَ فِيهِ ورَفَّعْتَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فقالَ: ((غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفنِي عَلَيْكُمْ، إنْ يَخْرُجْ وَأنَا فِيكُمْ، فَأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ؛ وَإنْ يَخرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجيجُ نَفْسِهِ، واللهُ خَلِيفَتي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأنّي أُشَبِّهُهُ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأ عَلَيْهِ فَواتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ؛ إنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمالاً، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا)) قُلْنَا: يَا رسُولَ اللهِ، وَمَا لُبْثُهُ في الأرْضِ؟ قَالَ: ((أرْبَعُونَ يومًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أيَّامِهِ كَأيَّامِكُمْ)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الَّذي كَسَنَةٍ أتَكْفِينَا فيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: ((لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)).

قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ، وَمَا إسْراعُهُ في الأرْضِ؟

قَالَ: ((كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأتِي عَلَى القَوْمِ، فَيدْعُوهُم فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرىً وَأسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وأمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَولَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى المَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأطَأ رَأسَهُ قَطَرَ، وَإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلاَّ مَاتَ،

وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إلى حَيثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأتِي عِيسَى ﷺ، قَومًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُم بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ أوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى عِيسَى ﷺ: أنِّي قَدْ أخْرَجْتُ عِبَادًا لي لا يَدَانِ لأحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أوائِلُهُمْ عَلَى بُحيرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دينَارٍ لأحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأصْحَابُهُ رضي الله عنهم (إلى اللهِ تَعَالَى)[1]، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ، وأصْحَابُهُ رضي الله عنهم إلى الأرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلاَّ مَلأهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ.

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأصْحَابُهُ رضي الله عنهم إلى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ مَطَرًا لاَ يُكِنُّ مِنهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ للأرْضِ: أنْبِتِي ثَمَرتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ؛ وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي (القَبِيلَةَ)[2] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيها تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)). رواه مسلم[3].

قوله: "خَلَّةً بين الشام والعراق": أي طريقًا بينهما. وقوله: "عَاثَ" بالعين المهملة والثاء المثلثة، والعيث: أشد الفساد. "والذُّرَى" بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسنمة. وهو جمع

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (الفخذ).

(٣) برقم ٢٩٣٧/١١٠.

ذروة بضم الذال وكسرها. "واليَعَاسِيب": ذكور النحل. "وجِزْلَتَيْن" أي: قطعتين، "والغَرَضُ": الهدف الذي يرمي إليه بالنشاب، أي: يرميه رمية كرمي النشاب إلى الهدف. "والمَهْرُودَةُ" بالدال المهملة والمعجمة، وهي الثوب المصبوغ. قوله: "لا يَدَانِ" أي: لا طاقة. "والنَّغَفُ": دود. "وَفَرْسَ": جمع فريس، وهو القتيل. "والزَّلَقَةُ": بفتح الزاي واللام وبالقاف، وروى "الزُّلْفَةُ" بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وهي المرآة. "والعِصَابة": الجماعة. "والرسل" بكسر الراء: اللبن. "واللِّقْحَةُ": اللبون. "والفِئَامُ" بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعة. "والفَخِذُ من الناس: دون القبيلة.

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

غداة: الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. وقد تطلق ويراد بها مطلق الوقت[١].

فخفض فيه ورفع: خفض حقر، ورفع: عظمه[٢].

طائفة النخل: الطائفة: القطعة من الشيء، والمعنى أنه في بعض النخل[٣].

حجيجهُ دونكم: محاججه ومغالبه بإظهار الحُجّة عليه[٤].

قطط: شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة[٥].

عينه طافية: هي الحبة التي خرجت عن نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شَبّه عينه بها[٦].

خلة بين الشام والعراق: أي في طريق بينهما[٧].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ط و ف).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ج).

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ف و).

(٧) رياض الصالحين ٦١٥.

فعاثَ: أفسد أشد الفساد[١].

ما لبثه: مدة إقامته ومكثه[٢].

اقدروا قدره: التقدير أي: قياس الشيء بالشيء[٣].

كالغيث استدبرته الريح: الغيث استدبرته المراد به الغيم الذي جاءت به الريح فأسرعت به، وهذا يضرب في شدة السرعة[٤].

سارحتهم: السّارحة: الماشية التي تذهب أول النهار إلى المرعى[٥].

ذُرىً: جمع ذروة أعالي الأسنمة[٦].

وأسبغه ضروعًا: ضروعه طويلة لكثرة اللبن[٧].

وأمده خواصر: ممتلئة لكثرة الشبع[٨]، والخاصرة: ما تحت الجنب[٩].

ممحلين: مجدبين فلا ينزل المطر ولا تخرج الأرض نباتًا[١٠].

الخربة: الأرض الخربة، والبقاع الخربة[١١].

يعاسيب النحل: ذكور النحل[١٢]، جمع يعسوب[١٣].

---

(١) رياض الصالحين ٦١٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ب ث).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ق د ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٠٩/٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ح)، وشرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) رياض الصالحين ٦١٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ ر و).

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٨) المرجع السابق ١٦٩٧.

(٩) لسان العرب، ابن منظور في (خ ص ر).

(١٠) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٤٦٤، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (م ح ل).

(١١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٠٩/٢.

(١٢) رياض الصالحين، ٦١٥.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور في (ع س ب).

جزلتين: قطعتين[1].

الغرض: الهدف الذي يُرمى إليه بالنُّشَّاب، أي: يرميه رمية كرمية النشاب إلى الهدف[2].

مهرودتين: المهرودة: الثوب المصبوغ[3].

قطر: الماء[4].

تحدر منه جمان اللؤلؤ: الجمان، هي: حبات من الفضة تضع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمى الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء[5].

بباب لُدٍّ: بلدة قرب بيت المقدس[6].

لا يدان: لا طاقة[7].

فحرِّز عبادي إلى الطور: نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور[8].

حدب ينسلون: يظهرون من غليظ الأرض ومُرْتَفِعَها[9].

بحيرة طبرية: بحيرة في شمال فلسطين[10].

النغف: دُود[11].

فرسي: القتيل[12].

---

(١) رياض الصالحين ٦١٥.

(٢) رياض الصالحين ٦١٥.

(٣) رياض الصالحين ٦١٥.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤٦٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٢٤.

(٧) رياض الصالحين ٦١٥.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د ب).

(١٠) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٤٦.

(١١) رياض الصالحين ٦١٥.

(١٢) رياض الصالحين ٦١٥.

زهمهم: الريح المنتنة، أراد أن الأرض تُنتِنْ من جيفهم[١].

كأعناق البخت: نوع من الإبل، أي: طيرًا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت[٢].

مدر: هو الطين الصلب[٣].

وبر: وهو وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه[٤].

الزَّلقة: وروي الزُّلفة بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي المرآة[٥].

العصابة: الجماعة[٦].

بقحفها: قشرها[٧].

الرسل: (الرِّسْلُ) بكسر الراء: اللبن[٨].

اللقحة: اللَّبُونُ[٩].

الفئام: الجماعة الكثيرة[١٠].

الفخذ: (الفَخِذُ) من الناس: دون القبيلة[١١].

آباطهم: جمع إبط: باطن الكتف[١٢].

يتهارجون فيها تهارج الحمر: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ م).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ب ر).

(٥) رياض الصالحين ٦١٥.

(٦) رياض الصالحين ٦١٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ح ف).

(٨) رياض الصالحين، ٦١٥.

(٩) رياض الصالحين، ٦١٥.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف م ا).

(١١) رياض الصالحين ٦١٥.

(١٢) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ١٧.

ولا يكترثون لذلك[1].

الشرح الأدبي

يموج هذا الحديث الشريف بأساليب متنوعة، وتراكيب متعددة، وصور مؤثرة دقيقة فاحصة.. وذلك في سياق وصف رسول الله ﷺ لفتنة المسيح الدجال، ومن جماليات الأداء الأسلوبي والتصويري في هذا البيان النبوي البليغ الدقيق:

١- عنصر التشويق.. ونزعة القَصّ، والتشويق يمتزج ببراعة الاستهلال في قول الصحابة رضي الله عنهم "ذكر رسول الله ﷺ: الدجال ذات غداة فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة من النخل، ومعنى خفّضه: حقّره، ورفعه: أي عظمه باعتبار فتنته، والدجال: هو المُمَوّه الكذاب، وقال ابن دريد: كل شيء غطيته: فقد دجلته، وسمى الدجال بذلك لأنه يغطى الأرض بالجمع الكثير كذبًا وزورًا وبهتانا.

٢- الحوار بين رسول الله ﷺ والصحابة الأجلاء حول: وصف المسيخ الدجال، وزمنه، وطرق مقاومته، ومكانه، وهو حوار بليغ دقيق التصوير، فيه إنذار وتخويف، وفيه إرشاد إلى كيفية النجاة من هذه الفتنة الطاغية.

٣- دقة التصوير في وصف "الدجال" حيث قال رسول الله ﷺ في صيغة التوكيد إنه شاب قطط: عينه طافية أو طافئة، كأنى "أشبهه بعبد العزى بن قطن"، وقد مهّد رسول الله ﷺ لهذا التصوير بالحث على عدم الوقوع في هذه الفتنة وبضرورة مقاومتها والنجاة منها: فقال في أسلوب شرطي يتسق مع طبيعة الجدال والحجاج التي لابد منها في مواجهة الفتن "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم".

٤- المقابلة والطباق بين مواقف الدجال الخادعة الكاذبة، والمفارقة في هذه المواقف الموهمة التي تدعو للعجب، وينخدع بها ضِعاف النفوس، وأصحاب الأهواء الذين لم يتحصّنوا بالإيمان، ولم يتزودوا بالتقوى، فالدجال يؤمن به بعض الناس، فيوهمهم

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨١٠.

بالنعيم الزائف، ويزعمون أن السماء تمطر، والأرض تنبت بإرادة الدجال، والذين لا يستجيبون له يوهمهم أن الجدب والمحْل والقحط بسبب عدم استجابتهم، وهذا زيف وتمويه ودجل.

٥- الوصف الدقيق والتصوير الفائق للمسيح عليه السلام في تعبير بلاغي جميل حيث يقول: "فينزل عند المنارة البيضاء واضعًا كفيه على أجنحه ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ".

٦- الإيحاء بالهول، وتصوير ما يحدث من أحداث وفتن وابتلاءات إثر بعث يأجوج ومأجوج، وذلك من أمارات يوم القيامة، ولفظا يأجوج، وكذلك مأجوج، يتضمنان من خلال مادتهما اللغوية الإيحاء بالهول والفزع، وقيل إنهما مشتقان، من أجيج النار: أي التهابها، وقيل من: الإياجة، أي الاختلاط وشدة الحر، وقيل من الأج أي سرعة العدو، وقيل من الأجاج: أي الماء الشديد الملوحة، وجميع ما ذكر مناسب لحالهم.

٧- التشبيهات الدقيقة التي تَرصُد الحركة والهيئة واللون، ومن ذلك قوله ﷺ. "فيرسل الله تعالى طيرًا كأعناق البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله"، والصورة الأخرى تقابل هذه الصورة، وتقف على النقيض منها، لأنها تصور شرار الناس، والصورة الأولى تصور نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، ولنتأمل هذه الصورة التي تلتهب بالشرور: حيث يقول المصطفى ﷺ "ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر.. فعليهم تقوم الساعة".

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان ذكر الدجال وأهمية ذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم من الدجال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن نفسه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان صفة الدجال.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨١٠- مع المضامين الدعوية للأحاديث التالية أرقامها: (١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان طرق الوقاية من الدجال.

سادسًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان موطن خروج الدجال.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: مدة لبث الدجال في الأرض.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان فتنة الدجال للناس.

عاشرًا: من موضوعات الدعوة: إثبات نزول المسيح عليه السلام وموطن نزوله.

الحادي عشر: من موضوعات الدعوة: بيان صفة المسيح وقتله للدجال.

الثاني عشر: من موضوعات الدعوة: إثبات خروج يأجوج ومأجوج وفتنتهم.

الثالث عشر: من موضوعات الدعوة: لجوء عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله وفضل ذلك.

الرابع عشر: من موضوعات الدعوة: بيان هلاك يأجوج ومأجوج وتطهير الأرض منهم.

الخامس عشر: من موضوعات الدعوة: بيان على من تقوم الساعة والنفخ في الصور.

السادس عشر: من موضوعات الدعوة: بيان بعث النار.

السابع عشر: من موضوعات الدعوة: حفظ مكة والمدينة من الدجال.

الثامن عشر: من موضوعات الدعوة: بيان أتباع الدجال.

التاسع عشر: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن خروج أحد المؤمنين للدجال.

العشرون: من موضوعات الدعوة: فضل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

الحادي والعشرون: من آداب المدعو: السؤال عما ينفعه.

الثاني والعشرون: من موضوعات الدعوة: هوان أمر الدجال على الله عز وجل.

الثالث والعشرون: من موضوعات الدعوة: إنذار الأنبياء أقوامهم من الدجال.

الرابع والعشرون: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أمته.

الخامس والعشرون: من أساليب الدعوة: الحوار والاستفسار.

السادس والعشرون: من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات.

السابع والعشرون: من أساليب الدعوة: الترهيب.

الثامن والعشرون: من أهداف الدعوة: تهيئة المؤمنين للابتلاء والتمحيص.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان ذكر الدجال وأهمية ذلك:

حيث جاء في هذه الأحاديث[1]:

١- "ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة..."

٢- "حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال..."

٣- "يخرج الدجال في أمتي..."

٤- "يخرج الدجال فيتوجه قبله..."

٥- "ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال..."

٦- "أن رسول الله ﷺ -ذكر الدجال بين ظهراني الناس..."

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على ذكر الدجال وبيانه للناس، والدجال معناه: الكذاب. قال ابن الأثير في النهاية: (أصل الدجل: الخلط. يقال: دجَّل إذا لبَّس وموّه. وقوله في الحديث "يكون في آخر الزمان دجالون" أي كذابون مموهون. وقد تكرر ذكر الدجال في الأحاديث النبوية، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية، وفَعَّال من أبنية المبالغة: أي يكثر من الكذب والتلبيس"[2].

وقال ابن منظور في اللسان: (ولفظ الدجال، مأخوذ من قولهم: دجل البعير، إذا طلاه بالقطران، وغطّاه به، وسمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه)[3].

والدجال يقال له المسيح فهو صفة له، قال النووي: (وأما الدجال فسمي مسيحًا لأنه ممسوح العين، وقيل لأنه أعور والأعور يسمى مسيحًا، وقيل لمسحه الأرض حين خروجه وقيل غير ذلك. والمسيح صفة لعيسى عليه السلام أيضًا، قال العلماء وسمي بذلك لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقال ابن الأعرابي المسيح الصديق، وقيل: لكونه ممسوح أسفل

---

(١) أي أحاديث الباب المشار إليها في الصفحة السابقة.

(٢) النهاية في غريب الحديث في (د ج ل).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (د ج ل).

القدمين لا أخمص له، وقيل: لمسح زكريا إياه، وقيل لمسحه الأرض أي قطعها، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن، وقيل لأنه مسح بالبركة حين ولد، وقيل: لأن الله تعالى مسحه أي خلقه خلقًا حسنًا وقيل غير ذلك. ومما ينبغي ذكره والتأكيد عليه أن عيسى عليه السلام مسيح هدى، والدجال مسيح ضلالة)[1].

وطالما أن النبي ﷺ ذكره فهو حق وموجود، قال النووي: (وهذه الأحاديث التي ذكر فيها الدجال، حجة لمذهب أهل الحق من أهل السنة، وجميع المحدثين والفقهاء والنظار في صحة وجود الدجال، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الحياة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا)[2].

وإذا كان الرسول ﷺ قد ذكره وبينه، فمن الأهمية بمكان بيان ذكر الدجال لتعريف الناس به، قال السفاريني: (ومما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، وقد قال المحاربي: ينبغي أن يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب. فقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر. خاصة عندما تشرأب الفتن، وتكثر المحن وتندرس معالم السنن)[3]. قال د. محمد نعيم ياسين: (ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ بالدجال لكثرة تدجيله وكذبه، يدّعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم، بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله سبحانه وتعالى، فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق ١٦٩٤.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ص ١٠٦/٢.

الله بالقضاء على فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم من الدجال:

حيث جاء في الحديث الأول: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا... إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم".

وهذا يدل على خوف الصحابة من الدجال، قال النووي: (وخفض بمعنى حقر، ورفع بمعنى عظم وفخم، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته، والمحنة به، هذه الأمور الخارقة للعادة وقيل خفض بمعنى ليستريح من تعب الكلام، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد)[٢].

وقال الطيبي: (وقوله "حجيجه" أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة الدليل والبرهان، وقوله "دونكم" فيه إرشاد إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة، فإن قيل أو ليس قد ثبت أن الدجال لا يخرج ونبي الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، بل لا يراه القرون الأولى من هذه الأمة، فما وجه قوله "إن يخرج وأنا فيكم" قال التوربشتي: إنما سلك هذا المسلك من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنته، واللجوء إلى الله تعالى من شره لينالوا بذلك الفضل من الله، ويتحققوا بالشح على دينهم)[٣].

جاء في فتح الملهم: (وقوله: "فخفض فيه ورفع" اختلفوا في المراد منه على قولين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الكلام في شأنه، فتارة رفع صوته ليسمعه كل أحد، وأخرى خفض صوته ليستريح من تعب الجهر.

الثاني: أن المراد من التخفيض تصغير شأنه وتحقيره، كما ذكر أنه أعور وأنه أهون على الله من ذلك، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه

---

(١) الإيمان ٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١١٠.

يضمحل أمره ويقتل بيد عيسى عليه السلام والمراد من الترفيع تعظيم فتنته، حيث تصدر منه أمور خارقة للعادة، وأنه ليس بين يدي الساعة أحد أعظم فتنة من الدجال.

وقوله: "غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم" أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والمراد أنه إن خرج في حياتي فأنا أكفيكم شره وأغلب عليه بنور حجة النبوة والمعجزات الباهرة. وإذا كان قد جاء في الأحاديث المتواترة خروجه في آخر الزمان بعد خروج المهدي وأن الذي يقتله هو المسيح عليه السلام فكيف ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمال خروجه في حياته صلى الله عليه وسلم؟ وقد ذكر التوربشتي أن هذا من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنته. والأوجه من ذلك عندي أن يقال: إنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الاحتمال على سبيل الفرض، ووجهه أن الصحابة فزعوا من خروجه حتى زعموا أنه في طائفة النخل، فذكر أنه لا وجه لفزعهم وإن كان خارجًا في تلك الأيام على سبيل الفرض، لأنه صلى الله عليه وسلم يكفيهم فتنته حينئذ، وليس المراد أن هذا الاحتمال قائم في نفس الأمر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين في نفس هذا الحديث أن المسيح عليه السلام هو الذي يقتله بباب لد)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن نفسه:

حيث جاء في الحديث "وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم" وهذا يبين مدى مسؤولية كل إنسان عن نفسه أمام فتنة الدجال، قال ابن عثيمين: (والمراد أنه إذا خرج الدجال بعد النبي صلى الله عليه وسلم فكل إنسان يحاج عن نفسه، وقد استخلف صلى الله عليه وسلم ربه أن يكون مؤيدًا للمؤمنين واقيًا لهم من فتن الدجال، الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها)[2]. ولا شك أن فتنة الدجال فتنة عظيمة (إن ما يدل على أن الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشرية، تحذير جميع الأنبياء منه.

ولقد جلّى لنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة الدجال بأوضح بيان، وآكد برهان، حتى يكون المسلم على حذر منه، وينجو من فتنته العظيمة. وإن الإيمان بقضية الدجال

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٢٨٨-٢٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٥٤.

وما يقتضيها من كفره وضلاله وكذبه، يعني إن شاء الله النجاة من إفكه لمن حقق مقتضيات الإيمان بخروج الدجال، وأثر المعرفة بالدجال، هو العلاج بعون الله لمن أرسى قواعد هذا الاعتقاد في قلبه، وذلك يستلزم دراسة أمر الدجال: وهذا أمر لابد منه، إذ كيف يريد المسلم النجاة من فتنة الدجال وهو لا يعرف شيئًا عن هذه العقيدة الخطيرة. إذن، فعلى العبد المسلم أن يعني باهتمام بدراسة أمر الدجال بشيء من التفصيل، حتى تتضح أمامه هذه الحقيقة التي حذر منها النبيون أجمعهم؛ لأن الدجال يأتي بأمور عظيمة كجنته وناره، وسرعة انتقاله في الأرض، واستعانته بالشياطين، واستجابة الجماد والحيوان لأمره وغير ذلك من هذه الأمور، فإن لم يكن المسلم على دراية بهذه الفتن التي تُساق بإذن الله تعالى على يديه، صار في ريبة وشك من أمره، فإن علم ما يجب عليه تجاهه بدراسة نصوص رسول الله ﷺ، أصبح على بصيرة تامة من أمره، فينجو من غوائله بإذن الله.

لأنه يجد مثلاً أن الرسول ﷺ وصفه بأنه رجل جسيم أحمر، جعد الرأس أعور العين، كأن عينه عنبة طافية، وأنه رجل قصير مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن إلى غير ذلك من هذه الصفات، فإذا ما رآه المسلم بهذه الصفات علم يقينًا أنه الدجال الذي أخبر به رسول الله ﷺ. فعند ذلك لن يلتبس عليه أمره، ولن ينخدع بحيله وأباطيله)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان صفة الدجال:

حيث جاء في الأحاديث:

١- "إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن...".

٢- "ألا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه: ك.ف.ر".

وهذه الروايات تبين صفة الدجال فهو:

١- شاب رجل من بني آدم وليس بامرأة ولا شيء آخر.

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٦١، ٥٦٢.

٢- صفة شعره أنه قطط: قال النووي (أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة)[١]. وقال ابن الأثير: (الجعد من الشعر هو ضد السبط، لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم، وهو الشعر المسترسل. والقطط: الشديد الجعودة)[٢].

٣- وصفة عينه أنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية. قال النووي: (وطافية بالهمزة معناه ذهب ضوؤها، وبغير همزة معناه ناتئة بارزة، وفي هذه الرواية أنه أعور العين اليمنى، وجاء في رواية أخرى أنه أعور العين اليسرى، وكلاهما صحيح. وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست بجحراء ولا ناتئة بل مطموسة. ووصف في أخرى بأنه جاحظ العين وكأنها كوكب، ويجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا، بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمزة وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه، وأعور العين اليمنى واليسرى، لأن كل واحدة منهما عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء، إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها، هذا آخر كلام القاضي، وهو في نهاية من الحسن)[٣].

وبمثل هذا الجمع قال التوربشتي فيما نقله عنه الطيبي: (ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة، أن يقدر أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة، فيصح أن يقال: لكل واحدة عوراء: إذ الأصل في العور العيب)[٤].

وفي حكمة بيان أنه أعور العين من صفات النقص فيه، قال ابن حجر: (وفي قوله "إنه أعور وإن الله ليس بأعور" اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة، لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٥٥، ٧٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١٠٨.

ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإله يتعالى عن النقص، علم أنه كاذب)[١].

٤- ومن صفته أنه مكتوب بين عينيه: "ك. ف. ر"، قال النووي: (الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك)[٢].

وقال ابن حجر: (قال ابن العربي: وهذا إخبار بالحقيقة، فإن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة، فإن ذلك الزمان تتخرق فيه العادات في ذلك)[٣]. ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث عن حذيفة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((... وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب))[٤].

جاء في فتح الملهم: (قوله: "كاتب وغير كاتب" يعني: من يستطيع الكتابة ومن لا يستطيعها، وقد تقدم أن ذلك على سبيل خرق العادة، بحيث يخلق الله تعالى إدراكًا في بصر المؤمن يدرك به ذلك)[٥].

٥- ومن صفته أنه أشبه بعبد العزى بن قطن، قال الطيبي: (لم يقل كأنه عبدالعزى؛ لأنه ﷺ لم يكن جازمًا في تشبيهه به، قيل: إنه كان يهوديًا، ولعل الظاهر أنه مشرك، لأن العزى اسم صنم، ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي هو رجل من بني المصطلق من خزاعة هلك في الجاهلية)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٣/١٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٧/١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٣٤.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٢٨٦/١٢.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١١/١٠.

وقد جاء في صفته من الأحاديث النبوية أيضًا عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُل قَصِيرٌ أفحج جَعْدٌ أعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا جَحْرَاءَ، فإنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُم فاعْلَمُوا أنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بأَعْوَرَ))[1]. والخلاصة في صفة الدجال أنه (رجل من بني آدم له صفات كثيرة منها أنه رجل شاب أحمر قصير أفحج جعد الرأس، أجلى الجبهة عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة ولا جحراء كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى ظفرة غليظة ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو "كافر" بدون تقطيع يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان طرق الوقاية من الدجال:

حيث جاء في الحديث "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" وقد بين النبي ﷺ أن من الوقاية والعصمة من فتنة الدجال، أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف.

قال ابن كثير: (ومما يعصم من الدجال الاستعاذة من فتنته وهي متواترة عن رسول الله ﷺ، وكذلك حفظ آيات من سورة الكهف، وكذلك الابتعاد عنه فلا يراه فإن من رآه افتتن، وكذلك سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما الله تعالى)[3]. هذا وقد دلت الأحاديث أنه ﷺ كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وأنه أمر أمته بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة ((اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ))[4]. وأما حفظ آيات من سورة الكهف فقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٣٠).

(٢) أشراط الساعة، يوسف عبدالله يوسف الوابل، ط/١٨، دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢٤هـ ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/١٩٩، ٢٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٧.

الدَّجَّالِ))[1]. وجاء في مسند أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ قَرَأَ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال "قال حجاج: من قرأ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ))[2]. قال النووي: (وسبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ﴾[3])[4].

ولا شك أن هذا من خصوصيات سورة الكهف، وقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة، ومن ذلك ما رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنْ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ))[5]. وفي رواية لغير الحاكم: ((مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))[6]. إن فتنة الدجال عظيمة، يحتاج المسلم للوقاية منها أن يأخذ بما أرشدت إليه السنة النبوية في مثل هذه الأمور.

(وللعصمة من شر فتنة المسيح الدجال عدة تدابير ينبغي على المسلم المبادرة إليها ما دام في العمر فسحة، وفي الأمر سعة، ومن أهمها الاستعاذة بالله من فتنة الدجال في الصلاة، وتتأكد الاستعاذة بعد التشهد الأخير قبل السلام، ومن ذلك أيضًا حفظ الآيات العشر الأول من سورة الكهف، فليحرص المسلم على الاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال في كل صلاة اتباعًا لسنة الرسول ﷺ، وعلى حفظ العشر آيات الأول من سورة الكهف وتحفيظها لأبنائه، ومن ولاه الله أمرهم، وكذا المعلمين والمعلمات ينبغي لهم أن يحثوا الطلبة والطالبات على حفظها، وتشجيعهم على ذلك بالمسابقات

---

(١) أخرجه مسلم ٨٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٦/٦ رقم ٢٧٥١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجالين، ٥٠٩/٤٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ١٠٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٤٠.

(٥) مستدرك الحاكم ٣٦٨/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٦٣٤٦ ص ٣٤٠/٥.

(٦) صحيح الجامع الصغير، الألباني، حديث رقم ٦٣٤٧ ص ٣٤٠/٥.

والأنشطة المتضمنة لحفظها. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام عدم مقدرة الدجال على دخول مكة والمدينة، فما أجدرنا إلى الأخذ بالتدابير السابقة تحرزًا من الوقوع في براثن هذه الفتنة، فما يدريك لعلها دنت أو أوشكت ساعتها، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى)[1].

سادسًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث "فمن أدركه منكم..." وهذا يبين أن من أولى مهام الداعية أن يرشد المدعوين إلى ما فيه صلاحهم ومنفعتهم.

(ولقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرًا من صفات الدجال ليحذر أمته فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة، لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين)[2].

ولقد أخبر الله عن محمد ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

إن الداعية الناجح ينفع الناس بعلمه، ولا يكتمه عنهم، فإن مهمة البلاغ من أعظم المهام التي تناط بالداعية.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم. وكيف يسوغ لهم البخل بما مُنِحُوه جودًا من غير بخل، وأُوتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله أسره ص ١١٥-١١٩ بتصرف.

(٢) أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله يوسف الوابل، ٣٢٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

إليهم، ولانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[2].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ العهد على أهل العلم أن يعلِّموا. وقال بعض الحكماء: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل، فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وقال بعض العلماء: كما أن الاستفادة نافلة للمتعلم، كذلك الإفادة فريضة على المعلم. وقد قيل في منثور الحكم: من كتم علمًا فكأنه جاهله. وقال خالد بن صفوان إني لأفرح بإفادتي المتعلِّم، أكثر من فرحي باستفادتي من المعلم.

ثم له بالتعليم نفعان:

أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله تعالى، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة.

والنفع الثاني: زيادة العلم، وإتقان الحفظ، فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا على ما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصُها ما أخذ منها، ولكن يُخمدها ألا تجد حطبًا، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقدُ الحاملين له سبب عدمه، فإياك والبخلَ بما تعلم. وقال بعض العلماء: علِّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذًا أنت قد علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت)[3].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان موطن خروج الدجال:

حيث جاء في الحديث "إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالاً

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٨٧-٨٨.

يا عباد الله فاثبتوا" قال الطيبي: (وقوله "خلة بين الشام والعراق" أي في طريق بينهما وقيل للطريق والسبيل خلة؛ لأنه خل ما بين البلدين، أي أخذ محيط ما بينهما، وأما قوله "فعاث" قال التوربشتي: إشارة إلى أنه لا يكتفي بالإفساد في ما يطؤه من البلاد ويتوجه له من الأغوار والأنجاد، بل يبعث سراياه يمينًا وشمالاً، فلا يأمن شره مؤمن ولا يخلو من فتنته وطن)[1]. هذا وقد ثبت في صحيح مسلم على أن موطن خروجه من جهة المشرق في حديث الجساسة عن فاطمة بنت قيس: ((لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَـٰذَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ))[2]. قال النووي: (قال القاضي: لفظ "ما هو" زائدة صلة الكلام ليست بنافية والمراد: إثبات أنه في جهات المشرق)[3]. وجاء أيضًا في سنن الترمذي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: ((حدثنا رَسُولُ الله قَالَ: الدَّجَّالُ يخرُجُ مِنْ أَرْضٍ بالمَشْرِقِ يُقَالُ لهَا خُرِاسَانَ يتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ))[4]. وأخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ التيجَانُ))[5].

ويتحصل مما سبق، أن مكان خروج الدجال من جهة المشرق من خراسان من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخله، إلا مكة والمدينة فلا يستطيع دخولهما لأن الملائكة تحرسهما. قال ابن حجر: (وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا)[6]. وقال ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١١/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٢٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٢٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٤/٣ رقم ١٣٣٤٤، وقال محققو المسند: حديث حسن. وأصبهان: مدينة في شمال غرب إيران تقع على نهر زنده رود وهي جنوب طهران، بينها وبين شيراز. واليهودية: محلّة عظيمة في مدينة أصبهان وكانت تطلق أحيانًا على أصبهان نفسها. انظر: تحقيق مسند أحمد ٥٦/٢١، ٥٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٧/١٣.

يقال لها: اليهودية)[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: مدة لبث الدجال في الأرض:

حيث جاء في الحديث "قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" وقوله في الحديث أيضًا: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا..." وهذه الأحاديث تبين مدة لبث الدجال في الأرض، قال النووي: (قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل، عليه قوله ﷺ في الحديث وسائر أيامه كأيامكم. وقولهم في الحديث "فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم" قال: "لا اقدروا له قدره" قال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى: "اقدروا له قدره" أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم، فصلّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر، فصلّوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب، فصلّوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب وهكذا، حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة، فرائض كلها مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم)[٢].

وقال الطيبي: (قال التوربشتي: ولما تبين أن الدجال يبعث ومعه التشبيهات والتمويهات، فإنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة، إسفار بلا ظلام، وصباح بلا مساء، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد ابو مسلم وآخرون ١٩/ ١٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة)[١].

وقال السفاريني: (أما قدر لبثه في الأرض فقد جاء في الخبر "أنها أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" وقيل يمكث أربعين سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة. واختلف العلماء في تأويل الحديث، فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن، حتى لا يدروا كيف يمضي النهار، فيكون مضى النهار عندهم كمضي الساعة، والشهر كاليوم، والسنة كالشهر، ومنهم من قال بل هو على ظاهره. واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين، فمنهم من مال إلى الترجيح، فيكون حديث النواس الأول أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني أيضًا صحيحًا فيقدم عليه، ومنهم من مال إلى الجمع وطريقه أن أيامه أربعون سنة، وتسمى السنين أيامًا مجازًا، كما يقال أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)[٢].

وقد فصل القول حول هذه الآراء في مدة لبث الدجال صاحب فتح الملهم فقال: (قوله: "يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة" اختلف العلماء في تفسيره على ثلاثة أقوال:

١- إنه محمول على ظاهره، وإن هذه الأيام الثلاثة تطول حقيقةً، بحيث تصير حركة الشمس "أو الأرض" بطيئة، ولا تكمل دورة الليل والنهار في اليوم الأول إلا في وقت يستغرق سنة في الأيام العادية، وتكمل في اليوم الثاني بمقدار شهر، وفي اليوم الثالث بمقدار أسبوع. وإن ذلك سوف يقع على سبيل خرق العادة. وهذا الذي رجحه النووي والقرطبي والقاضي عياض وكثير من الشراح. قالوا: وليس ذلك ببعيد، لأن الله تعالى قادر على أن يجعل حركة الشمس "أو الأرض" بطيئة. وإن زمن الدجال تكثر فيه الخوارق، فمنها هذا.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١٢/١٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ١٠٥/٢.

٢- ذكر ابن الملك عن بعض العلماء، أن المراد منه، أن اليوم الأول، لكثرة هموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين[١]، يُرى للناس طويلاً كسنة، وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره، فيُرى كشهر، والثالث يُرى كجمعة، لأن الحق في كل وقت يزيد قدرًا، والباطل ينقص حتى ينمحق أثرًا، أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم إلى أن تضمحل شدتها[٢].

ولكن هذا القول ردّه العلماء، لأنه لو كان هذا التأويل صحيحًا، لما كان هناك حاجة إلى السؤال عن أوقات الصلاة، ولما أجاب عنه رسول الله ﷺ بقوله: "لا، اقدروا له قدره" كما سيأتي، فإنه يكاد يكون صريحًا في أن المسلمين لا تكفيهم في ذلك اليوم صلاة يوم واحد.

وقد حكى القرطبي عن أبي الحسن بن المنادي أنه طعن في صحة هذه الكلمة من الحديث، أعني قوله: "أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره" وقال: هذه من الدسائس التي كابرنا عليها من خالف علينا، وقال: "ولو كان ذلك صحيحًا لاشتهر على ألسنة الرواة، كحديث الدجال، فإنه رواه خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وكان أعظم وأقصى من طلوع الشمس من مغربها".

ولكن رد عليه القرطبي بقوله: "وهذا الذي ذكر هذا الرجل، لا يقدح في الثقة بما انفرد به العدل، فإنه يسمع ما لم يسمع غيره، ... وقد ذكر الحديث مسلم والترمذي وأبو داود، وحكموا بصحته، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز، بعيد لا يلتفت إليه"[٣].

٣- والقول الثالث: ما ذكره التوربشتي ونذكر كلامه بلفظه، كما نقل عنه الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ١١٢) قال: "قد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق ﷺ أن الدجال يبعث معه من الشبهات، ويفيض على يديه من التمويهات، ما يسلب عن ذوي

---

(١) المراد بـ"اللعين" المسيح الدجال.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري ١٠/١٩٤، ١٩٥.

(٣) شرح الأبي، محمد بن خلفة الوشتاني ٢/٢٧٠.

العقول عقولهم، ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم. فمن ذلك تسخير الشياطين له، ومجيئه بجنة ونار، وإحياء الميت على حسب ما يدّعيه، وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب، وتارة بالأزمة والجدب. ثم لإخفاء أنه أسحر الناس. فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا بأن نقول: إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيّل إليهم أن الزمان قد استمرّ على حال واحدة، إسفار بلا ظلام، وصباح بلا مساء. ويحسبون أن الليل لا يمدّ عليهم رواقه، وأن الشمس لا تطوي عليهم ضياءها، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار. فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل، والله الموفق لإصابة الحق)[1].

وحاصل ما ذكره التوربشتي أن زمان ذلك اليوم لا يمتّد في نفس الأمر، ولا تبطؤ حركة الشمس "أو الأرض" بالنسبة إلى الأيام العادية، وإنما تسير الشمس أو الأرض على حركتها العادية، ولكن الدجّال يسحر الناس بحيث إنهم لا يشعرون بمرور الوقت، وحركة الشمس، إلا ببطء غير عادي، فيُخيَّل إليهم أن النهار قد امتد عليهم فوق امتداده العادي، وكذا الليل، حتى إنهم يحسبون أن دورة الليل والنهار إنما كمُلت في وقت يستغرق سنة في الأيام المعتدلة، وليس ذلك إلا من باب السحر والتخييل.

وهذا الذي ذكره التوربشتي رجحه علي القاري في مرقاة المفاتيح (١٠: ١٩٥) وذكر أنه هو التحقيق، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: بيان فتنة الدجال للناس:

جاءت الأحاديث تدل على فتنة الدجال وأن فتنته من أعظم الفتن، وأن الله سبحانه يجعل معه من الأمور الخوارق والمبهمات التي فتن الناس معها، ومن فتنته ما يأتي كما

---

(١) قد ذكرنا رأي التوربشتي مختصرًا في شرح المضمون الثامن من المضامين الدعوية الواردة في شرح هذا الحديث، من نفس المرجع الذي ذكره صاحب فتح الملهم ونفس الجزء والصفحة.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٢٩١-٢٩٣.

دلّت الأحاديث:

١- سرعته في الأرض: حيث جاء في الحديث "يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح" قال الإمام الطيبي: (والمراد بالغيث هنا الغيم إطلاقًا للسبب على المسبب، أي يسرع في الأرض إسراع الغيم إذا استدبرته الريح)[1]. وإذا كانت هذه سرعته فإنه لا يترك موضعًا في الأرض إلا ذهب إليه، وفتن الناس بما معه إلا مكة والمدينة، ومما يدل على هذا ما جاء في حديث الجساسة عن فاطمة بنت قيس: ((... وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منها استقبلني ملك بيده السيف صلتًا صدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها))[2].

٢- كثرة الخير لمن يصدقه وانحساره لمن يكذبه: حيث جاء في الحديث "فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم". وهذا من أعظم الفتن للناس، حيث من يتبعه يكثر لديه الخير والضرع واللبن، ومن يكذبه ينقطع عنهم المطر، وتيبس الأرض والكلأ، والله يثبت من يشاء.

٣- استخراج كنوز الأرض: حيث جاء في الحديث "ويمر بالخرب فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل" وهذا من فتنته أيضًا. قال النووي: (والمراد باليعاسيب ذكور النحل خاصة وقيل جماعة النحل، وكني عن الجماعة باليعسوب، وهو: أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته)[3]. وقال الطيبي: (والمعنى: أنه يتبع الدجال كنوز الأرض كما تتبع اليعسوب النحل، وهو كناية عن سرعة اتباعه،

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١٣/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

أي تتبعه الكنوز بالسرعة)[١].

٤- قتل شاب وإحياؤه: حيث جاء في الحديث "ثم يدعو رجلاً ممتلئا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك". وهذا أيضاً من فتنته، لأن الإحياء والإماتة بيد الله وحده، ولكن هذا من فتنته للناس، وقد جاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلي: ((وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِلأَعْرَابِي: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَني رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمهِ فَيَقُولاَنِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ))[٢].

٥- معه جنة ونار: حيث جاء في الحديث "أن الدجال يخرج وإن معه ماءً ونارًا فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب" وهذا أيضًا من عظيم فتنته، وجاء في حديث آخر "وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار". قال النووي: (قال العلماء: هذا من جملة فتنته، امتحن الله تعالى به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل، ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه)[٣]. وقال ابن حجر: (وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة للرائي، فإما أن يكون الدجال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال نارًا، وباطن النار جنة، وهذا هو الراجح. وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة، وعن المحنة والنقمة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة وبالعكس، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار فيظنها جنة وبالعكس)[٤].

٦- معه جبل خبز ونهر ماء: حيث جاء في الحديث "إنه معه جبل خبز ونهر ماء"

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١٣/١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٠٧٧، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير برقم ٧٧٥٢، ٢٧٣/٦، وضعفه في ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٧/١٣.

وهذا من عظيم فتنته للناس قال النووي: (والمراد أن الله جعل له ذلك ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوه)[١].

٧- عظم فتنته وهولها: حيث جاء في الحديث "لينفرن الناس من الدجال في الجبال" وجاء أيضًا: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" قال السفاريني: (وأما الدجال فتنته عظيمة، وما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال، وما من نبي إلا حذر قومه الدجال)[٢].

ويكفي في عظم فتنته ما تم إيراده سابقًا (والدجال شخص من بني آدم له بعض صفات المردة من الجن، وهو محبوس الآن في قيد بجزيرة، وفتنته أعظم فتنة في تاريخ البشر، حيث يجري الله على يديه أمورًا خارقة للعادة، ولهذه الأمور العظيمة التي يضل من يراها، فقد حذر كل نبي أمته من فتنته)[٣].

وقال الطيبي: (والدجال فتنته عظيمة جدًا، تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص، فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. أما أهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون بما فيه؛ لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. وهذه الأحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده)[٤].

عاشرًا- من موضوعات الدعوة: إثبات نزول المسيح عليه السلام وموطن نزوله:

حيث جاء في الحديث "فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين" وقوله في الحديث أيضًا: "فيبعث

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ٢/٩٠.

(٣) من مقدمة تحقيق كتاب الفتن للإمام حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، تحقيق د. ناصر حسن صبري، ط/١، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص ٧، ٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١٠٩.

الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه" وفي هذا إثبات لنزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال. قال القاضي عياض: (ونزول عيسى المسيح وقتله الدجال حق صحيح عند أهل السنة؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك؛ ولأنه لم يرد ما يبطله ويضعفه، خلافًا لبعض المعتزلة والجهمية، ومن رأى رأيهم من إنكار ذلك، وزعمهم أن قول الله تعالى عن محمد ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[١]، وقوله ﷺ: ((لا نبي بعدي))[٢] وإجماع المسلمين على ذلك وعلى أن شريعة الإسلام باقية غير منسوخة إلى يوم القيامة - يرد هذه الأحاديث. وليس كما زعموه؛ فإنه لم يرد في هذه الأحاديث أنه يأتي بنسخ شريعة ولا تجديد أمر نبوة ورسالة، بل جاءت بأنه حكم مقسط، يجيء بما يجدد ما تغير من الإسلام، وبصلاح الأمور والعدل، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، وأن إمام المسلمين منهم كما قال عليه السلام.

وأما قوله: "ويضع الجزية": فليس معناه: أنه يسقطها عمن تجب عليه بخلاف شريعتنا، بل قيل: يسلم الكافر فلا يبقى مَنْ يعطي جزية، وقد يقال: إنه يقهر جميع الكفرة حتى لا يبقى له معاند ولا مقاتل، إلا من أسلم أو ألقى بيده، أو أعطى الجزية صاغرًا، ويكون وضع الجزية: أي يوظفها على كل من كفر؛ لا أنه يسقطها)[٣].

وقال صاحب فتح الملهم معقبًا على كلام القاضي: (الأوضح في الجواب عن استدلالهم أن المراد من كونه ﷺ خاتم النبيين ومن كونه لا نبيّ بعده أنه لا يولد بعده نبي، لا أن جميعهم يموتون قبله. وليس مراد القاضي عياض أنه يمكن ولادة نبي بعده ﷺ بشرط أن لا يأتي بشرع جديد، كما ادعى ذلك بعض المتنبئين في عصرنا، وإنّما مراده أن عيسى عليه السلام، وإن كان نبيًا، ولكنه يحكم بعد نزوله بشرع نبينا ﷺ، فافهم)[٤].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤١٦، ومسلم ٢٤٠٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٢/٨، ٤٩٣.

(٤) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٣١٤/١٢.

ومن الأدلة على نزوله عليه السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1]. قال الطبري: (وقوله "ليؤمنن به" أي بعيسى "قبل موته" يعني قبل موت عيسى، يُوجَّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم، وعن ابن عباس قال قبل موته أي قبل موت عيسى، وعن أبي مالك في قوله "إلا ليؤمنن به قبل موته" قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به. وعن الحسن قال: قبل موت عيسى والله إنه الآن لحي عند الله، ولكنه إذا نزل آمنوا به أجمعون)[2].

وقال ابن كثير: (والصحيح ما ذكره ابن جرير وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، أي قبل موت عيسى عليه السلام وهذا ما يدل عليه سياق الآي من أن الله رفع عيسى إليه، وأنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمن به حينئذٍ جميع أهل الكتاب، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم)[3]. وقال السعدي: (ومعنى الآية: وما من أحد من أهل الكتاب، إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار، فإنه تكاثرت الأحاديث في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين)[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[5].

(١) سورة النساء، آية: ١٥٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/٦٦٤، ٦٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٤٥٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٧٧.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٦١.

قال السعدي: (أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة ... أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله، علامة من علامات الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكنَّ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر[1] اهـ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))[2].

قال السفاريني: (وقد أجمعت الأمة على نزول المسيح عيسى بن مريم، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد الإجماع من الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة وهو متصف بها)[3].

وقال أحمد شاكر: (وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه بالأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان قبل انقضاء الحياة الدنيا: بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح تارة أخرى، ذلك أنهم - في حقيقة أمرهم- لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادون يؤمنون بالغيب، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يُعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل)[4].

وأما موطن نزول المسيح عليه السلام فقد بين الحديث نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، قال النووي: (وهذه المنارة موجودة اليوم شرق دمشق وهذا الحديث من فضائل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٢٢، ومسلم ١٥٥.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ٩٤/٢.

(٤) نقلًا عن: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الإمام محمد أنور شاه الكشميري، ترتيب محمد شفيع، تحقيق وتعليق د. عبدالفتاح أبو غدة، ط/٣، دار القرآن الكريم، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٣٥٦.

دمشق وقوله "مهرودتين" روى بالدال والذال ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل: هما شقتان والشقة نصف الملاءة)[١].

وقال ابن كثير: (والأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية إلا التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله تقدم فيقول: تقدم أنت فإنها إنما أقيمت لك، وقد جُدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وقد ورد أنه ينزل ببيت المقدس، والأحاديث تقتضي أن الدجال يقتل بلُدٍّ قبل أن يدخل بيت المقدس، فتدل على أنه لا يدخله الدجال كمكة والمدينة حماية له منه. وفي رواية: أن عيسى ينزل بالأردن وفي رواية بمعسكر المسلمين)[٢].

الحادي عشر- من موضوعات الدعوة: بيان صفة المسيح عليه السلام وقتله للدجال:

حيث جاء في الحديث "واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله".

أما في صفة المسيح فقد جاء في الصحيح ما يدل على هيئته ففي الحديث: ((ولقيتُ عيسى، فنعتَه النبيُّ ﷺ فقال: رَبعةٌ أحمرُ، كأنَّما خرج من دِيماسٍ "يعني الحمام"))[٣] وفي الحديث أيضًا: ((رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ، فأما عيسى فأحمرُ جَعْدُ عَريضُ الصدرِ))[٤] وفي الحديث أيضًا: ((أراني الليلة عند الكعبة في المنامِ، فإذا رجلٌ آدمُ، كأحسنِ ما يُرَى من أُدْمِ الرِّجالِ تضرِبُ لِمَّته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسهُ ماءً، واضعًا يديهِ على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيتِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٩٤، ومسلم ١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٣٨.

فقالوا: هذا المسيحُ بنُ مريمَ))[١].

وأما صفته وهيئته عند نزوله فإنه يضع كفه على أجنحة ملكين، قال ابن عثيمين: (وينزل عيسى عليه السلام ويداه على أجنحة ملكين -لأن الملائكة أولو أجنحة- ينزلان من السماء وكأنه - والله أعلم- قد اغتسل بماء طيب، إذا طأطأ رأسه قطر ماء، وإذا رفعه تحدر منه الجمان، ويحتمل أن هذا ماء ويحتمل أنه عرق)[٢].

وقال النووي: (والمراد أنه يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمي الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء، والجمان هو حب من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار)[٣].

وقال ابن عثيمين: (ومع نزوله لا يحل لكافر يجد نَفَس عيسى إلا مات ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، ومعنى ذلك أنه يقتل أناسًا كثيرين من الكفار، لأن هذا النفس يطير في الهواء)[٤].

وأما طلبه للدجال وقتله، فقد جاء في الحديث أنه يدركه بباب لُدّ. قال النووي: (وهي بلدة قريبة من بيت المقدس)[٥]. وعندها يدرك عيسى عليه السلام المسيح الدجال فيقتله هناك، وبهذا ينتهي المسيح الدجال ويبقى المسيح رسول الله عليه السلام.

الثاني عشر - من موضوعات الدعوة: إثبات خروج يأجوج ومأجوج وفتنتهم:

حيث جاء في الحديث "ثم يأتي قومًا عصمهم الله منه -أي من الدجال - فيمسح عن وجوههم ويحدثهم... فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج..." وفي هذا إثبات لخروجهم ووجودهم. قال الإمام السفاريني: (ويأجوج ومأجوج اشتقاقهما من أجيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم، وقيل من الأجاج وهو الماء

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٩، ومسلم ٢٧٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٥٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٨٥٦/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

الشديد الملوحة، وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين. وأمر خروجهم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[١] وأما السنة فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ((خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا، محمرًا وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث))[٢]. والحديث الذي معنا أيضًا يدل على ذلك، وقد ذكر ابن عبدالبر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح. فأمر خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله[٣] عقل فوجب اعتقاده)[٤].

وقال النووي: (ومَسْح عيسى عليه السلام للقوم الذين نجوا من الدجال، يحتمل أنه حقيقة على ظاهره، فيمسح على وجوههم تبركًا وبرًا، ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف، وقوله "حرز عبادي إلى الطور" فالمعنى: نجهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور، وقوله "أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم" يعني لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم فهم يمشون مسرعين)[٥].

وأما فتنتهم فقد جاء في الحديث أنه يمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماءًا.

الثالث عشر- من موضوعات الدعوة: لجوء عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله وفضل ذلك:

حيث جاء في الحديث "ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٤٦، ومسلم ٢٨٨٠.

(٣) استحال الشيء: صار محالاً. انظر: المعجم الوسيط في (ح ل ل).

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ٢/١١٥.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٩٨.

وأصحابه رضي الله عنهم إلى الله تعالى" قال ابن علان: (ويحاصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور، ويمنعون من يأجوج ومأجوج من النزول إلى الأرض، حتى يكون رأس الثور عند أحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، وذلك لقوة حاجتهم للطعام واضطرارهم إليه، وإنما ذكر رأس الثور، ليقاس به البقية في ارتفاع القيمة)[١]. وأمام هذه الحال يلجأ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، ويتضرعوا إليه أن يكشف عنهم هذا الأمر، ودأب المؤمن دائمًا أنه يلجأ إلى الله عند الشدائد، وهذا هو حال الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[٢] وقال سبحانه عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وقال سبحانه عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ﴾[٤]. وأمام تضرع ودعاء نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، يستجيب الله لهم، ويهلك يأجوج ومأجوج.

الرابع عشر- من موضوعات الدعوة: بيان هلاك يأجوج ومأجوج وتطهير الأرض منهم:

١- أما هلاكهم فقد جاء في الحديث "فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فَرْسى كموت نفس واحدة". قال ابن عثيمين: (والنغف: هو عبارة عن دودة في أعناقهم فيصبحون فَرْسى -جمع فريسة يعني موتى - كنفس واحدة، كل هذه الأمم التي لا يحصيها إلا الله تموت في ليلة واحدة، لأن الأمر بيد الله سبحانه، فبمجرد دخول

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٧٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٣، ٨٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧، ٨٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٩، ٩٠.

النغف في أعناقهم يموتون على الفور، ثم ينزل عيسى وقومه إلى الأرض)[١].

٢- وأما تطهير الأرض منهم: فقد جاء في الحديث "فلا يجدون في الأرض موضع قبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عز وجل مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة". قال الطيبي: (ولما ينتشر في الأرض دسمهم وريحهم المنتنة، يرسل الله طيرًا أعناقها كأعناق البخت فتطرحهم، ويعم المطر الأماكن كلها، فيغسلها حتى تصير الأرض كالزلقة يعني كالمرآة، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها، وقيل معناه كمصانع الماء أي حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقيل كالروضة)[٢]. وقال د. الحسيني هاشم: (ومعنى الحديث أن من علامات القيامة وخاتمة الدنيا ما فيه، إنه يصور مرحلة زمنية هي آخر مظاهر الحياة الدنيا وختامها. تبدأ هذه المرحلة بنزول الدجال، وهو شاب أعور مكنه الله من بعض الخوارق، يدعي الألوهية، ولا ينجو منه إلا الصادقون، ومنهم من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم فتتطهر الأرض، أرض فلسطين، من الكفر، ثم ينزل يأجوج ومأجوج فلا ينجو منهم إلا من هرب مع المسيح إلى جبل الطور، ثم يهلكهم الله تعالى، ويعود المؤمنون، ثم يموتون بريح طيبة، ويبقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة. ولا يعرف أحد منهم ميعادها لا تأتيهم إلا بغتة.

وفي الحديث: ١ - إثبات نزول الدجال والتحذير منه وبيان الطريق إلى النجاة منه. ٢ - إثبات نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال. ٣ - خروج يأجوج ومأجوج، ولعلهم من ناحية الشرق، واضطرارهم المسيح ومن معه للهرب إلى الطور. ٤-بقاء بيت المقدس واللد وسائر بلاد فلسطين بأسمائها الإسلامية. ٥ - تحدث النبي ﷺ عن الغيب كأنه يراه، ووجوب الإيمان بما ذكر)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٥٧/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ، ١١٦/١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨١٧.

٣- وأما بركة الأرض بعد هلاك يأجوج ومأجوج فقد جاء في الحديث "ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك..." ومن مظاهر هذه البركة كما جاء في الحديث (وتنزل في زمن عيسى عليه السلام بركات دينية ودنيوية من كل نوع، ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس ويكون الرمان في زمانه كبيرًا حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس، ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس، ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة)[1].

الخامس عشر- من موضوعات الدعوة: بيان على من تقوم الساعة والنفخ في الصور:

حيث جاء في الحديث "بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة" وفي الحديث "... ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته... فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع".

قال النووي: (ومعنى يتهارجون: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك)[2]. فعلى هؤلاء تقوم الساعة، وأما أهل الإيمان فتقبض الريح الطيبة أرواحهم. وقال النووي أيضًا: (وقوله "فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع" أي إنهم يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد، كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم لبعض، في أخلاق السباع العادية)[3].

وأما النفخ في الصور: فقد جاء في الحديث "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا[4] ورفع ليتًا وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس"

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري، ٣٠٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٧٠١.

(٤) اللِّيتُ: صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنه ويرفع صفحته الأرى، انظر: رياض الصالحين ص ٥٠٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

والمراد أن شرار الناس يفتنهم الشيطان ويأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك في رزق وخير وعيش حسن ثم ينفخ في الصور. قال حبنكة الميداني: (لقد أخبرنا الله تعالى أنه ستحدث نفختان في الصور. الأولى: نفخة الإماتة العامة وعندها تكون ساعة إنهاء النظام القائم في الحياة الأولى. والثانية: نفخة البعث إلى الحياة بعد الموت ويدل على حدوث هاتين النفختين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] وبالنفخة الثانية يبعث الله الناس إلى الحياة الثانية ليتم فيها نظام الجزاء الأكمل بالثواب أو بالعقاب)[2]. وقال ابن كثير: (والنفخة الأولى: هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ثم يحيى أول من يحيى إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي نفخة البعث فإذا هم قيام ينظرون)[3]. وقد جاء في صحيح البخاري مقدار ما بين النفختين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعونَ يومًا؟ قال: أَبَيتُ. قال: أربعون سنةً؟ قال: أَبَيتُ، قال: أربعونَ شهرًا؟ قال: أَبَيتُ، ويَبلى كلُّ شيءٍ من الإنسان، إلا عَجْب ذَنَبه، فيه يُركَّبُ الخَلق))[4].

السادس عشر - من موضوعات الدعوة: بيان بعث النار:

حيث جاء في الحديث "ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال مِنْ كَمْ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يَوْمَ يجعل الوالدان شيبًا". قال الطيبي: (أي يسأل المخاطبون عن كمية العدد المبعوث إلى النار، فيقولون: كم عددًا نخرجه من كم عدد فيقال لهم: أخرجوا من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، وقوله: يوم يكشف عن ساق كناية عن شدة عظيمة، وألم فظيع، وهو إقبال الآخرة وظهورها، وذهاب الدنيا،

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) العقيدة الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٦٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٦/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨١٤.

ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه)[1].

السابع عشر- من موضوعات الدعوة: حفظ مكة والمدينة من الدجال:

حيث جاء في الحديث "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين تحرسهما فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل كافر ومنافق" وهذا من حفظ الله لمكة والمدينة. قال ابن كثير: (ومما يعصم من فتنة الدجال، سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما الله تعالى فقد ثبت في الصحيح أنه لا يدخل مكة ولا المدينة، تمنعه الملائكة لشرف هاتين البقعتين، فهما حرمان آمنان، وإنما إذا نزل عند سبخة المدينة ترجف بأهلها ثلاث رجفات إما حسًا وإما معنى على القولين، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة، فيومئذٍ تنفي المدينة خبثها وينصح طيبها)[2]. قال ابن حجر: (وقوله "ترجف المدينة" أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى، ثم ثالثة، حتى يخرج منها من ليس مخلصًا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص، فلا يسلط عليه الدجال، والحاصل إعلامه ﷺ أن الدجال لا يدخل المدينة ولا الرعب منه)[3].

وفي التدليل على حفظ مكة والمدينة من الدجال، ساق أحد الباحثين أربعة وسبعين حديثًا نبويًا في إثبات هذا، ثم عقب عليها بقوله: (وهذه الأحاديث المتقدمة يدل ما صح منها على أن فتنة الدجال فتنة عظيمة، لم تكن فتنة في الأرض منذ خلق الله آدم أعظم من فتنته، ولذلك حذر كل نبي أمته منه، وهو موجود في إحدى الجزر مكبَّل بالحديد، ويظهر -حين يأذن الله بخروجه- في المشرق، ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا، ويطوف الأرض كلها في أربعين يومًا، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فلا يستطيع أن يدخلها حيث يأتي المدينة فيجد الملائكة واقفين على مداخلها يحرسونها، بأيديهم السيوف مسلولة، كلما أراد أن يدخلها منعوه، فينزل سَبَخة الجُرْف عند جبل

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١٤٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/٢٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/١١٥.

صغير أحمر عند مجتمع السيول، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق، ويخرج إليه رجل من خيار الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيسلط الله عليه الدجال - ولا يُسلط على أحد غيره- فيقتله، ثم يحييه، مستدلاً بذلك على أنه الرب الذي يحيي ويميت، فيصدقه أتباعه، أما الرجل فيزداد يقينه بأنه الدجال، فيقول: "والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم"، فيريد الدجال أن يقتله مرة أخرى، فلا يُسلَّط عليه.

ويحاول الدجال دخول المدينة، فتصرف الملائكة وجهه إلى الشمال، فيذهب إلى الشام، فينزل حينئذ عيسى بن مريم عليه السلام، فيدرك الدجال في مدخل مدينة "لُد" بفلسطين فيقتله.

وحماية المدينة من الدجال نعمة عظيمة، ومنقبة ظاهرة للمدينة، حيث يحفظ الله عز وجل على المؤمنين -من أهلها- إيمانهم من التأثر بتلك الفتنة العظيمة)[1].

الثامن عشر- من موضوعات الدعوة: بيان أتباع الدجال:

حيث جاء في الحديث "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة" وهذا يبين أن أكثر أتباع الدجال من اليهود "أما أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء، فأكثر أتباع الدجال هم من الترك وبعض الأعاجم، وقد جاء وصفهم في الحديث ((لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا خُوزًا وكرمانَ منَ الأعاجم، حُمرَ الوجوهِ فُطسْ الأنوفِ صِغارَ الأعين كأنَّ وجوهَهُمُ المجانُّ المطرَقة، نعالهمُ الشَّعر))[2]. وأما كون أكثر أتباعه من الأعراب فلأن الجهل غالب عليهم، وأما النساء فحالهن أشد من حال الأعراب، لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن[3].

(١) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة "جمعًا ودراسة"، د. صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، ط/٢، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٩٠.

(٣) أشراط الساعة، د. يوسف عبدالله بن يوسف الوابل، ٣١٢.

التاسع عشر- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن خروج أحد المؤمنين للدجال:

حيث جاء في الحديث "يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول: ما بربنا خفاء..." وفي هذا إخبار من النبي ﷺ عن خروج المؤمن الذي يذهب للدجال ويواجهه بأنه المسيح الكذاب، فيضربه بالمنشار ويقطعه فرقتين، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائمًا، ويطلب منه الإيمان به، فيرفض ويقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يريد الدجال أن يذبحه فلا يستطيع، فيأخذه ويقذف به، فيحسب الناس أنه قذف في النار، وإنما أُلقي في الجنة، وهذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.

قال ابن حجر: (قال الخطابي: فإن قيل كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد كافر؟ فالجواب أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم، فالذي أعطيه الدجال من ذلك فتنة لمن شاهده ومحنة لمن عاينه)[1]. وكل هذا دليل على عظم فتنة الدجال وشدة تمويهه على الناس.

العشرون- من موضوعات الدعوة: فضل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته وإنه قال لي: ما يضرك..." والصحابي الجليل المغيرة بن شعبة له فضل كبير. قال ابن عبدالبر: (هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، وهو من ثقيف يكنى أبا عبدالله وقيل: أبا عيسى، أسلم عام الخندق وقدم مهاجرًا وقيل: إن أول مشاهده الحديبية، وكان المغيرة رجلاً طوالاً ذا هيبة أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك، قال له مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو واقف على قبره: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت، شديد الأخوة لمن آخيت، وعن الأصمعي قال: كان معاوية يقول: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزياد للصغير والكبير، والمغيرة للأمر العظيم)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/ ١١٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٦٦٥.

وقال ابن حجر: (قال الطبري: كان ضخم القامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين، أَصْهَب[١] الشعر جعده، وكان لا يفرقه، وقال ابن سعد: كان يقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، وقال الشعبي: كان من دهاة العرب، وقال البغوي: كان أول من وضع ديوان البصرة، وقال الطبري: كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجًا، ولا يلتبس عليه أمران إلا أظهر الرأي في أحدهما، وقيل: إن للمغيرة عند عمر منزلة، إنه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد، ومات سنة خمسين عند الأكثر)[٢].

الحادي والعشرون- من آداب المدعو: السؤال عما ينفعه:

حيث تكرر في الحديث سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ ومن ذلك: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ وما إسراعه في الأرض؟ والمدعو واجب عليه أن يسأل عما ينفعه ويفيده، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] قال السعدي: (وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالسؤال والتعلم من أهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي الآية نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتعدى لذلك)[٤].

ومما يدل على حرص الصحابة على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

---

(١) أَصْهَب الشعر: كان أصغر ضاربًا إلى حمرة وبياض، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص هـ ب).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألستنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة. قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك))[1].

دل هذا الحديث على أن الصحابة ﷺ كانوا يسألون النبي ﷺ عن الخير ليعرفوه ويعملوا به، ومنهم من كان يسأل عن الشر ليجتنبه وليحذر منه.

قال ابن حجر: (وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا، فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع، ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع ما ظاهره الاختلاف منها.

وقال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف إذا أقام كلا منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه، ويكون سببًا في دفعه عمن أراد الله له النجاة.

وفيه سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها، حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه.

ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلها فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه.

وفيه وجوب رد الباطل، وكل ما خالف الهدي النبوي، ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع)[2] اهـ.

الثاني والعشرون- من موضوعات الدعوة: هوان أمر الدجال على الله عز وجل:

حيث جاء في الحديث "هو أهون على الله من ذلك". والمراد أنه رغم فتنة الدجال

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/١٣.

العظيمة إلا أن أمره هين على الله. قال النووي: (قال القاضي: معناه: هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين، وليس معناه أنه ليس معه شيء)[١].

وقال ابن حجر: (والمراد أنه أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه، ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره، يقرأها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه من حدثه ونقصه، ويحتمل أن يكون قوله "هو أهون" أي لا يجعل له ذلك حقيقة من جبال الخبز والماء والجنة والنار، وإنما هو تخييل وتشبيه على الأبصار، فيثبت المؤمن ويزل الكافر فهو أهون على الله من أن يكون له نهر ماء يجري فإن الذي معه يرى أنه ماء وليس بماء)[٢]. فأمر الدجال هين على الله.

الثالث والعشرون- من موضوعات الدعوة: إنذار الأنبياء أقوامهم من الدجال:

حيث جاء في الحديث "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب" وقوله: "ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال ما حدث به نبي قومه" قال ابن حجر: (قال ابن العربي: إنذار الأنبياء قومهم بأمر الدجال تحذير من الفتن وطمأنينة لها لا يزعزعها عن حسن الاعتقاد، وكذلك تقريب النبي ﷺ له زيادة في التحذير، وأشار مع ذلك إلى أنهم إذا كانوا على الإيمان ثابتين، دفعوا الشبه باليقين. وأما إنذار نوح قومه بالدجال فقد استشكل، لأن الأحاديث قد ثبتت أنه يخرج بعد أمور ذكرت، والجواب أنه، كان وقت خروجه أخفى على نوح ومن بعده، فكأنهم أنذروا به، ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتنته)[٣]. ولاشك أن مهمة الأنبياء هي الإنذار من الفتن والشرور ولا فتنة أشد وأكبر من فتنة الدجال (ولأن الدجال فتنة عظيمة تحير العقول وتدهش الألباب مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/١٢، ١٠٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ١٠٣/١٣.

ودلائل الحدوث فيه والنقص، لهذا حذرت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله)[١].

قال د. عمر سليمان الأشقر: (بعث الله رسوله ﷺ دالاً على الخير، محذرًا من الشر، وقد دل أصحابه على المنهج الأمثل الذي ينبغي أن يسلكوه في الوقائع التي وقعت في عصره، وفي إخباره بالمغيبات المقبلة، توجيه للذين جاءوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها.

ومن هذه التوجيهات التي كان لها أثر كبير في توجيه المسلمين إلى الحق تبشيره عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه، وإخباره بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وأمره أباذر بأن يعتزل الفتنة، وأن لا يقاتل ولو قتل.

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من حديث حذيفة حيث كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، بينما أصحابه رضي الله عنهم كانوا يسألون الرسول ﷺ عن الخير.

ومن هذا نَهْي الرسول ﷺ المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات في آخر الزمان، وإخبارهم عن حقيقة الدجال، وبيان ما يأتي به من الشبهات. وغير ذلك من الكائنات التي يبصّر الرسول ﷺ أمته بالتصرف الأمثل حيالها.

وقد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم فإنهم قد يختلفون، وقد لا يهتدون إلى الصواب، بل قد يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجب لا بد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تنزه الشريعة عنه.

فمن ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن تلك الأيام الطويلة أتكفي الواحد منها صلاة يوم، قال الرسول ((لا، اقدروا له قدره))[٢]. ولو وكل العباد إلى اجتهادهم لاقتصروا على الصلوات الخمس عند

---

(١) أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله يوسف الوابل، ٣٢٣.

(٢) اخرجه مسلم ٢٩٣٧.

الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان.

وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري، لأن عيسى عليه السلام يحكم بهذا الشرع)[1].

الرابع والعشرون- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أمته:

حيث جاء في الحديث "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم" وقوله "فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب" وقوله "فالتي يقول إنها الجنة هي النار" وكل هذا يدل على مدى حرص النبي ﷺ على إنذار قومه وتعريفهم أمر الدجال، حتى لا ينخدعوا فيه، ولقد كان من حديث القرآن عن الرسول ﷺ أنه حريص على أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال القرطبي: (قال أبو جعفر النحاس وأحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما جاء من عبدالله بن داود الخريبي "حريص عليكم" قال: أن تدخلوا الجنة، وقيل حريص عليكم أن تؤمنوا، وقال العزاء: شحيح عليكم بأن تدخلوا النار، والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع ويتلف)[3]. وإذا كان النبي ﷺ حريصًا على أمته وقومه فواجب على كل داعية أن يشعر المدعوين بحرصه عليهم وشفقته بهم، وحنوه عليهم ورغبته في نصحهم وإرشادهم، ودلالتهم إلى ما ينفعهم.

الخامس والعشرون- من أساليب الدعوة: الحوار والاستفسار:

حيث جاء في الحديث "فقال: ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله: ذكرت الدجال الغداة..." وقوله "قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض" وقوله في حديث آخر "وإنه قال لي:

---

(١) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٣٠-١٣٢ بتصرف.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠٢/٤.

ما يضرك قلت إنهم يقولون: إنه معه جبل خبز ونهر ماء" ولاشك أن أسلوب الحوار والاستفسار من أساليب الدعوة المهمة حيث يستفرغ المدعو ما عنده من تساؤلات، ويتعرف على ما يجهل من أمور، ولذا يجب على الدعاة أن يشجعوا المدعو على الحوار والاستفسار لتحقيق هذا الغرض (إن الحوار يعني الانفتاح الواعي على الآخرين، والحوار ظاهرة اجتماعية إذ هو من أفعال المشاركة التي لا يمكن للفرد أن يقوم بها، وفي واقعنا المعاصر يعود ضعف الحوار إلى أمرين الأول: الاستخفاف بفائدة الحوار. والثاني: الخوف من الحوار، والذين لا يدركون قيمة الحوار فهم كثر، وانعدام الحوار يؤدي إلى قطع خيوط التواصل مع الآخرين)[١].

السادس والعشرون- من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث أخبر الرسول ﷺ عن فتنة الدجال التي ستقع وماذا يقول وماذا يدّعي وماذا سيكون، ولا شك أن كل هذا من دلائل نبوته ﷺ. قال ابن كثير: (وهذا الحديث يذكر في دلائل النبوة ولهذا يقول المؤمن الذي يسلط عليه الدجال فيقتله ثم يحييه: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ، ولا يلزم من هذا أنه سمع خبر الدجال من رسول الله ﷺ شفاهًا)[٢]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته إخباره عن المغيبات مما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم والمقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وأنه استأثر به، وقد جاء ما يفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم)[٣]. وقد قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[٤]. ومن الآيات التي تدل

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي، د. عبدالكريم البكار ص ٢٧٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩٨/١٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣، ٢٨٩١.

على إطلاع الله بعض أنبيائه على بعض الغيوب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾[(١)].

السابع وعشرون- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث حذر النبي ﷺ وخوف أمته من الدجال وفتنته وما يكون معه، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المهمة حيث إن النفس البشرية طبيعتها تخاف الهلاك والوعيد بالضرر (والترهيب أسلوب قرآني، يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب، وخوفًا من فقدان السلام و الأمن)[(٢)]. (والرهبة طول الخوف واستمراره والترهيب هو التخويف والتوعد، فمن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه)[(٣)].

الثامن والعشرون- من أهداف الدعوة: تهيئة المؤمنين للابتلاء والتمحيص:

يتضح هذا من سياق الأحاديث وما يكون مع الدجال من فتن وابتلاءات، ولاشك أن في هذا تهيئة للمؤمنين لاستقبال هذه الفتن والابتلاءات والاستعداد لها. (ولقد جلى لنا رسولنا محمد ﷺ حقيقة الدجال بأوضح بيان وآكد برهان، حتى يكون المسلم على حذر منه، وينجو من فتنته العظيمة، وإن الإيمان بقضية الدجال وما يقتضيها من كفره وضلاله وكذبه يعني للمؤمن النجاة من إفكه لمن حقق مقتضيات الإيمان به، ومن ذلك دراسة أمر الدجال حتى تتضح أمامه هذه الحقيقة التي حذر منها النبيون أجمعهم؛ لأن الدجال يأتي بأمور عظيمة، ومن تهيئة المؤمنين للابتلاء أن يكثروا الاستعاذة بالله من فتنة الدجال، إذ أن الله هو المعين من كل ضائقة ومصيبة)[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى، د. علي عبدالحليم محمود ١/٢٣٢.

(٣) الدعوة إلى الله - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩، ٢٠٠.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ٥٦١، ٥٦٢.

والمؤمن عندما يتعرف على أحوال المسيح الدجال، فإنه يأخذ حذره ويتهيأ ويسلك سبل السلامة. (وفتنة الدجال من أعظم فتن آخر الزمان، التي تموج بعقول أولي الألباب، وينبغي على المسلم أن يحرص على معرفة ما ورد عن الدجال، لأنها تعطي تصورًا واضحًا عن علامات الدجال، ليحتاط لدينه، ويكون على بصيرة من أمره إذا اشتعلت نار هذه الفتنة، واختلفت أحوال الناس فيها بين مقبل ومدبر، يثبت الله عز وجل بفضله من يشاء من عباده المخلصين، فالواجب على المسلم أن يحتاط من الوقوع في هذه الفتنة)[1].

ولقد تكاثرت الأحاديث التي تبين للمسلم الفتنة والمخرج منها، وماذا يفعل حيالها (لقد حذر النبي ﷺ أمته من الفتن وأخبرهم بعلامات الساعة فمنها علامات صغرى -وقد وقع معظمها- ومنها علامات كبرى، فما من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، فكان النبي ﷺ أحرص ما يكون على أن يقدم لأمته الوصية عند وقوع الفتن وانتشار الأهواء وحدوث الاختلاف -وقد حدث - فجاءت الأحاديث الكثيرة المبينة لذلك.

- وقد أوصى النبي ﷺ عند وقوع الفتن بالاعتزال وعدم الخوض فيها ونبذ الاختلاف.

قال ابن حجر: (وقد اختلف السلف في أصل العزلة فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك.

وقال قوم العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين.

وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى.

وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح - فمن يتحتم عليه المخالطة، من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان)[2].

---

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله اسرة ص ١١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١٣.

وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة، لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة، فتعم من ليس من أهلها كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[1].

ثم نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: إن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع، على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة على دينه فالأولى له الاكتفاء عن مخالطة الناس، بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك.

والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقصر منه على ما لا بد له منه، فهو أروح للبدن والقلب والله أعلم اهـ[2])[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣٢.

(٣) الرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أبو عبيدة ماهر بن صالح آل مبارك، ص ٤٨-٤٩.

الحديث رقم (١٨١١)

١٨١١- وعن رِبعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، قال: انطلقت مع أبي مسعود الأنصاري إلى حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما، فقال له أبو مسعود: حَدِّثْنِي ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، في الدَّجَّالِ، قال: ((إنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وإنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أدرَكَهُ مِنْكُمْ[1]، فَلْيَقَعْ فِي الَّذي يَراهُ نَارًا، فَإنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ)) فقال أبو مسعود: وَأنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

إن المفارقة الأسلوبية هي التي تغمر البيان النبوي في هذا الحديث الشريف، وهذه المفارقة التي تعني بإبراز التناقض بين الأشياء، وسوق المعنى وضده في سياق واحد، وتقديم الجميل في صورة القبيح، والقبيح في صورة الجميل، وهذا التضاد في الدلالات، وقلب موازين الأشياء، من أوضح الدلائل على زيف وكذب مقولات الدجال، فالباطل عنده حق، والحق عنده باطل، وماؤه نار تحرق، وناره ماء حلو طيب عذب، ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر وجملة ناسخة في قوله: "إن الدجال يخرج" و"إن" حرف ناسخ ويفيد التأكيد، والنسخ اللغوي هنا يوحي بنسخ كل ما يقدم الدجال من أقوال وأفعال: ويتكرر التأكيد "مرة ثانية" بإن: وهي كذلك توحي بالنسخ السلوكي الذي تضمنه النسخ اللغوي في قوله: "وإن معه ماءً ونارًا"، وهما يرمزان للخير والشر: "فماء الدجال" منبع الهلاك والشرور، "وناره": المزعومة: هي الماء العذب الزلال في حقيقة الأمر، لأنه يغوي الناس بالباطل.

---

(١) لفظ مسلم: (فمن أدرك ذلك منكم).

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٠، ومسلم واللفظ له ٢٩٣٤/١٠٧.

وأسلوب الشرط الذي يتضمن تفصيل الأمر، وتوضيح الحقيقة يوحي بالمقصود حيث التأمل والتفكير الدقيق الذي يتسم به أولوا الألباب: ولنتأمل المفارقة الدقيقة والبليغة في قوله: "فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق"، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب، ولنتأمل هذا التوجيه النبوي البليغ الذي ورد في صيغة الشرط المتضمن الأمر في الجواب وهو يتضمن المفارقة التي تدعو للدهشة والتأمل: (فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه نارًا).

والتأكيد في نهاية الحديث يدعو إلى مقاومة فتنة الدجال، وكشف أباطيله: فالرسول ﷺ يأمر كل من يدرك الدجال بقوله: "فليقع في الذي يراه نارًا"، "فإنه ماء عذب طيب". والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨١٢)

١٨١٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((يَخرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ اربَعِينَ (لاَ ادْرِي ارْبَعِينَ يومًا او ارْبَعِينَ شَهْرًا، او ارْبَعِينَ عامًا)، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ [1]، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيس بَينَ اثْنَينِ عَداوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ، رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أو إيمَانٍ إلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لو أنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ[2].

فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيرِ، واحْلامِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فيَقُولُ: الاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأمُرُنَا؟ فَيَأمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلاَّ اصغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَاوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبِلِهِ فَيُصْعَقُ ويُصْعَقُ النَّاسُ (حوله) [3]، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -او قالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأنَّهُ الطَّلُّ او الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ اجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقالُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إلَى رَبِّكُم، وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: اخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ الْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ؛ فَذَلِكَ يَومٌ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)). رواه مسلم[4]. "اللِّيتُ": صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

---

(١) عند مسلم زيادة: (كأنه عروة بن مسعود).

(٢) عند مسلم زيادة: (قال: سمعتها من سرول الله ﷺ، قال).

(٣) (حوله) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية.

(٤) برقم ١١٦/٢٩٤٠.

غريب الألفاظ:

مثقال: مقدار[١].

الذَّرة: ما يُرى في النور إذا دخل النافذة[٢].

كَبِدِ جَبَلٍ: وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه[٣].

خفة الطير وأحلام السباع: أي: يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادية[٤].

دَارٌّ رزقهم: كثر[٥].

ليتا: الليت: صفحة العنق. ومعناه يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى[٦].

يلوط حوض إبله: يطينه ويصلحه[٧].

الطلّ: الذي ينزل من السماء في الصّحْو، والطّل -أيضًا-: أضعفُ المطر[٨].

بعث النار: المبعوث إليها من أهلها[٩].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده ينهج النهج القصصي في عرض أخبار ظهور الدجال، وبعض أمارات يوم القيامة، أو الإخبار عن الظواهر الكونية التي تمثل إرهاصات لقيام الساعة، وأول سمة من سمات النهج

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل).

(٢) المرجع السابق في (ذ ر ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٠١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر ر).

(٦) رياض الصالحين ٦١٦.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ل ل)، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٩) المرجع السابق في (ب ع ث).

القصصي: تتابع الأفعال المضارعة في الحديث كله.. والرابط من هذه الأفعال المتوالية الفاء، التي تفصح عن تعاقب الأحداث والأفعال، وتجيء ثم للربط بين الأحداث التي تتسم بالتراخي وتفصل بينها مسافات زمنية ليست بالقصيرة.

ولنتأمل مكونات المشهد الأول وهو مشهد ظهور الدجال وبعث عيسى بن مريم وقتله للدجال، يقول رسول الله ﷺ "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين..... فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم فيطلبه ويهلكه".

ثم يبدأ مشهد آخر، ولذلك يجيء العطف بـ"ثم": حيث يقول: ثم يمكث الناس سبع سنين، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة، والريح هي المشهد الثالث من المشاهد التي ترهص بقيام الساعة.

وأسلوب القصر يتسق مع جو الفناء ونهاية العالم إثر هذه الريح: حيث يقول رسول الله ﷺ "فلا يبقى على وجه الأرض أحد... إلا قبضته"، وأسلوب الشرط: وأداته "لو" وهي أداة امتناع لامتناع، وهذا الأسلوب يجيء في سياق تصوير الريح المدمر المهلكة: في قوله: لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، وفي ذلك إشارة إلى أنه لن يفلت أحد من أهوال يوم القيامة، وأما ما يسبقها من إرهاصات: فلن يبقى إلا شرار الناس، وجاء وصفهم غي إطار الكناية فهم في خفة الطير وأحلام السباع، وذلك كناية عن أنهم في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوة والفساد يكونون في سرعة الطير وهم في العدو خلف بعضهم بعضًا لهم أحلام السباع، فهم لا يعقلون من أمرهم شيئًا.

ومن جماليات الأسلوب في هذا الحديث: الحوار بين الشيطان وشرار الناس، والحوار ثمرته مرة ضارة وهي عبادة الأوثان، ويأتي العطف بـ "ثم" في مشهد تالٍ مفاجئ لهؤلاء الأشرار وهو النفخ في الصور، ولذلك قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، أي يضع صفحة عنقه، ويرفع صفحته الأخرى، وذلك كناية عن الحيرة والذهول والمفاجأة.

والتشبيه الذي يحسم الحقيقة يتمثل في قوله: ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، والمشهد الأخير يبدأ بالعطف بـ"ثم" وهو مشهد البعث

والناس قيام ينظرون.

وفي هذا المشهد تأثر بالقرآن الكريم واستمداد لمعاني القرآن وألفاظه في تصوير مشاهد يوم القيامة، ومن ذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[3]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[4]، والله أعلم.

المضامين الدعوية[5]

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٣) سورة المزمل، آية: ١٧.

(٤) سورة القلم، آية: ٤٢.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٣)

١٨١٣ - وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ؛ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقَابِهِمَا إلاَّ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا[1]، فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ[2] مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ))** رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النقب: الطريق بين الجبلين[4].

السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر[5].

الشرح الأدبي

لقد جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا، وأقسم بالبلد الأمين، في سورة التين، وأقسم به كذلك في سورة البلد، فمكة المكرمة بلد الله الحرام، ومهوى أفئدة الآمنين القادمين من كل فج عميق، والأمن يظلل كل الكائنات التي تسبح بحمد ربها، والمدينة المنورة مهاجر رسول الله، وملتقى الأخوة الإسلامية، من المهاجرين الأنصار، وبها مسجد رسول الله ﷺ، ومنها انطلق فرسان الإسلام، ينشرون التوحيد، ويفتحون الأمصار، وهم لا يفترون عن ذكر الله آناء الله وأطراف النهار.

---

(١) لفظ مسلم: (تحرسها).

(٢) لفظ مسلم: (يخرج) فقط.

(٣) برقم ٢٩٤٣/١٢٣، واخرجه ايضًا البخاري ١٨٨١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ق ب).

(٥) المرجع السابق في (س ب خ).

والحديث الشريف يبشر كل المسلمين بأن مكة والمدينة ستنجوان من فتنة الدجال، وأن الملائكة ستحرسهما، والله سيحفظهما من دنس الدجال، ويحفظ المسجد الأقصى ومسجد الطور.

ويبدأ الحديث بجملتين تؤكدان هذا الحفظ عن طريق أسلوب القصر، وهذا الأسلوب فيه مزيد من الوعد والبشرى من رسول الله ﷺ، وتكررت أداة النفي "ليس": في صور الجملتين "ليس من بلد سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة"، ثم يؤكد وسيلة هذا الحفظ، وهي حراسة الملائكة، وتكرار "ليس" مع أسلوب القصر نفسه يضاعف التأكيد ويوثق الوعد الصادق، وتكرار الحال الذي يصور الملائكة وهي تحرس المدينة ومكة، وكذلك قوله: "وليس نقب من أنقابها" أي حَزْق، وذلك كناية عن حفظ كل شيء صغيرًا كان أو كبيرًا، وقوله:: "ليس من بلد" يفيد أن "من"، المزيدة هنا للتأكيد والاستقصاء، فكل بلاد الدنيا سيطؤها الدجال إلا مكة والمدينة، وقوله: فينزل بالسبخة، إشارة إلى تحقير مكانة الدجال وكل من يتبعه من المنافقين والكفار، وقوله: ترجف المدينة، المراد منه: الإرفاق وهو إشاعة مجيء الدجال وأنه لا طاقة لأحد به فيسارع حينئذ إليه من يتصل بالنفاق أو الفسق: فظهر حينئذ، كما قال العلماء، وكما ورد في السنة المباركة: أن المدينة تنقي خبثها.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٤)

١٨١٤ - وعنه ﵁: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: ((يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أصبهان: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (عريستان) بلد سلمان الفارسي ﵁، ومنها بدأت رحلته التي انتهت بالمدينة المنورة، وهي من مدن إيران المعروفة[٢].

الطَّيَالِسَةُ: ضَرْبٌ من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن. خال عن التفصيل والخياطة. أو هو ما يعرف في العامية المصرية بالشال، (فارسي معرب. تالسان أوتالشان)[٣].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث جملتين... إخباريتين، ولأن الخبر هنا يجمع بين الدجال واليهود فهو صادق لا يحتمل الشك، ولا يعقل أن ينكره أحد من المسلمين، ولذلك خلا من التأكيد.. لأن الذهن المسلم متهيئ لاستقبال مثل هذا الخبر، فلا تردد في استقباله، ولاشك في مضمونه، ولا إنكار لما يتضمنه من دلالة وحدث، والحدث المراد توضيحه هو أنه سيتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، وهنا حدد رسول الله ﷺ صنفًا من أصناف البشر الذين سيفتتون بالدجال ويتبعونه وهم اليهود، والأمر يزداد تحديدًا حين يشير إلى جنس ومكان هؤلاء اليهود وهم يهود أصبهان من الفرس، ويزداد الأمر وضوحًا وجلاءً حين يشير رسول الله ﷺ إلى العدد، وهم سبعون ألفًا، وذلك كناية

---

(١) برقم ١٢٤/٢٩٤٤.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ٤٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ل س).

عن الكثرة، وليس المقصود التحديد الكمي، والعدد سبعون عند العرب يشير إلى الكثرة في سياقات كثيرة.

والجملة الأخيرة تضيف معلمًا آخر لصورة هؤلاء الذين يتبعون الدجال: وهو تحديد هيئتهم، وملابسهم فهم: يهود، ومن أصبهان، وعددهم سبعون ألفًا ويزيدون ويتضاعفون، وهم كذلك، عليهم الطيالسة، وقيل المراد بالطيالسة: الأكسية، وقيل الطيلسان المقور أي المدوّر، وهو المقصود في الحديث الشريف، لم يكن من فعل النبي ﷺ والصحابة، بل هو من شعار اليهود، وهو لباس اليهود قديمًا، والعجم أيضًا، والعرب تسميه ساجا.

وقد نهانا رسول الله عن التشبه باليهود، ولعن الله من تشبه بهم: فهم صهاينة أشرار، ومغتصبون فجار.

تعاموا عن ضياء الحق حتى	أظلهم ضلال لا يحد
شرازمة أتوا من كل فج	كجرزان الخرائب حين تعدو
خنازير أقاموا في جنان	وذا شأن له في القلب رد!!
وكيف تملك الحيات أرضًا	وهم دومًا من الإحساس جرد
لنا يوم كيوم الحشر معهم	نريهم أينا أقوى أشد
ملائكة مسومة نراها	مع الأحرار بالآفاق تبدو
وقوتنا من الرحمن مدت	وفي القرآن نادانا، أعدوا
وإن كان اليقين سبيل قوم	أتتهم من سماء الله جند[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) من قصيدة يوم الثأر، للدكتور صابر عبدالدايم، ديوان الأعمال الكاملة، وكتبت هذه القصيدة في مايو ١٩٦٧م، قبل نكسة يونيو: ١٩٦٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٥)

١٨١٥- وعن أم شريكٍ رضي الله عنها: أنها سَمِعَتِ النَّبيَّ ﷺ، يقولُ: ((لينْفِرَنَّ[١] النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أم شريك القرشية: اختلف في نسبها فقيل هي: أم شريك القرشية العامرية واسمها غَزِيَّةُ -وقيل غُزَيلة- بنت دُودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رواحة بن حُجْر -ويقال حُجَيْر-من بني عامر، ويقال في نسبها: أم شريك بنت عوف بن جابر بن طيبان بن حجر من بني عامر بن لؤي، ويقال غزية بنت جابر بن حكيم، العامرية القرشية، ويقال الدَّوسية، ويقال الأنصارية.

يقول الحافظ ابن حجر في الإصابة عقب هذه الترجمة لأم شريك، والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة، اختلف في نسبتها أنصارية، أو عامرية من قريش، أو أزدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاث ممكن (كانت قرشية تزوجت من دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت من الأنصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج أصلاً بل هي نسبت إليهم بالمعنى الأعم، يقال هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، واختلف في ذلك، وقيل إن النبي تزوجها ولم يدخل بها لأنه كره غيرة الأنصار، وقد ذكرها بعضهم في أزواج النبي ﷺ، ولا يصح من ذلك شيء، لكثرة الاضطراب فيه، والأصح أنها كانت تحت الطفيل بن الحارث أو الحارث الأزدي فولدت له شريكًا، لها ثلاثة أحاديث، حديث في البخاري، وحديث في مسلم والثالث في سنن الترمذي.

قال السندي: وجاء أنها كانت غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله،

---

(١) لفظ مسلم: (ليفرّن).

(٢) برقم ١٢٥/٢٩٤٥.

ينزل عليها الضِّيفان[(١)].

غريب الألفاظ:

لينفرن: أي: يهربون منه[(٢)].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الشريف فزع الناس وهلعهم وخوفهم من فتنة الدجال، وهذا التصوير ينزع إلى رصد حركة الناس، فهو تصوير حركي، وقد بدأ الحديث بتأكيد ذلك الفزع، وذلك عن طرق القسم المؤذنة به الزيادة في التقرير، وإيماء إلى عظيم فتنته وشدة شرها.

وجاء الفعل الدال على النفرة والهروب إلى الجبال في قالب المضارع، للإيحاء بأن هروب الناس مستمر ومتتابع من هذه الفتنة، وكذلك تأكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة يضاعف من الإحساس بالذعر والهلع، والحرص على النجاة من براثن الدجال، والجذر اللغوي للفعل: "لينفرن": يتسق مع الجو العام الذي تشكله صورة هذا الاستنفار فالنفر في اللغة: التفرق، والغلبة، ويقال: نفرت الدابة: تنفر، نفورًا، ونفارًا أي جزعت وتباعدت، ويقال: نفرت العين وغيرها: أي هاجت وورمت، وقوله: "في الجبال"، تصوير لكثرتهم، وتفرقهم في الشعاب والأودية، والهضاب، وأعالي الجبال، والكهوف والمغارات، و"في" هنا على حقيقتها لأنها تتضمن الظرفية، والجبال تعج بالأماكن

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/١٥٥-١٥٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٧/٢٤٠، ٢٤١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨١٢، ١٨١٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٢٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥٩٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٩٨، والسندي ٤٥/٣٥٩، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣/٢١٤١، ٢١٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن ف ر).

والمرتفعات والمنخفضات، وقال بعض العلماء: الظاهر أن "في" بمعنى "على"، والمراد بالناس، في الحديث: المؤمنون، لأنه لن يلحق بالدجال إلا الكفار والمنافقون، نسأل الله النجاة والعفو والفوز بالجنة والنجاة من النار، آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٦)

١٨١٦ - وعن عمران بن حُصينٍ رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي هو الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، كما يقول الجاحظ، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر.

وهذا الحديث الشريف الموجز تتسع دوائره، وتتلاقى أواصره، وتتآزر أوائله وأواخره، فهو في جملة واحدة يرصد خطر فتنة الدجال، ويقرر في النفوس أن كل مسيرة البشرية من لدن خلق آدم إلى قيام الساعة بما ينبثق عنها من أخطار، وما يندلع فيها من كوارث وأوزار، وحروب وهلاك ودمار، كل ذلك ليس بأخطر ولا أعظم من فتنة الدجال، وفي هذا الحديث لم يصرح بالفتنة، وإنما قال من الدجال، لأنه مصدر الفتنة، وباعث شررها، فهو الفتنة نفسها، وهو الخطر ذاته، والجذر اللغوي للفظ الدجال: يحدد كثيرًا من الدلالات التي تفصح عن معالم هذه الشخصية، وعن وظيفتها ودورها وآثارها.

فالدجيل: القطران، ودجل البعير: طلاه بالقطران، أو عم جسمه بالهناء، والدجال كأنه القطران، في أذنه، ولونه، ورائحته، ووظيفته المنفرة، ومن معاني: دجل: كذب، وأحرق، وقطع نواحي الأرض سيرًا، وذلك من معالم الدجال، وقيل مشتق من الدجال: كسحاب، والدجال: هو السرجين: لأنه ينجس وجه الأرض، وكذلك الدجال ينشر

---

(١) برقم ٢٩٤٦/١٢٧.

الباطل والخوف، والكفر والفساد، وهذه الدلالات تتفق مع ما يحدثه الدجال من فتن، ومصائب، وتمويه على الناس، وما أبلغ تصوير رسول الله ﷺ للباطل الذي ينشره هذا الدجال، حيث يقول: "وإن معه ماء ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق!!!

وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب!!!، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٧)

١٨١٧- وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: ((يَخرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤمِنِينَ فيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَّال. فَيقُولونَ لَهُ: إلى أيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: اعْمِدُ إلى هذَا الّذِي خَرَجَ. فَيَقُولونَ لَهُ: أوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ! فَيَقُولُونَ: اقْتُلوهُ. فيقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحدًا دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ، فَإذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ هذَا الدَّجَّال الّذي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَيَأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ؛ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فَيقُولُ: أوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ! فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجلَيْهِ. ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلاَّ بَصِيرَةً. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِي بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَيَأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ[1] مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلاَ يَسْتَطِيعُ إليهِ سَبيلاً، فَيَأخُذُهُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أنَّهُ قَذَفَهُ إلَى النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ)).

فَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: ((هذا أعْظَمُ النَّاس شَهَادَةً عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ)). رواه مسلم[2].

وروى البخاري بعضه بمعناه.

"المَسَالح": هم الخفراء والطلائع.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

قِبَلَهُ: جهته[3].

---

(١) لفظ مسلم: (فيجعل) فقط.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٨٢، ومسلم واللفظ له ١١٣/٢٩٣٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ل).

المسالح: الخفراء والطلائع[١]، وهي جمع مسلحة، القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسمُّوا كذلك لأنهم يكونون ذوي سلاح [٢].

تعمد: أي: تقصد[٣].

فيُشبَّح: يمد في الشمس على بطنه [٤].

شُجوه: الشجُّ: أن يضرب بشيء في رأسه فيشقه[٥].

فيؤشر بالمنشار من مفرقه: ينشر بالمنشار من وسط رأسه[٦].

ترقوته: هي: عظمة مشرِفة بين ثغرة النحر والعاتق[٧].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الصراع بين حزب الرحمان، وحزب الشيطان: وهذا الصراع يقدمه رسول الله ﷺ في صورة قصصية... تتضمن كل عناصر البناء القصصي في الحديث: الشخصيات، والأحداث، والحوار، والحبكة، والعقدة، ولحظة التنوير، أو الحل، والمفارقة تؤطر كل هذه العناصر.

وأول سمة من سمات النزعة القصصية هي: توالي الأفعال المضارعة.. والعطف بالفاء يجسم هذا التتابع، والعطف بـ"ثم" يجيء في بداية المشاهد التي تتوالى في بطء أو تتعاقب في تراخ.

وفي الحديث إشارة إلى انتصار الحق، ونصرة حزب الرحمان: حيث يبدأ بالإخبار عن الدجال: وخروجه، ويبدأ الصراع حيث يتوجه قبل الدجال رجل من المؤمنين... لمقاومته وصده وكشف باطله.

---

(١) رياض الصالحين ٦١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ل ح).

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٩٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ب ح).

(٥) المرجع السابق في (ش ج ج).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي بن محمد الفيومي في (أ ش ر).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ق و).

وتتوالى الأحداث عبر ذلك الحوار بين الدجال والرجل المؤمن، بعد أن تغلب عليه الخفراء ورجال الأمن والشرطة، ولكن الرجل يصمد، ولا يضعف أمام الضرب والشج، وحتى عندما يأمر به الدجال فينشر، يظل على تمسكه بمبدئه لأنه على الحق، وتتكرر العقدة، في حادثي الشج والنشر وتحدث المفاجأة حينما يرفض المؤمن تصديق الدجال.

وكذلك حينما يحاول الدجال ذبحه... ولكن الله يجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، ولا يستطيع إليه سبيلا، ودفاع الله عن المؤمن الذي يرمز إلى كل أنصار الإيمان، وإلى حزب الرحمان: تتجلى بوارقه في ختام الحديث: حينما يقذف الدجال بالمؤمن، فيحسب الناس، إنما قذفه في النار، ويقول رسول الله ﷺ في أسلوب القصر والتأكيد: وإنما ألقي في الجنة.

ويقول المصطفى ﷺ مبشرًا كل الشهداء، وكل الذين يقاومون الباطل والكفر: ((هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)).

وهذا العرض الشائق لهذا الصراع تضمن الحوار الكاشف عن زيف الباطل وثبات الحق بين الدجال والرجل المؤمن، وتضمن كذلك: أساليب الاستفهام التقريري، والإنكاري، والتوبيخي، ويتضمن كذلك أسلوب النداء والقصر؛ وتكرار بعض العبارات يرشد إلى إلحاح الدجال وتهافته، وإلى إصرار المؤمن رغم العذاب الشديد، على منطقه الإيماني، وذلك حينما قال: الدجال له، في استفهام مثير للرغبة والشوق إلى استمالة قلب المؤمن: في قوله: "أتؤمن بي" مرتين، ولكن الرجل المؤمن يرفض، وواجهه عقب السؤال الأول بحقيقة زيفه، حيث قال له: أنت المسيح الكذاب، وفي المرة الثانية: يقول له في إصرار: مؤكدًا كلامه ورأيه عبر أسلوب القصر: حيث قال للدجال.. "ما ازددت فيك إلا بصيرة"، وهكذا يجب أن يكون المؤمن في كل زمان ومكان، يتصدى للباطل، ويكشف زيف الدجالين والمنافقين، والمستبدين، والظالمين، وما أكثر الدجالين في زماننا، فهل يزداد فيهم الناس بصيرة، وهل يفطنون لما يضمرونه من مكائد وحيل خادعة، وكوارث مفجعة.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٨)

١٨١٨ - وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ما سَأَلَ أَحَدٌ رسولَ الله ﷺ عَن الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ؛ وإِنَّهُ قَالَ لِي: ((مَا يَضُرُّكَ)) قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قالَ: ((هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلكَ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

الشرح الأدبي

إن الباطل مهما اشتد عوده فهو ضعيف، لأنه لا ثمرة له في الحياة نافعة، فهو يذوي ويتلاشى وإن كثر أعوانه وأنصاره، فهؤلاء الأعوان يواجهون مصارعهم ولا يستطيعون دفعها، وهذا المصير الأليم هو ما نستفيده من هذا الحديث الشريف الذي صيغ في القالب الحواري المشوق، حيث يدور الحوار الجميل المقنع بين المغيرة بن شعبة ورسول الله ﷺ.

ويبدأ الحديث بأسلوب التفصيل الذي يفيد الإكثار والمبالغة، حيث يقر المغيرة بأنه كان من أكثر الصحابة سؤالاً عن الدجال، وذلك لمزيد من المعرفة، ورغبة في الاستعداد لمواجهته، ومواجهة أعوانه من الكفار والمنافقين الذين يتكررون في كل الأزمنة وكل الأمكنة.

ويتكرر التأكيد مرتين في الحديث على لسان المغيرة في الحوار بينه وبين رسول الله ﷺ.

والتأكيد في المرة الأولى جاء في سياق إخبار المغيرة: عن إجابة رسول الله ﷺ له: في هذه الجملة، وإنه قال لي: ما يضرك، أي ما يتعبك منه شيء، ولن يلحق بك ضرر وبغيرك.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٧١٢٢، ومسلم ٢٩٣٩/١١٤.

والمغيرة يحرص على إزالة الشبهة، وزوال اللبس حيث يبالغ الناس في الأخبار، ويصورون الدجال في صورة غير حقيقية، حتى يتوهم الناس أنه ذو قوة وبطش ونفوذ، - ولذلك قال المغيرة "إنهم يقولون"، وقوله: "يقولون" يوحي بالتشكك في أقوال هؤلاء، ولم يحدد المغيرة من هؤلاء الذين يقولون تهوينا من شأنهم، ومن شأن الدجال، ويتكرر التأكيد مرة ثالثة في قول المغيرة: إن معه جبل خبز ونهر وماء، وقيل المراد أن معه من الخبر قدر الجبل، وفي رواية: إن معه الطعام والأنهار.

وفي ذلك إيحاء بأنه قادر على إغراء الناس، وفتنتهم بماله، ومكاسبه المادية، وهذه هي طبيعة الحضارة المادية الحديثة التي فقدت منظار الروح، ولم تملك سوى المنظار الحسي المادي، ولذلك قال رسول الله ﷺ معبرًا عن الدجال بضمير الغائب تحقيرًا لشأنه، هو أهون على الله تعالى من ذلك !!!.

وقيل إن دلالة ذلك أن الدجال: أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين، ومشككًا لقلوب الموقنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٤٥/٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٩)

١٨١٩ – وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، ألاَ إنَّهُ أعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر))**. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الشريف بعض سمات وملامح الدجال، وهي تجمع بين السمات الحسية والمعنوية، فمن ملامحه الحسية الشكلية التي ترمز إلى نقص الرؤية الحسية والإدراكية لديه أنه أعور، فهو لا يرى الأشياء رؤية متكاملة شاملة، ولكنه لا يرى إلا معالم الكفر، وأمارات الضلال، وأما الملمح الثاني: وهو ملمح سلوكي مرفوض فهو الكذب، فكل أخباره وادعاءاته كاذبة ملفقة، فماؤه نار، وناره ماء طيب عذب كما أخبر رسول الله ﷺ.

والحديث في صياغته يتضمن عدة مظاهر جمالية، ويبوح ببعض الأسرار التعبيرية ومنها:

أ- أسلوب القصر في الجملة الأولى: وهو يرشد إلى أن جميع الأنبياء حذروا أقوامهم من الدجال الذي وصفه الرسول ﷺ بالأعور الكذاب، تحقيرًا لشأنه، وفضحًا لأمره، والأنبياء عرفوا ذلك وأنذروا قومهم.

ب- الحرص على التنبيه والرغبة في الإصغاء والاستجابة وذلك ما يتضمنه ذكر "ألا" في بداية الجملة الثانية، وهي أداة استفتاح وحرف تنبيه، وتأتي في سياق الحث على الاستماع والإصغاء والتنبه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣١، ومسلم واللفظ له ٢٩٣٣/١٠١.

ج- التأكيد بإن: حيث تكرر مرتين: بعد أداة الاستفتاح وفي بداية الجملة الثالثة، وهذا التأكيد المتكرر للإقناع والحث على معرفة حقيقية هذا الدعي الدجال الأعور الكذاب، ولنتأمل ما يحمله هذا التعبير من طاقة تأثيرية إقناعية، تنفر المسلم من الاقتراب من عوالم هذه الشخصية. ألا إنه أعور، والجملة الثانية تتضمن السخرية من هذا الدعي لأنه يدعي أنه له نارًا وجنة ويدعي أنه الرب، وكيف يكون ربًا، ورسول الله ﷺ يقول: وإن ربكم ليس بأعور.

د- الجملة الأخيرة مكتوب بين عينيه كفر، تفصح بصياغتها الاسمية عن ثبات هذا الملمح في شخصية الدجال، وقال الحافظ هذا إخبار بالحقيقة، وذلك لأن الإدراك في البصر يخلقه الله تعالى للعبد، كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره، ولو كان لا يعرف الكتابة.

ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم، لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات في ذلك، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢٠)

١٨٢٠- وَعَن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((الا أُحدِّثُكمْ حديثًا عن الدجالِ ما حدَّثَ بهِ نبيٌّ قَومَهُ ! إنَّهُ أعورُ، وَإنَّهُ يجيءُ مَعَهُ بِمِثالِ الجنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ إنَّها الجنَّةُ هي النَّار)). متفقٌ عليهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

تتوالى الأحاديث في هذا السياق، وهي تنذر الأمة وتحذرها من فتنة الدجال، وهذه النذر كأنها شهب كاشفة، وصواعق راجفة، توقظ الغافلين،وتحذر السامعين، ويبدأ الحديث بأسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب، يتمثل في هذه الصيغة التي تفصح عن التنبيه والاستفتاح، وتستميل النفوس والآذان بالاستفهام التقريري المرغب في قول رسول الله ﷺ "ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه"، والخطاب هنا للصحابة ﷺ ولكل أبناء الأمة الإسلامية تحذيرًا لهم من هذه الفتنة التي تدع الحليم حيرانا، وتختلط فيها القيم، وتفسد فيها المعايير.

ووصفه بالأعور يجيء في أسلوب التوكيد، "إنه أعور" وهذا التأكيد على هذا الملمح الحسي الشكلي من ملامح الدجال، ليقنع الناس بأن أحكام الدجال ومقاييسه فاسدة ناقصة.

والتأكيد يتصدر الإخبار عن المنطق الفاسد لهذا الدعي، حيث يزيف الحقائق، ويخدع الناس، إنه يجيء بمثال الجنة والنار، وكلمة مثال أي شبيه، فهو يحاكي وليس يقدم شيئًا حقيقيًا.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٣٣٨، ومسلم ٢٩٣٦/١٠٩ وزادا: (وإني أنذركم كما أنذر به نوحٌ قومه).

ويجيء التأكيد مرة ثالثة في تحديد طبيعة أقوال هذا الدجال فهو كذاب، وهو متناقض، وشره خير، وخيره شر، وما أبلغ هذا التعبير القوي الذي ينذر الناس، وينبههم إلى خطر هذا الأعور الكذاب، الذي يخدع الناس بمثال الجنة والنار.

فالتي يقول: إنها الجنة هي النار!!، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢١)

١٨٢١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: ((إنَّ اللهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ، ألاَ إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بين ظهراني الناس: بين ظهورهم، أي: بينهم[2].

عنبة طافية: هي: الحبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء، شبه عينه بها[3].

الشرح الأدبي

إن صفات وملامح الدجال تتعدد في روايات الأحاديث، فكل رواية تضيف صفة جديدة تعمق قبح صورة هذا الكذاب الدعي، وفي هذا الحديث نجد إضافة جديدة إلى ملامح الدجال: وهي تحديد عينه باليمنى في هذه الصورة المنفرة، التي تثير الاشمئزاز والكراهية لهذه الشخصية، فهو أعور العين اليمنى: كأن عينه عنبة طافية.

وأول ما يثير قول ابن عمر ذكر الدجال بين ظهراني الناس، حيث أتى بهذا التعبير للدلالة على زيادة الظهور وعدم الاختفاء، "وظهراني"، أصلها: ظهر، والألف والنون زائدتان، وهي تعني النصير، ومعنى ذلك: أن ظهرًا منه قدامه، وظهرًا خلفه فكأنهم خفراء من جانبيه، كما يقول صاحب فتح الباري، وقوله: إن الله ليس بأعور، تأكيد

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٩، ومسلم ١٦٩/٢٧٤ ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

(٣) المرجع السابق (ط ف ع).

لبطلان مزاعم الدجال أن له جنة ونارًا وأن له صفات الإله، وكيف يكون كذلك وهو أعور العين اليمنى، واليسرى جاحظة واليمنى كأنها عنبة منتنة، وهذه صفات نقص فكيف يدعي أن الرب، والله متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا، وأداة الاستفتاح "ألا" مع التأكيد في جملة وصف الدجال بالعور، ترسيخ لهذه الصفة التي تبطل مزاعمه، وهذا الحديث يحدد العوراء باليمنى، وبعض الروايات تقول بأنها العين اليسرى.

والقاضي عياض قال: يصحان معًا، بأن تكون المطموسة والممسوحة هي العوراء الطائفة - بالهمز التي ذهب نورها وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب أو كأنها نخاعة في حائط هي الطافية بلا همز وهي اليسرى، كما جاء في الرواية الأخرى، ثم يقول: فكلا عيني الدجال معيبة، إحداهما بذهاب ضوئها، والأخرى بنتوئها، وهذا هو نهاية القبح، كما يقول صاحب دليل الفالحين، نسأل الله النجاة من فتنة الدجال، والفوز برضا الكبير المتعال... آمين.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢٢)

١٨٢٢ - وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الحَجَرُ و**[1] **الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إلاَّ الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ**)). متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث إحدى نبوءات المصطفى ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، وقد علمه شديد القوى، ومن دلائل صدق هذه النبوءة: أن الرسول ﷺ لم يحدد موعدًا زمنيًا لانتصار المسلمين على اليهود، لأن الحرب سجال، والأيام دول، ولكن شمس الحق تظل دائمة متوهجة في آفاق العزة الإيمانية، ومدارات البطولة الإسلامية، حتى وإن حجبتها سحب الباطل، وغيوم النفاق، وعواصف الكفر، وترهات المرجفين، ووسائل إعلام الملاحدة والعلمانيين، والماديين والدهرين.

والحديث يبدأ بقوله: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود"، والمسلمون هنا لهم الغلبة لأنهم الفاعلون، وهم المقاتلون، ولم يقل حتى يقتتل المسلمون واليهود، ولكنه جعل اليهود مفعولاً به، فقد وقع عليهم فعل القتال، وهم في موقف الدفاع، وما أدق هذه الصورة الحركية المبشرة: وهي صورة اختباء اليهودي من وراء الحجر والشجر، أي خلف الجدران، وفي قلب البنايات والحصون، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا

---

(١) لفظ مسلم: (أو).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٢٦، ومسلم واللفظ له ٨٢/٢٩٢٢.

﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[١]. والاختباء يعني الفرار والخوف والهزيمة، ولفظ "حتى" يفيد الغاية وهي تعلن أن الصراع طويل وممتد، ولكنه في نهاية المطاف يؤول إلى هزيمة اليهود، والله سبحانه وتعالى ينطق الجماد "الحجر"، وينطق النبات "الشجر"، وهي رموز قد تتطور وتشكل وتأخذ أسماء جديدة ومنها المخترعات العصرية، ووسائل الإعلام، ووسائل الحرب الإلكترونية الحديثة، التي سيمن الله على المسلمين بامتلاكها، وإعداد القوة العلمية والمادية والنفسية مع قوة العقيدة ووحدة الصف، وثبات الجنان ونصرة إرادة الرحمن، ويقول الحجر والشجر بكل الرموز والصوتيات يامسلم: هذا يهودي خلفي تعال: فاقتله، والنداء هنا يحث المسلمين على أن يكونوا جميعًا ملتزمين بصفات المسلم الحقيقي، حتى يتم النصر والتأييد الإلهي، واسم الإشارة يدل على التحديد والتعيين، وتنكير لفظ "يهودي" يفيد التحقير لهؤلاء الذين غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، وفعل الأمر هنا: واجب النفاذ، تعال: فاقتله، لأن في قتله إعزازًا لدين الله، وإسعادًا للبشرية، وحماية للمسلمين.

وأسلوب الاستثناء هنا في قوله: "إلا الغرقد"، وهو شجر العوسج أي الشوك: يفيد أن اليهود سيظلون على عنادهم، ولهم من يناصرهم، ويدافع عن باطلهم، وقد رمز لهؤلاء: بشجر الشوك، وهو لا ثمرة له إلا الضرر والإيذاء، وكذلك كل من يناصرون اليهود من الدول المارقة، ووسائل الإعلام الهابطة، كلهم مثل الشوك وهم من أعوان الدجال، الذي سيلقى حتفه هو وأعوانه واليهود تحقيقًا لهذه النبوءة، وتلك البشرى التي بشر بها: محمد رسول الله ﷺ أصحابه والمسلمين جميعًا، وأول شعاع من شمس هذه البشرى أضاء الأفق الإسلامي في عهد النبوة، حين طرد رسول الله ﷺ اليهود من المدينة وأجلاهم وانتصر عليهم، فهل تبزغ هذه الشمس الآفلة، وهل تعود للمسلمين من جديد قيادة القافلة ؟؟ إن ذلك ليس على الله ببعيد، فهو القوي القاهر الذي يبدئ ويعيد، وهو فعال لما يريد.

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة قتال المسلمين اليهود.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود..." وفي هذا إخبار منه ﷺ بما يكون في آخر الزمان، والإخبار أسلوب من أساليب الدعوة المهمة وعليها المدار في الدعوة إلى الله، فإن مهمات الأنبياء التبليغ للناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[1] وأمر الله نبيه ﷺ بالبيان للناس، فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وبالإخبار تقوم الحجة على المدعوين بتعريفهم والبيان لهم ولأجل هذا كان إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة قتال المسلمين اليهود:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر..." وهذه المقاتلة من أشراط الساعة. قال الإمام النووي: (والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود)[4]. وقال ابن حجر:(والمراد بقتال اليهود، وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٨٩.

وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى، وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة)[1].

ومما هو معلوم (أن من أشراط الساعة قتال المسلمين لليهود في آخر الزمان، وذلك أن اليهود يكونون من جند الدجال فيقاتلهم المسلمون الذين هم جند عيسى عليه السلام حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، والذي يظهر من سياق الأحاديث أن كلام الحجر والشجر ونحوه حقيقة، وذلك لأن حدوث تكلم الجمادات ثابت في غير أحاديث قتال اليهود، واستثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود، لأنها من شجرهم، يدل على أنه نطق حقيقي)[2].

قال القاضي عياض: (وقوله: "إلا الغرقد فإنه شجرهم" يعني اليهود. الغرقد: هو العوسج قال أبو حنيفة الدينوري[3] إذا عظمت العوسجة فهي غرقدة، ورأيت في بعض التعاليق أنه الدلفي ولا يصح)[4].

وقال القرطبي: (وهذه المقاتلة تكون بعد قتل الدجال، فإن اليهود هم أكثر أتباعه)[5]. وقد دل الحديث على أن اليهود أكثر أتباع الدجال، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة))[6].

وقال صاحب فتح الملهم: (وقوله: "حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي" يعني حينما يريد اليهود أن يختفي وراء حجر، فإنه ينطق ويخبر المسلمين بمكانه. وذلك يقع بعدما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٦/٦.

(٢) أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ٢٢١.

(٣) هو أحمد بن داود الدينوري كان نحويًا لغويًا مع الهندسة والحساب راويًا ثقة ورعًا زاهدًا، أخذ عن البصريين والكوفيين صنف لحن العامة وإصلاح المنطق وتفسير القرآن وغيره. مات سنة ٢٨٢هـ، وهو غير أبي حنيفة صاحب المذهب. [انظر: محقق إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٦٣/٨].

(٤) المرجع السابق ٤٦٣/٨.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥١/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٥٠، ومسلم ٢٩٤٤، وأبو داود ٤٣١٥.

يقتل عيسى عليه السلام الدجال. قال الأبي:لا مانع من حمله على الحقيقة بإدراك يخلقه الله تعالى للحجر، ويحتمل المجاز، وإنه كناية عن كمال استئصال قتلهم)[١].

قال د. الحسيني هاشم: (وفي الحديث قتال المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم بعد ثبوت دعائم اليهود وقوة دولتهم وظهور كيانهم، وانتصار المسلمين عليهم ببيت المقدس حيث يوجد شجر الغرقد بكثرة، وفيه معجزة ظاهرة حيث حذر من اليهود وقد تشتتوا، وبين أنهم سيحاربون المسلمين)[٢].

وإذا كان المسلمون يقاتلون اليهود في آخر الزمان، فإن اليهود هم ألد أعداء الدعوة الإسلامية منذ ظهور الإسلام.

(أما اليهود فهم أهل علم وكتاب سماوي، ورثوه منذ قرون. ولكنهم ورثوا نصوصه، ولم يرثوا روحه؛ فاستقرت نصوصه في أدمغتهم، وأقفرت نفوسهم من روحه ومثله العُلى. وطال بهم الأمد فقست قلوبهم وفسق أكثرهم عن أمر ربه. ودخلهم حب الدنيا وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه، فهم يأخذون عرض هذا الأدنى باطلاً وسحتًا ويقولون: سيغفر لنا، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه في غير تورع ولا استحياء لأنهم أبناء الله وأحباؤه، فلن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة... هكذا أخضعوا دينهم لدنياهم. واشتروا بكتابهم ثمنًا قليلاً. ذلك موجز أمرهم وأمر آبائهم من قبل)[٣].

وإزاء مواقف اليهود المعادية للإسلام كان لابد من فضحهم، وكشف مساويهم وإظهار عداوتهم حتى تتنبه الجماعة المسلمة، والصف المسلم للمؤامرات التي يحيكونها ضد الإسلام والمسلمين.

(لقد كان لابد من الحملة على اليهود، وتعقب مخازيهم، وهتك أستارهم وأسرارهم، ولكنها حملة هي غاية في العدل، فلم تتجاوز تقرير الحقائق وبيان ما ارتكبوا من جرائم التحريف والتغيير، وذكر ما لأسلافهم في الماضي من مواقف مع

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٨٢١.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١١.

الأنبياء، ابتداء من موسى إلى عيسى عليهم صلوات الله وسلامه، وما كان لهم من خلاف وتعنت وجحود بآيات الله؛ وقتل لبعض هؤلاء الأنبياء وتكذيب لبعض ... يسرد القرآن ذلك كله حتى لا يخدع الناس بهم. ويعرفوا أن موقفهم اليوم من القرآن، إن هو إلا حلقة من سلسلة ماضيهم الطويل، وعادة يجرون فيها مع ميراث قديم. وهو في كل هذا لا يتجاوز ما هو مكتوب عندهم في التوراة.

وإنك لتتبين عدالة هذه الحملة، حين ترى الإسلام في تقريره للوقائع يذكر ما لهم وما عليهم؛ فيقول عن أصولهم وأجدادهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) ويقول فيهم: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) ولكنه مع هذا يقرر أنه مسخ بعض هؤلاء القدامى، فجعل منهم القردة والخنازير، بما فسقوا عن أمره... ويعدل معهم في حاضرهم، فيقول: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣) ويقول سبحانه: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾(٤).

ولقد كان رسول الله ﷺ بسلوك هذه الخطة العادلة، يطمع أن يؤمن هؤلاء به، فقطع الله له كل طمع فيهم، وقال له: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾(٦) وقال جل شأنه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٧))(٨).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٣.
(٢) سورة الدخان، آية: ٣٢.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٣، ١١٤.
(٤) سورة المائدة، آية: ٦٦.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٢٠.
(٦) سورة البقرة، آية: ١٤٥.
(٧) سورة البقرة، آية: ٧٥.
(٨) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١٩-٣٢٠.

الحديث رقم (١٨٢٣)

١٨٢٣- وعنه رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرجُلُ على القَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، (ما بِهِ) [١] إلاَّ البَلاَءُ)). متفق عليه [٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فيتمرغ: أي: يتقلب عليه [٣].

البلاءُ: الغمُّ والشِّدة [٤].

الشرح الأدبي

إن المسلم قوي الإيمان، ثابت الجنان، لا يضعف أمام ابتلاءات الحياة، ولا نكبات الزمان، بل يظل دائمًا متمسكًا بالمنهج الرباني في علاقة المسلم بربه، إن رأى خيرًا شكر وإن رأى غير ذلك صبر، وهذا الحديث الشريف يشخص واقع صنفٍ من الناس بعيد عن المنهج الإسلامي، حيث يكون القلق والتشاؤم أهم ملامحه السلوكية، وكيفية استقباله للأحداث والمتغيرات.

ويبدأ الحديث بالقسم بالله عز وجل، والمقسم هو رسول الله ﷺ والمقسم به هو الله عز وجل، وكنى عن ذلك بقوله "والذي نفسي بيده" وهذا التعبير يتسق مع المراد من الحديث وهو التسليم والإذعان للقدر، والإيمان بالمشيئة الإلهية، فنفوسنا كلها بيده،

---

(١) (ما به) لا توجد عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ٧١١٥، ومسلم واللفظ له ٥٤/١٥٧، كتاب الفتن، باب ١٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ر غ).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ل ي).

يصرفها كيف يشاء، والمفارقة بين بداية الحديث الإيمانية وبين منطوقه بعد ذلك، تتجلى في عرض هذه الصورة المرفوضة، التي ابتعد أصحابها عن إسلام الوجه لله، والتسليم بمشيئته، والإيمان بالقضاء والقدر، ولكنهم أسلموا أنفسهم للهواجس والوساوس، ووقعوا فريسة الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

وما أدق الوصف في هذه الصورة الحركية في قوله: "حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه"، وكأنه أصبح مثل الحيوان لا يفكر ولا يعي، وهذه الصورة تكشف عن نوازع القلق، وأشباح اليأس التي تهزم النفوس الضعيفة، وتغلق منافذ الأمل، وتدعو كثيرًا من ضعاف الإيمان إلى التفكير في الموت، وبعضهم يقدم على الانتحار!!!.

ويجسد رسول الله ﷺ الموقف النفسي الانهزامي، والإحباط الذي يسيطر على مثل هؤلاء البائسين من رحمة الله والقانطين، حيث يقول كل منهم ياليتني مكان صاحب هذا القبر.

والياء للتنبيه، وقيل للنداء، ففي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير ياقوم أو يا نفس، أو يا بؤس، وكأنه يصيح بأعلى صوته وسط المقابر، من فزعه وهلعه ويأسه بهذا النداء اليائس البائس.

وقوله: ليتني يفيد التمني، ولكنه مستحيل الوقوع: لأن لكل نفس أجلها وموعدها الذي لا يتقدم ولا يتأخر، ويختم الحديث بما يسمى في البلاغة الحديثة المفارقة أو لغة المفارقة، وهي: الجمع بين الشيء وضده في سياق واحد، فهذا اليائس لا يتمنى الموت من أجل الفوز بالجنة، ولكن الدافع هو الحزن على مباهج الدنيا التي لم ينل منها شيئًا، والضعف أمام المحن والأوصاب الدنيوية، ولذلك يفسر رسول الله ﷺ هذا الموقف تفسيرًا محددًا، تتمثل فيه المفارقة الكاملة بين موقفين، حيث يقول: ليس به الدين، ما به إلا البلاء.

وأسلوب القصر في الجملة الأخيرة يؤكد ضعف الوازع الديني عند هذا الصنف من الناس، ويدين موقفهم الضعيف واليائس: لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)]. وقوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة البلاء والفتن في آخر الزمان.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث "والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم من أساليب الدعوة المهمة حيث يقنع المدعو بما يقول الداعية (وأسلوب القسم يجري على عادة العرب، حيث استعملوه، وعرفه الناس قديمًا، تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية، أو دليلاً على إثبات الحق، وأسلوب القسم يبصر بالدعوة، ويبين دعائمها الأساسية بشكل مفصل ثابت أمام الدعاة والمدعوين، لكي تكون حركة الجميع على بيان ووضوح، وأسلوب القسم موعظة حسنة، لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة، فإن من الناس من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم)[(٣)]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[(٤)] وقال جل شأنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[(٥)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان شدة البلاء والفتن في آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول: يا

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ١٦٢.

(٤) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٥) سورة سبأ، آية: ٣.

ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين ما به إلا البلاء". قال الطيبي: (قيل الدين ههنا العادة، والمعنى: يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حاله، وليس التمرغ من عادته، وإنما يحمله عليه البلاء، ولكن أقول: ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته، أي ليس ذلك التمرغ والتمني لأمر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا، فيفيد "البلاء" المطلق بالدنيا)[(١)].

وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: تغبط أهل القبور، وتمنى الموت عند ظهور الفتن، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر. انتهى. وليس هذا عامًا في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، وذكر الرجل فيه للغالب، وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك. وقال القرطبي: فيه إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به، ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة، وفي قوله "وليس به الدين إنما هو البلاء" فإنه سيق مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا)[(٢)].

قال القاضي عياض: (ويحتمل أن يكون هذا لما يرى من تغيير الشريعة وتبديل الدين، أو لما يرى من البلاء والمحن والفتن، كما قال في الحديث الآخر ((لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا المقتول على أي شيء قتل))[(٣)] وعلى الوجهين فقد كان ما أخبر به ﷺ وظهر، وكذلك في كثير من المشقات والأمور والفتن التي أخبر بها في هذه الأحاديث ووقعت عيانًا[(٤)].

وقال القرطبي: (والمراد أن هذا يحدث من شدة المحن، وكثرة الفتن والأنكاد

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩٥/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٠٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٥١/٨.

اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده، ولذلك قال "ليس به الدِّين إلا البلاء" وكأن هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن والمشقات والأنكاد قد أذهبت الدين من أكثر الناس، أو قللت الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، ولذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن، حتى قد قال ﷺ: ((العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ))[1])[2].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله "فيقول: يا ليتني مكانه" يعني يتمنى الموت إما لفساد يرى الناس يصيب في دينهم، أو لضر دنيوي نزل به، والأول لا بأس به، والثاني مذموم وقوله "فيتمرغ" أي يتقلب يقال تمرغ الرجل إذا تقلب وتلّوى من وجع يجده، وقوله "ليس به الدين إلا البلاء" يعني أنه لا يتمنى الموت لحفظ دينه، وإنما يتمناه لبلاء أصابه في دنياه، وهذا في معرض الذم، والمراد أن الناس يتمنون الموت لضرر دنيوي أصابهم، مع أنه منهي عنه في الشرع)[3].

ولا شك أن هذا الحديث يدلل على هول الفتن وشدتها في آخر الزمان.

(وقد حثَّ النبي ﷺ عندما تَدْلَهِمّ الفتن على الفرار منها والاشتغال برعي الأغنام طلبًا للعيش.

قال ﷺ: ((يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغَنَمُ، يتبع بها شَعَفَ[4] الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن))[5].

والهدف من اعتزال تلك الفتنة، هو الحذر من الوقوع في العاقبة الوخيمة التي توعَّد الله بها المسلمين إذا تقاتلوا، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار" قيل: فهذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: ((إنه أراد قتل صاحبه))[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٢٤٥.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٤٥٣-٤٥٤.

(٤) الشَّعَفَةُ من كل شيء: أعلاه، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ف).

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٩٥.

(٦) أخرجه البخاري ٧٠٨٣.

وأي خسران من أن يبذل الإنسان دمه وحياته ثمنًا بخسًا للتعاسة والشقاء! ولكنها الفتنة التي تعمي وتصم.

لذلك سدَّ الإسلام تلك الذريعة بتحريمه مجرد رفع السلاح على المسلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((من حمل علينا السلاح فليس منا))[١].

لأن فتنة الهرج إذا انطلقت شرارتها بين المسلمين استمر حريقها مندلعًا إلى قيام الساعة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة))[٢].

ومن لم يتيسر له الاعتزال والفرار من الفتن، والاشتغال برعي الأغنام كما أرشد إليه ﷺ، فلا أقلَّ من اجتناب القتال فيها، وللتأكيد على ذلك أمر النبي ﷺ بكسر السيوف في الفتنة)[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ويؤخذ هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو، وتحمله على الالتزام وترك المحظورات (والترهيب كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[٤]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٤، ومسلم ٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٢٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٩٣).

(٣) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله أسره ص ١٠٤، ١٠٥.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٥) سورة المطففين، آية: ١٥، ١٦.

الحديث رقم (١٨٢٤)

١٨٢٤- وعنـهُ ﵁ قـال: قـال رسـولُ اللهِ ﷺ : ((لاَ تَقُـومُ السَّاعَةُ حَتَّـى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُقْتَتَلُ[1] عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أنْ أكُونَ أنَا أنْجُو))[2].

وَفِي رواية: ((يُوشِكُ أنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأخُذْ مِنْهُ شَيْئًا)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يحسر الفرات: يرتد ماؤه عن ساحله فتتكشف الأرض[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من نبوءات المصطفى ﷺ ، ويتضمن أخبارًا مستقبلية تنبئ عن وقوع أحداث في المستقبل، وهي أحداث تتمخض عنها الأطماع، والتكالب على متاع الدنيا وزخرفها، ومن هذه الأحداث جفاف نهر الفرات وذهاب مائه، وهذا من الظواهر الطبيعية التي تحدث، فكثير من الأنهار جف ماؤها، وعادت يبسا، ويساق هذا الحديث للإنذار بقيام الساعة، ولذلك جاء النفي في أول الحديث، لا تقوم الساعة، والنفي هنا يفيد : أي أن الساعة ستقوم.. وقبلها ينكشف الفرات، أي يذهب ماؤه، ثم يظهر جبل من ذهب، وصور رسول الله ﷺ الصراع على هذا الذهب، فأتى: بالفعل "يقتتل"، مبنيًا للمجهول، لأن المتقاتلين يكونون من كل حدب وصوب، وتتعدد طوائف المتقاتلين، وأجناسهم، وقبائلهم.

---

(١) عند مسلم زيادة: (الناس).

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤/٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧١١٥، ومسلم ٢٨٩٤/٣٠.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ر).

ولكن الهلاك هو المصير المحتوم لأكثرهم، فلن ينجو من كل مائة إلا واحد وكلهم يحرص على النجاة فيفنى بعضهم بعضا، وكأنهم يتقاتلون على سراب، والفعل "يقتل" مبني للمجهول كذلك، لأن الكل حريص على قتل الآخر، ولا يعرف الناس من قاتل من !!!، وفي قوله: "لعلى أن أكون أنا أنجو"، دليل على حرص كل واحد منهم على قتل الآخر على النجاة، وقوله: "لعلي" فيه حمل لعلَّ على عسى أختها في معنى: التوقع والإشفاق: وفي هذا التعبير إيجاز بالحذف، وقال العلماء: في الكلام مضاف مقدر، إما في المحكوم عليه: أي لعل شأني كوني أنجو، حيث تحول المصدر المؤول إلى مصدر صريح، أو في المحكوم أي لعل ذا كون نجاة.

والشواهد التاريخية والمعاصرة: تعد إرهاصات تمهد لمثل هذه الصراعات القادمة، فكم حدثت في العراق من فتن وحروب، وما يحدث فيها الآن من أقوى الشواهد على هذا الاقتتال الدامي، وذلك الصراع الطائفي الأحمق، وذلك البطش الظالم من القوى الباغية المعتدية، التي هبت كالأعاصير المدمرة على وادي الرافدين طمعًا في نهب خيراتها، وسرقة بترولها وكنوزها، ومن قصيدة غاية النار، تصور هذه الأبيات بعض مشاهد هذا الصراع:

وجه السلام غريب في مدائننا ... وللغزاة فحيح كاسر ضار
هبوا جياعا وفي بيدائنا غرقوا ... ولم تمت في دمانا غضبة الثار
ولم تزل للردي بغداد رافضة ... تشدو بآفاقها أسراب أقمار
وللفرات هدير مائج بدم ... يجري بأصلاب شعب حُفَّ بالغار
والهاربون من الطوفان يحرقهم ... قيظ المتاهات في صحراء عشتار
هم استجاروا وكان التيه منجدهم ... فهل يظلون في تيه بلا دار
والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
وعاد بالبطش هولاكو وتسبقه ... عواصف الموت تغتال السنا السَّاري[1]

(١) من قصيدة "غاية النار" شعر د. صابر عبدالدايم، ديوان العمر والريح، طبع ونشر الهيئة الهامة للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٧م.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فتن آخر الزمان.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً – من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب..." وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تقيم الحجة على المدعوين بالبلاغ، وهو مما أمر الله به نبيه ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾. قال السعدي: (هذا أمر من الله لرسوله ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلَّغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلَّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله، فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه)(١). وأمره الله عز وجل بالبيان فقال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: بيان فتن آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون فيقول كل رجل منهم، لعلي أن أكون أنا أنجو" وقوله "يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب".

قال الطيبي: (وقوله "يحسر الفرات" أي ينكشف وقوله "أنا الذي أنجو" أي أنا الذي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، ٢٠١.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

أفوز به، لأنه إذا نجا من القتال يفوز بالمال وملكه)[١]. وقال ابن حجر: (ويوشك أي يقرب، وأن يحسر أي أن ينكشف، والفرات هو النهر المشهور، وتسمية الذهب كنزًا باعتبار حاله قبل أن ينكشف، وتسميته جبلاً للإشارة إلى كثرته)[٢]. وفي هذا بيان لصورة من صور الفتن التي تقع في آخر الزمان.

قال القرطبي: (وقوله يحسر الفرات "أي يكشف ومنه حسرت المرأة عن وجهها أي كشفت، والحاسر: الذي لا سلاح له، وكأن هذا إنما يكون إذا أخذت الأرض تقيء ما في جوفها وقوله "فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا" نهى على أصله من التحريم؛ لأنه ليس ملكًا لأحد وليس بمعدن ولا ركاز، فحقه أن يكون في بيت المال؛ ولأنه لا يوصَل إليه إلا بقتل النفوس فيحرم الإقدام على أخذه)[٣].

وقال محمد تقي العثماني: (والفرات نهر مشهور بالعراق، والمراد من حسره أنه ينكشف لذهاب مائه فيظهر في محله جبل من ذهب، ويحتمل أن يكون ما يظهر جبلاً حقيقة فيه كنز من ذهب، ويحتمل أن يكون كنزًا سمي في هذه الرواية جبلاً لكثرة ما فيه من ذهب. وقوله "لعلي أكون أنا الذي أنجو" يعني أنه يقتحم القتال مع ما يرى من شدته لأنه يرجو أن يكون هو الناجي، فيفوز بالكنز دون غيره، والسبب في منع الأخذ من هذا الكنز، ما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال بين المسلمين)[٤].

وقال د. الحسيني هاشم: (من علامات الساعة ظهور جبل من الذهب بنهر الفرات أو ببلاده، يقتتل عليه الناس فلا يبقى من المائة إلا واحدًا، وعلى العاقل اجتنابه لأنه فتنة، والتعرض للقتل بسببه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفي الحديث التحذير من التنافس على الدنيا)[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩٤/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٦/١٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٩/٧.

(٤) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٢٢٨/١٢.

(٥) شرح رياض الصالحين ٨٢٢.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن جبل الذهب الذي جاء الإخبار عنه في الحديث، ليس هو النفط أو البترول كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين، وقد رد عليه صاحب كتاب أشراط الساعة فقال: (وليس المقصود بهذا الجبل من ذهب "النفط/ البترول الأسود"؛ كما يرى ذلك صاحب التعليق على "النهاية/الفتن والملاحم" لابن كثير[1]، وذلك من وجوه:

١- أن النص جاء فيه: "جبل من ذهب"، والبترول ليس بذهب على الحقيقة؛ فإن الذهب هو المعدن المعروف.

٢- أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو "البترول" يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

٣- أن النبي ﷺ خصَّ الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يُستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة.

٤- أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا؛ كما في الرواية الأخرى عن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ قال: لا يزال الناس مختلفةٌ أعناقهم في طلب الدنيا... إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((يوشك الفراتُ أن يَحْسِرَ عن جبلٍ من ذهب، فمن حضره؛ فلا يأخذ منه شيئًا))[2]، ومن حمله على النفط، فإنه يلزمه على قوله هذا النهي عن الأخذ من النفط، ولم يقل به أحد. وقد رجح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب، لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه"[3])[4].

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

وذلك حيث جاء في الحديث "فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا" وفي هذا إرشاد من

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: الفتن والملاحم ٢٠٨/١، تحقيق وتعليق محمد فهيم أبو عبية.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١٣.

(٤) أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ٢٠٥، ٢٠٦.

النبي ﷺ إلى عدم الأخذ من هذا الذهب، وهذه من أولى مهام الداعية أن يحذر المدعوين من الأخطار ويرشدهم ويوجههم إلى ما فيه صلاحهم. قال ابن حجر: (والحكمة في النهي عن الأخذ منه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه، ويحتمل أن تكون الحكمة لكونه يقع في آخر الزمان عند الحشر الواقع في الدنيا، وعند عدم الظهور أو قلته، فلا ينتفع بما أخذ منه. ويقع هذا عند ظهور المهدي، وذلك قبل نزول عيسى عليه السلام وقبل خروج النار جزمًا والله أعلم)[1].

وينبغي أن يتنبه الدعاة إلى الله لهذا، ويكون لديهم الحرص الدائم على إرشاد المدعوين، وتنبيههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/١٣.

الحديث رقم (١٨٢٥)

١٨٢٥- وعنهُ، قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: ((يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لاَ يَغْشَاهَا إلاَّ العَوَافِي -يُريد عَوَافِي السِّبَاعِ والطَّيرِ- وآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوداعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

عوافي السباع والطير: طلاب الرزق من السباع والطير[2].

ينعقان بغنمهما: يصيحان[3].

فيجدانها وحوشًا: قيل: يجدان أهلها قد صاروا وحوشًا، وقيل: فيجدانها وحشًا أي: خالية من سكانها.

وقيل: إن غنم الراعيين المذكورين تصير وحوشًا.

وقال النووي: الصواب الأول[4].

ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة[5].

الشرح الأدبي

يشع هذا الحديث بأخبار وإرهاصات مستقبلية: حيث قال القاضي عياض: وهذا

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩/٤٩٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ف و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ع ق).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٤.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ، ١٠٨.

من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين نقلت الخلافة إلى الشام في عصر الأمويين، وإلى العراق في عصر العباسيين، وذلك الوقت أحسن ما كانت المدينة للدين والدنيا، أما الدين فلكثرة العلماء بها، وأما الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها، وهذا الواقع التاريخي تفسير لقوله ﷺ "يتركون المدينة على خير ما كانت".

وهذا الرأي يقابله رأي آخر: وهو أن الترك للمدينة سيكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، ويوضح هذا الرأي ويعضده قوله: وآخر من يحشر، والحديث في ظل التفسيرين من معجزاته ﷺ، وقوله: لا يغشاها إلا العوافي، أي لا يقبل على المدينة ويملؤها ويحيط بها إلا عوافي السباع والطير، أي التي تطلب الرزق من الحب وغيره من خيرات المدينة، وقوله: عوافي مأخوذ من عفوته: إذا أتيته تطلب معروفه، والعفاة هم السائلون.

وهذه الجملة صيغت في أسلوب القصر، للدلالة على هجر أهل المدينة لها، ورحيلهم إلى أماكن أخرى ولا يقصدها إلا السباع والطير.

والجزء الأخير من الحديث يرسم صورة للنهاية التي تنتظر ملايين البشر، وهي صورة الراعيين يسوقان غنمهما ويصيحان... فلا يجدان أحدًا بالمدينة، وإنما يجدان الوحوش تعبث في المكان، وتنذر بالنهاية، وهذه صورة صادمة منذرة: توقظ السادرين في غفلتهم، الذين تلهيهم زخارف الدنيا فيرحلون عن مدينة رسول الله ﷺ طيبة الطيبة العامرة بأنفاس الصحابة، وعبق الحضارة الإسلامية، وخطوات رسول الله ﷺ ومشاهد السيرة المضيئة بالبطولات والذكريات الماجدة، وتتابع فصول وأحداث الرسالة الخالدة.

وختام الحديث يجسد النهاية التي تنتظر كل من على الأرض... وفي الكون كله، كل مَنْ عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، ولنتأمل هذا البيان النبوي الذي يصور نهاية رحلة الشقاء والكد في الحياة، ومنهم هذان اللذان يتعقبان بغنمهما، وهما راعيان من مزينة يريدان المدينة، طلبًا لخيراتها وثمارها (حتى) إذا بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما.

وقوله: خرًا أي سقطا فجأة، وهكذا يكون قيام الساعة لا تأتيكم إلا بغتة.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال المدينة في فتن آخر الزمان.

أولاً - من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات:

حيث جاء في الحديث "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي..." وفي هذا إخبار منه ﷺ بما سيحدث في المستقبل، ولا شك أن هذا من إخبار الله تعالى له. قال القاضي عياض: (وهذه من علامات نبوته عليه السلام فقد تركت على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين علمًا وكمالاً من رجاله، ودنيا لتمام عمارتها، وغرسها، واتساع حال أهلها. ثم ذكر الإخباريون في بعض الفتن التي تعاورتها، وخاف أهلها على أنفسهم، رحل عنها أكثر الناس، وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها، وحالها اليوم قريب من هذا، وقد خربت أطرافها وزالت أغلاقها. وقد حكى كثير من الناس أنهم رأوا ما أنذر به عليه السلام من تغذية الكلاب على سواري مسجدها، ومعنى: "تغذى": تبول، وأصله البول دفعة بعد دفعة، وهي صفة بول الكلاب)[2].

قال سعيد حوي: (وعندما يقول رجل عن نفسه إنه رسول ويخبر عن المستقبل المجهول، ويتحقق هذا المستقبل تحققًا تامًا لا يخرم منه شيء، فتلك إذن نبوة لاشك فيها، واتصال بالله عالم الغيب والشهادة لاشك فيه، وهذه النبوءات التي تحدث بها الرسول ﷺ تجعلك على مثل الشمس مبصرة، أن محمدًا رسول الله ﷺ وأنه لا

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٧/٤.

ينطق عن الهوى. والنبوءات التي ذكرها الرسول ﷺ قد تكون عن حوادث معينة لأشخاص معينين، أو نبوءات وقعت قديمًا وأخرى نراها الآن، ونبوءات عن حوادث خاصة أو عامة تقع للأمة الإسلامية أو بينها قريبًا من حياة الرسول ﷺ أو بعيدًا، والأمثلة لذلك كثيرة مستفيضة)[1]. وقد جاء في القرآن أن الله سبحانه أطلعه على ذلك قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان حال المدينة في فتن آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي، وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما).

قال النووي: (ومعنى الحديث، فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوهما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر، وقال القاضي عياض: هذا فيما جرى في العصر الأول وانقضى، وهذا من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق. وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا)[3].

وقال ابن حجر: (وقوله "تتركون المدينة" المراد بذلك غير المخاطبين، لكنهم من أهل البلد أو من نسل المخاطبين أو من نوعهم. وقوله "على خير ما كانت" أي على أحسن حال كانت عليه من قبل، وقال المهلب وفي هذا الحديث أن المدينة تسكن إلى يوم القيامة، وإن خلت في بعض الأوقات لقصد الراعيين بغنمهما إلى المدينة، والراجح ما

---

(١) الرسول ﷺ ١٢٢/٢.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٦٢.

ذهب إليه النووي أن ذلك الترك في آخر الزمان)[١].

قال القاضي عياض: (وقوله: "يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما" أي: يصيحان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[٢].

وقوله: "فيجدانها وحشًا": أي خلاء، قال الحربي: وحشي من الأرض أي خلاء، ويمشي وحشًا: أي وحده. وروى في كتاب البخاري: "وحوشًا" فمعناها بين؛ لخلائها، عمرتها الوحوش كما قال للعوافي في الطير والسباع، ويكون "وحشًا" أيضًا بمعنى وحوش، والوحش كل شيء توحش من الحيوان وجمعه وحوش. وقد يعبر بواحدة عن جنسه. وقال ابن المرابط: قوله: "فيجدانها وحوشًا": أي أن غنمهما صارت وحوشًا. قال: فيحتمل أن تصير وحوشًا غير غنم، ويحتمل أن تتوحش وتنفر من أصواتها.

قال القاضي: وليس يدل الحديث على أن الضمير في خرابها يعود على الغنم، وإنما يعود على المدينة كما قدمنا. رواية البخاري لهذا الحديث أتم، قال: "آخرُ من يحشر راعيان من مزينة" وذكر الحديث، قيل: معناه: آخر من يموت بها فيحشر؛ لأن الحشر إنما هو بعد الموت، ويحتمل أن يتأخر حشرهما بحسب تأخر موتهما، وإن لم يكن بين حشر الناس أمد بعيد، قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٣]، وكذلك صعقها أيضًا الصيحة الأولى يكون آخر من يموت بها، قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾[٤])[٥].

وقال القرطبي: (وقوله: "تتركون المدينة على خير ما كانت" تتركون: بتاء الخطاب. ومراده: غير المخاطبين، لكن فرعهم من أهل المدينة، أو نسلهم. و"على خير ما كانت" أي: على أحسن حال كانت فيما قبل. وقد وجد هذا الذي قاله النبي ﷺ،

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(٣) سورة يس، آية: ٥٣.

(٤) سورة يس، آية: ٢٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٨/٤.

وذلك: أنها صارت بعده ﷺ معدن الخلافة وموضعها، ومقصد الناس، وملجأهم، ومعقلهم، حتى تنافس الناسُ فيها، وتوسَّعوا في خططها، وغرسوا وسكنوا منها ما لم يُسكن من قبل، وبنوا فيها، وشيَّدوا حتى بلغت المساكنُ إهابها، وجُلِبت إليها خيراتُ الأرض كلها، فلما انتهت حالُها كمالاً وحُسنًا، انتقلت عنها الخلافة إلى الشام، فغلبت عليها الأعراب، وتعاورتها الفتن، فخاف أهلها، فارتحلوا عنها.

وذكر الإخباريون: أنها خَلَتْ من أهلها، وبقيت ثمارها لعوافي الطير، والسِّباع، كما قال ﷺ، ثم تراجع الناس إليها، وفي حال خلائها غذت الكلاب على سواري المسجد. وعوافي الطير: هي الطالبةُ لما تأكل. يقال: عفوته، أعفوه؛ إذا طلبت معروفه. وغذَّى الكلب يُغَذِّي: إذا بال دفعةً بعد دفعةٍ.

وقوله: "ثم يخرج راعيان من مزينة ينعقان بغنمهما" أي: يصيحان بها، ليسوقاها. والنعاق: صوتُ السائق للغنم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[1].

وقوله: "فيجدانها وحشًا" أي: خلاء. يقال: أرض وحش. أي خالية. ومشى وحشًا؛ أي: وحده. قاله الحربي. ويحتمل أن يكون معناه: كثيرة الوحش؛ كما قال في البخاري: "فيجدانها وحوشًا" أي: يجدان المدينة كثيرة الوحوش لما خلت من سكانها، كما قال: للعوافي. والوحش: كلٌّ ما توحَّش من الحيوان، وجمعه: وحوش. والضمير في "يجدانها" على هذا: راجع للمدينة. وقيل: إنَّه عائدٌ على الغنم. أي: صارت هي وحوشًا، إما بأن تنقلب كذلك -والقدرة صالحةٌ- وإما بأن تتوحش، فتنفر من أصوات الرُّعاة.

و"خرَّا على وجوههما" أي: سَقَطا ميتين. وهذا الذي ذكره النبي ﷺ من حديث الرَّاعيين إما يكونُ في آخر الأمر، عند انقراض الدنيا، بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث: ((آخر من يُحشر راعيان من مزينة))[2]. قيل: معناه: آخر من يموت بها فيُحشر؛ لأنَّ الحشرَ بعد الموت. ويُحتمل: أن يتأخَّر حشرُهما لتأخير موتهما. قلتُ: ويحتملُ أن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٧٤.

يكونَ معناه: آخر من يُحشر إلى المدينة. أي: يُساق إليها. كما في لفظ كتاب مسلم)[١].

جاء في فتح الملهم: (قوله ﷺ للمدينة: "ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي" يعني السباع والطير. وفي الرواية الثانية: "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي يريد عوافي السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما". أما "العوافي" فقد فسرها في الحديث: بالسباع والطير وهو صحيح في اللغة. مأخوذ من عفوته إذا أتيته تطلب معروفه. وأما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة، وهما آخر من يحشر كما ثبت في "صحيح البخاري"[٢].

قوله ﷺ: "فيجدانها وحشًا" وفي رواية البخاري: "وحوشًا" قيل معناه يجدانها خلاء. أي: خالية ليس بها أحد، قال إبراهيم الحربي: الوحش من الأرض هو: الخلاء، والصحيح أن معناه: يجدانها ذات وحوش. كما في رواية البخاري، وكما قال ﷺ: "لا يغشاها إلا العوافي" ويكون وحشًا بمعنى وحوشًا، وأصل الوحش كل شيء توحش من الحيوان[٣].

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (إن المدينة النبوية ستبقى عامرة -من حيث عمرانها والحياة فيها - إلى قيام الساعة لأنها آخر قرى الإسلام خرابًا، لكن أهلها سيتركونها وهي على أحسن حال، ولن يتركوها مرة واحدة -والعلم عند الله تعالى- بل سيتركونها مرتين، أما في المرة الأولى فسيعودون إليها قريبًا، وأما المرة الثانية فستطول مدة الترك أربعين عامًا، والله تعالى أعلم، ويظهر أن ذلك سيكون قبيل قيام

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠١/٣، ٥٠٢.

(٢) انظر: البخاري ١٨٧٤.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٥٢٢/٦.

الساعة والله أعلم. وقوله في الحديث "يتركون المدينة" جاء في بعض الروايات "تتركون المدينة" بتاء الخطاب فالمراد بذلك -كما قال ابن حجر- غير المخاطبين لكنهم من أهل البلد، أو من نسل المخاطبين، أو من نوعهم[1].

قلت: ولعل المراد -والله أعلم- يا أهل المدينة، أو يا سكان المدينة فيشمل من كان حاضرًا، ومن كان غائبًا، وهذا هو ظاهر الروايات الأخرى "يدعها أهلها، يتركون المدينة، يتركها أهلها، ليتركنها أهلها، أما إنهم سيدعونها..." ورواية "لَتُتْرَكَنَّ المدينة..." بصيغة البناء للمجهول شامل لذلك أيضًا)[2].

ومن خلال كلام العلماء السابق يتضح تساؤل مؤداه هل وقع هذا الترك للمدينة فعلاً أم إنه في آخر الزمان؟

هناك رأيان:

الأول: أن هذا الإخلاء والترك للمدينة قد وقع فعلاً وإلى هذا ذهب القاضي عياض والقرطبي رحمهما الله وقد سبق إيراد قولهما في هذا.

الثاني: أن هذا الإخلاء والترك لم يقع وأنه سيكون في آخر الزمان، وإلى هذا ذهب النووي والأبي ومال إلى ذلك ابن حجر تبعًا للإمام النووي وجعله الأظهر وتابعهم على ذلك صاحب تكملة فتح الملهم الشيخ محمد تقي العثماني، وقال بأن الترك للمدينة في آخر الزمان عند قيام الساعة هو الظاهر المختار، وقد تم إيراد أقوال الجميع فيما مضى.

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (وقوله في الحديث "أحسن ما كانت - أو خير ما كانت" فيحتمل ثلاثة احتمالات:

١- أحسن ما كانت في أمور الدين حيث يكثر فيها العلماء والصالحون.

٢- أحسن ما كانت في أمور الدنيا بحيث تتسع حالها ويتنافس الناس في البناء والغرس وتجبى إليها ثمرات الأرض.

---

(١) سبق ذكر كلام ابن حجر فيما مضى. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٤.

(٢) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ط/١، دار القبلة للثقافة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ص ٣٧٩-٣٨٢ بتصرف.

٣- أو هما معًا أي أحسن ما كانت للدين والدنيا، وهذا ما جنح إليه القاضي عياض والإمام القرطبي.

وفي كون الثمار تكون للعوافي: الطير والسباع قال ابن الجوزي: اجتمع في العوافي شيئان، أحدهما: أنها طالبة لأقواتها من قولك: عفوت فلانًا أي أتيت أطلب معروفه. والثاني: من العفاء وهو الموضع الخالي الذي لا أنيس به، فإن الطير والوحش تقصده لأمنها على نفسها فيه. فكون الثمار ستكون للعوافي، إما أنها ستعيش منها، وإما لأنها تتفرد بها دون أهلها لأنهم تركوها وخرجوا)[1].

---

(١) فضائل المدينة المنورة ١/ ٤٠٠-٤٠١.

الحديث رقم (١٨٢٦)

١٨٢٦ - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((**يكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلاَ يَعُدُّهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يحثو المال ولا يعده: أي: يغرف المال غرفًا إشارة إلى الكثرة[2].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ودليلاً على صحة رسالته، أحداث تنبأ بها وحدثت في حياته، وأحداث تنبأ بها وحدثت بعد وفاته، والحديث الذي نحن بصدده ينبئ عن أحداث تقع بعد وفاته ﷺ.

وتتنوع الأحداث التي تنبأ بها رسول الله ﷺ وحدثت بعد وفاته، ومنها:

١- أحداث تتصل بمصير الأمة الإسلامية.

٢- أحداث الفتن.

٣- أحداث تتصل بأفراد من الصحابة ومصائرهم.

٤- أحداث تتصل بنهاية العوالم الأرضية[3].

وهذا الحديث من الأحاديث التي تصور الأحداث المتصلة بنهاية العالم، أو أحداث الفتن المستقبلية، لأن كثرة المال تطغى، وتؤدي إلى الصراع والتكالب على زخارف الدنيا وزينتها.

---

(١) برقم ٢٩١٤/٦٨. والسياق للحميدي في جمعه ٤٧٧/٢ رقم ١٧٣٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث و).

(٣) انظر: الحديث النبوي والتاريخ، د. أحمد جمال العمري، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م.

ولذلك جاءت الصياغة في الحديث بالمضارع، وهو يفيد الاستمرار في الحال والاستقبال، ولنتأمل دلالة هذه الأفعال في صياغتها الزمنية: يكون خليفة، يحثو المال ولا يعد.

وتنكير لفظ خليفة إشارة إلى أنه مجهول لم يحدد، وربما تتكرر نماذج هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ، والتنكير فيه شيوع وتقليل من شأنه، فهو ليس له دور إلا جمع المال، وقوله: "في آخر الزمان" يفيد أنه ليس قريبًا من عهد النبوة، وبعض العلماء قال: الظاهر والله أعلم أنه عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كثر المال في زمنه... وهو في آخر زمان الخلفاء، وهذا الرأي ليس على جهة اليقين، ولكنه كما قال صاحبه وهو ابن الخياط محدث اليمن: "كذلك أظن والله اعلم بمراد نبيه ﷺ".

والحديث ليس على جهة المدح، ولكنه في مضمونه يدين الافتتان بالمال، والانشغال بزخارف الحياة، والتعبير بقوله: "يحثو": يرمز إلى أن المال يصير كالتراب في كثرته وقلة بركته: لأن لفظة "حثًا": مرتبطة بالتراب في اللغة، حيث يقولون: حثى التراب عليه يحثوه ويحثيه حثوًا وحثيًا، والحثى كالثرى التراب المحثو، وقشور التمر، والتين، أو دقائقه أو حطامه، أو البن المعتزل عن الحب، والحثى: كالرمي، ما رفعت به يدك.

وهذه الدلالات اللغوية تتسق مع ما يقصد إليه الحديث من دلالات وفوائد ومقاصد، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: كثرة المال في آخر الزمان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كثرة عدد النساء في آخر الزمان.

أولاً – من أساليب الدعوة: الإخبار:

يتضح هذا من الحديثين[2] الأول قوله: "يكون خليفة من خلفائكم في آخر

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٢٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٢٧).

(٢) الحديث رقم (١٨٢٦)، (١٨٢٧).

الزمان..." والثاني قوله: "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب..." وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو الأمور التي ستقع ويخبر عنها، وبهذا تقوم الحجة على المدعو بتعريفه وإخباره، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالبلاغ فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[1]. وأمره بالبيان فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال السعدي: (والمراد أنزلنا إليك القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم، الظاهرة والباطنة، وقوله "لتبين للناس" وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه)[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: كثرة المال في آخر الزمان:

حيث جاء في الحديثين: "يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان يحثو المال ولا يعده" وقوله "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدًا يأخذها منه" قال النووي: (والحثو هو: الحفن باليدين، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة، يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات، مع سخاء نفسه)[4].

وقال ابن علان: (وإنما يكثر المال لإخراج الأرض كنوزها وفيضان المال)[5]. ولاشك أن كثرة المال وفيضانه هو من أشراط الساعة في آخر الزمان. (ومن أشراط الساعة استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَن يقبله منه صدقة، ويُدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه))[6].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٨٦.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٩٤.

(٦) أخرجه البخاري ١٤١٢، ومسلم ١٥٧.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجلُ فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه))[١].

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى سيعطي هذه الأمة، ويفتح عليها من كنوز الأرض، وأن ملك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله زوى[٢] لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمَّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض))[٣].

لقد تحقَّق كثيرٌ ممَّا أخبرنا به الصادق صلى الله عليه وسلم، فكثر المال في عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، واقتسموا أموال الفرس والروم، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبدالعزيز، فكان الرجل يعرِض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله.

وسيكثر المال في آخر الزمان، حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به.

وهذا -الله أعلم- إشارةٌ إلى ما سيقع في زمن المهدي وعيسى عليه السلام من كثرة الأموال، وإخراج الأرض لبركتها وكنوزها.

ويحتمل أن يكون استغناء الناس عن المال وتركهم له وقت خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفتُ احدٌ حينئذ إلى المال، بل يقصد أن يتخفَّف ما استطاع.

وما ذكره ابن حجر من استغناء الناس عن المال لاشتغالهم بأمر الحشر لا يُنافي أن يكون لاستغنائهم سببٌ آخر، وهو كثرة المال؛ كما حصل في زمن المهدي وعيسى عليه السلام، وبذلك يكون الاستغناء يقع في زمنين -إن تباعدا- بسببين مختلفين، والله أعلم[٤].

إن يقين المسلم وإيمانه بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة المال واستفاضته، يجعله يتوقف مع نفسه، ويترك التكالب على المال، والتقاتل عليه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٤، ومسلم ١٠١٢.

(٢) "زوى" يقال: زويته ازويه زيًا أي جمعته والمعنى: أن الله جمع له صلى الله عليه وسلم الأرض وقربها حتى رأى مشارقها ومغاربها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٠٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٩.

(٤) أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، ٨٧-٨٩ بتصرف.

ومن آثار الإيمان بعلامات الساعة الصغرى التي لم تقع بعد، الزهد في المال وليس تركه، وهو أمر مطلوب لصلاح النفس الإنسانية.

(والزهد في المال الذي يتمثل في أوج صوره وهو حب الذهب والفضة آتٍ لا محالة، وذلك من أشراط الساعة. والمسلم العاقل هو الذي يزهد قريبًا في شيء يندم عليه بعيدًا، فإذا كان المسلم يندم إذا أخرجت الأرض أفلاذ كبدها من كنوز الذهب والفضة، ورأى هذا المال وزهد الناس فيه، فيندم عند ذلك ويقول: في هذا قطعت يدي، وفي هذا قطعت رحمي إلى غير ذلك من صور الندم، إذا كان الندم هناك على مثل هذه الصورة، فالأولى الآن الزهد في ذلك المال، الذي لا يستحق بحال أن تقطع فيه الرحم واليد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا))[1].

فيا أيها القاتل! ويا أيها القاطع! ويا أيها السارق! أليس في هذا الحديث أكبر رادع لك، لتنتهي عما أنت فيه من كبائر السطو على الآخرين وترويع الآمنين، وقطع الأقربين.

وإن هذا المال لا يستحق أيضًا أن تزهق فيه الأرواح، لذلك أمر النبي ﷺ من يحضر جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات أن لا يأخذ منه شيئًا، لحفظ دمه الذي هو أكرم من المال مهما كان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا))[2].

والزهد في المال، ليس معناه تركه بالكلية، بل معناه زهد القلب فيه ولو كثر بين يديه، وعدم أخذه من طريق حرام[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٥٩، ٥٦٠.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كثرة عدد النساء في آخر الزمان:

ويتضح هذا من الحديث الثاني: "ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء" قال النووي: (ومعنى يلذن به أي ينتمين إليه ليقوم بحوائجهن ويذب عنهن، كقبيلة يبقى من رجالها واحد فقط وبقيت نساؤها، فيلذن بذلك الرجل ليذب عنهن ويقوم بحوائجهن، ولا يطمع فيهن أحد بسببه، وأما سبب قلة الرجال وكثرة النساء، فهو الحروب والقتال الذي يقع في آخر الزمان وتراكم الملاحم)[1]. هذا وقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: ((من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))[2]. قال ابن حجر: (وكثرة النساء سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال، لأنهم أهل الحرب دون النساء، والظاهر أن هذا علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم)[3].

ومما هو معلوم أن كثرة عدد النساء في آخر الزمان، إنما يجعل المرأة أكثر فتنة للرجل، فقد جعل الله فيها من وسائل الإغراء، ووسائل الفتنة ما يأخذ بألباب الرجل، ولذا فالواجب الحذر من فتنة النساء.

(إن المرأة بكل ما وهبها الله تعالى من خصائص وصفات، تستطيع أن تكون مصدر فتنة لكثير من الرجال إذا لم تتق الله عز وجل، بل إن الفتنة بها أشد من غيرها، قال ﷺ: ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))[4].

فالفتنة بالمرأة مرض فتَّاك يفتك بقلب الرجل، كما يفتك السرطان بالبدن، إذا لم يتداركه الله بعفوه وتوفيقه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

وتزداد الفتنة اشتعالاً إذا أضفت المرأة على نفسها شيئًا من التبرج، فحينئذٍ تكون الفتنة أعظم والمحنة أكبر.

ولقد جاء الشارع الحكيم بعدة تدابير للحيلولة دون حدوث الفتنة بالنساء، من أهمها: الأمر بالحجاب، حيث أمر الله تعالى المرأة المسلمة بالحجاب عن الرجال الأجانب حفاظًا عليها وصيانة لكرامتها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(1).

وقال عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(2).

والجلباب هو الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم، أو العباءة، والخمار ما يخمر به، أي: يغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع.

وهكذا دلّت الآيتان الكريمتان على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب.

ومن التدابير أيضًا الأمر بالقرار في البيت: إن خير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها، وذلك أن العديد من المخالفات الشرعية النسائية كالاختلاط بالرجال والتبرج والسفور، إنما تتولد عن كثرة خروج النساء من بيوتهن،

---

(1) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(2) سورة النور، آية: ٣١.

لذلك سدَّ الإسلام هذه الذريعة بأمر النساء بالقرار في البيت، وعدم الخروج منه لغير حاجة أو مصلحة.

فإذا كانت الخيرية في ترك المرأة للخروج من بيتها للصلاة في المسجد، وهي طاعة وعبادة تتقرب بها المرأة إلى الله عز وجل، فإن تركها للخروج لِمَا دون ذلك من أمور الدنيا أولى.

والتعود على القرار في البيت يحتاج إلى جهاد كبير من المرأة لنفسها، وترويض لها عليه طاعة لله عز وجل، شأنه شأن سائر الطاعات التي يجاهد المسلم نفسه عليها إرضاءً لله عز وجل.

ويحتاج إلى بيئة أسرية صالحة تُعوِّد المرأة منذ طفولتها على ملازمتها للبيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة وبالضوابط الشرعية، حتى تنشأ مرتبطة ببيتها ملازمة له، تأبى مفارقته لغير حاجة[1].

---

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل عبدالله أسره ص ٨١-٨٥ بتصرف.

الحديث رقم (١٨٢٧)

١٨٢٧- وعن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((لَيَأتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأخُذُهَا مِنهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يلذن: ينتمين إليه ليقوم بحوائجهن ويذب عنهن، ولا يطمع فيهن أحد إشارة إلى كثرة النساء وقلة الرجال بسبب كثرة القتال والحروب في آخر الزمان[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أحاديث التنبؤ بأحداث قيام الساعة، لأن رسول الله ﷺ يقول في حديث قد رواه البخاري بإسناده «عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة: دعوتهما واحدة[3]، ثم يذكر أمارات عدة ومنها، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به».

ويبدأ الحديث بلام التوكيد المشعرة بالقسم، وكذلك بالفعل المضارع المقترن بنون التوكيد الثقيلة، والتقدير، والله ليأتين على الناس زمان.... وهذا التأكيد المقترن بالقسم يفيد حصول هذا الأمر، وكثرة المال، حتى قيل: ليفيض المال حتى لا يجد من ينفقه.

---

(١) برقم ١٠١٢/٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥، ٣٦٠٨

ولنتأمل موحيات هذا التعبير الذي يصور الرخاء الذي يعم الناس، فالرجل: يطوف بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدًا يأخذها منه، وقوله: "يطوف": يصور حرص الرجل وكثرة بحثه وطوافه، وذهابه ومجيئه، وتحديد الصدقة يوحي بأن هذا الأمر محبب إلى الرجل وليس نفاقًا ولا رياءً، ولا رغبة في مديح أو ثناء، وقوله: "من الذهب": يحدد: نوعية النقد المتصدق به، وهو أثمن ما يمتلكه الإنسان، ورغم هذا كله لا يجد هذا الثري محتاجًا يأخذ الصدقة، لأن الذهب أصبح في متناول الجميع، والناس كلهم يملكونه، ولكنهم لا يشكرون ربهم، ولا يحمدونه على هذا العطاء.

ومن مظاهر الاختلال في حركة المجتمع قلة الرجال، وكثرة النساء، وذلك يرجع إلى استشهاد الرجال في الحروب، أو موتهم في الصراعات الدائرة من أجل المكاسب الدنيوية ، حيث تكثر الفتن، ويكثر الهرج، والرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يعتصمن به من أجل حمايتهن، وهذا واقع غير متوازن يوحي باضطراب الحياة، وتفاقم المفاسد، وانتشار الفتن، وتلك أمارات الساعة .

وفي الحديث طباق يؤدي إلى الإحساس بالتناقض وعدم الاستقرار، حيث يتجسد التناقض في الطباق بين قلة وكثرة، والرجال والنساء، والقلة مرتبطة بالرجال، والكثرة مرتبطة بالنساء ؟!!!.

والأفعال المضارعة في الحديث تفصح عن استمرار هذا الواقع غير المتوازن ردحًا من الزمن للاختبار والابتلاء، ثم تقوم الساعة، ومن أماراتها كما يقول رسول الله ﷺ: "وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرْج، وهو القتل. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٢٨)

١٨٢٨ - وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ اشْتَرِ[1] الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أحَدُهُما: لِي غُلامٌ، وقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قَالَ: انْكِحَا[2] الغُلامَ الجَارِيَةَ، وانْفِقَا عَلَى انْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقارًا: العقار: كل ملك ثابت له أصل كالأرض والدار[4].

الجرة: إناءٌ من الفخار[5].

الشرح الأدبي

نقتبس من هذا الحديث هالات الحكمة، وأشعة الأمانة، وباقات الإخلاص، وثمرات التقوى، فالحديث قصة تاريخية وقعت مشاهدها في بني إسرائيل، ويروي الرسول ﷺ هذه المشاهد في أسلوب خبري، فيه تسلسل المشاهد والأحداث، وترابط الفكرة، وجمال المقصد، وسمو التوجيه، وهذه القصة سيقت لزرع الأمانة في نفوس الناس، وانتزاع الأطماع من نفوسهم كذلك.

---

(١) عندهما بلفظ: (ولم أبتع منك).

(٢) عندهما بلفظ: (أنكحوا).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٤٧٢، ومسلم ٢١/١٧٢١.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ق ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ر).

والأفعال الماضية تسيطر على لغة الحديث: لأنها حكاية مضت... ولكنها يمكن أن تتكرر في أي زمن قادم، وعناصر البناء القصصي تصنع هذه المشاهد وتحدث التأثير والتشويق في نفس السامع، فأشخاص القصة هم: البائع والمشتري، والولد والجارية.

والأحداث متداخلة: شراء العقار، ثم العثور على جرة فيها ذهب، بعد البيع، ولكن المفارقة تتم حين يقول المشتري للبائع: خذ ذهبك، فيرفض البائع: لأنه باع الأرض وما فيها، وينشأ بينهما الحجاج، لا من أجل اغتصاب الحق، ولكن من أجل تنازل كل منهما عن حقه، وهذه صورة إيجابية لكل مؤمن في أي عصر.

وتنشأ العقدة القصصية بعد هذا الإشكال: كل يقول: الذهب ليس لي.

وتبدأ لحظة التنوير... وبشائر الحل حين يحتكمان إلى أحد الحكماء، فتحا كما إلى رجل وحكم الرجل بينهما حكمًا يحل العقدة، ويقضي على الشبهة التي نشأت، حيث قال: أنكحا الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه: وتصدقا.

ويتضمن الحديث في صياغته بعض الأساليب التي تكشف عن صدق النية، والرغبة الأكيدة في عدم اقتناء الذهب، ومن ذلك أسلوب القصر في قول المشتري، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أشتر الذهب، ويرد البائع بالأسلوب نفسه وبالطريقة نفسها ليؤكد عدم رجوعه في البيع، وعدم طمعه في الذهب، حيث قال: إنما بعتك الأرض وما فيها، وهكذا تكون أخلاق كل مؤمن في كل عصر، وفي أي زمان، وأي مكان والمسلمون أولى بهذا الخلق الكريم، وذلك السلوك القويم.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الورع عما فيه شبهة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة في الإصلاح بين الناس.

أولاً - من وسائل الدعوة القصة:

حيث جاء في الحديث "اشترى رجل من رجل عقارًا فوجد الذي اشترى العقار في

عقاره جرة..." والقصة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وقد جعل الله سبحانه في القصة العبرة والعظة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1]. ومما لاشك فيه (أن خطاب القصص القرآني جاء للناس على اختلاف أفهامهم وإدراكهم، يخاطب جميع هذه الدرجات المتفاوتة من الناس بكل ما يتفق مع الإنسان من طبائع حيث جاء موافقًا للفطرة البشرية وطبيعة الإنسان، حيث يعلم أنه جاء للقوي والضعيف، وللغني والفقير)[2]. هذا ولقد اتخذ القرآن الكريم من وسيلة القصة سبيلاً لنشر الدعوة الإسلامية، وبيان العبر والعظات منها، وعلى الدعاة إلى الله أن يتخذوا من القصص الصحيح وسيلة لتوجيه الناس إلى الخير.

ولا يليق بالداعية أن يتخذ من القصة وسيلة لوعظ الناس، بدون تحديد هدف من موعظته أو قصته التي يسوقها للناس.

(لا يكن كل همك أيها الداعية أن تتظرف بالنكت اللبقة، والفكاهات البارعة، ليقول الناس إنك مجدد في الوعظ، وعند هذا تنتهي مهمتك، ولا يكن همك أن تسلّي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدف... لا تكن كذلك الذي يقبل على الناس في حذر وخفة. فلا يمسهم إلا مسًا رقيقًا كأنما يخشى عليهم أن يتكسروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ، وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعًا ذا غرض معين، وهدف مقصود ... لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله، فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقت قضاه معهم في مؤانسة، ومتعة عاطفية بريئة... هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا. إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أبنْ لهم عن غرضك،

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ١٩٠.

وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الورع عما فيه شبهة:

حيث جاء في الحديث "قال الذي اشترى العقار خذ ذهبك إنما اشتريت منك الارض ولم أشتر الذهب وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها" وهذا يدل على أهمية الورع عما فيه شبهة. قال الكفوي: (والورع الاجتناب عن الشبهات، سواء كان تحصيلاً أو غير تحصيل؛ إذ قد يفعل المرء فعلاً تورعًا، وقد يتركه تورعًا أيضًا، ويستعمل بمعنى التقوى، وهو الكف عن المحرمات القطعية)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ويكون الورع عند الاشتباه في حكم الشيء من حل أو حرمة، إما لخفاء الدليل الشرعي، أو عند تعارض الأدلة وتكافئها، وإما للشك في وجود السبب المحرم أو المحلل، وإما للخروج عن الخلاف)[٣]. ومن صور الورع عن الشبهات ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ((إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي. ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا. ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً. فَأُلْقِيهَا))[٤]. وقال ابن مفلح: (قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناسَ فضولُ الكلام وفضولُ المال، وقال الشافعي: زينة العلم الورع والحلم)[٥].

وقال ابن قدامة: (اعلم أن الحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض، والحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة، ولكنه يقول: هذا حار في الدرجة الأولى، وهذا في الدرجة الثانية، وهذا في الثالثة، وهذا في الرابعة. مثال ذلك في الحرام المأخوذ بعقد فاسد، حرام، ولكنه ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ، إذ فيه إيذاء

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٣٩.

(٢) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٩٤٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٦/٤٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم واللفظ له ١٠٧٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٧٠/٣.

الغير، وترك طريق الشرع في الاكتساب، وليس في العقود الفاسدة إلا ترك طريق التعبد فقط، وكذلك المأخوذ ظلمًا من فقير أو صالح أو يتيم، أخبث وأغلظ من المأخوذ من قوي أو غني أو فاسق.

والورع له درجات أربع:

الدرجة الأولى: وهي درجة العدول عن كل ما تقتضي الفتوى تحريمه، وهذا لا يحتاج إلى أمثلة.

الدرجة الثانية: الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها، ولكن يستحب.

الدرجة الثالثة: الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام.

الرابعة: الورع عن كل ما ليس لله تعالى، وهو ورع الصديقين.

والتحقيق فيه أن الورع له أول غاية، وبينهما درجات في الاحتياط، فكلما كان الإنسان أشد تشديدًا، كان أسرع جوازًا على الصراط، وأخف ظهرًا، وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع، كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب درجات الحرام. فإن شئت فزد في الاحتياط، وإن شئت فترخص، فلنفسك تحتاط وعليها تترخص[1].

والإنسان لا يتورع عن الحرام طالما في داخل نفسه طمع وشره، وليست لديه عفة وقناعة بما رزقه الله، فهو يرغب في كسب المال بكل سبيل.

قال الماوردي: (ومن شواهد الفضل ودلائل الكرم النزاهة عن المطامع الدنية، فلأن الطمع ذل، والدناءة لؤم، وهما أدفع شيء للمروءة.

وقال بعض الشعراء:

لا تخضَعَنَّ لمخلوق على طَمعٍ ... فإن ذلك نقصٌ منكَ في الدِّينِ

واستَرْزِق الله مما في خَزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنونِ

والباعث على ذلك شيئان: الشَّرَه، وقلة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي وإن كان كثيرًا،

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٩٥، ٩٦.

لأجل شرهه، ولا يستنكف مما مُنِع وإن كان حقيرًا، لقلة أنفته. وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدرًا، ويرى المال أعظم خطرًا، فيرى بذل أهون الأمرين لأجلهما مَغنمًا، وليس لمن كان المال عنده أجلّ، ونفسه عليه أقل، إصغاء لتأنيب، ولا قبول لتأديب.

وقال بعض الشعراء:

ومن كانت الدنيا مُناهُ وهمَّهُ سَبَتْهُ المَنى واستعبدتُه المطامع

وحسم هذه المطامع شيئان: اليأس، والقناعة[1].

وجاء في موسوعة فقه القلوب: (وأما فقه الورع فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[3].

الورع: ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، من كل ما يخاف ضرره في الآخرة.

والورع على وجهين:

ورع في الظاهر ... وورع في الباطن.

فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن أن لا تُدخل قلبك سواه.

والورع أول الزهد، بأن يتورع عن كل ما سوى الله، ويتوقى الحرام والشبه وما يخاف ضرره، حذرًا وخوفًا من ربه.

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣١٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

والورع على ثلاث درجات:

الأولى: تجنب القبائح، وذلك بصون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها، ويزري بها عند الله عز وجل، وعند ملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه.

ومن كرمت عليه نفسه صانها وحماها عن الرذائل والقبائح، ومن هانت عليه نفسه، ألقاها في الرذائل، وأطلق زمامها في القبائح.

وكذلك يوفر زمانه على اكتساب الحسنات، فإذا اشتغل بالقبائح، نقصت عليه الحسنات التي كان مستعدًا لتحصيلها)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة في الإصلاح بين الناس:

حيث جاء في الحديث "قال أنكحا الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما منه وتصدقا" وفي هذا إشارة إلى ضرورة الحكمة في الإصلاح بين الناس، وقد بين الله في القرآن أن الحكمة فيها خير كثير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[٢] والحكمة مما يغتبط به فعن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((لا حسَدَ إلاّ في اثنَتينِ: رجُلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فسلَّطهُ على هَلَكتهِ في الحقّ، ورجُلٍ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها))[٣].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: (عن السكن بن عمير قال: سمعت وهب بن منبه يقول: يا بني عليك بالحكمة، فإن الخير في الحكمة كلها، وتشرف الصغير على الكبير، والعبد على الحر، وتزيد السيد سؤددًا، وتجلس الفقير مجالس الملوك. وعن مطر الوراق قال: بلغنا أن الحكمة خشية الله والعلم بالله)[٤].

ومن أبرز صور ومظاهر الحكمة في الإصلاح بين الناس، ما حدث من النبي ﷺ

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ص ٢٠٧٢/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٤١، ومسلم ٨١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٧٠٣/٥.

عندما اختلفت قريش في وضع الحجر في مكانه، حتى كادت أن تقتتل فيما بينها لولا حكمة النبي ﷺ في نزع فتيل الخلاف، وقطع دابر الخصومة.

قال الدكتور البوطي: (وفي هذا الحدث يتبين مدى حكمة النبي ﷺ في تدبير الأمور، وسياسة القضايا، وقطع دابر الخصومات بين أقوام، وصل بهم الخلاف إلى درجة كاد أن ينشب فيما بينهم القتال، فقد قربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، دون أن يردها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، حتى كان خمود نار الفتنة على يد رسول الله ﷺ)[1].

---

(١) فقه السيرة النبوية، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٩٠.

الحديث رقم (١٨٢٩)

١٨٢٩- وعنهُ ﷺ: أنَّه سمعَ رسُول الله ﷺ يقولُ: ((كانت امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالتِ الأخرَى: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إلى دَاوُدَ ﷺ فقَضَى بهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُد ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ. فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ! رَحِمَكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَى بِهِ للصُّغْرَى)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذه القصة التاريخية وقعت أحداثها في زمن بني إسرائيل، ولذلك بدأ الرسول ﷺ الحديث بقوله: "كانت امرأتان"، ولم يحدد اسم المرأتين، لأن العبرة بعموم الموعظة والمغزى الخلقي في القصة، وقيل دلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله تعالى لا تتعلق بكبر سن ولا صغر، فسليمان بن داود حكم بالصواب، وقيل: فيه جواز حكم الأنبياء بالاجتهاد.

والقصة في الحديث النبوي قد تعتمد على عنصر الغموض والمفاجأة، أو إثارة الانفعالات، أو عنصر التدرج والانفراج، وعنصر التدرج يبدو في القصة النبوية في الانتقال بالأحداث في سياق القصة من مستوى إلى مستوى وفق مراحل، ومن خلال تسلسل معين، بحيث لا يأتي الوصول للأزمة، أو انفراجها دفعة واحدة، وإنما يتم ذلك من خلال تدرج صاعد نحو التأزيم، أو تدرج هابط نحو الانفراج.

وهذه القصة من القصص التي يتدرج السياق فيها نحو التأزيم، ثم يأتي الانفراج في آخر لحظة بعد أن تصل الأزمة إلى ذروتها، فالقصة تبدأ بذهاب الذئب بابن إحدى

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٤٢٧، ومسلم ٢٠/١٧٢٠.

المرأتين: أي أكله والتهامه، وهي مشكلة تبدو منذ الوهلة الأولى في سياق القصة وتأخذ في التأزم حين تدعي كل واحدة من المرأتين بأن الابن الباقي هو ابنها، ويتفاقم الأمر بينهما إلى حد الترافع إلى الحاكم، فالمشكلة تتعقد وتتطور وهي حول قضية بالغة الأهمية: ادعاء بنوة[1]، ويحكم داود عليه السلام للكبرى، ويقول: القرطبي: "إن قضاء داود به لها، لسبب اقتضى ترجيح قولها عنده، إذ لا بينة لإحداهما.

ولكن الصغرى وهي الأم الحقيقية لم تقتنع بالحكم، وتبدأ العقدة في الحل، والأزمة تبدو بوادر انفراجها، ولكن تصل مشكلة الصغرى منهن إلى ذروتها حين تحاكما إلى سليمان، ففطن سليمان لأمر مثير يكشف الحقيقة، ويظهر الزيف والكذب، فقال: ائتوني بسكين: أشقه بينهما، وتفزع الصغرى، وتدفعها عاطفة الأمومة إلى الإقرار بأن الولد للكبرى حماية له من الشق والموت،وهنا تتكشف الحقيقة للقاضي العادل الحكيم سليمان: حين رأى عاطفة الصغرى وحزنها وخوفها على الابن، وقرأ ذلك في ملامح وجهها، ونبضات قلبها، وتهدجات صوتها، وشرود عينيها: فقضى بالولد للصغرى، وهنا تنبثق لحظة الانفراج بعد لحظات التأزيم المعقدة، وهذا من أسرار البيان النبوي البليغ، الذي يتكئ في كثير من نماذجه على العنصر القصصي الهادف المقنع المؤثر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من صفات الداعية: الفطنة والذكاء.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحكم بين الناس بالعدل.

أولاً- من أصناف المدعوين: النساء:

حيث جاء في الحديث "بينما امرأتان معهما ابناهما..." والنساء من أصناف المدعوين وهن يدخلن مع الرجال في غالب خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد جاء

---

(١) انظر: القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، د. محمد بن حسن الزير.

الخطاب خاصًا بهن في بعض المواضع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[٢] وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾[٣] وجاء إشراكهن في الحكم مع الرجال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾[٤]. والإسلام اهتم بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال (إن الدعاة إلى الله مطالبون بالتوقف عند بعض الصفات التي تتصف بها المرأة، كي يقوموا بواجبهم تجاهها خير قيام، ومن ذلك أنها كائن تغلب عليه العاطفة والرقة، وتحب المداراة والمدح، وأنها كائن صاحب عطاء إذا تم استيعابه، وهي كائن كالرجل قادر على الإيذاء والمكر، إذا وقف تجاهها موقفًا سلبيًا)[٥].

ثانيًا- من صفات الداعية: الفطنة والذكاء:

حيث جاء في الحديث "ائتوني بالسكين أشقه بينكما..." قال الإمام ابن حجر: (ودلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره، وفيه أن الحق في جهة واحدة، وفيه استعمال الحيل في الأحكام لاستخراج الحقوق، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال)[٦]. والداعية أحوج ما يكون إلى الفطنة

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش ٧٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٦/٦.

والذكاء في التعامل مع المدعوين. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (قال الأبشيهي قد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل، وزيادة معرفة، تخرجه عن حد الاكتساب، ويصير بها راجحًا على ذوي التجارب والآداب، ويستدل على رجاحة عقل الرجل بأمور متعددة، منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنبه ما يكسبه عارًا ويورثه سوء السمعة)[1].

ومما يدل على أهمية الفطنة والذكاء للداعية الناجح، أن من أهم صفات الرسل الفطانة، لأنهم المبلغون لوحي الله، المدافعون عن شريعته، المحاورون للخصوم والأعداء. قال حبنكة الميداني: (إن حمل رسالة علمية، ومهمة تربوية للناس، وقيادة سياسية، لا بد أن يرافقها في حاملها صفة الاستعداد لحمل هذه الرسالة، وذلك لأن الحكمة العليا تقتضي ذلك.

والصفة التي تمثل الاستعداد لحمل رسالة علمية، ومهمة تربوية، وقيادة سياسية، لمجموعة من البشر، إنما هي صفة "الفطانة". فبها يعرف الرسول ما يلقى إليه من الوحي، وبها يستطيع أن يحفظه ولا ينساه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يبلغه كما أوحي به إليه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يعالج أمته بالتربية الحكيمة، والقيادة السليمة، وفق طبائعهم وأخلاقهم.

لذلك فلا يصطفي الله لرسالته إلا من يتمتع بصفة الفطانة التامة، والعقل الراجح.

ويشهد لفطانة الرسل عليهم السلام آيات كثيرة من القرآن الكريم.

ومما يدل على فطانة نبينا محمد ﷺ، قوله تعالى يخاطبه في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2]. وقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٣٥/٨.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

فتحريك الرسول لسانه بالقرآن لحفظه عند نزول الوحي من فطانته وذكائه؛ وكذلك تعجله بترديد آياته من قبل أن يقضى إليه وحيه من كمال فطانته وذكائه.

وقوله تعالى أيضًا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[١]. فشهادة الله له بأنه لا ينسى تثبت فطانته. كما يشهد لفطانته أمر الله له بمجادلة القوم بالتي هي أحسن، وذلك في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾[٢]. والمجادل يحتاج إلى نباهة زائدة، وفطانة كبيرة، حتى يستطيع بها أن يعرف مجادليه بالحق، ويقبض في جدالهم على مغامز الشبهات منهم، ثم يقنعهم بأقرب طريق، وألين حوار[٣].

وقال د. عمر سليمان الأشقر: (إن الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لابدَّ منها لتحمل الرسالة، ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

لقد كان الرسول ﷺ يحفظ ما يلقى إليه ولا ينسى من كلمه شيئًا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[٤].

وكان رسل الله عليهم الصلاة والسلام يعرضون دين الله للمعارضين، ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا المجال أسكت إبراهيم خصمه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥]. وقال الله معقبًا على محاجة إبراهيم لقومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾[٦].

وموسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، فانتقل إلى التهديد بالقوة:

---

(١) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾(١)(٢).

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحكم بين الناس بالعدل:

حيث جاء في الحديث "... فقضى به للصغرى" وهذا يدل على ضرورة الحكم بين الناس بالعدل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(٤)، قال النسفي: (والمراد أن الله يأمركم بالتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقه)(٥). وقال الماوردي: (إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق، من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل)(٦).

قال السيد سابق: (يحرص الإسلام أشد الحرص على المحافظة على حقوق الناس ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، كما يعنى أشد العناية بصيانة حرياتهم وكراماتهم، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التي تحفظ هذه الحقوق وتصونها، ومن هذه الوسائل إقامة

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٣-٢٩.
(٢) الرسل والرسالات ٨٣.
(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.
(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦٠٦.
(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ١٤١.

الحق والعدل بين الناس، ذلك أن إقامة الحق والعدل، هي التي تشيع الطمأنينة، وتنشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمي الثروة، وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة البلاد، دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية داعية إلى العدل، ومحذرة من الظلم ومحرمة له، والله سبحانه وتعالى من أسمائه العدل، وما أنزل كتبه ولا أرسل رسله، ولا كلف الناس بالشرائع، إلا لأجل إقامة الحق والعدل)[1].

قال د. أكرم ضياء العمري: (لم تكن الأوامر الإلهية، والتوجيهات النبوية بالتزام العدل المطلق في الحكم بين الناس مجرد نظرية، بل إنها منذ عصر الرسالة أخذت أبعادها في الحياة العملية سواء في دائرة القضاء أو الحكومة أو العلاقات الدولية، وفي نطاق حياة الأفراد والجماعات والدول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[2] وقال ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا))[3]. والظلم هو وضع الأشياء في غير مواضعها، وهو ضد العدل الذي جاء به الإسلام وحث عليه نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام. ومن الظلم ظلم العبد لنفسه، وذلك بالإشراك بالله وارتكاب المعاصي، وفي القرآن: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] فإن المشرك يجعل المخلوق في منزلة الخالق فيعبده ويتخذه إلهًا، ومرتكب المعاصي يسخر حواسه -المخلوقة لطاعة الله وعبادته- في غير ما خلقت له، فيستحق بذلك وصف الظالم لنفسه، قال عبدالله بن مسعود: لما نزلت:

---

(١) عناصر القوة في الإسلام ١٤٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[1] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]. قال الخطابي: (إنما قالت الصحابة هذا القول، لأنهم اقتضوا من الظلم ظاهره، الذي هو الافتيات بحقوق الناس، أو الظلم الذي ظلموا به أنفسهم من ركوب معصية أو إتيان محرم، كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[3]، وذلك حق الظاهر فيما كان يصلح له هذا الاسم، ويحتمله المعنى عندهم، ولم تكن الآية نزلت بتسمية الشرك ظلمًا، وكان الشرك عندهم أعظم من أن يلقب بهذا الاسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فسمى الشرك ظلمًا، وعظم أمره في الكذب والافتراء على الله عز وجل، وذلك أن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك بالله وجعل الربوبية مستحقة لغيره، أو عدل به شيئًا، واتخذ معه ندًا، فقد أتى بأعظم الظلم، ووضع الشيء في غير موضعه ومستقره).

ومن الظلم ظلم الإنسان لغيره، وقد وضح الرسول ﷺ حرمة ذلك في خطبته في حجة الوداع بقوله: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))[4].

إن إقرار العدل وتحريم الظلم، كفيل بحلول الأمن في المجتمع، مما يحقق الرخاء والسعادة للإنسان.

ومن أجل الحفاظ على حق الحياة للأفراد والجماعات، شرع الله تعالى القصاص لذلك، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5]. وقد أدى

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

تطبيق الحدود الإسلامية في القرون الأولى إلى تحقيق الأمن وتقليص الجريمة، فالعقوبة الرادعة والتوجيه الراشد تعاونا على تحصين المجتمع من الجرائم، بإزالة البواعث على الجريمة وسيادة الشريعة وتطبيق الحدود، وتوجيه المجتمع نحو عبادة الله وطاعته، وإقرار التكافل الاجتماعي بين الناس، والحث على العمل وطلب الرزق الحلال، والحرص على نظافة العلاقات الاجتماعية، بالحث على الزواج وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحقيق تكافؤ الفرص في السعي لطلب الرزق أو تحقيق الذات، وما تصبو إليه من مطامح مشروعة، وضمان الحريات العامة التي تحقق كرامة الإنسان ورفعته، وضمان حدود الاكتفاء الدنيا لكل إنسان في المأكل والملبس والمسكن والتنقل، فإذا حقق المجتمع الإسلامي ذلك، فإنه يقضي على دوافع الجريمة، إلا بالنسبة للمنحرفين الشاذين، فإنه قد لا يفلح معهم التوجيه والضمان والتطمين الاجتماعي والاقتصادي، فهؤلاء لا تردعهم إلا العقوبة اللائقة، والقصاص المناسب: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقد تطول الحياة بالظالم، ولا ينال القصاص العاجل، ولا يحل به غضب الله وعقوبته سريعًا، ولكن مآله إلى ذلك حتمًا، كما في الحديث الشريف: ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]))[3]، وأما في الآخرة فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الظلم ظلمات يوم القيامة))[4][5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٨.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٦٨٦، ومسلم ٢٥٨٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٩ واللفظ له.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ٢٦٤-٢٦٦.

الحديث رقم (١٨٣٠)

١٨٣٠ - وعن مِرداس الأسلمي رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: ((يَذهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أوِ التَّمْرِ لاَ يُبَالِيهُمُ اللهُ بَالَةً)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

مرداس الأسلمي: هو مرداس بن مالك الأسلمي، شارك في المغازي وجاهد في سبيل الله، فقد شهد بيعة الرضوان، وكان من الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة.

نزل الكوفة، وهو من الصحابة الذين لهم حديث واحد، وهو الحديث المشروح[٢].

غريب الألفاظ:

الحثالة: الردئ من كل شيء[٣].

لا يباليهم الله بَالةً: لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل أسرار الجمال التعبيري والتصويري في هذا الحديث، نجد المبنى متسقًا مع المعنى، فالجملة الأولى فعليه، وفعلها مضارع، وهي في إطار الأسلوب الخبري.

وصيغة المضارع تفيد الاستمرار، والمعنى أن الصالحين يذهبون، وأن خيار الناس

---

(١) برقم ٦٤٣٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٨٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٣٦/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٢٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦٧/٧، والتهذيب ٤٧/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث ل).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٧/١١.

يعجل بهم، وهذا واقع مشاهد، وقوله: الأول فالأول.. يفصح عن تكرار هذا الواقع.. واللفظان في محل الحال: بالنصب على تأويل مترتبين، والفاء تفيد التتابع، ومعنى: "يذهب الصالحون"، أي: تفيض أرواحهم، وهؤلاء الصالحون مثل النبات المثمر، والشجر المبارك، وحينما تذهب الثمار اليانعة، وتتهاوى الأشجار الباسقة، لا تبقى إلا الثمار المعطوبة.

والصورة في القسم الثاني من الحديث ترصد طبيعة هؤلاء الباقين، وهم الطالحون الذين لا نفع لهم في الحياة.

ومصدر الصورة هو عالم النبات، ولكن الطبيعة النباتية هنا أقرب إلى الطبيعة النامية التي هي من صفات النبات والحيوان، والحثالة هي البقية الرديئة من كل شيء، والنفاية من الحب والثمر وغيره، وتشبع الصورة تقبيح المتبقين بأن المذكور ليس الشعير النافع الجيد، بل حثالة الشعير التي لا تنفع، وربما دل منظرها على تقزيز وتنفير، إن عبثت به شفاه الحمار، أو يد الإنسان، وهكذا اقترن القبح بعدم النفع، كما يقترن الجمال بالنفع في المفهوم الإسلامي[1]، ومما يزيد من تحقير هذه الصورة قول رسول الله ﷺ في شأن هذه الطائفة التي شبهها بحثالة الشعير أو التمر، "لا يباليهم الله بالة"، والمعنى: أن الله لا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ بموت الصالحين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة موت الصالحين وبقاء من لا يعبأ الله بهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستقامة على أمر الله.

أولاً - من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ بموت الصالحين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "يذهب الصالحون الأول فالأول... إلخ".

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياروف ص ٣٢٢، ٣٢٣.

قال ابن حجر نقلاً عن ابن بطال: (وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي، إنما يعلم بالوحي)[١].

وقد استثنى الحق تبارك وتعالى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٣] فتلخص من ذلك، أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالغيبات، فبوحي من الله تعالى، وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته)[٤]، وهذا ما ورد في الحديث من إخباره ﷺ بموت الصالحين الأول فالأول، وبقاء من لا يبالي الله بهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة موت الصالحين وبقاء من لا يعبأ الله بهم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالةً".

قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة...، وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان، حتى لا يبقى إلا أهل الشر"[٥]، وقوله ﷺ: "يذهب الصالحون الأول فالأول"، (أي: تقبض أرواحهم، وقوله ﷺ: "ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر"، قال الخطابي: "الحثالة بالفاء

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣/١٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١-٥٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٧/١١.

وبالمثلثة الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأرداه، وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما، قال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل، وقوله ﷺ: "لا يباليهم الله بالةً"، أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا)[١].

وقال ابن عثيمين: (أي: لا يبالي بهم ولا يرحمهم ولا ينزل عليهم الرحمة، فالصالحون يذهبون الأول فالأول)[٢].

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستقامة على أمر الله

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال ابن حجر نقلاً عن ابن بطال: (وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم، خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ الله به)[٣].

وقال ابن عثيمين: (يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التي كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله)[٤]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستقامة على أمره فقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥]، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الاستقامة فقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[٦].

قال ابن كثير: "قال العوفي عن ابن عباس يعني بالاستقامة: الطاعة، وقوله تعالى: (لأسقيناهم ماء غدقًا) أي: كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق"[٧].

---

(١) المرجع السابق ١١/٢٥٦ -٢٥٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٥٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٦٦.

(٥) سورة هود، آية: ١١٢.

(٦) سورة الجن، آية: ١٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢٤٢ - ٢٤٣.

وقال ابن القيم: : "فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين؛ وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد ،والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"[١].

(والمطلوب من العبد الاستقامة؛ وهي السداد ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، فإن نزل عنها فالتفريط والإضاعة، كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال: ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلاَ أَنْتَ؟ قَالَ: ((وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ))[٢]، فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي السداد ، والإصابة في النيات والأقوال والأعمال)[٣].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩، ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٣٨.

الحديث رقم (١٨٣١)

١٨٣١- وعن رفاعة بن رافع الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: مَا تَعُدُّونَ أهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: ((مِنْ أفْضَلِ المُسْلِمِينَ)) أوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قال: وَكَذلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلائِكَةِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

رفاعة بن رافع الزُّرقي: هو رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري، أمه أم مالك بنت أبي بن سلول، شهد بدرًا، وأُحُدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الجمل وصفين، وقال رضي الله عنه في نصرته له (إن الله لما قبض رسوله صلى الله عليه وسلم ظننَّا أنّا أحق الناس بهذا الأمر، لنصرتنا الرسول، ومكاننا من الدين، فقلتم: نحن المهاجرون الأولون، وأولياء رسول الله الأقربون، وإنا نذكركم الله أن تنازعونا مقامَه في النّاس، فخليناكم والأمر، فأنتم أعلم، وما كان بينكم، وغير أنا رأينا الحق معمولاً به، والكتاب متَّبعًا، والسنَّة قائمة، رضينا، ولم يكن لنا إلا ذلك، فلما رأينا الأثرة أنكرنا لرضا الله عز وجل، ثم بايعناك ولم نألُ، وقد خالفك من أنت في أنفسنا خير منه وأرضى، فمُرْنا بأمرك.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم جُلَّة أحاديث بلغت ٢٤ حديثًا.

وتوفي في أول إمارة معاوية رضي الله عنه سنة ٤١هـ، وقيل ٤٢هـ[2].

غريب الألفاظ:

أهل بدر: هم الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر[3].

---

(١) برقم (٣٩٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٩٦/٣-٥٩٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤١٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٣٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٧٩/٢-٢٨١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٨٦/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٠٨/١-٦٠٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٩/٣.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا الحوار! وما أعظمه، وكيف لا يكون جليلاً، ولا يكون عظيمًا.. وهو بين ملك الوحي: جبريل عليه السلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، إن الكلمات هنا تشع بالبهاء والجلال، وتتضوء بالجمال والكمال، وتبدأ المحاورة بسؤال من جبريل: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ والسؤال هنا ليس ناشئًا عن جهل، فذلك في حق جبريل محال، ولكنه لتقرير الكمال، وتأكيد الفضل لمن هم القدوة والمثال، ويجيب المصطفى ﷺ بما هم أهله من الفضل والتكريم فيقول: من أفضل المسلمين.

ويؤيد جبريل عليه السلام كلام رسول الله ﷺ حين يقول: وكذلك أي ومثل ذلك الفضل: الملائكة التي شهدت بدرًا، وفي هذا تأكيد لأفضلية أهل بدر، وتعظيم شأنهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

وما أصدق هذا الدعاء، وذلك الابتهال والرسول ﷺ يناجي ربه ويدعوه أن يحفظ هذه الجماعة المؤمنة أهل بدر، ويستجيب الله له إكرامًا لنبيه، ونصرة لدين الإسلام، وإعزازًا لهؤلاء المؤمنين ومن بعدهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم فضل ومكانة أهل بدر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: شهود الملائكة غزوة بدر.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي "جاء جبريل إلى النبي ﷺ قال: ما

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١٢.

تعدون أهل بدر فيكم؟ ... إلخ" (وغزوة بدر هي الغزوة والمعركة الفاصلة الأولى في تاريخ الإسلام، وهي أول مراحل الكفاح الجدي الدامي الذي خاضه الإسلام ضد الشرك)[1]، (فأعز الله فيه الإسلام وأهله، ودفع فيه الشرك وخرب محله، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فَرَسان وسبعون بعيرًا، والباقون مُشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ مابين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائدة، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيّض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان، من سنة سنتين من الهجرة، ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[2] أي قليل عددكم، ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعُدد)[3].

ولم يقصد النبي ﷺ في خروجه بادئ الأمر بجيش المسلمين إلا عير قريش، قال ابن إسحاق: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعل الله ينفلكموها)[4] وذلك لقاء ما تركوا من أموالهم في مكة، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون، فعن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: ((لم أتخلَّفْ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلاّ في غزوةِ تَبوكَ، غيرَ أني تَخلَّفتُ عن غزوةِ بَدرٍ ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلَّفَ عنها، إنما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ يُريد عِيرَ قريشٍ، حتى جمعَ اللهُ بينهم وبينَ عَدُوِّهم على غيرِ مِيعاد))[5].

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، ١/٧٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/١١١.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٥٦.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩٥١، ومسلم ٢٧٦٩.

(فالتقى الظلام بالنور، والكفر بالإيمان، والباطل بالحق، والتقت الجاهلية بالإسلام، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا)[١].

قال د. محمود شيت خطاب: (ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة، كيوم بدر، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة...، بعد أن بدل الإسلام العقول والنفوس من حال إلى حال، وكيف لا!! وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة لأصحابه بأعماله لا بأقواله، فكان ﷺ مثالاً شخصيًا رائعًا لأصحابه في التضحية والفداء)[٢]. وفي المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة! خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف! وفي يوم بدر تسابق المسلمون إلى الشهادة، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يموت قبل صاحبه، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٣].

هكذا كان جنود الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم، بل يؤثرون عقيدتهم على أنفسهم، فيتسابقون إلى الشهادة، فيقول أحدهم للآخر: "هنيئًا لك الشهادة"، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن: "الحمد لله الذي أكرمهم بالشهادة".

وهؤلاء قادةً وجنودًا، يبنون للمستقبل، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة، ويعتبرونه عبادة لا تجارة، ويعتبرونه غاية لا وسيلة!

كانوا إخوة في الله يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وكانوا كالجسد السليم المعافى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!

---

(١) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت خطاب.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٦١٣/١، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٦/١.

(٣) سورة طه، آية: ٨٤.

هؤلاء قادة وجنودًا، كانوا يبنون ولا يهدمون، ويعمرون ولا يخربون، ويفعلون ولا يقولون.

كان انتصار المسلمين في بدر، إيذانًا بمولد دولة الإسلام عمليًا، فقاد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح، والمدنية والنور قرونًا طويلة.

وكان انتصارهم بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك.

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام، وكانوا أعداءً فألف الإسلام بين قلوبهم، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الإسلام منها، فأصبح العرب بالإسلام "وحدة" رصينة، و"دولة" عظيمة و"أمة" متماسكة و"قوة" ضاربة وجدت لها متنفسًا بالفتح الإسلامي العظيم، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا وتحضر العالم وتمدن الناس، فامتدت دولة الإسلام من سيبريا شمالاً إلى فرنسا غربًا إلى الصين شرقًا إلى المحيط جنوبًا.

كانوا ضعفاء فأصبحوا بالإسلام أقوياء، وكانوا أعداء فأصبحوا إخوة، وكانوا مستعبدين فأصبحوا فاتحين!)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم فضل ومكانة أهل بدر:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي ﵁: "جاء جبريل ﵇ إلى النبي ﷺ قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها"، وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل ومكانة أهل بدر؛ فعن علي بن أبي طالب ﵁ قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ. فَقَالَ: ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ. فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ. فَخُذُوهُ مِنْهَا. فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا. فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ. فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا. فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ مَا هذَا؟ قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي كُنْتُ امْرأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ

---

(١) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت خطاب، بتصرف يسير.

الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ. فَأَحْبَبْتُ، إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي. وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي. وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ : صَدَقَ. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[١].

قال النووي: (وقوله ﷺ "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" معناه: الغفران لهم في الآخرة)[٢]، وقال ابن حجر: (والمراد من -الحديث هنا - الاستدلال على فضل أهل بدر بقوله ﷺ المذكور، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم)[٣].

قال ابن القيم في بيان مغفرة الله تعالى لأهل بدر: (قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، أشكل على كثير من الناس معناه؛ فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها، وذلك ممتنع.

فقالت طائفة، منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله "اعملوا" الاستقبال، وإنما هو للماضي، وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفرته.

قال: ويدل على ذلك شيئان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله: فسأغفر لكم.

والثاني: أنه كان يكون إطلاقًا في الذنوب ولا وجه لذلك. وحقيقة هذا الجواب: إني قد غفرت لكم بهذه الغزوة ما سلف من ذنوبكم.

لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ "اعملوا" يأباه؛ فإنه للاستقبال دون الماضي. وقوله: "قد غفرت لكم" لا يوجب أن يكون اعملوا مثله؛ فإن قوله "قد غفرت" تحقيق لوقوع المغفرة في

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٨٣، ومسلم واللفظ له ٢٤٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٧.

المستقبل كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[(١)]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[(٢)]، ونظائره.

الثاني: أن نفس الحديث يردّه؛ فإن سببه قصة حاطب وتجسُّسه على النبي ﷺ، وذلك ذنب واقع بعد غزوة بدر لا قبلها، وهو سبب الحديث، فهو مراد منه قطعًا.

فالذي نظن في ذلك، والله أعلم، أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرِّين عليها، بل يوفِّقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك. ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم، لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقًا بالمغفرة. فلو كانت قدحصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر، لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا محال.

ومن أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب؛ فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة، ونظير هذا قوله في الحديث الآخر: ((إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَب أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَب أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْ لِي، قَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فقال: رَب أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْ لِي قَالَ: أَعَلِمَ عبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ))[(٣)]، فليس في هذا إطلاق وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أن يغفر له ما دام كذلك، إذا أذنب تاب. واختصاص هذا العبد بهذا؛ لأنه قد علم أنه لا يصرُّ على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب، حكم يعمّ كل ما كانت حاله حاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر.

---

(١) سورة النحل، آية: ١.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ٦٩٨٦.

وكذلك من بشره رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له، لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له، ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة. وقد كان الصدِّيق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر. فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيَّدة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيّدة بانتفاء موانعها، ولم يفهم أحد منهم من ذلك الإطلاق، الإذن فيما شاؤوا من الأعمال)[1].

وفي تأكيد عظم فضل أهل بدر رضي الله عنهم أخرج البخاري في صحيحه: عن قيس أنه قال: ((كان عطاءُ البدريين خمسةَ آلافٍ ، خمسةَ آلاف، وقال عمرُ: لأُفضلنَّهم علَى مَن بعدَهم))[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((فأقبَلْتُ أنا وأمُّ مِسطح فعثرتْ أمُّ مسطحٍ في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسطحٌ، فقلتُ: بئس ما قلتِ، تَسُبِّينَ رجلاً شهد بدرًا))[3].

وعن ابن معقل: ((أن عليًا كبر على سهل بن حنيف فقال: إنه شهد بدرًا))[4] قال ابن حجر: (... وقد أورده أبو نعيم في المستخرج من طريق البخاري بهذا الإسناد فقال فيه: كبر خمسًا...، وقول علي رضي الله عنه لقدشهد بدرًا، يشير إلى أن لمن شهدها فضلاً على غيرهم في كل شيء، حتى في تكبيرات الجنازة)[5].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا ما ورد في الحديث من سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في قوله: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟" وإجابته ﷺ بقوله: "من أفضل المسلمين".

فالسؤال والجواب من أساليب الأداء البياني، لما له من قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين

---

(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٣٤-٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٠٠٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٩/٧.

الآخرين، وذلك لعدة أسباب منها: أن طارحي الأسئلة إذا كانوا لا يعانون من مشكلة، ولكن يريدون اكتساب معرفة، حول ما طرحوا من أسئلة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: شهود الملائكة غزوة بدر:

(لقد انطوت غزوة بدر على معجزة من أعظم معجزات التأييد والنصر للمسلمين الصادقين، فقد أمد الله المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم، وهذه حقيقة ثبتت بدلالة صريحة)[٢]، في نص الحديث من قول جبريل عليه السلام "وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة" وفي بيان إثبات ذلك بنص الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣].

قال ابن كثير: (نقلاً عن عباد بن منصور عن الحسن أن هذا يوم بدر، وقال الشعبي: إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كُرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم فأنزل الله: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)، إلى قوله: (مسومين)، أي: معلمين بالسِّيما، وقيل: أي: مُحذَّقة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل)[٤].

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٢٤٢.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله ٥٨ - ٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣ - ١٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/١١٢ - ١١٣.

قال د. البوطي: (ومن أوضح الأدلة القاطعة على أن التعبير بالملائكة في بيان الله عز وجل، ليس المقصود به ما يتوهمه بعضهم من المدد الروحي، أو القوة المعنوية، أو نحو ذلك -أقول من أوضح الأدلة القاطعة على بطلان هذا الوهم- ضبط البيان الإلهي للملائكة بعدد محدود وهو الألف، في قوله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء، ولا يكون ذلك إلا في الأشياء المادية المحسوسة.

ومن هنا نعلم أن تقييد البيان الإلهي للملائكة بعدد معين، ينطوي على حكم باهرة، من أجلّها قطع السبيل على من يريد أن يتناول الآية، ويفسر الملائكة بالمعنى الذي يروق له، وهو مجرد الدعم المعنوي.

ثم إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين - إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استغاثتهم، اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العدة والعدد. وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أي تأثير ذاتي في ذلك. ومن أجل هذه الحقيقة قال الله تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2])[3].

وقد أكد الصحابة رضي الله عنهم على شهود الملائكة بدرًا، ولقد شهد الصحابة رضي الله عنهم بذلك، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم صفراء، وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، قال: بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى، وعن أبي داود

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١٠.

(٣) فقه السيرة النبوية، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٢٤٣.

المازني رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، قال: إني لاتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري)[١]، (وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم؛ بضرب فوق الأعناق وعلى البنان، مثل سمة النار قد أحرق به)[٢].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٢٧٥.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٣/٥٦.

الحديث رقم (١٨٣٢)

١٨٣٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**إذَا أنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِقَومٍ عَذَابًا، أصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أعْمَالِهِمْ**)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث وعدًا من رسول الله ﷺ لكل مؤمن بأن الله سيدخر له يوم القيامة ما قدمه في دنياه من عمل صالح، إذا عم البلاء، واجتاحت ريح الكوارث الصالح والطالح، فالعذاب الذي يلحق بالأمم من الطوفان والجراد والقمل والزلازل... والحرائق.. والأوبئة، والحروب يعم ويصيب القوم أجمع: البر والفاجر، فالنقمة تعم، والنعمة تخص، ولكن الناس يبعثون على حسب مراتبهم، ويبعثون على نياتهم.

وصياغة الحديث اللغوية تؤكد نزول العذاب ببعض الأقوام، لأن أسلوب الشرط والجواب هو الإطار النحوي لمضمون الحديث، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق فالعذاب يلحق ببعض الأمم، وقد حدث ذلك مع قوم عاد، وقوم ثمود، وأهل الطوفان زمان نوح عليه السلام، وكثير من الكوارث تحدث في العالم ومنها الزلازل، والبراكين، والأعاصير، والطوفان، والأوبئة، والأمراض الفتاكة، والحروب المدمرة، والانهيارات الأرضية.

والتعبير بـ"إذا" يكشف عن واقعية هذه الكوارث، وقوله: "عذابًا" من الألفاظ الموجزة المشعة بكل ما يقع من أنواع العذاب، ولذلك جاءت الكلمة في صيغة النكرة للشيوع والعموم، ولم يقل العذاب، حتى لا ينصرف الذهن إلى نوع محدد من العذاب، ونكر كلمة "قوم" لإفادة التنويع والتكثير، فكثيرًا ما نزل العذاب بأقوام قديمًا وحديثًا، فالتنكير هنا أفاد العموم والتنوع والكثرة، والتعبير بقوله: "أنزل الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٠٨، ومسلم ٢٨٧٩/٨٤ ولفظهما سواء.

بقوم عذابًا، يفيد التمكن والاستعلاء، والمعنى: بعث عليهم عذابًا والبعث فيه: معنى الجيش والهلاك، فكأن هذا العذاب جيوش مهلكة مدمرة للأمم الطاغية الباغية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[1].

وجواب الشرط: يفيد العموم: "أصاب العذاب من كان فيهم": أي يعم الكافر والمؤمن، وكذلك العاصي والطائع، ولكن يوم القيامة يبعثون على أعمالهم: ولا يظلم ربك أحدًا، فالمؤمن من أهل الجنة، والكافر من أهل النار، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المعاصي وأثرها في غضب الله وإنزال عقابه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تعذيب العامة بذنوب الخاصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بعث الناس على أعمالهم يوم القيامة.

أولاً- المعاصي وأثرها في غضب الله وإنزال عقابه:

هذا ما يستفاد جليًا من نص الحديث، وفي بيان ذلك قال ابن القيم: (فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولابد، وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه...، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية...، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت

---

(١) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟ ... وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر...؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ ... وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا؟ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[1]. فالمعاصي والذنوب هي أمراض، متى استحكمت قتلت ولابد، وهي سبب غضب الله وإنزال عقابه)[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: ((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))[3].

وقال ﷺ: ((لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا -أَوْ يُعْذِرُوا- مِنْ أَنْفُسِهِمْ))[4]. قال

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٢) انظر الداء والدواء ١/٨٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٠١٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥٣).

الخطابي: (فسره أبو عبيدة في كتابه، وحكي عن أبي عبيدة أنه قال: معنى "يعذروا" أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم)[١]، وقال ابن الأثير: (يقال أعْذَر فلان من نفسه، إذا أمكن منها، يعني: أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم، فيستوجبون العقوبة، ويكون لمن يعذبهم عذر، كأنهم قاموا بُعذره في ذلك، ويروى -بفتح الياء-، من عَذَرْته وهو بمعناه، وحقيقته عذرت: محوتُ الإساءة وطمستها)[٢].

وقد حذر من ذلك السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، فعن جبير بن نضير عن أبيه قال: (لما فتحت قبرص ففرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبير؛ ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى)[٣] وذكر أبو نعيم عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء؛ قال: (ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: تدري ممَّ هذا؟ قلت: لا، قال: إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيُلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر)[٤].

(وقال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلّته)[٥].

(فكم أهلكت المعاصي والذنوب من الخلق؟ وكم أزالت من النعم؟ وكم جلبت من النقم؟ وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء، فضلاً عن الجهّال! ولم يعلم المغترُّ أن الذنب ينقضُ ولو بعد حين كما ينقُضُ السمُّ، وكما ينقضُ الجرحُ المندملُ على الغش والدَّغلِ)[٦].

---

(١) معالم السنن ٦/١٩١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٩٩.

(٣) الزهد ١/٨٦ بسند صحيح.

(٤) الحلية ١/٢١٥.

(٥) الداء والدواء، ابن القيم، ٨٥.

(٦) المرجع السابق ٨٤-٨٥.

وفي ذلك بيان على قبح المعاصي وأثرها في إنزال غضب الله ومقته، فعلى المرء أن يجتهد في تركها، إرضاءً للرحمن وبغضًا للشيطان، وطلبًا لعظيم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: (سبحان الله رب العالمين! لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبةُ الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفسّاق والفجّار، وقلة الهم والغم والحزن، وعزُّ النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تُلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحَمِيّتهم له إذا أُوذي وظُلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودّته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على المُلك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور، لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا. فإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة، وينعم فيها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحرِّ والعرق، وهو في ظل العرش، فإذا انصرفوا من بين يدي الله أُخذ به ذات اليمين مع

أوليائه المتقين وحزبه المفلحين ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١])[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تعذيب العامة بذنوب الخاصة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إذا أنزل الله تعالى بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم".

قال ابن حجر: (في قوله ﷺ: "إذا أنزل الله بقوم عذابًا"، أي: عقوبة لهم على سيئ أعمالهم، "أصاب العذاب من كان فيهم"، والمراد من كان فيهم، ممن ليس هو على رأيهم"[٣]، وقد أكد الحق تبارك تعالى على ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٤]، قال السعدي: "بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتتقى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن"[٥]، هذا ما أكده النبي ﷺ في حديث سفيان بن عيينة عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: ((لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرَ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ)) وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))[٦].

قال النووي: "في قوله: أنهلك وفينا الصالحون، قال: إذا كثر الخبث: وفسره الجمهور بالفسوق والفجور... ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٤.

(٢) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٢١-٢٢٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٦٤- ٦٥.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٨٠.

(٦) أخرجه البخاري ٣٣٤٦، ومسلم ٢٨٨٠.

العام، وإن كان هناك صالحون"[١].

(فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣]، وقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٤]، وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.

فالجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سكت عليه فكلهم عاصٍ، هذا بفعله، وهذا برضاه، وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل؛ فانتظم في العقوبة)[٥].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ، لاَ يُغَيِّرُونَ، إِلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ))[٦]، وعن قيس قال: ((قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكم تَقْرَأُونَ هذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[٧] قالَ عن خَالِدٍ: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إنّ النَّاسَ إذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم الله بِعِقَابٍ. وَقَال عَمْرٌو عن هُشَيْمٍ: وَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِم بالمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لا يُغَيِّرُوا إلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله مِنْهُ بِعِقَابٍ... إلخ))[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٧٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، ٨٣٦/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٤٠٠٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٣٨).

(٧) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٨) أخرجه أبو داود ٤٣٣٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٤٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بعث الناس على أعمالهم يوم القيامة:

هذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: (ثم بعثوا على أعمالهم)، قال ابن حجر: "أي: بعث كل واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فعقباه صالحة وإلا فسيئة، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((عَبِثَ رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله، فقال: العَجَبُ إن ناسًا من أمتي يَؤُمُّون البيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيدا خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله! إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يَهْلِكون مَهْلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم))[1].

قال النووي: (في قوله ﷺ: "فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، أما المستبصر فهو المستبين لذلك القاصد له عمدًا، وأما المجبور فهو المكره ...، وأما ابن السبيل فالمراد به سالك الطريق معهم وليس منهم، وقوله ﷺ: ويهلكون مهلكًا واحدًا، أي: يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم، وقوله ﷺ: ويصدرون يوم القيامة مصادر شتى أي: يُبعثون مختلفين على قدر نياتهم فيجازون بحسبها)[2].

قال ابن حجر: (والحاصل أنه لا يلزم من الإشراك في الموت، الاشتراك في الثواب أو العقاب، بل يُجازى كل أحد بعمله على حسب نيته)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١١٨، ومسلم واللفظ له ٢٨٨٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥/١٣.

الحديث رقم (١٨٣٣)

١٨٣٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ (يَعْنِي فِي الخُطْبَةِ)[1] فَلَمَّا وُضِعَ[2] المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوضَعَ يَدَهُ عَلَيهِ فَسَكَنَ[3].

وَفِي رِوايةٍ[4]: فَلَمَّا كَانَ يَومُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ[5]، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ[6] تَنْشَقَّ.

وفي روايةٍ[7]: فصَاحَتْ[8] صِيَاحَ الصَّبيِّ، فَنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ، حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِي الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قال: ((**بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**)). رواه البخاري.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الجذع: ساق النخلة[9].

صوت العشار: أي: الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) عند البخاري زيادة: (له)، وهي ليست عند الحميدي في جمعه.

(٣) برقم ٩١٨ بدون قوله: (فسكن). وهذه الزيادة عند البخاري برقم ٣٥٨٥ بلفظ: (فسكنت) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٢/٣٦٩ رقم ١٦٠٣.

(٤) برقم ٢٠٩٥.

(٥) عند البخاري زيادة: (الذي صنع).

(٦) (أن) لا توجد عند البخاري.

(٧) برقم ٢٠٩٥، و٣٥٨٤. والسياق للحميدي في جمعه ٢/٣٧ رقم ١٦٠٣.

(٨) عند البخاري زيادة: (النخلة).

(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ذ ع).

إلى أن تلد، وقيل: العشار الحوامل من الإبل التي قاربت الولادة[1].

أنَّ الصبي أَنًّا وأنينًا: أي: تَأَوَّه وتألم[2].

الشرح الأدبي

من معجزات النبي ﷺ الحسية: حنين الجذع، وهي معجزة ثابتة بالأدلة القطعية، والروايات الصحيحة، وهذا الحديث من الشواهد والأدلة اليقينية على هذه المعجزة، ويروي جابر ذلك، ويفصل القول في هذا المشهد، ويقول "كان جذع" ويصفه بأنه: يقوم إليه النبي ﷺ في الخطبة: وهذا الوصف فيه تشريف لذلك الجذع، وهو أيضًا من أسرار حنين الجذع لرسول الله ﷺ وأنينه شوقًا إليه: لأن رسول الله ﷺ كان يميل إلى الجذع وقت الخطبة، وللنبات نفس أودعها الله الإدراك، فهي تتغذى، وتنمو وتتكاثر، ولكنها لا تتحرك ولا تلد، مثل الحيوان أو الإنسان، فالنفس الحيوانية لها خصائص، والنفس الإنسانية لها خصائص، كذلك النفس النباتية لها خصائص، فللنبات إحساس وإدراك لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والنفس الإنسانية تتغذى وتتكاثر وتنمو وتلد وتنطق وتعقل، أما النفس الحيوانية فهي تتغذى وتنمو وتتكاثر وتلد ولكنها لا تنطق ولا تعقل.

والتكلم بلسان الجمع في رواية جابر يدل على أن صوت الجذع كان حقيقيًا: حيث يقول: فلما وضع المنبر سمعنا للجذع: مثل صوت العشار، وهذه الصورة التشبيهية مشتقة من البيئة وهي صورة دقيقة مؤثرة، والعشار هي الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر.

والصورة تزداد دقة وتأثيرًا وتشخيصًا في رواية أخرى: حيث يقول جابر: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج، أي التي انتزع منها ولدها، فتأمل رقة إحساس هذا الجذع وشوقه وحنينه للنبي ﷺ، وحين وضع النبي عليه الصلاة والسلام يده على الجذع سكن وهدأ وامتثل !!!، وفي رواية ثم أمر به فدفن، وكان الحسن إذا حدث

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٦٥/٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ن ن).

بهذا الحديث يقول: يامعشر المسلمين: الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً- من دلائل النبوة: حنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ:

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه ما يدل على صحة نبوة نبينا ﷺ)[1].

(وقد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات، ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس، فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم)[2] فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[3] (وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ماجاؤوا به)[4].

والمعجزة على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه، كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، وضرب خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله[5]، وذلك كحنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ وشفقةً من فراقه، قال ابن حجر: (ونقل ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي"، عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: "ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى، قال: أعطى محمدًا ﷺ حنين الجذع حتى سمع

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٧/٤.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٢٠/١.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٧٨١.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٢٠/٢.

صوته، فهذا أكبر من ذلك)[١].

وقد بيّن ابن هبيرة (أن حنين الجذع الذي سمعه أصحاب رسول الله ﷺ على كونه، كان آية صادعة وبينة ظاهرة على نبوته ﷺ؛ فإنه فيه تنبيه لأصحابه على زيادة حبهم له، وحنينهم لفراقه، واستيحاشهم لتخلفهم ساعة واحدة عن صحبته، ولَمَّا كان رسول الله ﷺ يطلب وقت التذكير على الجذع، كان الجذع موطئًا يطلب منه ويعرف به حالة التذكير، فكان في ذلك الدولة للجذع، فلما رأى الجذع أن دولته قد تغيرت بانتقال رسول الله ﷺ إلى المنبر حنّ)[٢].

وفي ذلك قال ابن حجر: (وقد كان الحسن إذا حدث بحديث حنين الجذع يقول: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه ...)[٣].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الخطبة :

هذا ما أشار إليه الحديث من قول الراوي: فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها (والخطبة هي أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل وجمع الشمل فهي من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس)[٤]، (وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته، لكثرة فائدته وعظيم جدواه، ذلك أن الخطابة علم من العلوم الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي)[٥]، (فضلاً عن أن الخطابة في الدعوة إلى الله واجبة، لأنها لازمة لتبليغ الدعوة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داو، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه، والخطابة للداعية كالمصباح

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٩٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/٣٤٨-٣٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٩٧.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ١٠٦.

(٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ٤١٩.

ينير الطريق ويكشف الدرب ويهدي الضال، وهي السلاح الذي يدافع به عن دعوته فيرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين، وعنت الضالين، فكم من منافق عليم اللسان، ومنحرف صاحب بيان، وفاسق يحمل فكرًا، وشيطان يلوح بحجة، فيأتي الداعية الفصيح صاحب الحجة، فيدفع الركب الضال، والموكب اللعين، وينسف الباطل المنتفخ، ويرفع الحق الأبلج والحجة المضيئة، وصدق الله العظيم: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]، والخطابة وسيلة لصياغة المبادئ، وإظهار جلالها ورفعة شأنها، فضلاً عن أنها صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل، كما أنها لازمة لطرد الأهواء وإزالة الشياطين، وعلاج الأمراض الدخيلة والمتوطنة)[2]، يقول علي محفوظ: (إن الأمراض والعلل تعرض للأجساد فتذهب بجمالها، وكثيرًا ما تودي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجح قبل استفحالها واشتداد خطرها، والقلوب كالأجساد يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها، وما يفقدها حياتها ...، ولا دواء لها إلا مراهم الشريعة الغراء، المركبة تركيبًا علميًا كيماويًا دقيقًا من أجزاء الخطب والمواعظ)[3].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٢) انظر: الخطابة والخطيب، د. توفيق الواعي، ٣٠-٣١.

(٣) هداية المرشدين ٧٣.

الحديث رقم (١٨٣٤)

١٨٣٤- وعن أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ جُرثومِ بنِ ناشر ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا)) حديث حسن. رواه الدارقطنيُّ[1] وغيره.

ترجمة الراوي:

أبو ثعلبة الخُشنِّي: صحابي مشهور، معروف بكنيته، أختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا وكذلك في اسم أبيه، قيل اسمه جُرثُوم، وقيل جُرْهم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم وقيل: ابن لاشر. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٦٦).

غريب الألفاظ:

فلا تنتهكوها: فلا تخرقوا سترها بالوقوع فيها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، كما يقول أبو بكر السمعاني، وليس في حديث رسول الله ﷺ حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من حديث أبي ثعلبة.

وهذا الحديث قسم أحكام الله أربعة أقسام: فرائض ومحارم وحدود ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها، وهكذا يكون بيان المصطفى ﷺ في شموليته وبلاغته، وفي سموه وحكمته، وفي عمقه ودقته، ولا غرو فقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم.

---

(١) السنن ١٨٣/٤. وحسنّه المؤلف أيضًا في أربعينه ٣٠، وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٢٩٣٤: رجاله ثقات لكنه منقطع، وقال البوصيري في الإتحاف ٤٢٣/١: إسناده صحيح.

(٢) مختار الصحاح في (ن هـ ك)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٦٣.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يفيض بظواهر فنية وأسلوبية متعددة ومنها:

أ- البداية بالتأكيد في قوله عليه الصلاة والسلام، "إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها"، وهذا التأكيد يتكرر في كل الجمل بعد ذلك ولكنه محذوف للإيجاز، ولأنه معلوم من الدين بالضرورة فلا داعي لتكراره، فلا يحد الحدود إلى الله، ولا يحرم ولا يحلل إلا الله، والتقدير، وإن الله حد حدودًا، وإن الله حرم أشياء، وإن الله سكت عن أشياء، والتأكيد الظاهر والمضمر، يجعل الالتزام بما جاء في الحديث واجبًا، والخروج عنه معصية وإثمًا ومغاضبة لله عز وجل.

ب- ومن جماليات الأسلوب في هذا الحديث: حسن التنسيق، والتوازي والتوازن في بناء الجمل، فالجمل في الحديث متناسقة البناء، تتشابه في مكوناتها، وتتوازن في تراكيبها، وكأن ذلك التوازن، وهذا التناسق صورة لموقف الأمة الواجب اتخاذه من الفرائض والحدود والمحرمات، وهو الاعتدال، والتوازن، وعدم المغالاة أو التفريط.

ج- ومن أسرار الجمال في لغة الحديث، هذا الإيقاع الصوتي المؤثر المتمثل في نهايات الجمل المسجوعة، في غير تكلف أو عنت، وهي إلى جانب هذه النهايات الإيقاعية التي ترسخ في الذهن، وتثبت في الوجدان -بعد أن يتلقاها السمع ويتقبلها قبولاً حسنًا- نجد التماثل يوحد بين الجمل، حيث البداية بالأفعال الماضية، والفاعل هو الضمير العائد على لفظ الجلالة في كل الجمل، والمفعول به يتجانس مع الفعل الماضي في الجملتين الأوليين: "فرض فرائض"، وحدَّ حدودًا.

وختام كل جملة من جمل هذا الحديث يبدأ بفاء التعليل ولا الناهية والفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة، وهذه الصياغة توحي بأن هذه النواهي، على الأمة كلها أن تلتزم باجتنابها.

د- ومن مظاهر الجمال التعبيري، التزاوج والامتزاج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي في كل جمل الحديث، فالجملة تبدأ بالخبر المؤكد، وتنتهي بالنهي الجماعي عن التفريط في كل ما حث عليه رسول الله ﷺ من أوامر، أو نواهٍ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء فرائض الله تعالى وعدم إضاعتها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من انتهاك حدود الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الأسئلة التي تكون سببًا في جلب المشقة.

خامسًا: من آداب الداعية: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

(إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة في تقوية الكلام وإثبات صحته وبيان أهميته لدى المدعوين)[1]، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على أداء فرائض الله، وعدم إضاعتها، وعدم انتهاك حرماته، واجتناب السؤال عما سكت عنه تبارك وتعالى، ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها.. إلخ.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على أداء فرائض الله تعالى وعدم إضاعتها:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها)، (والفرائض هي ما فرضه الله على عباده وألزمهم القيام بها، كالصلاة والزكاة والصيام والحج)[2]، وقد حث الحق تبارك وتعالى على أدائها وعدم إضاعتها، فقال في حديثه القدسي: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ))[3]، قال ابن حجر: (يجوز في "أحب" الرفع والنصب ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله: افترضت عليه، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله. قال

---

(١) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الشرعية والعربية، العدد الأول ص ٢٧٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٥٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقربًا، وأيضًا فالفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به، امتثال الأمر واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من انتهاك حدود الله:

هذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث من قوله ﷺ: "وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها"، (والحدود جمع حد، وهو في اللغة المنع، ومنه سمي كل من البواب والسجان حدادًا، لمنع الأول من الدخول، والثاني من الخروج)[٢]، (وحدود الله التي نهى عن اعتدائها، هي جملة ما أذن في فعله، سواء كان على طريق الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه)[٣]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بعدم انتهاك حدوده فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[٤] (وقوله تعالى: "فلا تقربوها" أبلغ من قوله "فلا تفعلوها" لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليهما، وأما الأمر فيقول الله فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[٥] فنهى عن مجاوزتها)[٦]، وقد رهب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/١٢٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٦٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٧٠.

تعالى وحذر من تجاوز حدوده فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١) وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٢) وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾(٣) أي (بخسها حقها وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والآخرة)(٤).

وقد أكد النبي ﷺ على حفظ حدودالله وعلى عدم انتهاكها فقال: ((ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاه، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعرّجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم))(٥).

(أما المحارم، فهي التي حماها الله تعالى، ومنع من قربانها وارتكابها وانتهاكها)(٦) وقد حث الله تبارك وتعالى على اجتناب حرماته فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾(٧) قال جماعة من المفسرين ("حرمات الله" هاهنا مغاضبه، وما نهى عنه، و(تعظيمها)، ترك ملابستها، قال الليث: حرمات الله: ما لا يحل انتهاكها، وقال قوم: الحرمات هي الأمر والنهي، وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤.

(٣) سورة الطلاق، آية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٨٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٨٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٥).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٥٧/٢.

(٧) سورة الحج، آية: ٣٠.

القيام به، وحرم التفريط فيه، وقال قوم: الحرمات هاهنا المناسك ومشاعر الحج زمانًا ومكانًا"[١]، وقال ابن القيم: "والصواب أن الحرمات تعم هذا كله. وهي جمع "حرمة" وهي ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، فتعظيمها: توفيتها حقها وحفظها من الإضاعة"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: اجتناب الأسئلة التي تكون سببًا في جلب المشقة:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها"، قال ابن رجب: (وأما المسكوت عنه، فهو ما لم يُذكر حكمه بتحليل، ولا إيجاب، ولا تحريم، فيكون معفوًا عنه، لا حرج على فاعله...، وقوله ﷺ: "فلا تبحثوا عنها" يحتمل اختصاص هذا النهي بزمن النبي ﷺ؛ لأن كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر قد يكون سببًا لنزول التشديد...، ويحتمل أن يكون النهي عامًا، فإن كثرة البحث والسؤال عن حكم ما لم يذكر في الواجبات ولا في المحرمات، قد يوجب اعتقاد تحريمه، أو إيجابه، لمشابهته لبعض الواجبات أو المحرمات، فقبول العافية فيه، وترك البحث والسؤال عنه خير)[٣]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[٤] قال ابن كثير: (هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في سماعها)[٥] وقال ﷺ: ((أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته))[٦] قال ابن رجب: (والتحقيق في هذا المقام -والله أعلم- أن البحث عما لم يوجد فيه نص خاص أو عام على قسمين: أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالات

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٣/١٧.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٤/٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٦٣/٢، ١٧٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

النصوص الصحيحة من الفحوى، والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح، فهذا حق، وهو مما يتعين فعله على المجتهدين في معرفة الأحكام الشرعية، والثاني: أن يدقق الناظر نظره وفكره في وجوه الفروق المستبعدة، فيفرق بين متماثلين بمجرد فرقٍ لا يظهر له أثر في الشرع مع وجود الأوصاف المقتضية للجمع، أو يجمع بين متفرقين بمجرد الأوصاف الطردية التي هي غير مناسبة ولا يدل دليل على تأثيرها في الشرع، فهذا النظر والبحث غير مرضي ولا محمود ...، ومما يدخل في النهي عن التعمق والبحث عنه: أمور الغيب الخبرية التي أمر بالإيمان بها، ولم يبين كيفيتها، وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس، فالبحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعني، وهو مما نهى عنه، وقد يوجب الحيرة والشك، ويرتقي إلى التكذيب)[1]. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ))[2].

خامسًا- من آداب الداعية: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وسكت عن أشياء رحمة لكم" (يعني أنه إنما سكت عن ذكرها رحمة بعباده، ورفقًا، حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم على فعلها، ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها، بل جعلها عفوًا، فإن فعلوها، فلا حرج عليهم، وإن تركوها فكذلك)[3]، وفي ذلك بيان عظيم على رحمة الله وليس أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِسَبْيٍ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)) قُلْنَا: لاَ. وَاللّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((لَله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٧١/٢، ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦، ومسلم واللفظ له ١٣٤، ١٣٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٧٠/٢.

بوَلَدِهَا))[1]، وفي بيان الداعية لرحمة الله تعالى بعباده المؤمنين (تكن معرفته تعالى معرفةً توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلُّقَ القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وفي ذلك لذة الدنيا والآخرة)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٧٥٤.

(٢) انظر: الفوائد، ابن القيم، ٢٤٥.

الحديث رقم (١٨٣٥)

١٨٣٥- وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنهما، قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأكُلُ الجَرَادَ[1].

وَفِي رِوَايةٍ[2]: نَأكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ. متفق عليه.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الموجز بعض اللمحات والإشارات التي تفيد حرص صحابة رسول الله ﷺ على أن يكونوا مع رسول الله ﷺ في العسر واليسر، والضيق والفرج، والشدة والرخاء، وأول اختبار للإنسان في مواجهته للشدائد، هو قدرته على تحمل الجوع، والاكتفاء بما يسد الرمق، فمن كثر تفكره قل مطعمه، ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه، وقالوا: لاتدخل الحكمة معدة ملئت طعامًا، ومن قل طعامه قل شرابه، وخف منامه، ومن خف منامه ظهرت بركة عمره، فإذا اكتفى الإنسان بدون الشبع حسن طيب بدنه، وصلح حال نفسه وقلبه.

وفي ضوء هذه الخصائص والسلوكيات، التي أشرقت في حياة الصحابة وهم يقتدون برسول الله ﷺ في منهجهم الحياتي، وفي بعدهم عن الإسراف في الطعام والشراب: نقرأ ما يشع به هذا الحديث الشريف من دلالات وموحيات، ونقتبس منه الفوائد والدروس والعظات النيرات، فالحديث يبدأ بصيغة الجمع المتكلم على لسان الراوي الأعلى عبدالله بن أبي أوفى، حيث يقول غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد، فالسلوك جماعي وليس سلوكًا فرديًا، وهم في جهاد وكر وفر، وإقبال وإدبار، ومجاهدة، ومغالبة، وعلى الرغم من ذلك لا يشغلون أنفسهم بألوان

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٥٢/٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٩٥.

الطعام، ولا أصناف الشراب، وإنما يكتفون بأكل الجراد، وهو يقيم الأود، ولكنه لا يدل على الترف والتنعم، وقوله، مع رسول الله ﷺ يفيد شرف الصحبة، وسمو القدر في ظلال هذه المعية، مع القدوة المثلى واستمدادهم العزم والشجاعة، والحمية، والعزيمة من إقدام رسول الله ﷺ، وشجاعته وزهده، وعدله، وورعه، وثباته في ساحات الوغي، وموقع جملة : نأكل الجراد، يحدد المراد، ويجلي الدرس المقصود فالجملة: في موقع الحال، وصيغة المضارع والتحدث بلسان الجمع، يفصح عن استمرار هذا الحال في هذه الغزوات، وهم راضون، صامدون، موحدون، مستبشرون، محصنين بقول الله عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم أكل الجراد: أجمع المسلمون على إباحة أكل الجراد[2].

٢- حكم أكل الجراد الميت: ذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة والجماهير إلى أنه يحل أكل الجراد، سواء مات بذكاة أو باصطياد مسلم أو مجوسي، أو مات حتف أنفه، سواء قطع بعضه أو أحدث فيه سبب[3].

وذهب مالك في المشهور عنه، وأحمد في رواية إلى أنه لا يحل إلا إذا مات بسبب، فإنه يقطع بعضه أو يسلق، أو يلقى في النار حيًا، أو يشوى فإن مات حتف أنفه أو في

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٢/٥.

(٣) المبسوط، السرخسي ٢٢٩/١١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٦/٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٧٨/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣.

وعاء لم يحل[١].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لإطلاق الحديث إباحة أكل الجراد المذكى وغير المذكى، والميت والحي.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جهاد الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله وصبرهم على الشدائد.

أولاً- من وسائل الدعوة: الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قول عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، (والجهاد في سبيل الله هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والدعاء إلى دين الحق)[٢] (وهو من كمال الإيمان وحسن الإسلام، فيه تمحيصٌ للقلوب واختبارٌ للنفوس، وبه ينال العبد أعلى الجنان، ويقرب من عرش الرَّب الرَّحمن، وهو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين)[٣]، حث عليه الحق فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] (أي هذا خير لكم في الدنيا والآخرة)[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ

---

(١) المدونة الكبرى، مالك الأصبحي ٥٣٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ١٠١، التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ١١٢.

(٣) انظر: نضرة النعيم ١٥٠٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٨/٤.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١] (وأصل الشراء بين الخلق أن يُعَوَّضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم، أو مثلَ ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوَّض ولا يقاس به)[٢]، (فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء، فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنَّوال، فسمَّى هذا شراءً، وقوله تعالى "فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به" أي: أظهروا السرور بذلك ... قال الحسن: والله ما على الأرض مؤمن إلا يدخل في هذه البيعة "وذلك هو الفوز العظيم" أي: الظفر بالجنة والخلود فيها)[٣].

(وقد وضع الجهاد المسلمين أمام واجب مفروض، وهو الدعوة إلى الله وقتال من يصد الدعوة أو يقف في طريقها، وفي ذلك دعامة مؤثرة، لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب ...، وقد تعرضت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، بادعاء أن جهادها كان ظالمًا قائمًا على الاعتداء والغدر، وهذا افتراء واضح، لأن الجهاد الإسلامي لمن يكن إلا ردًا لظلم ودفعًا لعدوان، وحماية للدعاة في حياتهم وعملهم، والجهاد الإسلامي في جملته يخضع للمبدأ العام الذي يتفق مع الفطرة، ذلك هو مبدأ الدفاع وهو مبدأ ثابت)[٤]، يقول تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، فقد كان الجهاد ولا يزال من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جهاد الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله وصبرهم على الشدائد:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول الراوي: (غزونا مع رسول الله ﷺ سبع

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/١٠٠٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٣٩٠.

(٤) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ص ٢٦٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

غزوات نأكلُ الجراد)، وفي بيان جهادهم وصبرهم رضي الله عنهم على ذلك قال أبو الزبير عن جابر رضي الله عنهما: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ. نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ. وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. قَالَ فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ. ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ. فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ. وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ. ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ...))[1].

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا، والتقلل منها، والصبر على الجوع وخشونة العيش، وإقدامهم على الغزو مع هذه الحال)[2]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: ((وَاللّهِ إِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ . وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللّهِ، مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ. حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ. لَقَدْ خِبْتُ، إِذًا ، وَضَلَّ عَمَلِي))[3].

قال النووي: (في قوله "الحبلة"، و"السمر"، وهما نوعان من شجر البادية، وقيل: الحبلة: ثمر العضاة..، وفي هذا بيان في طاعة الله تعالى على المشاق الشديد)[4].

ومما لا شك فيه أن جهاد الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على القيام به، مع ما كان بهم من ضيق عيش، لدليل على استجابتهم لأمر الله ورسوله، فضلاً عن تمثيلهم للقدوة الحسنة التي تشرئب إليها النفوس، وتقتدي بها الأجيال في نصرة ربهم وإعزاز دينهم.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٢٨، ومسلم ٢٩٦٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧١١.

الحديث رقم (١٨٣٦)

١٨٣٦- وعن أبي هريرة ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((**لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**)). متفق عليه(١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الإيجاز: هو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهو كما يقول الأديب أحمد حسن الزيات غالب على أسلوب الرسول ﷺ، لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح، وقوة الشعور، وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه، حتى عدت من خصائصه ﷺ.

وهذا الحديث يجري مجرى المثل، وهو حكمة نبوية تصدر عنها أضواء الخبرة الحياتية، وتلقى بظلالها على سلوك كل مؤمن ليكتسب الوعي الراشد، والبصيرة النافذة، والفراسة المؤمنة، والفطانة الراصدة، والكياسة الناقدة.

والحديث يجسد صورة تتكرر في الحياة وتنبئ عن الغفلة التي يقع فيها السُّذَّج، ولا يتعلمون الدروس والخبرات السابقة، وفي إطار الكناية تأتي الصورة التعبيرية في هذا الحديث، فالصورة الكنائية يسكت فيها عن المعنى الحقيقي، ولا تأتي إلا بتذوق الطبقة الحسية في الكناية، حتى تتسنى معرفة المومأ إليه خلف الستار اللغوي الجمالي، والكناية ضرب من الغموض الفني الذي تحصل بعد كشفه متعة كبرى، وهي جزءٌ من الاستعارة كما يقول ضياء الدين بن الأثير، وفي هذا الحديث: استعيرت لدغة الأفعى للشر المفاجئ والصدمة العنيفة مما صار يتمثل مرئيًا في جحر الأفعى،

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٣٣، ومسلم ٢٩٩٨/٦٣ ولفظهما سواء.

والمستعار له هو الإنسان الذي ينبغي أن يظل حذرًا، وهذه الصورة الحسية الاستعارية بطرفيها "الشر والأفعى" يراد بها الحذر، ولا يراد ما بالألفاظ الظاهرة، بل هي جسر مادي لغوي إلى الفكرة المقصودة[1].

وقيل المراد بالمؤمن الكامل، أي الذي أوقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذرها، وقال ابن بطال: فيه أدب شريف أدب به النبي ﷺ أمته، ونبههم كيف يحذرون مما يخافون من سوء عاقبته، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فطنة المؤمن وكياسته وعدم انخداعه مرتين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اتخاذ الحيطة والحذر.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية المهمة في إيقاف المدعوين على الحقائق، وتوجيههم إلى فعل ما غاب عنهم، وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ في أن يخدع المؤمن من جحر واحد مرتين، وما ذلك إلا لكياسته وفطانته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فطنة المؤمن وكياسته وعدم انخداعه مرتين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

قال ابن هبيرة: (يروى بضم الغين على معنى الخبر، وبكسرها على معنى الأمر، قال أبو سليمان الخطابي: وهو لفظ الخبر، ومعناه الأمر. يقول: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا لا يؤتى من ناحية الغفلة في الدين والدنيا، ومبتغيات الأمر أن العبد المؤمن ينظر ما يجري له من حركاته وسكناته، أن كلها من الله سبحانه وتعالى، فإذا أيقظه مرة لشأن ما، فينبغي له أن يكون فطنًا، ولا يتعرض لإيقاظ في العذر له مرة أخرى)[2].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦٩/٦.

(وقد كان سبب هذا الحديث أن النبي ﷺ أسر أبا عَزَّة الشاعر يوم بدر، فمنّ عليه، وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه، وأطلقه، فلحق بقومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، فأسره النبي ﷺ يوم أحد فسأله المنّ، فقال له النبي ﷺ: ((لاَ أَدَعُكَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ، وَتَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ))، اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه، قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال له رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ))[(1)].

قال النووي: (وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها، لئلا يقع فيها ثانية فالكيس الحازم الذي لا يستغفل، فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك)[(2)]، (ومما لا شك فيه أن الإيمان لا يتفق والغفلة، بل يقتضي الحذر والحيطة، وأن أولئك الذين يضحك عليهم ولا يتعظون بالماضي، ولا يستفيدون من التجارب، لم يكمل الإيمان بعد في نفوسهم وإن كانوا قائمين برسوم العبادة، فالمؤمن كيس حذر، من خلقه الاعتبار بكل بلاء، ولعلّ مستمد هذا الحديث من القرآن في قوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[(3)]، وقوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[(4)]"[(5)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: اتخاذ الحيطة والحذر:

هذا مما أكد عليه نص الحديث وسياقه. واتخاذ الحيطة والحذر هو توجيه إلهي للرسول ﷺ، وواجب يأثم المسلمون بتركه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/١١٠ - ١١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢٠.

(٣) سورة يوسف، آية: ٦٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٦.

(٥) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٧.

حِذۡرَكُمۡ﴾(١)، قال السعدي في ذلك: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين، هذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب التي يستعان على قتالهم، ويستدفع بها مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم ومكرهم، والنفير في سبيل الله)(٢)، وقال القرطبي: (وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال)(٣).

وقال تعالى تأكيدًا لأهمية الحيطة والحذر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾(٤).

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: "ود الذين كفروا" (أي: تمنّى وأحبّ الكافرون غفلتكم عن أخذ السلام ليصلوا إلى مقصودهم، وفي هذه الآية أدلُّ دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل إلى السلامة، ويبلغ دار الكرامة)(٥).

(وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في اتخاذ الحيطة والحذر، وذلك في جوانب الدعوة المختلفة وبكفاءة عالية كعادته، وكان ﷺ يتخذ من التدابير الأمنية والتحوطات العسكرية، ما يتفادى به إتاحة الفرصة للعدو لينال من المسلمين، أو

---

(١) سورة النساء، آية: ٧١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٥٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٩/٧.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٢/٥/٣.

بياغتهم، وكان ﷺ يقظًا حذرًا قد حسب لكل شيء حسابه، ولم يقتصر في حيطته على الحذر من أعدائه وتحركاتهم العسكرية وغيرها، بل احتاط في تربية أصحابه والحفاظ على سلامتهم الفكرية والعقيدية، يشير إلى ذلك غضبه على عمر رضي الله عنه عندما رأى في يده صحيفة من التوراة وقوله له: ((أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتْبَعَنِي))[2]. واحتاط ﷺ أيضًا من أن تتسرب إلى سلوكيات أصحابه بعضُ المنهجيات الخاطئة، والتصرفات المبتدعة، فنهى الثلاثة الذي عقدوا العزم على ترك الزواج والنوم والطعام، فخطَّ لهم منهجًا صحيحًا وقال لهم: ((هَذِهِ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[3].

واحتاط أيضًا في مواقف متعددة، من أن يتسرب إلى نفوس أصحابه ما يسبب انهيار معنوياتهم الجهادية والقتالية، فكان يريد إيصال الخبر السيء لهم عن طريقه، وبصياغته صياغة لا تَفُتُّ في عَضُدِ المسلمين، أو تُوهِنُ قوتهم وتخلخل صفهم. ففي غزوة الأحزاب أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة إلى بني قريظة ليتأكدوا له من صحة الخبر الذي مفاده: نقضهم العهد وانضمامهم إلى الأحزاب فقال لهما: ("الحنوا لي لحنًا أعرفه"[4] ولا تفتوا في أعضاد المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس. فلما رجعوا من عند اليهود بعد تأكدهم من غدرهم قالوا له: عَضَلٌ والقارةُ. أي كغدرهم بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: ((اللهُ أكبر، أَبْشِرُوا يَا

---

(١) قال ابن الأثير: التهوك كالتهور، وهو: الوقوع في الأمر بغير رويّة. والمتهوك: الذي يقع في كل أمر. وقيل: هو التحير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ك).

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٨٧، رقم ١٥١٥٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لضعف مجالد ٢٢/٣٤٩، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١/٤٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٤) قال ابن الأثير: الحنوا لي لحنًا اعرفه: أي أشيروا إليّ ولا تفصحوا، وعَرِّضوا بما رأيتم، النهاية في غريب الحديث والأثر في (ل ح ن).

مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ))[(١)][(٢)].

بل كان من عظيم حيطته ﷺ وحذره في ذلك، أن أرسل حذيفة بن اليمان ليعلم خبر قريش، فعن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: ((كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللّهِ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفعَلُ ذلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ[(٣)]. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: قُمْ. يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا، إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: اذْهَبْ. فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[(٤)]، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ. فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللّهِ : وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ. فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، ... إلخ))[(٥)].

قال النووي: (وفي هذا الحديث أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو والله أعلم)[(٦)]، وما ذلك إلا لكمال الحيطة والحذر.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٣٧-٣٨، السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٢٢٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٩٢-٩٣.

(٣) قر: بضم القاف هو البرد، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٤٥.

(٤) كانما امش في حمام: يعني أن حذيفة رضي الله عنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ وذهابه به فيما وجهه له، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٤٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٥٨.

(وكان من حيطته ﷺ وحذره أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود وخطهم، من أجل أن يكتب له كتبه التي يوجهها إليهم، ويقرأ عليه كتبهم التي يرسلونها له، لأنه ﷺ لا يطمئن لترجمة اليهود ولا لكتابتهم له، خشية إضافتهم ما لا يرضاه أو تحريفهم لما يقرأونه عليه.

فعن زيد بن ثابت ((أنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَهُ أن يتعلمَ كتابَ اليهود ، حتى كتبتُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم كتبَهُ، وأقرأتُهُ كتبهم إذا كتبوا إليه))[1] وفي رواية: ((أمرني رَسُولُ الله ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وقَالَ: إنِّي والله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي فَتَعَلَّمْتُهُ فلَمْ يَمُرُّ بي إلاَّ نِصفَ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أكْتبُ لَهُ إذَا كَتَبَ، وأُقْرأُ له إذَا كُتِبَ إلَيْهِ))[2].

وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكرنا. والذي نستفيده مما تقدم أن الرسول ﷺ استخدم جانب الحيطة والحذر كسبب من أسباب النصر والنجاح، وسبب من أسباب تجنب ضرر العدو، حيث لم يُفاجأ بحادثةٍ أو غارة لشدة حذره ويقظته، كما وإن هذا الأسلوب هو سبب مباشر في نجاح خطته وتحركاته، وعامل من عوامل إفشال خطط العدو وإجهاضها)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٩٥.

(٢) أخرجه أبوداود ٣٦٤٥، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٨).

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٩٥-٩٦.

الحديث رقم (١٨٣٧)

١٨٣٧- وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بالفَلاَةِ يَمْنَعُهُ مِن ابْنِ السَّبيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَةً بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ[١] باللهِ لأَخَذَهَا بكذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إلاَّ لِدُنْيَا فَإنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ)) متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فضل ماء: زائد عن حاجته[٣].

الفلاة: الأرض التي لا أنيس بها[٤].

بايع إمامًا: عاهده وعاقده على طاعته وإخلاصه له[٥].

الشرح الأدبي

إن المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وهذا الحديث ينزع إلى ترسيخ العلاقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

لذلك نراه يعرض ثلاثة نماذج سلبية تنأى عن منهج الإسلام الصحيح، والصياغة اللغوية تفصح عن إدانة هذه النماذج التي عرض لها رسول الله ﷺ في أسلوب عربي مبين، وبيان جمالي فائق.

---

(١) عند مسلم زيادة: (له).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٥٨، ومسلم واللفظ له ١٠٨/١٧٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٦٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ض ل).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

فمطلع الحديث فيه تشويق وبراعة استهلال وإيجاز وإيحاء وذلك في قوله: "ثلاثة"، ثم وصف هؤلاء الثلاثة بأربع صفات تحدد مصيرهم، وملامح عقابهم يوم القيامة، وهذه الصفات تشد المستمع وتؤثر في المتلقي، وتدفعه للسؤال: مَنْ هؤلاء الثلاثة؟، وما هي السيئات التي اقترفوها؟.

وفي قوله: ثلاثة: إيجاز، والتقدير: أصناف ثلاثة من الناس.

والجمل التي وصف بها هؤلاء تتسم بالتوازي الأسلوبي، والتنسيق التركيبي، فكلها يتصدرها حرف النفي "لا" وكلها أفعال مضارعة تبدأ بالياء، وكلها متصلة بضمير الجمع الغائب: هم، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا.

وهذا التوافق في الصياغة يحدث إيقاعًا وانسجامًا وتأثيرًا صوتيًا ودلاليًا ونفسيًا ينتبه له السامع.

والجملة الرابعة، صيغت في قالب الجملة الاسمية "ولهم عذاب أليم" للدلالة على ثبات العذاب ورسوخه.

وتقديم الجار والمجرور "لهم" يفيد وقوع العذاب عليهم، وأنهم يستحقون ذلك، ولن يتجاوزهم، والمراد من قوله "لا يكلمهم الله"، أي: كلام بر وإلطاف، وكذلك "لا ينظر الله إليهم"، نظر رحمة وإسعاف، والمراد من قوله: "ولا يزكيهم" أي: لا يطهرهم من الذنوب.

والنموذج الأول: وصف بأنه يمنع الماء عن ابن السبيل وهو ظامئ بالصحراء، وهذا الماء زائد عن حاجة صاحبه، وقوله: "فضل ماء"، وتحديده بالفلاة، ووصفه بالمنع، والممنوع عنه تائه لا زاد له ولا ماء: وهو ابن السبيل، هذه المحددات تضاعف من حجم الجرم، وتصور الشح والبخل، وبالتالي يتضاعف العقاب المنصوص عليه.

وكذلك في النموذج الثاني: الذي يتصف بالكذب والخداع، نجد مؤثرات لغوية: وذلك في قوله: "بايع" للدلالة على المشاركة، والباء في "بسلعة" مزيدة للتأكيد، وقوله: "بعد العصر" تحديدًا لهذا الوقت لشرفه باجتماع ملائكة الليل والنهار فيه، وخص لعظم الإثم فيه، وأسلوب القصر في النموذج الثالث في قوله "لا يبايعه إلا لدنيا"، يؤكد

عدم الإخلاص في البيعة، فقد قصرها على المطامع والمكاسب الدنيوية، وأسلوب الشرط في الجملتين الأخيرتين يجلى هذه البيعة المرذولة، ويكشف نية المبايع المدخولة، حيث يقول: "فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف"، وكرر مادة العطاء، ولفظ: "منها" للإفصاح عن رغبة المبايع وطمعه في العطاء الدنيوي، وهذه النماذج المرفوضة جزاؤها: أن الله لا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان غلظ تحريم منع فضل الماء من ابن السبيل وشدة قبحه، فإذا كان من يمنع فضل الماء للماشية عاصيًا، فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم، فلو كان ابن السبيل غير محترم كالحربي، والمرتد لم يجب بذل الماء له[١].

٢- فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة، فإذا أخذ حاجته لم يجز منع ابن السبيل[٢].

٣- في الحديث وعيد شديد في نكث البيعة، والخروج على الإمام لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من منع الناس الماء وخطر ذلك يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف الكاذب والخداع في البيع.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من مبايعة الإمام لغرض دنيوي.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٩١٧/٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/١٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

الإجمال والتفصيل من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، لمعرفة ما يعقب الإجمال من تفصيل، وهذا ما ورد في الحديث من إجماله ﷺ في قوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"، ثم إعقابه ﷺ بتفصيل ذلك في قوله: "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل... إلخ". (وقد ورد الإجمال والتفصيل كأسلوب بلاغي رفيع في القرآن الكريم في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[1] فتتشوق النفوس، وتتطلع الأفئدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[2])[3].

وفي ذلك بيان لأهمية الإجمال والتفصيل، كأسلوب دعوي في إيصال المعنى كاملاً إلى أذهان المدعوين بعد لفت انتباههم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من منع الناس الماء وخطر ذلك يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم -ثم ذكر ﷺ من ذلك-: "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل"، قال النووي: (معنى لا يكلمهم، أي: لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب. وقيل: المراد: الإعراض عنهم. وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، وقال الزجاج وغيره: معناه: لا يثني عليهم، ومعنى عذاب أليم: مؤلم، قال الواحدي: هو

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ٥٣.

العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه، قال: والعذاب كل ما يعي الإنسان ويشق عليه. قال وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع، يقال: عذبته عذبًا إذا منعته، وعذب عذوبًا أي امتنع، وسمى الماء عذبًا لأنه يمنع العطش، فسمي العذاب عذابًا لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله، والله أعلم)[١].

وقد كان هذا الترهيب والعذاب العظيم لثلاثة أصناف من المدعوين، منهم "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل".

قال ابن هبيرة: (يعني أنه بالفلاة التي هي غير مملوكة، لأن حكم ما في الأرض المملوكة يخالف حكم غيره؛ لأن لصاحب الأرض المملوكة أن يمنع الدخول إليها، فإذا كان في فلاة فليس لأحد أن يتخصص به، وعلى هذا لم يمنع هذا بأن يأخذ حاجته من ابن السبيل المحتاج إليه؛ فكان هذا قد منع فاضلاً عن حاجته إنسانًا محتاجًا إلى ذلك الفاضل)[٢].

(والمراد بابن السبيل: المسافر المحتاج إلى الماء)[٣]، قال النووي: (ولاشك في غلظ تحريم ما فعل وشدة قبحه، فإذا كان من يمنع فضل الماء للماشية عاصيًا فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم؟)[٤] (لكن يستثنى منه الحربي والمرتد إذا أصرا على الكفر فلا يجب بذل المال لهما)[٥]، وقد حث النبي ﷺ على بذل المال وعدم منعه، فقال ((الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلأ وَالنَّارِ. وَثَمَنُهُ حَرَامٌ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: يَعْنِي الْمَاءَ الْجَارِيَ))[٦] وعنه ﷺ أنه قال: ((ثَلاَثٌ لاَ يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ وَالْكَلأُ وَالنَّارُ))[٧] (والناظر في هذه الأشياء يجد أن النبي ﷺ يجمع بينها من أجل أنها أشياء ضرورية

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٧/٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢١٥/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٢١٥/١٣.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٢، وصححه الألباني دون قول وثمنه حرام (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٤).

(٧) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٥).

لجميع الناس في عهده ﷺ وأنه لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص، وإذا كانت الضرورات في حياة الناس تختلف باختلاف الزمان وباختلاف المجتمعات، فإنه لا يوجد ما يمنع من أن يقاس على هذه الأشياء أشياء أخرى، تتوافر فيها صفاتها، وهذا ما فعله الأئمة المجتهدون في الأمة الإسلامية، عندما قاسوا على هذه الأشياء أمورًا أخرى من أهمها المعادن - سواء أكانت صلبة أم سائلة- والنفط "البترول" والقار والكبريت والياقوت وأشياء أخرى)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف الكاذب والخداع في البيع:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ورجل بايع رجلاً سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك"، (واليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، هي اليمين الغموس التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع الحقوق وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله. ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٢] ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الكبائرُ الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[٣])[٤].

وفي بيان اختصاص وقت العصر بحرمة الحلف الكاذب في البيع قال ابن هبيرة: (وقوله: "رجل بايع رجلاً بعد العصر"، وتلك هي الصلاة الوسطى التي أمر بالمحافظة

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام، د. فتحي أحمد عبدالكريم، د. أحمد العسال، ٦٦-٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٩٨.

(٤) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، ٣٨٨.

عليها، وذلك الوقت وقت فراغ أصحاب الأعمال، واجتماع الأندية وشهود الناس، فإذا حملت إنسانًا جرأته على الله تعالى أن يحلف به كاذبًا في مشهد من المسلمين؛ فقد تعرض لسخط الله)[١].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت، لأن الله عظّم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها، فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤًا، فإن تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من مبايعة الإمام لغرض دنيوي:

(الإمام هو من يؤم الناس ويقتدى به في أمور الدين والدنيا، والمراد به هنا إمام المسلمين وحاكمهم)[٣]، قال الماوردي: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا... وهي نظام واجب بالإجماع، يقيمه بعضهم على العقل، وذلك لأنه لولاه لكان الناس فوضى مهملين، وهمجًا ضائعين، ويقيمه بعضهم على الشرع دون العقل، وذلك لأن أول اختصاص للخليفة حفظ الشرع، فتعيّن الإمام واجب حتم على الجماعة الإسلامية)[٤]، ومبايعته من أجل مال ودنيا دون ملاحظة المقصود الأسمى والغاية العظمى في ذلك، يكون به إثارة الفتنة، وتفريق وضياع الأمة، واستحق من يفعل ذلك شدة العذاب وبؤس العقاب، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". ثم ذكر ﷺ من ذلك "ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف".

قال ابن هبيرة: (وقوله: "بايع إمامًا لدنيا" يعني: لأجل دنيا، فهو ينوي وقت بيعه أنه إن أعطاه من الدنيا وفى له، وإن لم يعطه منها لم يف له؛ فذلك الذي لا ينظر الله إليه، فأما

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٧/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١٢ - ٢١٦.

(٣) القيادة والجندية في الإسلام، القسم الأول: "القيادة"، د. محمد السيد الوكيل، ص ٢٤.

(٤) انظر: الأحكام السلطانية ٥.

إذا بايعه قاصدًا بذلك الحق، وجمع كلمة الإسلام؛ فإنه لم يبق له خيار أعطاه أو منعه.

وفي هذا الحديث ما يدل على أن مبايعة الإمام ينبغي ألا تكون راجعة إلى الدنيا؛ بل إلى مصلحة الدين.

وفيه أيضًا: أنه لا يحل لأحد أن يغدر بمن يُبايعه؛ لأن المبايعة مفاعلة لا تكون إلا بين الاثنين؛ فإذا بايع الإنسان فقد بايع طاعته ونصره بثواب الله عز وجل، والمبايعة كحبل له طرفان: أحدهما في الدنيا، والآخر في الآخرة. فالإمام نائب عن رسول الله ﷺ، فإذا بايعه الناس فقد باعوه أنفسهم، يجاهدون بها في سبيل الله بين يديه، وأعطوه مقادتهم، وولوه أمرهم، وكان ثمن ذلك الجنة من الله سبحانه وتعالى، فعلق الرهن، وانعقد العقد، ولم يبق لعاقده فكاك منه في هذه الحياة الدنيا)[1].

وفي بيان سبب استحقاق الوعيد لمن بايع إمامًا لدنيا قال النووي: (وأما الذي بايع الإمام بالصفة المذكورة، فمستحق هذا الوعيد، لغشه المسلمين وإمامهم، وتسببه إلى الفتن بينهم بنكثة بيعته، لا سيما إن كان ممن يقتدى به والله أعلم)[2].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: وفي الحديث وعيد شديد في نكث البيعة والخروج على الإمام، لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، والأصل في مبايعة الإمام أن يبايعه على أن يعمل بالحق، ويقيم الحدود، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمن جعل مبايعته لمال يعطاه دون ملاحظة المقصود في الأصل، فقد خسر خسرانًا مبينًا، ودخل في الوعيد المذكور، وحاق به إن لم يتجاوز الله عنه، وفيه أن كل عمل لا يقصد به وجه الله، وأريد به عرض الدنيا، فهو فاسد، وصاحبه آثم)[3].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦.

الحديث رقم (١٨٣٨)

١٨٣٨- وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: ((بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ)) قالوا: يَا أبَا هُرَيْرَةَ أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قَالُوا: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أبَيْتُ. قالُوا: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أبَيْتُ. ((وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإنْسَانِ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، (ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ)[١])). متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أبيت: امتنعت عن القول بتعيين ذلك[٣].

البقل: نباتٌ يتغذى به الإنسان[٤].

عجب الذنب: العظم الذي في أسفل الظهر عند العجز[٥].

الشرح الأدبي

يجيء هذا الحديث في قالب حواري مشوق، والحوار بين أبي هريرة رضي الله عنه وبعض الصحابة، ولم يحددهم الحديث لأن العبرة هنا بمعرفة بعض أخبار إرهاصات يوم القيامة، وهذا شأن يهم كل مسلم للاتعاظ والعبرة، والاستعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون: إلا من أتى الله بقلب سليم، والتقديم والتأخير في قوله: بين النفختين أربعون، للتنبيه والإيقاظ: وللتساؤل عن النفختين ما هما: وما هي الأربعون: وكل ذلك لإيقاظ الحاسة الإيمانية لدى كل مسلم: حتى يتعرف على مشاهد يوم القيامة، ففي ذلك عبرة

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٤٩٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٨١٤، و٤٩٣٥، ومسلم ١٤١/٢٩٥٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤١٤/٨.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ق ل).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج ب).

لأولي الألباب، والنفختان هما: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وفي ذلك إشارة إلى الآية التي وردت في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الحواري: النداء والاستفهام في قول الصحابة يا أبا هريرة: أربعون يومًا أي أأربعون يومًا، وحذفت الهمزة للإيحاء باللهفة والتسرع والتشوق لمعرفة نوعية الأربعين.

والتكرار في صيغة السؤال مع تكرار إجابة أبي هريرة رضي الله عنه: حيث قال: أبيت، ثلاث مرات، وهم يعيدون عليه السؤال: أربعون يومًا، أربعون شهرًا، أربعون سنة، هذا التكرار يكشف عن حرص الصحابة على معرفة حقيقة تمييز العدد، ومعرفة الزمن الذي يكون بين النفختين، ولكن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: أبيت، ومادة أبى اللغوية تفيد الامتناع والإصرار على ذلك بدافع الورع والخشية: لأنه لا يعلم ذلك إلا الله، وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، وقال بعض العلماء: إنها أربعون سنة.

والجزء الثاني من الحديث: يسيطر عليه الأسلوب الخبري: للتوضيح والتفصيل، وقدم الفعل يبلى، للإفادة بأن البلى والفنا هما مصير الإنسان، حتى لا يتوهم أنه من الخالدين، وتغره الأماني، ويغره الشيطان الرجيم، والاستثناء في قوله: إلا عجب ذنبه: للإفادة بأنه سيبقى: أول ما يخلق من الآدمي، وهو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب: وهو رأس العصعص.

والصورة التشبيهية في ختام الحديث لتقريب الحقيقة إلى الأفهام.. وهي توضح كيف يعيد الله الخلق: يقول تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2]، فرأس العصعص هو الخلية التي تبقى ليعود الإنسان من خلالها كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧، ١٨.

وما أدق هذه الصورة وما أوفاها: ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، قال ابن فارس: البقل: هو كل نبات: اخضرت به الأرض.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح وعدم الخوض فيما لا يعلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للنفختين وما بينهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن فناء كل جسم الإنسان إلا عجب الذنب ثم إنباته ثانية.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح وعدم الخوض فيما لا يعلم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في بيانه ﷺ لما بين النفختين من أربعين، وأن كل إنسان يبلى منه كل شيء إلا عجب الذنب، فيه يركب الخلق، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، (وقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، قال الطبري: (هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يُقَالُ: مَثَلُ علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب. وكان يقول: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع، هذا رجل علم علمًا فعلمه، وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيرًا فحفظه ووعاه، وانتفع به)[2].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[3]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[4]،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/٢٩٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

ويجب على الداعية عدم الخوض فيما لا يعلم وامتناعه عن الكلام فيه، وهذا ما ظهر في الحديث من (امتناع أبي هريرة رضي الله عنه من تفسير الأربعين بسنة أو شهر أو يوم، وقوله "أبيت" عند سؤالهم إياه عن ذلك في المرات الثلاث؛ فإن قوله "أبيت" إخبار عن نفسه بالإباء، ولعله: أبيت أن أخبر بشيء أنا على غير يقين منه، وليس هذا مما خصَّصتكم به الآن، وإنما هو عادتي من قبل ألا أذكر إلا بما أتيقنه)[١]، وقال ابن حجر: (أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقف)[٢]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٣]، قال ابن كثير: (قال قتادة: أي: لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للنفختين وما بينهما:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "بين النفختين أربعون" قال القرطبي: (يعني: نفختي الصعق والبعث، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٥])[٦] (والصور: قرن من نور ينفخ فيه، النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء ...، والأمم مجمعة على أن الذي ينفع في الصور إسرافيل عليه السلام)[٧] وقد أكد النبي ﷺ على نفختي الصعق والبعث فقال: ((ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا. قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرْسِلُ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٩/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٤/٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٥.

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٦/٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٩/١٥/٨.

اللَّهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ (نُعْمَانُ الشَّاكُّ) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ))[1]. وقال القرطبي في قوله تعالى "فإذا هم قيام ينظرون" (أي: فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم، وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون. وقيل: قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به، وقيل: هذا النظر بمعنى الانتظار؛ أي ينتظرون ما يفعل بهم)[2].

وقد بيّن النبي ﷺ أن بين النفختين أربعين، فقالوا: يا أبا هريرة! أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، وفي بيان ذلك قال النووي: (معناه: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنة أو شهر، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة)[3].

وقال ابن هبيرة: (فإن الأظهر في قوله ﷺ "ما بين النفختين أربعون" أن تكون سنين لا أيامًا ولا شهورًا، فإن النفخة من جملة آيات الله سبحانه؛ لأن أضعف ما يكون من بطش الآدمي هو النفخ، فأعلمنا رسول الله ﷺ بما نعرفه فيما بيننا أن أضعف ما ترون من بطش الآدمي أن ينفخ، فهذه النفخة يموت بها الخلق كلهم، ثم ينفخ أخرى في الموتى بأسرهم، ردًا بذلك على من زعم أن الموت أو الإحياء يكون من تأثيرات الطبع، فلما أميت الخلائق بالنفخ، وأحيوا بالنفخ، استدل بذلك المؤمنون على بطلان ما زعمه الطبائعيون، وهذا أمر يراه الكفار يوم القيامة رؤيا عين، فيصدقون به حين لا ينفعهم تصديقهم.

... إلا أنا إن صرفنا ما بين النفختين إلى أربعين سنة؛ فإنه من حيث إن بلوغ الإنسان أشده يكون في أربعين سنة كما قال الله عز وجل[4]، وإن قدرناه باليوم فالحديث

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٣/١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٤) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [سورة الأحقاف، آية: ١٥].

الصحيح: ((يُجمَعُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا، ثم علَقةً مِثلَ ذلك))[1] فكل طور من الأطوار أربعون يومًا)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن فناء كل جسم الإنسان إلا عجب الذنب ثم إنباته ثانية:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب فيه يركب الخلق ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل"، قال ابن هبيرة: (وأما عجب الذنب، فهو العظم الذي يجد اللامس سنه في وسط الوركين، وهو العصص)[3]، وقال النووي: (أي: العظم اللطيف في أسفل الصلب وهو: رأس العصعص ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه)[4]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ. مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ))[5]، قال النووي: (وهذا مخصوص فيخص منه الأنبياء عليهم السلام فإن الله حرم على الأرض أجسادهم)[6].

وقد ألحق "القرطبي"[7] بهم المؤذن المحتسب لقوله ﷺ ((المؤذِّنُ المحتَسِبُ كالشَّهيدِ المتَشَحِّطِ في دَمِهِ، وإِنْ ماتَ لم يُدَوِّدْ في قَبْرِهِ))[8].

وقد اجتهد العلماء في معرفة الحكمة من إبقاء عجب الذنب. فقال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢١، ٣٠٣٦، ٧٠١٦، ومسلم ٢٦٤٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٨/٦-٣٤٩.

(٣) المرجع السابق ٣٢٨/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٩٥٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٧/٧.

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٥٥٤/١٢. قال الهيثمي في المجمع ٣/٢. وفيه محمد بن الفضل القسطاني ولم أجد من ذكره.

العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء الإنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص، ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد، وقوله في الحديث: "ويبلى كل شيء من الإنسان"، يحتمل أن يراد به يفنى أي تعدم أجزاؤه بالكلية، ويحتمل أن يراد به يستحيل فتزول صورته المعهودة فيصير على صفة جسم التراب، ثم يعاد إذا ركبت إلى ما عهد)[1].

وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ: "ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل" قال القرطبي: (وقوله: "ثم يُنزل الله من السماء ماءً" يعني به بعد نفخة الصعق ينزل هذا الماء الذي هو "كمني الرجال"[2]، فتتكون فيه الأجسام بقدرة الله تعالى، وعن ذلك عبّر بقوله: فينبتون كما ينبت البقل، فإذا تهيَّأت الأجسام، وكملت، نفخ في الصور نفخة البعث، فخرجت الأرواح من المحال التي هي فيها. قال بعضهم: فتأتى كل روح إلى جسده فيحييها الله تعالى، كل ذلك في لحظة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[3])[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٥/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٠.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٦/٧.

الحديث رقم (١٨٣٩)

١٨٣٩- وعنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَومَ، جَاءَ أعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: **أيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**)) قال: هَا أنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قال: ((**إذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**)) قال: كَيفَ إضَاعَتُهَا؟ قال: ((**إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غَيْرِ أهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وُسِّدَ: أسند[2].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث حوارًا في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ وقد كانت مجالسة ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، ولذلك كانت تلك المجالس توجب أصحابه رقة القلوب، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

وهذا المجلس مشهد من مشاهد السيرة النبوية الجليلة، والمشهد يبدأ بوصف الراوي لمجيء الأعرابي وقت حديث رسول الله ﷺ للقوم، وانشغاله بذلك، ولم يستأذن الأعرابي لبداوته وغلظته: وكلمة: "أعرابي": توحي بذلك، ولم يقل جاءه رجل، لأن الأعرابي لم يألف عادات الحضر، ولم يتعود على الاستئذان والانتظار، وقد اقتحم المجلس وقال: متى الساعة؟ ومن أدب الحوار، وأدب السؤال أن يظل المرء صامتًا مصغيًا حتى ينتهي المتحدث من حديثه، ثم يسأل، والأعرابي لم يفعل ذلك، ومن هنا ندرك سر

---

(١) برقم ٥٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (و س د).

إعراض الرسول ﷺ عنه، وهذا يتضح جليًا في قوله الراوي في صيغة إخبارية فمضى رسول الله ﷺ يحدث، وجملة يحدث: في موقع الحال: وهي كذلك في بداية الحديث: "يحدث القوم" تصف حالة الرسول ﷺ وهو في مجلسه مشغول بحديث الذكر والعبادة، وتعليم المسلمين ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وينبثق حوار جانبي بين الجالسين من خلال هذا المشهد تفسيرًا لهذا الإعراض، فقال بعضهم: سمع ما قال: فكره ما قال: وفي هذا الكلام إيجاز حيث حذف الفاعل من الأفعال الأربعة، والتقدير سمع رسول الله ﷺ ما قال الأعرابي، وكره رسول الله ﷺ ما قال الأعرابي، والحذف هنا يقتضيه المقام للعلم بالسامع والقائل، وكذلك لأن المقام لا يناسب كثرة الكلام، فالإصغاء إلى رسول الله ﷺ واجب شرعي، وقال بعضهم بل: وهي للإضراب عن التفسير السابق، وقالوا: لم يسمع، ويطل المشهد الثالث في هذا المجلس العامر: ويتأكد لدى الصحابة أن رسول الله ﷺ سمع، ولذلك قال بعد أن انتهى من حديثه: أين السائل عن الساعة، وفي ذلك تلطف من رسول الله ﷺ، وحسن معاملة، وقوله: ها أنا: للتنبيه عن نفسه، والنداء في قوله: يارسول الله للإفصاح عن تقديره لرسول الله ﷺ والاعتراف والإقرار بالرسالة، وعدم تشككه، ولكن السؤال حقيقي حتى يعرف ويفهم ما استغلق عليه.

وتأتي إجابة رسول الله ﷺ شافية كافية: فهو لم يحدد زمن قيام الساعة لأن ذلك علمه عند الله، وإنما ذكر بعض أمارات قيام الساعة، ومنها: تضييع الأمانة، وجاء ذلك في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا" وهي للتحقق، أي وقت أن تضيع الأمانة تضييعًا حقيقيًا، وقوله: "فانتظر" يوحي بأن ذلك من أمارات قيام الساعة، ويتسع صدر رسول الله ﷺ لمزيد من تساؤل الأعرابي، حين يقول: كيف إضاعتها؟ ويعيد رسول الله ﷺ الأسلوب الشرطي في إجابته مع أداة الشرط إذا فيقول: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة، وتكرار قوله "فانتظر الساعة"، للتأكيد على أن هذه الأمارات من الإرهاصات والنذر الحقيقية لقيام الساعة، والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه، فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة، وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره، لأن حق الأول مقدم[1].

٢- أخذ الدروس على السبق وكذا الفتاوى والحكومات وغيرها[2].

٣- مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح[3].

٤- فيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب[4].

٥- أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عبادة وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين، فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المجالس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان آداب العالم والمتعلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة تضييع الأمانة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المجالس:

هذا ما ورد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم)، فالمجالس من أهم الميادين الدعوية، في تحقيق الاتصال بين المسلمين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٤) المرجع السابق ١/١٧٩.

(٥) المرجع السابق ١١/٣٩١.

بعضهم بالبعض الآخر، لتوثيق الأخوة الإسلامية، وتقوية روابطها بين أفراد الأمة الواحدة، فضلاً عن إمكانية استغلالها في الدعوة من خلال التذكير بقيم الدين وشرعه، والتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى[1]، فحري بالدعاة أن يجعلوها طريقًا للإرشاد والدعوة إلى الله، وفي ذلك عظيم الأجر والفلاح.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان آداب العالم والمتعلم:

يستفاد هذا من قول أبي هريرة ﵁: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث ...، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ .. إلخ"، وقد أفرد البخاري لهذا الحديث "باب مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وهو مُشتغلُ في حديثه فأتمَّ الحديثَ ثُمَّ أجابَ السائلَ". قال ابن حجر: (وذلك محصلة التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة. وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعينًا ولا الجواب، وقد بين ابن حجر أن السؤال إن كان من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر الجواب كما في هذا الحديث، ولا سيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى ...، أما إن كان السائل به ضرورة ناجزة فتقدم إجابته، كما في حديث أبي رفاعة عند مسلم ((أنه قال للنبي ﷺ وهو يخطب: رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي عَنْ دِينُهُ، فتَرَكَ خُطْبَتَهُ وأتى بِكُرْسِيَ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يُعَلِّمُه، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[2].

أما المتعلم فقد بين ابن حجر أن من آدابه أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم)[3]، وكان من الآداب المتعينة على المتعلم والمستنبطة من نص الحديث هو تعظيم (العالم وتوقيره، فقد قيل: ما وصل من وصل إلا بالحرمة، وما سقط من

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٢١٦ - ٢٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧١-١٧٢.

سقط إلا بترك الحرمة - أي احترام العالم والعلم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنت عبد من علمك حرفًا واحدًا، إن شاء باع، وإن شاء أعتق، وإن شاء استرق ثم أنشد:

رأيتُ أحقَّ الحقِّ حقَّ المعلِّمِ ... وأوجبهُ حِفظًا على كلِّ مسلمِ

لقد حَقَّ أنْ يُهدَى إليهِ كرامةً ... لِتَعْليمِ حَرْفٍ واحدٍ ألفُ درهمِ

ومن توقير العالم ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، قال الشاعر:

إنَّ المعلمَ والطبيبَ كلاهُما ... لا يَنصحانِ إذا هُما لم يُكرمَا

فاصبرْ لدائِكَ إنْ جفوتَ طبيبهُ ... واقنعْ بجهْلِكَ إن جفوت معلمًا

وحكى أن الخليفة هارون الرشيد: بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب، فرآه يومًا يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الأصمعي في ذلك بقوله: إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة تضييع الأمانة:

هذا ما ورد في نص الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"، والأمانة لغة: ضد الخيانة[2]، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3]، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم كيف ترفع الأمانة من القلوب، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها: فعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم حديثين رأيتُ

---

(١) انظر: تعليم المتعلم طرق التعليم، الزرنوجي، ١٠٦-١٠٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٢/٢١ - ٢٢ مختصرًا.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر، حدَّثنا أن الأمانةَ نزلت في جَذر[١] قلوبِ الرجال، ثمَّ علموا منَ القرآن، ثم علموا من السُّنَّة، وحدَّثنا عن رفعِها قال: ((يَنامُ الرجلُ النَّومة فتُقبضُ الأمانةُ من قَلبهِ، فيَظلُّ أثرُها مثل أثرِ الوَكت[٢]. ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثلَ المجْل[٣]، كجمْرٍ دَحْرجتَهُ على رِجلكَ فنَفِط[٤]، فتَراهُ مُنتَبرًا وليسَ فيه شيء. فيُصبحُ الناسُ يَتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدِّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجُلاً أمينًا. ويقال للرَّجل ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَه، وما في قلبهِ مثقالُ حبةِ خَرْدَلٍ مِن إيمان. ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيُّكم بايعتُ، لئنْ كان مسلمًا ردَّهُ عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّه عليّ ساعيه، فأما اليوم فما كنتُ أُبايعُ إلا فلانًا وفلانًا))[٥].

(ففي هذا الحديث بيان أن الأمانة سترفع من القلوب، حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته لله، وضعف إيمانه، وخالط أهل الخيانة، فيصيرُ خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه. ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس من إمارة وخلافه وقضاء ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسييرها، والمحافظة عليها؛ لأن في ذلك تضييعًا لحقوق الناس، واستخفافًا بمصالحهم، وإيغارًا لصدورهم، وإثارة للفتن بينهم)[٦]، فإذا ضيّع من يتولى أمر الناس الأمانة -والناس تبع لمن يتولى أمرهم-؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاة صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم، ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون

---

(١) الجَذْر: الأصل من كل شيء، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤١/١١.

(٢) الوَكْت: أثر الشيء اليسير منه، انظر: المرجع السابق.

(٣) المجْل: أثر العمل في الكف إذا غلظ، انظر: المرجع السابق.

(٤) فَنَفِط: أي صار منتفطًا وهو المنتبر، يقال انتبر الجرح وانتفط، إذا ورم وامتلأ ماء، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/١٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٩٧.

(٦) انظر: قبسات من هدي الرسول ﷺ في العقائد، على الشربجي، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٣٩٨هـ، ص ٦٦، نقلاً عن أشراط الساعة، يوسف الوابل ص ١٣٠.

عند غلبة الجهل، ورفع العلم)[1]، ولهذا ذكر البخاري حديث أبي هريرة رضي الله عنه -الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .. إلخ - في كتاب: العلم؛ إشارة إلى هذا، وفي ذلك قال ابن حجر: "ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عن غلبة الجهل، ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط"[2].

(١) أشراط الساعة، يوسف الوابل ص ١٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٣.

الحديث رقم (١٨٤٠)

١٨٤٠- وعنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أصَابُوا فَلَكُمْ، وإنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الإيجاز هو السمة التي تتجلى في هذا الحديث الشريف، فهو يتكون في بنائه اللغوي من ثلاث جمل ويعتمد على صيغة الغائب والمخاطب، فالجملة الأولى إخبارية فعلية فعلها مضارع حيث يقول: يصلون لكن، وهذه الصيغة تدعو للتساؤل: مَنْ هؤلاء الذين يصلون لنا، والمخاطبون هم المسلمون: ففي الكلام إيجاز بالحذف والتقدير لكم أيها المسلمون، والمصلون هم الأئمة، وهم قادة الأمة وساستها، لأن الإمام في الإسلام، هو الراعي والقائد والمسؤول عن تدبير أمر الأمة والقيام على شؤونها، وصيغة المضارع تفيد الاستمرار، فهذه الصيغة توحي بوجوب استمرار الرعاية والقيادة والإمامة، ولكن هذا الوجوب قد تنقصه المواقف وعدم الاستجابة أو الخلل في الأداء، وعندما يتسرب الخلل إلى الصلاة، فإن أضراره لا ينجو منها أحد: الأئمة والأمة.

ولذلك جاءت الجملتان الباقيتان في صيغة: الشرط والجزاء، لتفصح عن المصير الذي ينتظر الذين يقومون بالعمل الصحيح، ويصيبون، ومصيرهم النجاة والفوز، "فإن أصابوا فلكم"، أي فلكم الأجر، وحذف للتعميم حتى يعم الفضل الشامل، وأداة الشرط هنا: "إن"، وهي ليست للتحقق ، وفي ذلك إشارة إلى أن الصواب قد يجانب الأئمة فيحيدون عنه، فهم يصيبون ويخطئون، والشرط في الجملة الثالثة، يعرض لموقف مقابل للموقف الأول، وهو الخطأ، حيث يقول: وإن أخطئوا فلكم وعليهم، فضرر

(١) برقم ٦٩٤. أورده المنذري في ترغيبه ٦٧٧.

الخطأ يلحق بالأمة والأئمة، والمقابلة بين الموقفين في هاتين الصورتين المتضادتين مع تعميم العقاب في الصورة الثانية: فيها حث للمسلمين على حسن اختيار أئمتهم، وعدم نفاقهم، وعدم التغاضي عن أخطائهم، لأن صلاح الأمة من صلاح الأئمة، وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلاف وتفريق الأمة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه:

مما لاشك فيه أن الخروج على الحاكم من أعظم المفاسد، فهو ثلمة لا تسد وفتنة لا ترد، به يكون تفريق الجماعة وشق عصا الطاعة، فتضعف شوكة المسلمين، وتزول وحدتهم، ومن أجل ذلك حث النبي ﷺ على لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم" قال ابن حجر: (وقوله ﷺ "يصلون" أي "الأئمة" وقوله ﷺ "فإن أصابوا فلكم" أي: ثواب صلاتكم)[1] وقال ابن عثيمين: (أي: فإن أحسنوا في الصلاة وأتوا بها على ما ينبغي؛ فذلك لكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم -يعني ليس عليكم أنتم من إساءتهم من شيء- وفي هذا إشارة إلى أنه يجب الصبر على ولاة الأمر- وإن أساءوا في الصلاة...، فضلاً عن أن الشذوذ عن الناس، وعن ولاة الأمور والبعد عنهم، وإثارة الناس عليهم، ونشر مساوئهم، مجانب لدين الله)[2].

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[3] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٢٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٨٧٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

قال: ((مَن أطاعَني فقد أطاعَ اللّهَ، ومَن عصاني فقد عَصى اللّهَ، ومَن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعَني، ومَن يَعصِ الأميرَ فقد عصاني))[١] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((إنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَنْفِ))[٢] وعند البخاري: ((وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ))[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من رأى من أميرِه شيئًا يكرَهه فلْيصبرْ عليه، فإنه من فارقَ الجماعةَ شبرًا فمات إلا مات مِيتةً جاهليةً))[٤] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم! هم قومٌ من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتا، قلت: يا رسول الله: فما ترى؟ وفي رواية: ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟ قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك.

وفي رواية: وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضُرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع))[٥].

قال ابن هبيرة: (وفي الحديث أن المؤمن إذا بُلي بذلك في وقت أمير جائر من ضرب

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٦٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٣، ٦٩٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٥٣، ٧٠٥٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٧٣، ومسلم ١١٤٧.

ظهره وأخذ ماله، فإنه لا يخرج عليه ولا يحاربه، بل يسمع ويطيع، فإنه بخروجه يزيد الفتن شرًا)[1].

وقال ابن أبي العز: (وفي ذلك دليل على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] كيف قال: "وأطيعوا الرسول"، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يُفرَدُونَ بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول، لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله، وأما لزوم طاعتهم وإن جارُوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل)[3].

(وواجب المسلم عندما يرى معصية الله ورسوله، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأن يقدم النصح ما وسعه ذلك، ولا يشق عصا الطاعة ويفرق الجماعة)[4].

وقال ابن تيمية: (إن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئًا؛ لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد، ولهذا أثنى الرسول ﷺ على الحسن عليه السلام بقوله: ((إِنَّ ابني هذا سَيِّد، وسيُصلِحَ الله بهِ بين فِئَتَينِ عظيمتَين منَ المسلمين))[5] ولم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٩٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٤٠-٥٤١.

(٤) انظر: القيادة والجندية في الإسلام، القسم الأول "القيادة"، د. محمد السيد الوكيل ص ٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٤٦.

يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة ولا بمفارقة الجماعة)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلاف وتفريق الأمة:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاجتماع والألفة وعدم الفرقة فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

(فالله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إنَّ الجماعةَ حبلُ اللهِ فاعتصِمُوا ... منه بعُرْوَتِهِ الوُثْقَى لِمَن دَانا

وقوله تعالى "ولا تفرقوا يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، ويجوز أن يكون معناه: ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانًا، فيكون ذلك منعًا لهم عن التقاطع والتدابر)[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤] قال ابن كثير: (فالله تعالى ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضين في تفرقهم واختلافهم)[٥].

وقد رهب النبي ﷺ فيمن خالف ذلك، وسعى في تفريق وحدة الأمة، فقال: ((إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ

---

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ٥٤٣/٤ وما بعدها، نقلًا عن رفع الاشتباه عن معنى العباد والإله، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ت: الداني بن منير آل زهوي، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٠٤-١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤١/٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ٩١/٢.

بالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ))[١]، قال النووي: (فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام وأراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا)[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَتَاكُمْ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ، عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ))[٣]، قال النووي: (في قوله ﷺ "يرد أن يشق عصاكم"، معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلام وتنافر النفوس، وقوله ﷺ "فاقتلوه"، معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك)[٤]. (وقد أفرد الإمام مسلم في صحيحه باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة)[٥]، وفي ذلك قال ابن تيمية: (وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة وفي غيرها وهو التفريق والاختلاف فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها، من ملوكها ومشايخها، وغيرهم من ذلك ما الله به عليم، وإن كان بعض ذلك مغفورًا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته أو لغير ذلك، لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة)[٦]، وفي ذلك بيان على أهمية الجماعة والبعد عن شر الخلاف وتفريق الأمة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٩٧.

(٥) انظر: صحيح مسلم ٧٧١.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٦٨/١١.

الحديث رقم (١٨٤١)

١٨٤١- وعنه رضي الله عنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[البقرة: ١١٠] قال: خَيْرُ النَّاسِ للنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ في السَّلاسِلِ فِي أعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإسْلاَمِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا النص: من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يقل فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قال العلماء إن هذا موقوف عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. ولذلك تصدر هذا الجزء من الآية الكريمة: هذا النص الذي استمد أبو هريرة رضي الله عنه معناه من الحديث التالي، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب الله عز وجل: من قوم يدخلون الجنة في السلاسل.

والحديث في صياغته الأسلوبية يعتمد على ما يسمى في تحليل النص ونقده بـ "لغة المفارقة" وهي الجمع بين الشيء وضده في سياق واحد، فالحديث يبدأ بتقريره الخيرية، بل الأفضلية في الخير، والسامع يتوقع ثمار هذا الخير، متمثلة في عطاء جميل، وعمل نبيل، وفعل مرغب، ونصيحة رقيقة سديدة، وتعاون في المواقف العصبية، ولكن المفارقة الموضوعية والأسلوبية، تتجلى في هذا المشهد المثير، الذي يوحي ظاهره بالتحكم والتسلط "يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم" فهذا مشهد يوحي بالعذاب: وهو مشهد أسرى الحروب، ولكن ختام الحديث يضيء هذا الموقف، ويفك أغلال هذا التناقض الظاهري، حيث يقول: حتى يدخلوا في الإسلام، فهؤلاء الأسرى لا يقادون لحتفهم، ولكن ينعمون بالحرية في ظلال الإسلام، ويمن الله عليهم بالأمن والأمان،

---

(١) برقم ٤٥٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

لأنهم انتقلوا بعد الأسر من حياة الكفر إلى حدائق الإيمان، وقال العلماء: في قوله: يأتون بهم في السلاسل: بيان لكمال لطف الله بهم، وأنهم يؤسرون على ما يحوزون به الشرف في الدارين، فأسرهم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة: لأنه قادهم إلى قضاء الحرية في ظل عزة الإسلام، وحلاوة الإيمان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعوة الناس للإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وفضله في إدخالهم الجنة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: هداية الناس وإصلاحهم.

أولاً- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

هذا ما ورد في الحديث من ذكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

والقرآن الكريم هو (كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس)[3]، (وهو الرباط بين السماء والأرض، وعهد بين الله وبين عباده، وهو منهاج الله الخالد وميثاق السماء الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء لا يدانيه كلام، وحديث لا يشابهه حديث)[4]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[5] ولقد رفع الله شأنه ونوه بعلو منزلته فقال تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾[6] كما وصفه سبحانه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٤٢).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨٨/١، التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ٦.

(٤) ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، د. حمد بن ناصر العمار ص ٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٦) سورة طه، آية: ٤.

وتعالى بعدة أوصاف، مبينًا فيها خصائصه التي ميزه بها عن سائر الكتب، فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] (فهو المعجز للناس بلفظه، ونظمه، وأسلوبه، وهدايته، وتأثيره، وعلومه، أعجز الفصحاء البلغاء، وأخرس الأدباء والشعراء، وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يجد أحد منهم جوابًا، ولاذوا بالصمت والفرار)[2]، فالقرآن الكريم هو المصدر الأصيل والنبع العظيم في الدعوة إلى الله.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعوة الناس للإسلام:

هذا ما ورد في الحديث من قول "خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلون الجنة"، قال ابن حجر: (أي: خير بعض الناس لبعضهم، أي أنفعهم لهم، وإنما كان ذلك لكونهم كانوا سببًا في إسلامهم)[3]، وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل الداعي إلى الله بأنه من أحسن الناس قولاً، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4] (وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلامًا وطريقة، وحالة "ممن دعا إلى الله" بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها)[5] (وكل من يقوم بالدعوة إلى الله، فإنما يستحق هذه البشرى، ويستحق المدح

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

(٢) ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣/٨.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٦٩٤.

المذكور فيها، أيامًا كانت طريقته في قيامه بهذه الدعوة)[١] وذلك فضلاً عن عظم جزاء وثواب من كان سببًا في هداية غيره إلى الإسلام، وهذا ما ظهر جليًا من قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في فتح خيبر: ((انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم، ثم ادْعهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللهِ فيه، فواللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً واحدًا خيرٌ لكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٢]. قال النووي في قوله ﷺ: ("حمر النعم" هي: الإبل الحمر، وهي: أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه...، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا، إنما هو للتقريب من الإفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت)[٣]. وقال ابن حجر في بيان قوله ﷺ "حمر النعم" (وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها)[٤]. وفي ذلك بيان لفضل دعوة الناس للإسلام.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وفضله في إدخالهم الجنة:

هذا ما ورد في قوله ﷺ "عجب اللهُ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" قال الطيبي: (وقيل أراد بالسلاسل ما يرادون به من قتل الأنفس، وسبي الأزواج والأولاد، وتخريب الديار، وسائر ما يلجئهم إلى الدخول في الإسلام، الذي هو سبب دخول الجنة، فأقام المسبب مقام السبب. ويحتمل أن يكون المراد بها جذبات الحق، التي يجذب بها خالصة عباده من الضلالة إلى الهدى، ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة، إلى العروج بالدرجات إلى جنة المأوى)[٥]، وهذا ما بينه ابن هبيرة في قوله: (إن الله تعالى لو وكل الناس إلى نهضاتهم لأبطأوا جدًا، ولكنه سبحانه يدخلهم الجنة في السلاسل، أي:

---

(١) فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، محمد يحيى الكاندهلوي ص ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٧١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٦/٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥/٨.

يسلكهم طرق الجنة على كره منهم)[1]، وما ذلك إلا لعظيم رحمته تعالى بعباده المؤمنين، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فسددوا وقاربوا... إلخ))[2]، قال النووي: (ومعنى يتغمدني برحمته: يلبسنيها ويغمدني بها، ومنه أغمدت السيف وغمدته، إذا جعلته في غمده وسترته به)[3]، وقال الطيبي: (قال التوربشتي: ليس المراد بهذا الحديث نفي العمل، وتوهين أمره، بل توقيف العباد على أن العمل إنما يتم بفضل الله ورحمته، لئلا يتكلموا اغترارًا بها، فإن الإنسان ذا السهو والنسيان، وعرضة الآفات، قلما يخلص له عمل من شائبة رياء، أو فساد نية، ثم إن سلم له العمل عن ذلك، فلا يسلم إلا برحمة من الله، ثم إنَّ أَرْجَى عمل من أعماله لا يفئ بشكر أدنى نعمة من نعم الله، فَأَنَّى له أن يستظهر بعمل، لم يهتد إليه إلا برحمة من الله وفضل منه!)[4]. وهذا ما أكده القاضي نصر الدين في قوله: (إن النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، بفضل الله ورحمته، والعمل غير مؤثر فيهما على سبيل الإيجاب، بل غايته أنه يعد العامل لأن يُتَفضل عليه، وتقرب إليه الرحمة، ومعنى قوله "إلا أن يتغمدني الله برحمته" يحفظني بها كما يحفظ السيف في غمده، ويجعل رحمته محيطًا بي إحاطة الغلاف بما يحفظ)[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: هداية الناس وإصلاحهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث الأول حيث أخبر ﷺ: "أن خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"، قال د. الحسيني هاشم: (فيه أن نفع المسلمين للناس إرشادهم إلى الإسلام ودعوتهم إليه، وأن إكراههم على

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٦/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٤٩.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٢٨/٥-١٢٩.

(٥) المرجع السابق، ١٢٨/٥.

الإسلام نافع، لهم ومن خير الأعمال التي توجه إليهم والخيرات التي تقدم لهم، وإن كان الإكراه على الدين غير مطلوب) [١].

وفي الحديث الثاني قال ﷺ: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"، قال د. الحسيني هاشم: (فيه الحديث عن الأسرى الذين يدخلون في الإسلام فيزحزحون عن النار إلى الجنة، ورضا الله تعالى عن إسلامهم بعد كفرهم العنيد) [٢].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالحرص على هداية الناس وإصلاحهم فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣] قال ابن كثير: (يقول تعالى "ولتكن منكم أمة" أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه) [٤].

وقال السعدي: (في قوله تعالى "يدعون إلى الخير" وهو الدين، وأصوله، وفروعه، وشرائعه، وقوله تعالى: "يأمرون بالمعروف" وهو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً، وقوله تعالى "وينهون عن المنكر" وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً، وقوله تعالى "وأولئك هم المفلحون" أي المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب، ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة) [٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٨٢٧.

(٢) المرجع السابق ٨٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ٩١/٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٢.

وقد كان النبي ﷺ أشد الناس حرصًا على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1] وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2] وقال تعالى مسليًا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3] وقوله تعالى: "باخع". أي مهلك نفسك بحزنك عليهم...، وقوله تعالى: "أسفا" أي: لا تهلك نفسك أسفًا)[4].

(وقد استمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى، حتى لحق بالرفيق الأعلى. صلوات ربي وسلامه عليه. وما أكثر المواقف في سيرته المطهرة، التي يتجلى فيها حرصه الشديد على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور)[5]، ومنها إرساله ﷺ الرسائل والرسل إلى الملوك والأمراء؛ فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الإسلام. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ)[6]. وقد كانت دعوته ﷺ بمكارم الأخلاق وحسن البيان والصبر على الإيذاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: ((هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٥.

(٥) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ط/٤، مكتبة الملك فهد، الرياض: ١٤١٩هـ، ١٩.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٧٤.

بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليكم ملك الجبال لتأمره، بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا"[1]. فقد كان ﷺ يحرص أشد الحرص على هداية الناس أجمعين، بلا فرق بين قريب وبعيد، وعربي وعجمي، وأحمر وأسود، فهو الإمام الأول، والقدوة الكبرى، التي يستضيء بها الدعاة ويسترشدون طريق الهدى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١٧٩٥.

الحديث رقم (١٨٤٢)

١٨٤٢- وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((عَجِبَ اللهُ ﷻ مِنْ قَومٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ)) رواهما البخاري[١].

معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يدخلون الجنة في السلاسل: معناه: يُؤْسرون ويقيدون ثم يسلمون فيدخلون الجنة[٢].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث مع نص الحديث السابق في مفهومه وغايته، والعجب من الله تعالى هو: الرضا والإكرام، وإذا كان العجب من الله تعالى في هذا الموقف له دلالته التي تتفق مع جلال الله وكبريائه، فالعجب من البشر يكون حقيقيًا، وهذا هو سر المفارقة التي يتجلى عنها هذا الموقف، حيث يتساءل كل من يعلم بذلك كيف يدخلون الجنة في السلاسل؟، والكلام فيه إيجاز ويحتاج إلى توضيح عندما نفكك المعنى، ونرده إلى تفصيلاته، والمعنى كما جاء في توضيح لغة الحديث، يؤسرون، ويقيدون، ثم يسلمون فيدخلون الجنة، والفعل "يدخلون" مبني للمجهول: والمراد أنهم يفعلون المقتضى لدخول الجنة بالوعد الصادق وهو الإيمان: ففيه مجاز مرسل من إطلاق اسم المسبب على السبب، والفاء في قوله: في السلاسل: قيل: إنها تعليلية أي لوضع السلاسل في أعناقهم حال الأسر، ثم يسلمون فيدخلون الجنة بسبب هذه السلاسل التي نشأت بسبب أسرهم، وقيل الفاء: ظرفيه: أي أن هؤلاء الأسرى يسلمون وهم مازالوا أسرى في

---

(١) برقم ٣٠١٠.

(٢) رياض الصالحين ٦٢٣.

السلاسل، فالأسر كما قال العلماء: باعتبار ما كانوا يرونه نقمة، وباعتبار ما تجلى عنه من نعمة، والتعبير بالمضارع في قوله: يدخلون الجنة في السلاسل، يوحي باستمرار هذه الظاهرة وتجددها، في كل عصر يمن الله فيه على المسلمين بالفتوحات، والانتصار، ويمن فيه على الأسرى بالدخول في دين الله أفواجا، وكم من شعوب دخلت في دين الله بعد حروب وصراعات، وأصبحت هذه الشعوب من أكثر بلاد الله تمسكًا بالإسلام، ودفاعًا عن العقيدة. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٤٣)

١٨٤٣- وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: ((أَحَبُّ البِلادِ إلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأبْغَضُ البِلاَدِ إلَى اللهِ أسْوَاقُهَا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن المسجد في الإسلام له دَوره ومكانته، وله جلاله وهيبته، وبيوت الله في الأرض المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[2].

وهذا الحديث يتكون من جملتين لغويتين تقدمان صورتين لمكانين أحدهما يحبه الله، وهو المسجد، والآخر يبغضه الله وهو السوق، لأن كل مكان له متعلقاته التي تفيض بالحب أو البغض، وحين نتأمل هذه الصياغة في ضوء التحليل الأدبي والأسلوبي نجد أن الجملتين تتفقان في البناء اللغوي، ولكنهما تتضادان في المضمون، فهما اسميتان، واسمية الجملة يدل على ثبات الدلالة فيها، وحقيقة حب الله للمساجد لا يشوبها شك أو مراء، وكذلك بغضه للأسواق حقيقة ثابتة لا تتبدل، والصياغة الاسمية هي التي أعلنت عن هذا الثبات الراسخ.

وتتسم الجملتان بالتوازن والتوازي الأسلوبي، فبناؤهما اللغوي متشابه: فالجملة الأولى تبدأ بأفعل التفضيل "أحب" وهو مبتدأ، وكذلك الجملة الثانية تبدأ بأفعل التفضيل: "أبغض"، وهو مبتدأ كذلك، وبين الاسمية، طباق، فهما متفقتان صياغة ووظيفة نحوية ولكنهما يختلفان في المعنى، والمضاف إليه متحد في الجملتين، وهو لفظ البلاد، لأن الحب أو البغض يقع على المكان، نظرًا لما فيه من ظواهر ومعالم إيجابية أو

---

(١) برقم ٢٨٨/٦٧١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٢.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

سلبية، وقوله: "إلى الله" كرر مرتين للتأكيد على أن الحب من الله، وفي الله، وكذلك البغض من الله، ولذلك يجب على كل مسلم أن يحب المساجد، وأن يحذر ما في الأسواق من زيف وخداع وتحايل وكذب، والخبر في الجملة الأولى "مساجدها"، وهي جمع تكسير، وفي الجملة الثانية: "أسواقها"، وهو جمع تكسير كذلك، فالجملتان متناظرتان متوازيتان، وفي هذا التناظر حث على الموازنة والتأمل والاتعاظ، والطباق واضح بين: أحب وأبغض، وبين مساجد وأسواق.

وقيل في اللغة: البلد أو البلدة، كل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة.

والسوق اسم لكل مكان وقع فيه التبايع ممن يتعاطى البيع، وسبب بغض الله لها أنها محل للفحش، والخداع والربا والأيمان الكاذبة، واختلاف الوعد، والمساجد محل نزول الرحمة والأسواق ضدها.

والحب والبغض من الله، ليس كحب البشر وبغضهم، ولكن: إرادته الخير والشر، وفعل ذلك لمن أسعده وأشقاه، نسأل الله الفوز والنجاة.

المضامين الدعوية(1)

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأحب البلاد إلى الله وأبغضها إليه سبحانه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المساجد ودورها في الدعوة إلى الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الأسواق ومن الغفلة فيها عن ذكر الله وطاعته.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النهي.

خامسًا: من آداب الداعية: الحرص على مصلحة ونفع المدعوين.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأحب البلاد إلى الله وأبغضها إليه سبحانه:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لذلك في قوله ﷺ "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى الأنبياء

---

(1) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٤٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٤٤).

وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] قال السعدي: (والميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل)[2]، (فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتمون منه شيئًا)[3]، (وقد كان عليه الصلاة والسلام سيد الدعاة يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثًا ليتحقق الإيضاح)[4]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما خفي عن المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المساجد ودورها في الدعوة إلى الله:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "أحب البلاد إلى الله مساجدها" قال النووي: (لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى)[5]، (وقد أضافها الله إلى نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[6] وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[7] (فالمساجد أحب البقاع إلى الله؛ لأنها محل ذكره وعبادته وقراءة شرعه

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/١٨١.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٧٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١١٤.

(٧) سورة النور، الآيتان، ٣٦-٣٧.

وغير ذلك من مصالح الدنيا والدين)[١]، (فالمسجد قلعةُ الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم، فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كلَّ يوم خمس مرات، ومحلٌّ تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها، ومن عناية الرسول ﷺ بالمسجد ((أنه كان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بالمسجدِ فيركع فيه ركعتَينِ))[٢])[٣].

ووظائف المسجد ودوره في الإسلام أكثر من أن تحصى، إلا أنه يمكن الإشارة إلى (أن دور المسجد عظيم، فهو الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خُلُقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين، فالمسجد في صورته الاجتماعية وارتباط المسلمين به مركز إشعاعٍ وتوجيهٍ وتربيةٍ لهم، وكان النبي ﷺ إذا أهمه أمر جمع الناس في المسجد، وكان يجهز الجيوش الإسلامية في المسجد مما يدل على عناية الإسلام بالمسجد)[٤]، (فمكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب)[٥]، وفي ذلك بيان على فضل المساجد ودورها في الإسلام والدعوة إلى الله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الأسواق ومن الغفلة فيها عن ذكر الله وطاعته:

هذا ما ورد في قوله ﷺ "وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" وأيضًا من قول سلمان رضي الله عنه لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته" وفي رواية "لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه فيها باض الشيطان وفرَّخ". وفي بيان ذلك قال النووي: (في قوله ﷺ "وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٧٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٧٦٩.

(٣) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، عبدالله بن جار الله، ١٩.

(٤) المرجع السابق ٢١.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٧٨.

وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه)[1]، وفي قول سلمان رضي الله عنه "إنها معركة الشيطان" قال النووي: (قال أهل اللغة: المعركة بفتح الراء موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضًا فيها ومصارعتهم، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم، بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل، كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه، والسوم على سومه، وبخس المكيال والميزان، وقوله "وبها ينصب رايته" إشارة إلى ثبوته هناك واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه)[2]، وقال ابن عثيمين: (أما الأسواق فإنها مأوى الشياطين؛ فيها باض الشيطان وفرّخ -والعياذ بالله- ونصب رايته وخيمته؛ لأن أسواق البيع والشراء الغالب فيها -إلا ما شاء الله- الكذب والغش والخيانة والحلف وما أشبه ذلك، فلهذا كانت أبغض البلاد إلى الله عز وجل...، وينبغي على المرء ألا يكون أول من يدخلها ولا آخر من يخرج منها)[3]، ومن أجل ذلك حث النبي ﷺ على عدم الغفلة فيها وحض على التمسك بذكر الله في الأسواق فقال: ((مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فقالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ ورفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ))[4]، وفي رواية ((وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ))[5].

رابعًا- من أساليب الدعوة: النهي:

قد ورد النهي كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول سلمان الفارسي رضي الله عنه "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق... إلخ" والنهي من الأساليب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٧٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٢٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٦).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٢٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٦).

الدعوية المهمة في إرشاد وتوجيه المدعوين إلى اجتناب ما يخالف الشرع (وهو أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر، ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)[١]. وقد أفاد النهي في نص الحديث عدم إطالة المكث في الأسواق، وأهمية اتخاذ الحيطة والحذر من الغفلة فيها، وذلك يكون بذكر الله، والتزام حدوده واجتناب نواهيه.

خامسًا- من آداب الداعية: الحرص على مصلحة ونفع المدعوين:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من حرص سلمان رضي الله عنه على تحقيق مصلحة ونفع المدعوين، وذلك في قول: "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق... إلخ".

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]. وقد ظل النبي ﷺ -وهو الأسوة والقدوة- يرشد أمته إلى ما فيه صلاحهم حتى فاضت روحه، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: ((الصلاة، وما ملكت أيمانكم))[٣] فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه، وقد اهتم سلف الأمة الصالح بذلك، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على إرشاد ونفع المدعوين وهو على فراش الموت؛ فعن عمرو بن ميمون قال: ((جاء رجل شاب إلى عمر رضي الله عنه بعد ما طعن وعرف الناس أنه ميت، فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام. قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك))[٤].

وفي الاقتداء بحرص النبي ﷺ وسلف الأمة الصالح على إرشاد المدعوين وتحصيل

---

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر ص ٥٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٦٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

الخير لهم، لعظيم الأجر وجزيل الثواب، لقوله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[1] وقوله: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[2]، فعلى الداعية أن يحرص على تحقيق مصلحة ونفع المدعوين، لما في ذلك من الخير العميم، والفضل العظيم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

الحديث رقم (١٨٤٤)

١٨٤٤- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه من قولهِ قال: لاَ تَكُونَنَّ إن اسْتَطَعْتَ أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصبُ رَايَتَهُ. رواه مسلم[1] هكذا.

ورواه البرقاني في صحيحهِ[2] عن سلمان، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **((لاَ تَكُنْ أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا. فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ))**.

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتلاقى في دلالته مع الحديث السابق، وأشعتهما تنبع من مشكاة واحدة، وتضيء للمسلم طريقه، وتضع أمامه إشارات حمراء حتى ينتبه لما في السوق من أخطار، والحديث هنا صريح في توجيه الإنذار، حيث يبدأ بالنهي الجازم وبالفعل المؤكد بنون التوكيد الثقيلة، "لا تكونن"، والنهي موجه لكل مسلم يغشى الأسواق ولكنه يتجنب هوشاياتها، والهوشات هي اختلاط الأمور، وفساد التصورات، والجملة الشرطية: "إن استطعت"، هي جملة اعتراضية وتتضمن إيجازًا حيث حذف جواب الشرط والتقدير: فلا تكونن أول داخل فيها، ولا خارج منها، حتى تضمن النجاة من مكائد الشيطان، وحبائله الغواية والشرور، وأتى بالجملة الاعتراضية بين كان واسمها، وخبرها الذي وقع بعد الجملة وهو أول من يدخل السوق، للتنبيه على أن التكاليف على هذه الأمة حسب طاقتها وقدر استطاعتها، والجملة الثانية معطوفة على الأولى، وتتضمن كذلك إيجازًا، والإيجاز من أسرار بلاغة النبوة: وبلاغة الحذف من

---

(١) برقم ١٠٠/٢٤٥١.

(٢) أورده الحميدي في جمعه ٣/٣٦١ رقم ٢٨٤٠، وقال: رواه عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، من رواية عاصم، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان.

سمات قوة الأسلوب، والتقدير، "ولا تكونن...... آخر من يخرج منها".

والفاء في قوله: "فإنها" للتعليل، حيث يوضح الحديث سبب النهي عن دخول السوق مبكرًا أو التأخر في الخروج منه، والسبب هو أن السوق معركة الشيطان، والتأكيد هنا لشدة التحذير، وما أدق هذه الصورة الأدبية حيث شبه السوق بالمعركة، وهي معركة الشيطان، لأن الصراع فيها ليس من أجل إقامة الحق، أو نشر الفضائل، ولكن بدافع التكسب عن طريق التحايل، واتخاذ الوسائل المنكرة ومنها الغش والخداع، والأيمان الكاذبة، والأفعال المنكرة.

والشيطان هو الذي يدير هذه المعركة الاقتصادية، وقوله: "وبها ينصب رايته" كناية عن تحكم الشيطان واستيلائه على عقول التجار السماسرة، والبائعين والمشترين.

وفي رواية أخرى توحي بكثرة أعوان الشيطان وكثرة أنصاره وذريته، وكأن الشرور تتكاثر، والمفاسد والرذائل تتناسل، حيث يقول رسول الله ﷺ مصورًا فساد مناخ الأسواق "فيها باض الشيطان وفرخ"، ولذلك كانت الأسواق أبغض البلاد إلى الله سبحانه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٤٥)

١٨٤٥- وعن عاصمٍ الأحوَلِ، عن عبدِ اللهِ بنِ سَرْجِسَ ﵁ قال: قلتُ لرسولِ اللهِ ﷺ: [يا رسولَ اللهِ، غفَرَ اللهُ لكَ، قال: ((ولَكَ)). قال عاصمٌ] [١]: فقُلْتُ لهُ: أستَغْفرَ لكَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نعَمْ ولَكَ، ثُمَّ تَلاَ هذهِ الآيةَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سرجس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٧٤).

الشرح الأدبي

حينما نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده قد صيغ في قالب حواري جميل شائق وممتع ومقنع، يكشف عن حسن معاملة الرسول ﷺ لأصحابه ﵃، وحرصه عليهم.

والحوار في هذا الحديث توزع بين رسول الله ﷺ، وعبدالله بن سرجس ﵁، وكذلك بين عاصم الأحول وعبدالله،وكان رسول الله ﷺ مع أصحابه وأهله، ومع الغريب والقريب يتسم بسعة الصدر، ودوام البشر، وحسن الخلق، والسلام على من لقيه، والوقوف مع من استوقفه.

ويبدأ الحديث بالنداء والدعاء، في قول عبدالله ﷺ: "يارسول الله، غفر الله لك"، والنداء فيه تعظيم لرسول الله ﷺ وتعظيم لرسالته، وتمهيد بأن الدعاء هو للتشرف لأن رسول الله معصوم من الخطأ، وقوله: "غفر الله لك" قد يكون إخبارًا، وليس دعاءً، كما جاء في القرآن الكريم، وحُذف معمول غفر، للتعميم، ولمزيد من الأدب مع رسول الله ﷺ فلم يقل: غفر الله لك ذنوبك أو ذنبك، لأنه لا ذنب أصلاً لرسول الله ﷺ: فهو معصوم من الخطأ.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد في طبعات صحيح مسلم، وهي عند الحميدي في جمعه ٥٥٤/٣ رقم ٣١٣١.

(٢) برقم ٢٣٤٦/١١٢.

ولنتأمل كيف أجابه رسول الله ﷺ: إنه قال في تلطف وبشر وإيناس وإيجاز، "ولك"، أي: غفر لك.

ثم ينشأ المشهد الحواري الآخر بين عاصم الأحول، وعبدالله: ويبدأ باستفهام تعجبي واستبشاري ونظيري في قوله "استغفر لك رسول الله"، وحذفت همزة الاستفهام للدلالة على الإسراع في تقرير الحقيقة، والبشارة بذلك، ويقتدى عبدالله برسول الله ﷺ ويقول ما قاله رسول الله ﷺ: بعد أن قال: "نعم"، قال لصاحبه: "ولك"، والكلام فيه إيجاز أي: نعم: استغفر لي رسول الله واستغفر لك أيضًا.

ويسوق عبدالله الدليل على أن استغفار رسول الله ﷺ ليس محددًا لفرد واحد، وإنما للأمة كلها: حيث تلا قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]. وهذا الاستشهاد لمزيد من البشرى والطمأنينة التي يزرعها في نفس صاحبه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء الأدنى للأعلى، والأعلى للأدنى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار.

ثالثا: من واجبات المدعو: الدعاء والاستغفار للمسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: دعاء الأدنى للأعلى، والأعلى للأدنى:

هذا ما ورد في الحديث من قول عبدالله بن سرجس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يا رسول الله، غفر الله لك، فقال له النبي ﷺ "ولك"، وفي ذلك قال ابن تيمية: (والدعاء مشروع، أن يدعو الأعلى للأدنى، والأدنى للأعلى، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمد ﷺ وهو سيد الشفعاء، وله شفاعات يختص بها، ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ))[١]، وقد قال ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه-: ((يا أخي لا تنسني من دعائك))[٢]؛ فالنبي ﷺ قد طلب من أمته أن تدعو له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها. مع أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما يعملونه، فإنه قد صح عنه أنه قال: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[٣]، وهو داعي الأمة إلى كل هدى، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه. وكذلك إذا صلوا عليه، فإن الله يصلي على أحدهم عشرًا، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له، فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه)[٤].

وما يؤكد دعاء الأدنى للأعلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأويس بن عامر ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرَادٍ، ثم من قَرَنٍ، كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي فاستغفر له...))[٥] قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٤.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٩٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/١٠٠-١٠١.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٢٧.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله تعالى "واستغفر لذنبك" (والاستغفار من طلب الغفران، والغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، وهو أيضًا طلب ذلك بالمقال والفعال)[1].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستغفار فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[4] قال ابن كثير: (أي: أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره)[5]، وقال القرطبي: (واستغفروا الله، أي: سلوه المغفرة لذنوبكم "إن الله غفور" لما كان قبل التوبة "رحيم" بكم بعدها)[6]، قال ابن تيمية: (فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم، وأكبر طاعاتهم، وأجل عباداتهم التي ينالون بها أجل الثواب، ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب)[7]، وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، فوَالذي نفسي بيدِهِ، إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّة))[8] وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ[9] عَلَىٰ قَلْبِي. وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ، فِي الْيَوْمِ، مِائَةَ مَرَّةٍ))[10]، (فهو ﷺ لكمال عبوديته لله، وكمال محبته له، وافتقاره إليه، وكمال توبته واستغفاره، صار أفضل الخلق عند الله، فإن

---

(١) له الأسماء الحسنى، للشرباصي ٢٦٣/٢، نقلاً عن نضرة النعيم، ٢٥٣/٢.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.
(٣) سورة النساء، آية: ١٠٦.
(٤) سورة المزمل، آية: ٢٠.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٦٠/٨.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩/١٩/١٠.
(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٦/٨.
(٨) أخرجه البخاري ٦٣٠٧.
(٩) الغَيْنُ: هو شيء يعتري القلوب الصافية مما تتحدث به النفس، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٢٤/١٧.
(١٠) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

الخير كله من الله، وليس للمخلوق من نفسه شيء، بل هو فقير من كل وجه، والله غني عنه من كل وجه، محسن إليه من كل وجه، فكلما ازداد العبد تواضعًا وعبودية، ازداد إلى الله قربًا ورفعة، ومن ذلك توبته واستغفاره)[1].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الدعاء والاستغفار للمسلمين:

هذا ما ورد في الحديث من قوله تعالى "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" وهذا ما نص عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2]، قال القرطبي: (وقيل: الخطاب له، والمراد به الأمة، وعلى هذا القول توجب الآية استغفار الإنسان لجميع المسلمين)[3]، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الغَيْبِ بدَعْوَةٍ إلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بدَعْوَةٍ قَالَ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمينُ ولَكَ مِثْلُ ذَلِكَ))[4]، قال ابن تيمية: (فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له، وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره: ادع لي وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[5] فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[6].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٨/٨.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٨/١٩، ط/ مؤسسة الرسالة.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٢.

(٥) سورة محمد، آية: ١٩.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٤.

فذكر -سبحانه- استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك، مما أُمِر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا شيئًا لم يأمر الله المخلوق به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب؛ ففعله هو عبادة لله، وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة فيه، وإذا فعل ذلك كان أعظم لإحسان الله إليه، وإنعامه عليه، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده، أن هداهم للإيمان)[1]. فعلى المسلم أن يدعو للمسلمين ويستغفر لهم، لما في ذلك من الامتثال لأمر الله تعالى، فضلاً عن عظيم الثواب في دعاء الملك له بقول "ولك مثل ذلك".

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/ ١٠١.

الحديث رقم (١٨٤٦)

١٨٤٦- وعن أبي مسعودٍ الأنصاري ﵁ قال: قال النبيّ ﷺ: ((**إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

قال القاضي عياض وغيره: جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزةً، لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وتعلم، وقال القرطبي: الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي، وكان النبي ﷺ قد جمع له النوعان، فكان في الغريزي أشد حياءً من العذراء في خدرها.

والحياء في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي حق، والحب يُنطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق[2].

وفي ضوء هذه الدلالات والمفاهيم نقرأ جماليات اللغة في هذا الحديث: فهو في غاية الإيجاز لأنه يتكون من جملة لغوية واحدة مكونة من إن واسمها وخبرها، والخبر قوله: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة" وهو مقدم، واسمها هو قوله: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" وهو مؤخر.

والحديث يبدأ بالتأكيد بإن وهي ترتبط بالحديث كله، فنصفه الأول خبرها وهو متقدم، والنصف الثاني اسمها وهو مركز الدلالة في الحديث: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

---

(١) برقم ٣٤٨٣.

(٢) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني.

وهذه الجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، وهي توحي بالمعنى المنبثق عنها، لأن الجزاء من جنس العمل.

والدلالة في هذا الحديث تتعدد وتحتمل عدة أوجه، وذلك في ضوء دلالة فعل الأمر في قوله: فاصنع ما شئت، فإذا كان الأمر للإباحة والاختيار فالمراد من هذا التوجيه أنه: إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا يستحي فيه من الله ولا من الناس لإباحته، فافعل وإلا فلا، ويمكن أن يكون الأمر في قوله: فاصنع ما شئت للتهديد، أي إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت، فإنك مجازى عليه: وفي ذلك وعيد وسخرية وتهديد.

ويمكن أن يكون الأمر هنا بمعنى الخبر: فهو أسلوب إنشائي يتضمن الإخبار: أي إذا نزع منك الحياء فعلت ما شئت من حرام وحلال إذ لا رادع يردعك[1]. وفي ذلك إنذار وتحقير ولوم وتقريع.

والحياء لا يأتي إلا بخير، وهو من الإيمان، ومن كلام النبوة الأولى.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل خلق الحياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تقوية كلامه وإثباته في أذهان المدعوين، فضلاً عن أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على أهمية الحياء وبيان أنه مما اتفق عليه الأنبياء. وذلك في قوله ﷺ "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل خلق الحياء:

مما لا شك فيه أن الحياء من خصال الإيمان وحسن الإسلام، وهو دليل على كرم

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤.

السجية وطيب المنبت، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" قال ابن حجر: (أي مما بلغ الناس ومما اتفق وندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم -إذا لم تستح فاصنع ما شئت-، لأنه أمر أطبقت عليه العقول، وقوله ﷺ "فاصنع ما شئت" هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان مما لا يستحى منه فافعله، وإن كان مما يستحى منه فدعه، أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء، يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبال بالخلق، أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله)[1].

(والحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق)[2]، وقد حث النبي ﷺ على التخلق بالحياء وأمر به، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ((أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ برجُلٍ -وهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحياء- فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «دَعْهُ، فإنَّ الحَياءَ مِنَ الإيمان»))[3]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ))[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))[5].

وقد أمر ﷺ به فقال: ((استَحيُوا منَ اللهِ حقَّ الحَياءِ. قالوا: إنَّا نستحيْي منَ اللهِ يا رسول اللهِ! قال: ليسَ ذلكُم؛ ولكنْ من استَحيى منَ اللهِ حَقَّ الحَياءِ، فلْيحفظِ الرأسَ وما وَعى، ولْيحفظِ البَطنَ وما حَوى، ولْيذكرِ الموتَ والبِلى، ومنْ أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الدنيا، فمنْ فعلَ ذلكَ فقدِ استَحيى منَ اللهِ حقَّ الحَياءِ))[6]. (فالحياء من الحياة، وعلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/٦.

(٢) رياض الصالحين، النووي، ٢٩٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤، ومسلم ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم)[١]، (فعن الشعبي قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض طريق المدينة فسمع امرأة تقول:

دعتني النفس بعد خروج عمرو ... إلى اللذات فاطّلَعَت تلاعا[٢]

فقلت لها: عجلتِ فلن تطاعي ... ولو طالت إقامته رُباعا

أحاذرُ -إن أُطيعُكِ- سَبَّ نفسي ... ومخزاةً تُجلّلُني قِنَاعا

فقال عمر: وأُتيَ بالمرأة: أي شيء منعك؟ قالت: الحياء وإكرام عرضي.

فقال عمر رضي الله عنه: (إن الحياءَ ليدلّ على هَنَاتٍ ذاتِ ألوان، مَن استحيا استخفى ومن استخفى اتقى ومن اتقى وُقّي، وكتب عمر إلى صاحب زوجها فأقفله إليها)[٣].

فالحياء أصل كل خير. قال ابن القيم: (وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخُلُقُ لم يُقْرَ الضيف، ولو يُوفَ بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثَرَهُ والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياءُ الذي فيه لم يُؤدِّ شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بَر له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيويٌّ علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها. ثم قال: إنَّ للإنسان آمرين وزاجرين، آمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا أطاعه امتنع من فعل كل ما يشتهي، وله آمر وزواجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٦٠١.

(٢) التِّلاعُ: قيل هي: مسايل الماء، وقيل ما انحدر من الأرض وأشرف منها، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ت ل ع).

(٣) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا ٨٣.

أطاع آمر الهوى والشهوة ولا بد)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "فاصنع ما شئت" قال ابن حجر: (هو أمر بمعنى الخبر، أو هو التهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك...)[٢]، (والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة في إخافة المدعو، وتحذيره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٣]، (ولما كان الترهيب هو أحد أساليب الدعوة المهمة في إنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وجب التأكيد عليه، والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعًا للنفوس عن غيها وفسادها وخيبتها، وباعثًا لها على المسارعة إلى رشادها وسلامتها وفلاحها)[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٢٧٧-٢٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٠٥.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١٢.

الحديث رقم (١٨٤٧)

١٨٤٧- وعن ابن مسعود ﵁ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**أوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاء**)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

إن الأسس الاجتماعية في الأحكام القرآنية، وفي الأحاديث النبوية: تقوم على المصلحة لأكبر عدد ممن يظلهم المجتمع بأكبر مقدار من السعادة الحسية والروحية، ودفع بوائق البشر.

والمصالح الاجتماعية تتمثل في المحافظة على خمسة حقوق، وعدم الاعتداء على أي منها: وهي حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ الدين، وحفظ المال.

والحديث الشريف هنا يحذر من التعدي على النفس، والنفوس بصفة عامة، وعبر عنها بالدماء، لأن الدم الجاري في العروق معيار حياة الإنسان، وعنوان بقائه حيًا، والجناية على النفس، تكون بالقتل أو إتلاف عضو منها، والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة تنذر الناس وترهبهم من الاعتداء على الغير بالقتل أو نحوه، والإنذار لم يأت مباشرًا، ولكنه قدم في أسلوب إيحائي، حيث قال رسول الله ﷺ: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"، وقوله: "أول": للإفادة بأن: حق النفس مقدم على جميع الحقوق في الحفاظ عليه، وقوله: "ما يقضى بين الناس"، يشير إلى أن المرء الذي لحق به إيذاء في نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه لن يُظلم، ولن يضيع حقه سدى يوم القيامة، وكذلك المعتدي والقاتل، إذا أفلت من القصاص في الدنيا، فلن يفلت من عقاب الله يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٣، ومسلم ١٦٧٨/٢٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٥٨٥.

ومادة القضاء توحي بجو المحاكمة والإدانة، والإنصاف، والعدالة، ولا غرو فالقاضي هو الله العزيز العادل المنتقم، ولا يظلم ربك أحدا.

وقوله في الدماء يتضمن إيجازًا حيث حذف متعلق الجار، وتقديره: في الأمر المتعلق بالدماء، وقال العلماء البداءة تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظيم المفسدة، وتفويت المصلحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- عظم تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها[2].

٢- حكم القتل: اتفق الفقهاء على حرمة القتل[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس الإنسانية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" قال النووي: (فيه تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٧/١١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٥/١١، ٢٢٦/١٢.

(٣) المبسوط، السرخسي ٥٧/٢٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٣١/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥، ٥٠٤.

المشهور في السنن ((أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ القيامة صَلاَتُهُ))[١] لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد)[٢]، وقد رهب النبي ﷺ من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها فقال: ((لن يَزالَ المؤمنُ في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دَمًا حَرامًا))[٣]، قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "في فسحة" أي سعة، وقوله "من دينه" وفي رواية الكشميهني "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدًا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور، وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبول الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول)[٤] وفي ذلك قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ((إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه))[٥]، قال ابن حجر: (في قوله "إن من ورطات" وهي جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلاك يقال وقع فلان في ورطة أي في شيء لا ينجو منه، وقد فسرها في الخبر بقوله التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها)[٦].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس الإنسانية:

هذا ما يستفاد من نص الحديث وسياقه، وفي بيان ذلك نجد أن الحق تبارك وتعالى قد أوجب القصاص لحفظ النفس الإنسانية، (فإن الإنسان إذا دخل في دين الله فإنه يصبح في مأمن، لقوله ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٢٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٧٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٦٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٦/١٢.

دِماءَهُم وأموالَهُم إلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى الله))[١] فإذا دخل الإنسان في دين الله ونطق بالشهادتين فإنه يعصم دمه وماله حتى يتبين منه ما يناقض ذلك من أنواع الردة، فيقام عليه حدُّ المرتد، فدم المسلم حرام، رتب الله عليه وعيدًا في الآخرة لمن استباحه، ووعيدًا في النار، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢])[٣].

قال ابن كثير: (وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥])[٦] (وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى وعظيم منزلته، ومن أجل ذلك فرض تعالى القصاص فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[٧] وقال تعالى مبينًا الحكمة من ذلك ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٨] لأنه بالقصاص تحصل حياة المجتمع، فإذا قتل القاتل فإن الناس يأمنون على دمائهم وأنفسهم، وأما إذا لم يقتل القاتل، فإن هذا يصبح خطرًا على المجتمع، وقد جعل الله القصاص حياة؛ لأنه يسبب الحياة وإن كان موتًا للمقتص منه لكنه حياة للبقية)[٩] وفي ذلك بيان على أن الحفاظ على النفس الإنسانية من أهداف الدعوة الإسلامية.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٩، ومسلم ٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ١٢١/٢.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٦/٢.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٩) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ١٢١/٢٥-١٢٢.

الحديث رقم (١٨٤٨)

١٨٤٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مارج من نار: اللهب المختلط بسواد النار[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في صيغته الإخبارية، وصيغ المبني للمفعول، يتضمن إخبارًا من رسول الله ﷺ عن أصناف الخلق العقلاء، وهم الملائكة والجن والإنس، ويقدم الرسول ﷺ توضيحًا لعناصر الخلق المتعددة، فالملائكة خلقت من نور، والجان خلق من مارج من نار، وآدم خلق من الطين، والأفعال التي تدل على مادة الخلق، جاءت كلها في صيغة المبني للمجهول: وذلك لأن الخالق معلوم ولا يحتاج إلى بيان وهو الله عز وجل، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وقدم خلق الملائكة: لأنها من نور: والنور أصفى من الطين، وأبهى وأنقى من النار، وفيه بشرى لأن الله نور السماوات والأرض، وأن الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ولأن الملائكة عباد مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وجبلوا على الطاعة، وقدم خلق الجان على خلق الإنس: لأن الجان له قدرات أقوى من الإنس، والنار لها خصائص وقدرات من الانتشار والإحراق، واللهب أكثر من التراب، وكذلك لقدرة الجن على التخفي، والملائكة خلق من خلق الله، وجزء من عالم الغيب الذي أمر الإنسان بالإيمان به، ولفظ: الملائكة من الألفاظ التي لها علاقة بخصوصية المعجم الإسلامي وأثر الإسلام في لغة العرب.

---

(١) برقم ٦٠/٢٩٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ر ج).

ولفظ: الملائكة ليس مشتقًا من المُلك بل هو من الألُوك، بمعنى الرسالة: وهذا الاشتقاق اللغوي يفسر وظيفة الملائكة فهم رسل الله إلى الناس، فالتسمية تفصح عن مهمة هذا الصنف من الخلق، ثم غلبت عليه حتى صارت علمًا له.

والجن: أو الجان: كلمة عربية الاشتقاق مأخوذة من جنَّ الشيء يجنه جنًا: أي ستره، وكل شيء ستر عنك، فقد جنَّ عنك، والجن من عالم الغيب، لأنه عالم مغيب عن الإنسان، ويمثل الملائكة عند المؤمنين جانب الخير والرشد، في مقابل الشياطين وهم من الجن الكافر، الذين يمثلون جانب الغي والضلال، ولفظ الملائكة تكرر في القرآن الكريم في ثمان وستين مرة، وهو العدد نفسه الذي تكرر فيه لفظ الشيطان، وعدد ما ورد من الآيات الشريفة في مختلف صور الملائكة: وملكًا، وملكين، وملائكة هو ثمان وثمانون مرة، وهو العدد نفسه الذي تكرر فيه مختلف صور الشيطان كالشيطان وشياطينهم[1].

وابن آدم من التراب: ولكن الله يهديه إلى نور طاعته، وطريق هدايته، والشيطان يزين له طرق الغواية، وعليه أن يقاوم همزات الشياطين، ويعوذ برب الناس: من الوسواس الخناس: الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وكلمة مارج من نار، تفيد قدرة الجن على التشكل والتلون، لأن مرج معناها: اضطرب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما المارج: اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض، أحمر وأصفر وأخضر، وقال المبرد: المارج: النار المرسلة التي لا تُمنع، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان ماهية خلق الملائكة والجن والإنسان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: وجوب الإيمان بالغيبيات من الملائكة والجن.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان ماهية خلق الملائكة والجن والإنسان:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"، قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أخبر عن بدء الخلق، فذكر ﷺ أن الملائكة خلقوا من النور، ولذلك كانوا كلهم خير، لا يعصون الله، ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون)[1]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2] قال ابن كثير: (أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلاً ونهارًا؛ فقال "وله من في السماوات والأرض ومن عنده" يعني: الملائكة، "لا يستكبرون عن عبادته" أي: لا يستنكفون عنها ...، وقوله "لا يستحسرون" أي: لا يتعبون ولا يملُّون "يسبحون الليل والنهار ولا يفترون" فهم دائبون في العمل ليلاً ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملاً، قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3])[4].

أما الجن فقد خلقوا من نار، وقد صرح القرآن الكريم بذكر ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[6] قال ابن كثير نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أي من لهب النار، من أحسنها، وفي رواية من خالص النار)[7]، وقال النووي: (الجان: الجن والمارج اللهب المنخلط بسواد النار)[8]، (وإذا تساءل أناس: وكيف يعقل خلق الجن من نار؟ فالجواب: أن الله قادر على إيجاد العقل والحياة في الجسم الحار كما أوجدها في الإنسان المخلوق من طين، على أن الجن لم

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٧٩/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٩-٢٠.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٦/٥.

(٥) سورة الحجر، آية: ٢٧.

(٦) سورة الرحمن، آية: ١٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٢/٧.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢٠.

يبق على صورة النار، بل استحال بقدرة الله إلى نوع آخر، يكون قابلاً للحياة، كما هو الشأن في الإنسان)[1]. قال ابن عثيمين: (أما الإنسان فقد خلق من طين، من تراب، من صلصال كالفخار؛ لأن التراب صار طينًا ثم صار فخارًا، فخلق منه آدم عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[2])[3].

(وبناء على ما تقدم فإن الجن خلق يغاير طبيعة البشر من حيث الشكل وأصل المادة التي خلقوا منها، إذ أنهم مخلوقون من النار، بعكس الإنسان الذي خلق من الطين، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[4])[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: وجوب الإيمان بالغيبيات من الملائكة والجن:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان لقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾[6]

(والإيمان بالملائكة يعني: التصديق بوجودهم، والتصديق بأعمالهم التي يقومون بها في هذا الكون، فالملائكة: خلق من خلق الله، خلقهم لعبادته، وتنفيذ أوامره في الكون، فالله يرسل الملائكة لتنفيذ أوامره، فهم خلق من عالم الغيب لا نراهم، ولكن نؤمن بهم إيمانًا جازمًا لا يتطرق إليه شك؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم، كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ، إخبارًا قطعيًا يجعلنا نؤمن به)[7].

(وقد جعلهم الله أقسامًا، منهم الموكل بأداء الوحي إلى الرسل، وهو الروح الأمين

---

(١) انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران، إيران، ١٨١/١٩.

(٢) سورة طه، آية: ٥٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٨٧٩.

(٤) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤-١٥.

(٥) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالكريم نوفان عبيدات، ط/٢، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص ٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٧) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ٢٦٧/١.

جبريل عليه السلام. ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه، ومنهم الموكل بالصور، وهو إسرافيل، ومنهم الموكل بالمطر، وهو ميكائيل، ومنهم الموكل بأعمال العباد. وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات. قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[1]. ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها وهم رضوان ومن معه، ومنهم الموكل بالنار وعذابها وهم مالك ومن معه من الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومنهم الموكل بفتنة القبر وهم منكرٌ ونكير، ومنهم حملة العرش، ومنهم الموكل بالنطف في الأرحام من تخليقها إلى إلى كتابة الخير والشر، ومنهم ملائكة يدخلون البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر، ومنهم صفوف قيام لا يفترون، ومنهم ركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ما ذكر ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾[2].

ونصوص هذه الأقسام من الكتاب والسنة كثيرة معروفة عند العلماء)[3]. أما (الجن فقد أفاض القرآن والسنة في الحديث عنهم وبيان أحوالهم في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكرهم في القرآن في مواضع متعددة تقرب من أربعين موضعًا، عدا عن الآيات التي تحدثت عن الشيطان وهي كثيرة، وانفردت سورة كاملة للحديث عن أحوال النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول ﷺ وهو بمكة، وهي سورة الجن، إذ ورد في مطلعها إخبار الله لنبيه باستماع هذا النفر للقرآن، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾[4])[5] وفي ذلك بيان على وجوب الإيمان بهم، قال ابن تيمية: (لم يخالف أحد من

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٣) الإيمان، عبدالمجيد الزنداني وآخروه، ١٥٤-١٥٥.

(٤) سورة الجن، آية: ١-٢.

(٥) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبدالكريم عبيدات، ٧٩.

طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، ... وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون ومنهيون، ليسوا صفات وأعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعم بعض الملاحدة)[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/١٩.

الحديث رقم (١٨٤٩)

١٨٤٩- وعنها رضي الله عنها ، قالت: كان خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ القُرآن. رواهُ مسلم[1] في جملة حديث طويل.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن القرآن الكريم كما يقول الرافعي سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وألفاظ القرآن إذا اشتدت فأمواج البحار الزاجرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها، وهو آيات لا يجانس كلامها البديع غير كمالها، وحقيقة في الوجود لم يكن يعرف غير ظلالها.

وفي ضوء هذا التصوير الأدبي البليغ لقدر القرآن الكريم ومكانته، نقرأ هذا الحديث البليغ الموجز الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ترصد أخلاق رسول الله ﷺ وسلوكياته في الحياة، ولم تجد صورة أكمل ولا أبلغ ولا أجمل من أن تقول: "كان خلق نبي الله ﷺ القرآن"، وكان في هذا الحديث لا تحصر دلالتها في إطار الزمن الماضي فقط، ولكنها تفيد التمكين والثبات وتأكيد هذا الخُلق الذي تمثل آيات القرآن الكريم نسيجه المتكامل، فهو الخلق القدوة والمثال، وهو الخُلق الذي يعد تاج الكمال، ويؤكد القاضي عياض: أن الخصال الجمالية الكمالية التي ينبع منها المنطق الجميل، والفعل الجميل، والأسلوب الجميل: كان لنبينا ﷺ شرف التحلي بها جميعًا، فهو الأسوة الحسنة في الأقوال والأفعال، وفي الخَلق والخُلق، فالمصطفى ﷺ لا مرية أنه: كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أَمْرَ بواطن

---

(١) برقم ١٣٩/٧٤٦.

الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقدمه من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه: لم يمتر أحدٌ في رحجان عقله وثقوب فهمه لأول بديهية، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحقُّقه[1].

ويقول العلماء في سر الربط بين خلق النبي والقرآن، فكما أن معاني القرآن لا تتناهى، فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على عظم أخلاقه لا تتناهى، ولنتأمل ما تشع به هذه الأبيات من محبة لرسول الله ﷺ ولأخلاقه الكريمة وسجاياه الحميدة:

هو الفقير ويأبى أن تكون له ... جبال مكة في دنيا الورى ذهبا
فنفسه من صفاء الطهر معدنها ... والله أغناه بالقرآن حين أبى
فإن مشى كان قرآنًا جوانبه ... تفيض بالذكر للقلب الذي نضبا
وإن تحدث فالآيات منطقهُ ... ترد للكل حقًا كان قد سُلبا
ففي تواضعه أسرار حكمته ... هو النبي ولكن يجمع الحطبا
وفي تسامحه أسرار هيبته ... والحب في الله قد أحنى له الشهبا
وفي تعاطفه أسرار قوته ... قد أخضع العجم بالقرآن والعربا[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ.
ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في تخلقه بأخلاق القرآن.
ثالثًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله عائشة رضي الله عنها "كان خلق نبي الله ﷺ

(١) انظر الشفا: للقاضي عياض، وانظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية: د. صابر عبدالدايم
(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر شعر د. صابر عبدالدايم: إصدار مكتبة العبيكان الرياض.

القرآن"، قال النووي: (معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته)[1]، وقال ابن كثير: (ومعنى هذا أنه، عليه السلام، صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا، سجيةً له، وخلقًا تَطَبَّعه، وترك طبعه الجبلّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه - هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل)[2]، وقد مدحه الحق تبارك وتعالى في كمال خلقه ﷺ قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: ((خَدَمْتُ رَسُولَ الله عَشْرَ سِنِينَ فَما قَالَ لِي أُفٍّ قَط ، وَمَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَه؟ وَلاَ لِشَيءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وكَانَ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا))[4] قال النووي: (وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في تخلقه بأخلاق القرآن:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي بيان ذلك قال د. القرضاوي: (ومن حسن حظ المسلمين: أن الله جعل لهم قدوة يقتدون بها، تتجسد فيها مكارم الأخلاق التامة، التي أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه. وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أثنى عليه ربه تعالى فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6] وقال ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[7] وفي قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إن خلقه القرآن، تعني أن سيرته كانت تجسيدًا حيًا للقرآن، فكما بين القرآن للناس

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨٩/٨.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٤٨، ومسلم ٢٣٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٢٧.

(٦) سورة القلم، آية: ٤.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

بقوله، بينه لهم بسيرته ومن فضل الله علينا، أن سيرته عليه الصلاة والسلام لم تضع كما ضاعت سير الرسل السابقين...، ولا يوجد امرؤ من الناس إلا وجد في هذه السيرة الشاملة الجامعة ما يأخذ منه الأسوة والهدي الأكمل، يستوي في ذلك الشاب والشيخ، والعزب والمتزوج، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والمسالم والمحارب، ولا يعرف من اجتمعت له هذه الأوصاف إلا محمد ﷺ، فشمول سيرته مكافئ لشمول رسالته)[1].

ثالثًا- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقه:

هذا ما يستفاد من نص الحديث (والنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه، ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره، ...)[2]، (وعلى الإجمال فالتأسي بالنبي ﷺ مطلب أساس في حياة الدعاة، ولا يقف التأسي به عليه الصلاة والسلام عند حد معين ينتهي إليه من الطاعات في باب تهذيب النفس وترويضها، وتربيتها، وتزكيتها، بل يشمل كل مشروع متعبد به...، فالدعوة أمانة عظيمة، ولا تؤدى على أتم وجهها إلا بعد أن تمرَّس النفس على الانضباط بأخلاق الدعاة الصادقين، وصفات المصلحين المخلصين، ويتبوأ إمام الدعاة قدوتنا رسول الله ﷺ مكان الذروة من ذلك، فهو ذو الخلق الكريم، الخلق العظيم بشهادة رب العالمين)[3]، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في أخلاقه، لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة ٢٥٨.

(٢) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ٥٩.

(٣) المرجع السابق، ٧٠.

الحديث رقم (١٨٥٠)

١٨٥٠- وعنها، قالت: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أكَراهِيَةُ المَوتِ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ؟ قال: ((لَيْسَ كَذلِكَ، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجد أنه يتضمن كثيرًا من أسرار الجمال التعبيري، التي ترغب العبد وتشده إلى محبة الله عز وجل، ويبدأ الحديث الشريف بجملتين شرطيتين، ولكن الدلالة فيهما على النقيض، فبين الجملتين تقابل في المعنى، وتضاد في الدلالة: حيث يقول في الجملة الأولى: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"، وألفاظ جملة فعل الشرط هي نفسها ألفاظ جملة الجواب، وهذا التكرار لمزيد من الترغيب في الإقدام على محبة الله، وعدم الخوف من الموت وما بعده، لأن المؤمن ثوابه النعيم المقيم ولذلك تكرر الفعل "أحب" مرتين، ولفظ الجلالة "الله" تكرر مرتين ولفظ "لقاء" تكرر مرتين وفي ذلك غاية الترغيب، وذروة الإكرام الإلهي، ومعنى محبة لقاء الله كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام والخطابي، إيثار العبد الآخرة على الدنيا، وعدم محبة استمراره فيها شوقًا لنعيم الآخرة.

والجملة الثانية تُرسى قاعدة مغايرة وهي تحدد موقف الله عز وجل من الذين

---

(١) برقم ١٥/٢٦٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١١٧.

يخشون العذاب يوم القيامة، لبعدهم عن الإيمان، وتوغلهم في دروب العصيان "ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

ومن سمات الجمال التعبيري: هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها، وهي تسأل الرسول ﷺ وتناديه يارسول الله أكراهية الموت؟ ثم تقول ملقية على سؤالها السابق ظلالاً من التعجب، فكلنا نكره الموت !!.

ويلجأ رسول الله ﷺ إلى أسلوب الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وهذا من عناصر التشويق والترغيب في أسلوب الحديث النبوي: فيقول: ليس كذلك، أي ليس الأمر كما قلت: فكراهية الموت ليست مقصودة لذاتها، ولكن لمتعلقاتها وما ينتج عنها، ومسبباتها.

والاستدراك في قوله: "ولكن" ينفي ما توهم السامع ثبوته، ويثبت ما توهم السامع نفيه، وجاء التوضيح مصدرًا بالتوكيد في قوله: "ولكن" فهي تؤكد المعنى اللاحق، وصاغ الرسول ﷺ توضيحه في أسلوب الشرط والجواب، وأتى بأداة الشرط "إذا" في الجملتين، وأكد الجملة الثانية "بإن" حتى تتضح معالم الحديث ومقاصده، والجملتان الشرطيتان بينهما مقابلة في الموقف، وطباق بين الألفاظ، وتضاد في علاقة الإنسان بربه، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم من يبشر برحمة الله، ومنهم من يبشر بعذاب الله وسخطه، ومنهم من يحب لقاء الله فيحب الله لقاءه، ومنهم من يكره لقاء الله فيكره الله لقاءه.

وهذه المقابلات تضع المسلم في دائرة النجاة، وتبشره برحمة الله ورضوانه وجنته.

وتأمل هذه السخرية من الكافر في قوله: "وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه"، وجاءت البشرى هنا على سبيل المشاكلة اللفظية مع ما سبق، وذلك لمزيد من السخرية من الكفار الذين يتوهمون أن شياطينهم، وأعوان الشياطين من الإنس سيأخذون بيدهم إلى النجاة، ولكن هيهات هيهات: إن ربك لبالمرصاد.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حب المؤمن للقاء الله وكراهية الكافر لذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن كراهية الموت لا تعني كراهية لقاء الله.

ثالثًا: من واجبات الداعية: الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حب المؤمن للقاء الله وكراهية الكافر لذلك:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه".

وفي بيان ذلك قال النووي: (هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة؛ "من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله" ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عند ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم أي: فيجزل لهم العطاء والكرامة)[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] قال ابن كثير: (وقوله "تتنزل عليهم الملائكة" يعني عند الموت قائلين "ألا تخافوا" أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة "ولا تحزنوا" أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه "وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

الخير)[١]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((إذا حُضِرَ المؤمن: أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض... إلخ))[٢]. قال النووي: (وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره لقاءهم أي: يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم)[٣]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤]. وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((... وإن الكافر إذا حُضِرَ: أتته ملائكة العذاب بمسحٍ، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفةٍ، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! حتى يأتون به أرواح الكفار))[٥].

قال النووي: (وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم، كراهتهم لذلك، ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك، بل هو: صفة لهم)[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن كراهية الموت لا تعني كراهية لقاء الله:

هذا ما ورد في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: "ليس كذلك"، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال ابن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٧/٧.
(٢) أخرجه النسائي ١٨٣٤ ، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٢٩).
(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.
(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٣.
(٥) أخرجه النسائي ١٨٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٢٩).
(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.

الأثير في النهاية "المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عندالله، وليس الغرض به الموت لأن كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، لأنه إنما يصل إليه بالموت، وقول عائشة رضي الله عنها ((والموت قبل لقاء الله))[١] يبين أن الموت غير اللقاء، ولكنه معترض دون الغرض المطلوب، فيجب أن يصبر عليه، ويحتمل مشاقه، حتى يصل إلى الفوز باللقاء)[٢].

وفي تأكيد ذلك قال الطيبي: (إن قول عائشة رضي الله عنها "إنا لنكره الموت" يوهم أن المراد من لقاء الله في الحديث الموت وليس كذلك لأن لقاء الله غير الموت بدليل قوله في الرواية الأخرى "والموت قبل لقاء الله" لكن لما كان الموت وسيلة إلى لقاء الله عبر عنه بلقاء الله)[٣].

وقال ابن حجر: (وقد سبق ابن الأثير إلى تأويل لقاء الله بغير الموت، أبو عبيد القاسم ابن سلام فقال: ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلى الدار الآخرة. قال: ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قومًا بحب الحياة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾[٤]، وقال الخطابي: معنى محبة العبد للقاء الله إيثار الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهة بضد ذلك)[٥].

ثالثًا- من واجبات الداعية: الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب:

هذا ما ورد في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: "ليس كذلك... إلخ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٧/١١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢٥/٣-٢٢٦.

(٤) سورة يونس، آية: ٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٣٦٧/١١.

أنبياءه وأتباعهم بذلك فقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(١) وخير دليل على الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب، قول عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾(٢)، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(٣))(٤)، فعلى الداعية أن يمتثل لأمر الله تعالى ويقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما استشكل وخفي عن المدعوين، حتى يكونوا على بصيرة من أمر ربهم وسنة نبيهم، فيعبدوا الله على علم، وفي ذلك عظيم الأجر والفلاح.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقائه" قال ابن حجر: (وفي الحديث أن المجازاة من جنس العمل، فإنه قابل المحبة بالمحبة، والكراهة بالكراهة)(٥)، وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن الجزاء يكون من جنس العمل، فقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾(٦) قال ابن كثير: (أي: ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة)(٧). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٨) قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٦٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣١٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٣٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٦٨.

(٦) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/٥٠٥.

(٨) سورة المرسلات الآيات: ٤١-٤٤.

عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات: أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، "وفواكه مما يشتهون" أي من سائر أنواع الثمار، مهما طلبوا وجدوا "كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون" أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبرًا مستأنفًا: "إنا كذلك نجزي المحسنين" أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل)[1].

وقال تعالى في بيان جزاء المسيئين ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا﴾[2] قال ابن كثير: (وقوله: "جزاء وفاقا" أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا)[3]. وفي ذلك بيان على أن الجزاء من جنس العمل، حتى يقدم المرء لنفسه في دار العمل ما يجعله يبلغ حسن الجزاء في الآخرة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠١/٨.

(٢) سورة النبأ، الآيات: ٢١-٢٦..

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠٧/٨.

الحديث رقم (١٨٥١)

١٨٥١- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالتْ: كان النبيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أزورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي[١]، فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أسْرَعَا. فقال ﷺ: ((عَلَى رِسْلِكُمَا، إنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ)) فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رسولَ اللهِ، فقالَ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: شَيْئًا -)) متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ: وهي أم المؤمنين صفية بنت حييٍّ بن أخطب بن سَعْنة بن ثعلبة، ويقال عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير، من بني إسرائيل، من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وكانت من ذوات الشرف، تدين باليهودية من أهل المدينة، وكانت قد تزوجت قبل إسلامها سَلاَّم بن مشْكم، وكان شاعرًا ثم فارقها فتزوجت كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، سباها النبي ﷺ عام خيبر في شهر رمضان سنة (٧) من الهجرة وكانت قد ولدت بعد البعثة بثلاث سنين، فيكون عمرها يوم أن تزوجها النبي ﷺ سبع عشرة سنة، وكان النبي ﷺ قد أعتقها ثم تزوجها، وجعل عتقها صداقها، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ غزا خيبر.. فجاءه دحية فقال: ((يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حييٍّ، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله أعْطَيْتَ دحية صفية بنت حييّ سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، قال: فجاء بها، فلما نظر إليها النبي قال خذ جارية من السبي غيرها، قال وأعتقها وتزوجها....))[٣] وكانت صفية قد رأت قبل أن يتزوجها

---

(١) عند مسلم زيادة: (وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد).

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ومسلم واللفظ له ٢١٧٥/٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، فضل إعتاق أمته ثم يتزوجها ص (٦٠٠)، حديث قم (١٣٦٥).

رسول الله ﷺ أن قمرًا من يثرب وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها أو لزوجها فلطمها على وجهها، وقال إنك لتمدين عنقك إلى أن تكون عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أُتيَ بها رسولَ الله ﷺ فأخبرته فكبُرت في نفسه حين سمع منها هذه البشارة التي زفها الله إليها في هذه الرؤيا الصالحة، وواس آلامها وخفف من مصابها، وأعلمها بأن الله قد حقق رؤياها.

روت عن النبي ﷺ، وروى لها الجماعة، ولها في كتب الأحاديث (١٠) أحاديث.

وكانت صفية رضي الله عنها شريفة حليمة فاضلة، ذات حسب وجمال ودين وتقوى، من أضوأ ما يكون من النساء، ولها الكثير من الفضائل والمناقب، روى ابن حجر في الإصابة أن جارية لها أتت عمر، فقالت: إن صفية تحب السبت وتَصِلُ اليهود، فبعث إليها عمر فسألها عن ذلك، فقالت أما السبت، فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رَحِمًا فأنا أصلها، فلم يجب عمر، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا: قالت الشيطان، فقالت: اذهبي فأنت حرة، وهي في هذا تتخلق بخلق رسول الله ﷺ الذي كان يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ولا يَفْعَل هذا من الخلق بعده إلا من كان من الراسخين في العلم والتقوى والورع.

وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة، في شهر رمضان، في سنة (٥٠) ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا[١].

غريب الألفاظ:

معتكفًا: مقيمًا في المسجد بنية العبادة[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/١٢٠-١٢١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩١٦، ٩١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٧/١٦٨-١٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧١٩، ١٧٢٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٣١-٢٣٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥٤٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٧٨، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣/٢٠٦، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١/١٧٧-١٨٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ك ف).

لأنقلب: لأعود إلى بيتي[١].

ليقلبني: يردني إلى منزلي[٢].

على رسلكما: الرِّسل: التأني والتؤدة، أي: اتئد وتمهلا[٣].

الشرح الأدبي

إن الشيطان تتعدد طرق سيطرته على الإنسان، وأبلغ تعبير يصور مدى تغلغل الشيطان واستحواذه على الإنسان، هو هذا البيان النبوي الدقيق الذي ختم به هذا الحديث الشريف وجاء في صيغة التوكيد، وتكرر التوكيد "بإن" مرتين حيث شبه رسول الله ﷺ وسوسات الشيطان ونفاذ مغرياته إلى النفس بالدم الذي يجري في العروق، فكأنه لا يفارق الدم، وجاء هذا التصوير الذي يحذر من إغراء الشيطان في إطار مشهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية، حيث تروي أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها وقائع هذا المشهد وأحداثه، وأدوات الربط بين الأفعال في الحديث تفيد سرعة الأحداث وتلاحقها، فالأفعال تتوالى في إيقاع سريع حيث العطف بالفاء، وهي تفيد الترتيب والتعقيب: أي الإسراع، ولنتأمل هذا الشريط الذي تتعاقب أحداثه من خلال أفعاله "كان النبي معتكفًا... فأتيته... فحدثته ، فقام معي فمر رجلاً، فلما رأيا النبي ... فقال النبي... فقالا... فقال..."

ولم يأت العطف بـ"ثم" إلا في حالة واحدة، وهي بعد أن أقامت معه صفية رضي الله عنها تقول: ثم قمت لأنقلب أي أرجع والعطف هنا يدل على التريث والمكث عند رسول الله ﷺ: لأنها زيارة من زوجته له، ولو قالت فقمت: لفقد الكلام بلاغته، وفقد السياق دلالته، وقولها: فلما رأيا النبي أسرعا كناية عن الحياء، وعدم النظر إلى رسول الله ﷺ وهو مع زوجته، وهذا من أدب الصحابة، وقول النبي ﷺ "على رسلكما"،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ق ل ب)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ٣٢٧/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ٣٢٧/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر س ل).

أمر بالتمهل وتوجيه لهما بأن يمشيا المشي المعتاد لأنه ليس في الأمر ما يكرهانه، كأنه يقول لهما: امشيا على هيئتكما، والتأكيد في قوله: "إنها صفية بنت حيي"، يشير إلى أنه ليس في الأمر شبهه، وأنه يجب نزع أي خاطر أو وهم غير صائب: وهذا لإزالة الشبهة التي قد تطرأ وتطوف بالذهن، وهذا من باب اتقاء الشبهات، وقولهما: سبحان الله يارسول الله فيه تعجب، ونداء.. وتنزيه لرسول الله ﷺ عن كل ما يشين، وفي رواية أخرى "يا رسول الله وهل يظن بك إلا خيرًا"، ويصدر الرسول ﷺ هذا التوجيه النبوي الحكيم وهو منبثق من هذه التجربة العملية الواقعية: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، وهذا تعبير إيحائي تصويري مقنع يظل نبراسًا يضيء المواقف والأحداث، ويزيل الشبه ويقضي على همزات الوسواس الخناس.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاعتكاف.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: كمال شفقة النبي ﷺ بأمته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحرز من التعرض لسوء الظن والتحفظ من كيد الشيطان.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الاعتكاف:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول صفية أم المؤمنين رضي الله عنها "كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً" قال ابن حجر: (والاعتكاف لغة لزوم الشيء وحبس النفس عليه، وشرعًا المقام في المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة، وليس بواجب إجماعًا إلا على من نذره)[1]، وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتّى تَوَفّاهُ اللّهُ تعالى، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُهُ من بَعدِه))[2] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللهِ ﷺ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ))[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٢٥.

وللاعتكاف مقصود عظيم وفضل جليل بينه ابن القيم في قوله: (لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفًا على جمعيته على الله ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثًا ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب من أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرّع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والانشغال به وحده سبحانه وتعالى، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كلُّه به والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه والتقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك، لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم)(1). وهذا ما أكده جلّ الفقهاء في قولهم: (إن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى وطلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة إما حقيقة أو حكمًا، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار ولا يفترون)(2).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: كمال شفقة النبي ﷺ بأمته:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "على رسلكما، إنها صفية بنت حيي" وفي بيان

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٨٦-٨٧.

(2) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥/٢٠٧.

ذلك قال النووي: (وفي الحديث فوائد منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] فخاف ﷺ أن يلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا، فإن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم)[2]، وفي ذلك بيان عظيم على كمال شفقته ﷺ بأمته، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] قال ابن كثير: (في قوله تعالى "عزيز عليه ما عنتم" أي: يعز عليه الشيء الذي يعنتُ أمته ويشق عليها، وقوله تعالى "حريص عليكم" أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[4]، وقوله تعالى "بالمؤمنين رؤوف رحيم قال السعدي: (أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم)[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحرز من التعرض لسوء الظن والتحفظ من كيد الشيطان:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "إنها صفية بنت حيي" وقوله ﷺ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًا - أو قال شيئا - وفي بيان ذلك، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث دليل على أنه يجب على كل مسلم أن يتباعد عن مواقف الريب، وأن لا يقنع ببراءة نفسه عند نفسه، حتى يكون دليله على ذلك برهانًا واضحًا ينوب عنه مقاله ولا يحوجه إلى بسط عذره، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يظن به الشر مسلم إلا أنه ﷺ أراد بذلك أن يسلم ذلك الشخص الناظر من أن يعرض له الشيطان في تخييل ما لم يكن، وأن يقتدي به كل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

مؤمن إلى يوم القيامة، فلا يخلون رجل بامرأة ليست له بمحرم فرؤي خاليًا بها، عرف الناظر إليه ذلك)[1].

وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: (وفي الحديث التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم، ومن ثم قال بعض العلماء ينبغي للحكم أن يبين للمحكوم عليه وجه الحكم إذا كان خافيًا نفيًا للتهمة. ومن هنا يظهر خطأ من يتظاهر بمظاهر السوء ويعتذر بأنه يجرب بذلك على نفسه، وقد عظم البلاء بهذا الصنف، والله أعلم)[2]، وفي بيان الاحتفاظ من كيد الشيطان قال النووي: (وفي الحديث الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان، فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره، وفي قوله ﷺ إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، قال القاضي وغيره: قيل: هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان ومجاري دمه، وقيل: هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه، وقيل: يلقي وسوسته في مسام نظيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب)[3]، فعلى المرء أن يتحرز ويتحفظ من كيد الشيطان ووساوسه.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٧٢/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٩/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١، إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٥/٧.

الحديث رقم (١٨٥٢)

١٨٥٢- وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْن، فَلَزِمْتُ أنا وأبو سُفْيَانَ بن الحارثِ بن عبد المطلب رَسُول الله ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ[1]، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ[2]، وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبلَ الكُفَّارِ[3]، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أكُفُّهَا إرَادَةَ أنْ لاَ تُسْرِعَ، وأبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**أيْ عَبَّاسُ، نَادِ أصْحَابَ السَّمُرَةِ**)). قالَ العَبَّاسُ (وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا) فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أيْنَ أصْحَابُ السَّمُرَةِ، فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أوْلادِهَا، فقالوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارُ، وَالدَّعْوَةُ في الأنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: ((**هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**))، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: ((**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**))، فَذَهَبْتُ أنْظُرُ فَإذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيما أرَى، فَواللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأمْرَهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم[4].

"الوَطِيس": التَّنُّور، ومعناه: اشتدت الحرب، وقوله: "حَدَّهُمْ" هو بالحاء المهملة، أي: بأسهم.

ترجمة الراوي:

العباس بن عبد المطلب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٩٠).

---

(١) عند مسلم زيادة: (أهداها له فروة بن نفاثة الجذاميّ).

(٢) لفظ مسلم: (والكفار).

(٣) عند مسلم زيادة: (قال عباس).

(٤) برقم ١٧٧٥/٧٦.

غريب الألفاظ:

يوم حنين: حنين واد بين الطائف ومكة المكرمة وفيه وقعت غزوة حنين في شوال ٨هـ[١].

يركض بغلته: أي: يحرك رجله حثا لبغلته على العَدْو[٢].

السمُرة: هي: الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية[٣].

صيِّتًا: مرتفع الصوت[٤].

عطفتهم: ميلهم وشفقتهم[٥].

يا لبيك: لزومًا لطاعتك، ومعناه اتجاهي إليك وقصدي وإقبالي على أمرك[٦].

المتطاول: أي: تمدد قائمًا لينظر إلى الحرب، أو مد عنقه ليراه أو يطلع إليه[٧].

الوطيس: أي: التَّنُّور، ومعناه: اشتدت الحرب[٨].

حدهم كليلا: أي: بأسهم ضعيفًا[٩].

وأمرهم مدبرًا: أي: ولوا مدبرين لفسادٍ لحق بهم[١٠].

الشرح الأدبي

إن أحداث غزوة حنين جاءت بعد فتح مكة: حيث أقام المسلمون بمكة فرحين

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ١٥٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر ك ض).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٤٦.

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ص و ت).

(٥) انظر الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ٦١٠.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ب ى).

(٧) المرجع السابق في (ط و ل).

(٨) رياض الصالحين، ٦٢٦.

(٩) رياض الصالحين ٦٢٦، وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

(١٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ب ر).

بنصر الله إياهم، مغتبطين أنه لم يسفك في هذا النصر العظيم إلا الدم القليل، وبعد أسبوعين من مقامهم بمكة: وبعد أن تألبت هوازن وثقيف بإمرة مالك بن عوف النصري، سار المسلمون لردعهم، والقضاء على هؤلاء الذين يبغون القضاء على من أتم الله عليهم نعمة الفتح المبين، وسار المسلمون في جيش لم تعرف بلاد العرب من قبل مثاله، حتى أعجب بعض المسلمين بكثرتهم وقالوا: لن نغلب اليوم لكثرتنا، وكانوا اثنى عشر ألفًا من الأبطال المقاتلين.

وهذا الحديث يصور مشهد المواجهة بين المسلمين والمشركين.. وهو ليس مشهدًا عاديًا، ولكنه مشهد إدبار المسلمين وبوادر هزيمتهم، حيث يقول العباس ﷺ: "ولي المسلمون مدبرين لأنهم، أعجبتهم كثرتهم، ولكنها لم تغن عنهم شيئًا، وتتجلى شجاعة رسول الله ﷺ في إقباله وعدم إدباره، حيث أراد أن يندفع ببغلته البيضاء في صدر هذا السيل الدافق من رجال العدو هوازن وثقيف، ونضر وجشم، وما أدق هذا التعبير في رصد حركة الرسول وشجاعته، وغيرته وحميته، حيث يقول: فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفار"، ولكن العباس بن عبدالمطلب ﷺ يمسك بخطام البغلة، ويحول دون تقدمها خوفًا على رسول الله ﷺ من غدر الأعداء، وأمر الرسول ﷺ العباس ﷺ أن يصيح في الناس وأن يستنهض أهل بيعة الرضوان، وكنى عنهم بقوله: يا أهل السمرة أي الشجرة، وقيل كان العباس ﷺ جَهْوَرِيَّ الصوت يسمع صوته من نحو ثمانية أميال، وكأنه نفير الحرب أو البوق في العصر الحديث، وأقبل أهل البيعة، وأقبل الأنصار، وأقبل بنو الحارث، وكُسرت شوكة المشركين، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأيدهم بجند من عنده.

ولنتأمل هذه الصورة البيانية التي ترصد حركة أهل البيعة في إقبالهم بعد أن سمعوا النداء، يقول العباس ﷺ "فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها"، وهذا تصوير دقيق يفصح عن تشوقهم لنصرة رسول الله ﷺ ونصرة الدين وحمايته، حيث قالوا: يالبيك يالبيك، وبعدها اقتتلوا هم والكفار، ونادى رسول الله ﷺ بأعلى صوته مستبشرًا: "الآن حمى الوطيس"، والوطيس حجارة مدورة إذا

حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها، وقيل هو التنور، وهذا التعبير الجديد البليغ لم يسمع في كلام العرب من قبل، ورسول الله ﷺ أفصح العرب، وقالوا: هذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من واحد قبل رسول الله ﷺ: ومعناه: اشتدت الحرب، وقال القرطبي: الوطيس موضع وقود النار واستعارته هنا لشدة الحرب، وهذه الاستعارة العجيبة لايعرف من تكلم بها قبله ﷺ من العرب، وأتم الله نعمته على المسلمين، وهُزِم المشركون وولوا مدبرين، بعد أن استجاب الله لنبيه ﷺ وثبت فؤاده، حين نادى في قلب المعركة: "أنا النبي لا كذب: أنا ابن عبدالمطلب"، وقال: "انهزموا ورب محمد ورماهم بحصياته، يقول العباس: فما زلت أرى حدهم، أي بأسهم كليلاً وأمرهم مدبرًا" فلله درك يا رسول الله:

قد تمهل الأقدار غِرًا[1] حاقدًا ... لكنها لا تنصر الإشراكا

وأنا النبي لا كذب وأنا ... ابن عبدالمطلب تتحديان عداكا

تتكاثران مع الزمان فكلنا ... حرب على من يستبيح حماكا

هي صيحة لك في حنين حطمت ... جيش الضلال وخلدت دعواكا

كانت بسيف ابن الوليد مضاءة ... والنصر ظل مَحَاربًا تهواكا

وعلى الأسنة كان نور لهيبها ... حمما تشل طريق من آذاكا

وتنقلت عبر القرون صواعقا ... سحقت حصون البغى وهي صداكا[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة حنين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على حضور الغزوات مع النبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قوة وشجاعة وثبات رسول الله ﷺ.

---

(١) الغِرُّ: الأبله الذي لم يجرب الأمور، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (غ ر ر).

(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر، د. صابر عبدالدايم، قصيدة: أين الطريق إليك.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة الأنصار ﵃.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان معجزتي النبي ﷺ في غزوة حنين.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة حنين:

هذا ما ورد في الحديث من قول أبي الفضل العباس بن عبدالمطلب: "شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين... إلخ" (وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وذلك لما فرغ ﵇ من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النَّضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جُشم وبنو سعد بن بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والنَّعم، وجاؤوا بقضِّهم وقضيضهم، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضًا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له "حنين"، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم، ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1]".

وثبت رسول الله ﷺ، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول: "أين يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله"، ويقول في تلك الحال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال: ثمانون، فمنهم: أبوبكر، وعمر رضي الله عنهما، والعباس وعلي، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم، ثم أمر ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة -يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها، على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة، ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعون إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ. فلما رجعت شرذمة منهم، أمرهم عليه السلام، أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني" ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله ﷺ)[١].

(وكان من أعظم العبر والعظات المتخذة من غزوة حنين، أنها درسٌ في العقيدة الإسلامية، وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذي أوحت به غزوة بدر، بل متممًا له؛ فإذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئًا في جنب كثرة أعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضًا لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين. وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير العبرة من "بدر"، فقد نزلت آيات منه أيضًا في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من "حنين".

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/١٢٥-١٢٦، وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٤/٨١.

كان المسلمون في بدر أقل عددًا منهم في أي موقعة أخرى، ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئًا، بسبب صدق إسلامهم، ونضج إيمانهم، وشدة ولائهم لله ولرسوله.

وكان المسلمون في حنين أكثر عددًا منهم في أي موقعة أخرى خاضوها من قبل. ومع ذلك فلم تنفعهم الكثرة شيئًا، بسبب تلك الجماهير التي لم يتمكن الإيمان بعد في نفوسها، ولم يتغلغل معنى الإسلام في أعماق أفئدتها.

لقد انضمت تلك الجماهير إلى الجيش بجسومهم وأشكالهم، بينما لا تزال الدنيا وأهواؤها تتخطف أفئدتهم وتستولي على نفوسهم. وهيهات أن يكون لتعداد الجسوم والأشكال أي أثر في النصر والتوفيق.

فمن أجل ذلك أدبرت هذه الجماهير وارتدت على أعقابها متفرقة في متاهات وادي حنين، حينما فوجئوا بكمائن العدو تخرج في وجوههم، وربما امتدت ظلال هذا الهلع إلى أفئدة كثيرة من المؤمنين الصادقين أيضًا بادئ الأمر.

ولكن ما هو إلا أن سمع الأنصار والمهاجرون صيحات رسول الله ﷺ ونداءه لهم حتى كرُّوا عائدين، يلتفون حول رسول الله ﷺ، ويخوضون معه معركة حامية الوطيس، ولم يكن هؤلاء يزيدون على المائتين!

ولكن بهؤلاء المائتين عاد النصر إلى المسلمين، ونزلت السكينة على قلوبهم، وهزم الله عدوهم شر هزيمة، بعد أن كانوا اثني عشر ألفًا فيهم كثير من الأمشاج الذين لم يغنوا عن أنفسهم شيئًا!

وأنزل الله تعالى هذه العظة البليغة في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1])[2].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٢) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٤٢٤-٤٢٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على حضور الغزوات مع النبي ﷺ:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه. وليس أدل على حرصهم رضي الله عنهم على حضور الغزوات مع النبي ﷺ من فعل أبي خيثمة رضي الله عنه في ترك نعيم الدنيا والخروج في سبيل الله، وذلك ما ذكره ابن إسحاق في قوله: (إن أبا خيثمة رجع - بعد أن سار رسول الله ﷺ أيامًا - إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين[1] لهما في حائطه[2]، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبرّدت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح[3] والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصف! ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زادًا، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ، حتى أدركه حين نزل بتبوك. وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبًا، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة؛ فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: "أولى[4] لك يا أبا خيثمة". ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير)[5].

---

(١) العريش: ما يستظل به، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ع ر ش).

(٢) الحائط: البستان، انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢١/٤ ها مش.

(٣) الضح: الشمس، انظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) أولى لك: كلمة تهديد معناه: الويل لك، انظر: المرجع السابق نفسه

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٦٠/٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٥٦/٧-١٥٧.

وها هو ذا أبوذر رضي الله عنه يقطع الفيافي والقفار حرصًا منه على الغزو في سبيل الله مع رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره. فقال: دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه "وتلوَّم"[١] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتَّبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيًا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازله، ونظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كن أبا ذر". فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. قال: "فضرب الدهر من ضربه"[٢] وسُيِّر أبوذر إلى الربذة في عه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر. فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فنزل فوليه بنفسه حتى "أجنه"[٣])[٤]. وفي بيان ما سبق دليل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله مع رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أي: انتظر وتمهل، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٨٤٦.

(٢) أي: مر من مروره وذهب بعضه، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٥٤١.

(٣) أي: دفنه وستره، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ١٦٩.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٧/١٥٨-١٥٩، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٥/٢٢٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قوة وشجاعة وثبات رسول الله ﷺ:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي رضي الله عنه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والمشركون، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، أكفها إرادة أن لا تسرع" قال ابن كثير: (وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حَومة الوَغَى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع ذلك على بغلة ليست سريعة الجري، ولا تصلح لكرٍّ ولا لفرٍّ ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها على وجوههم، وينوِّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلاً عليه، وعلمًا منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان)[1]. وقال النووي قال العلماء: (ركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس، هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة، ومما ذكر في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه. وفي الرواية الأخرى: ((أنه نزل إلى الأرض حين غشوه))[2]، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر، وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن)[3]، فعن الْبَرَاءُ رضي الله عنه أنه قال: ((كُنَّا، وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ))[4]، قال النووي: (احمرار البأس كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر كما في الرواية السابقة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣١٧، مسلم ١٧٧٦.

حمي الوطيس، وفيه بيان شجاعته ﷺ وعظم وثوقه بالله تعالى)[١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، وقد فزع أهل المدينة ليلة، سمعوا صوتًا، فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عُري، وهو متقلد سيفه، فقال: لم تراعوا، ثم قال رسول الله: وجدته بحرًا يعني الفَرَسَ))[٢].

رابعًا- من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "أي عباس، ناد أصحاب السمرة" قال النووي: (هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية)[٣]، (وقد كانت بيعة الرضوان في السادس من الهجرة من ذي القعدة حيث خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة رجل، وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا له)[٤]، (وقد أراد النبي ﷺ بهذا النسك المنشود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكًا لقبيل يحتكر القيام عليه ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم...، وإحرام النبي ﷺ وصحبه بالعمرة فحسب -وهم يريدون دخول مكة - آية على الرغبة العميقة في السلم، وعلى الرغبة في نسيان الخصومات السابقة، وتأسيس علاقة أهدأ وأرق، ولكن أبت قريش وتعاهدت ألا يدخل عليهم رسول الله ﷺ مكة أبدًا)[٥]، (وبعد أن أرسلت قريش بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم مكرز بن حفص بن الأخيف، ثم الحليس بن علقمة "سيد الأحابيش"، ثم عروة بن مسعود الثقفي، وبعد هذه الوفود كانت "بيعة الرضوان")[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٤٠، ومسلم واللفظ له ٢٣٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٣٠٨، البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٢٠٧.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٣٢٢-٣٢٤.

(٦) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٣١٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٢١٠-٢١٤.

حيث كان سبب هذه البيعة العظيمة أن النبي ﷺ (دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: "لا نبرح حتى نناجز القوم". ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر.

فبايع الناس، ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته، قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل)[1].

وقد أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((قال لنا رسول الله ﷺ يوم

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٣١٥-٣١٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٢١٤-٢١٥.

الحديبية: أنتم خير أهل الأرض[1] وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة).

خامسًا- من أساليب الدعوة: التشبيه:

هذا ما ورد في الحديث من قول العباس رضي الله عنه "فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، والتشبيه من الأساليب الدعوية المهمة (في تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[2]، فعلى الداعية أن يستعين بهذا الأسلوب المهم في تقريب المعنى لأفهام المدعوين لما في ذلك من عظيم الفائدة.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة الأنصار رضي الله عنهم:

هذا ما يستفاد من الحديث من قول الراوي "والدعوة في الأنصار يقولون: "يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار" وفي بيان عظيم فضل الأنصار رضي الله عنهم وعلو مكانتهم (قال تعالى مادحًا لهم، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة)[3]: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4])[5]، قال القرطبي: (لا خلاف أن الذين تبوؤوا الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها)[6]، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم عظم فضلهم ومكانتهم فقال: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٨/٢٠.

الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))(١) قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار، حيث رضي أن يكون واحدًا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه، وقول أبو هريرة رضي الله عنه "ما ظلم"، أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله "آووه ونصروه"، وقوله رضي الله عنه "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعًا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)(٢)، وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار من الإيمان فقال: ((الأنصارُ لا يُحبُّهم إلاّ مؤمن، ولا يُبغضُهم إلاّ منافق. فمن أحبَّهم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضهم أبغضَه الله))(٣)، وقال ﷺ: ((آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصار))(٤) وفي ذلك بيان على عظيم فضلهم وعلو مكانتهم رضي الله عنهم.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان معجزتي النبي ﷺ في غزوة حنين:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: ((ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا، ورب محمد!" قال: فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرًا))، قال النووي: (هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ: إحداهما فعلية والأخرى خبرية، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين)(٥) وذكر مسلم في رواية أخرى: ((أنه ﷺ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٧٨٣.

(٤) أخرجه البخاري، ٣٧٨٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

بِهِ وُجُوهَهُمْ. فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَمَا خَلَقَ اللَّهِ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا، بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ))[1] (وهذا أيضًا فيه معجزتان خبرية وفعلية، ويحتمل أنه أخذ قبضة من حصى وقبضة من تراب فرمى بذا مرة وبذا مرة، ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب)[2].

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

الحديث رقم (١٨٥٣)

١٨٥٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ. فقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أشعث: متسخ[2].

أغبر: علاه الغبار[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يضيء لكل مسلم طريق الكسب الحلال، ويهديه إلى دروب الكمال، واتباع القدوة المثال، والابتعاد عن مواطن الريبة، ومنافذ الشيطان التي تلقى بالعبد في جب التهلكة والخسران، ولنتأمل سمات الجمال الأسلوبي التي تجسم المعاني وتوضحها، ومن هذه السمات الجمالية:

أ- البدء بالنداء في قوله: "أيها الناس"، وقد حذف حرف النداء اختصارًا وإيجازًا، وهو يوحي بالسرعة والرغبة في الاستجابة والإصغاء، وقال: "أيها الناس"، ولم يقل: أيها

---

(١) برقم ٦٥/١٠١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٦١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ث).

(٣) المرجع السابق في (غ ب ر).

المؤمنون: لأن لفظ الناس يتسق مع سياق الحديث بعد ذلك، حيث قال: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وقوله الناس: فيه تعميم يشمل كل أصحاب الأنبياء واتباعهم من قبل: وقال الزمخشري: ناداهم وإن كانوا في أزمنة مختلفة للإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك، ليعتقد السامع أن ما نودوا به جميعًا حقيق بالأخذ والعمل.

ب- تكرار التأكيد في بداية الجملتين التاليتين للنداء، للإشعار بأهمية المنادى به وضرورة اتباع ما أمر به رسول الله ﷺ وما أوصى به، حيث قال: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا"، ومعنى طيبا: أي منزه عن النقائص مقدس عن الآفات والعيوب، وأسلوب الاستثناء في قوله: "لا يقبل إلا طيبًا" تأكيد لما سبق، وتنبيه على الكسب الحلال، وإرهاص لما سيأتي في ختام الحديث، حيث لا يقبل الله دعاء ولا رجاء ولا إنفاق من كان مطعمه حرامًا، ومشربه حرامًا، لأنه لم يقدم الطيب من القول ولا الطيب من الفعل ولا الطيب من الصدقات.

ج- التأكيد في قوله: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين لتقرير الحقيقة الشرعية، حيث لا فرق بين الرسل والأمم في أمر كلٍّ بطلب الحلال، واجتناب الحرام.

د- الاقتباس من القرآن الكريم، والاستشهاد بآياته للإقناع، ولإفحام المغرضين والمبتدعين وأصحاب الأهواء.

هـ - صورة المسافر وهو أشعث أغبر... ويمد يديه إلى السماء، ويكرر النداء والدعاء: "يارب يارب"، هذه الصورة تتضمن مفارقة سلوكية حيث التناقض بين الأفعال والأقوال: فهو في مظهره وقوله: يبدو مؤمنًا محتاجًا إلى ربه، ولكنه في مخبره غير ذلك، فمطعمه حرام، ومشربه حرام، وحتى في نشأته وطفولته غذى بالحرام، وكأنه ورث هذا السلوك المعوج... وتدرج في هذه البيئة الفاسدة، والتعبير بالمصدر في قوله: "مطعمه ومشربه" إيحاء بأن مصدر الكسب حرام، ومنبعه، من الكسب الخبيث، وليس الكسب الطيب، والبناء للمجهول في قوله: "وغذي بالحرام": إشارة إلى أنه كان يجهل هذا الغذاء لعدم إدراكه، وكان عليه في الكبر أن يتدارك ذلك ، وأن يصغى

إلى رسول الله ﷺ في قوله: أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

و - الاستفهام في قوله: فأنى يستجاب له يفيد الإنكار والاستبعاد، أي كيف يستجاب الدعاء لمن خبث مصدر مطعمه ومشربه، وقيل: إن للدعاء جناحين، أكل الحلال، وصدق المقال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق من الطيب الحلال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على كسب الطيب من الرزق وأكل الطيبات.

رابعًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من أكل أو شرب الحرام.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من أساليب الدعوة المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لبيان أهمية الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "يا أيها الناس".

ثانيا - من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق من الطيب الحلال:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا".

قال ابن رجب: (والمعنى أنه تعالى مقدَّس منزه عن النقائص والعيوب كلها، وهذا كما في قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾[1]

والمراد: المنزهون من أدناس الفواحش وأوضارها. وقوله: "لا يقبل إلا طيبًا" أي لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبًا حلالاً.

وقد قيل: إن المراد في هذا الحديث الذي نتكلم فيه الآن بقوله: "لا يقبل الله إلا طيبًا" أعم من ذلك، وهو أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهرًا من المفسدات كلها، كالرياء والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالاً، فإن الطيب توصف

---

(١) سورة النور، آية: ٢٦.

به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث)[١].

قال النووي: (وفي الحديث الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره)[٢].

وفي تأكيد ذلك قال ﷺ: ((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمنُ بِيَمِينِهِ. وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً. فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ. كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ))[٣]، قال النووي: (والمراد بالطيب هنا الحلال)[٤]، وبين ابن هبيرة: (أن الله تعالى إنما يثيب العبد على ما أنفق من ماله، وإذا أنفق من مال مغصوب لم يكن قد أنفق ماله؛ إنما أنفق من مال غيره؛ فلم يكن من المنفقين أموالهم كما قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٥]؛ فإذا أنفق من ماله فهو الذي يأجره الله عليه، وذلك هو الكسب الطيب، وهو الذي يكسبه بالشرع، فقد طابت طرق حصوله، وينبغي له ألا يزدري النذر من الإنفاق؛ فإنه سيربو في التضعيف أضعاف ما يأمل المتصدق به)[٦].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله "... إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيلة".

قال ابن حجر: (وقوله: "فلوَّه" بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو المهر لأنه يفلى أي يفطم...، وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال،

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٨٥/١-٢٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٥) سورة البقرة، من آية: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٧/٦.

وكذلك عمل ابن آدم -لا سيما الصدقة- فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب، لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال، حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل)[1]. والفصيل: (هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وأصله من القطع)[2]. وفي بيان ما سبق لكمال الحث والترغيب على الإنفاق من الطيبات.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على كسب الطيب من الرزق وأكل الطيبات:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[4]، قال ابن رجب: (وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله، فإنه قال بعد تقريره: إن الله لا يقبل إلا طيبًا. إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا"، وقال: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم".

والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فما دام الأكل حلالاً، فالعمل صالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال، فكيف يكون العمل مقبولاً؟)[5]. (فينبغي أن يكون المشروب والمأكول والملبوس حلالاً خالصًا لا شبهة فيه)[6]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[7] (يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٨/٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٧/٦.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٦٠/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عَون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام، بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير، قولاً وعملاً ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله على العباد خيرًا)[١]، وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٢] (هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه)[٣]، وفي ذلك بيان في الحث على كسب الحلال من الرزق وأكل الطيبات.

رابعًا – من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٥]، فالقرآن الكريم هو مصدر الدعوة الأول (وهو حجة الداعية التي لا تضل، وبينته التي لا تزول، ورايته التي لا تتوارى، يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاء ووضاءة، ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا... لسان من لا لسان له، وفصاحة من لا فصاحة عنده، وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم، كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار، وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج، أو شرور وآثام، وفتن وأهواء)[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٧/٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٤.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١١٦.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من أكل أو شرب الحرام:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي ((ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)) (والحرام: ما استحق الذم على فعله، وقيل: ما يثاب على تركه بنية التقرب إلى الله تعالى. وقيل: الحرام عام فيما كان ممنوعًا عنه بالقهر والحكم وقيل: هو: ما ثبت المنع عنه بلا أمر معارض له)[١]، وبين النبي ﷺ أن أكل الحرام هو طريق مؤدٍ إلى النار وغضب الجبار فقال: ((إنهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِن سُحْتٍ إلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ))[٢] (والسحت بضم السين وسكون الحاء أي: الحرام)[٣]، فضلاً عن إحباطه للعمل الصالح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((مَنْ جَمَعَ مالا حَرَامًا، ثمَّ تَصَدَّقَ بِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فيهِ أَجْرٌ، وكانَ إصْرُهُ عليهِ))[٤].

وفي ذلك قال أبو عبدالله النباجي الزاهد: (خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة، لم يرتفع العمل، وذلك أنك إذا عرفت الله عز وجل، ولم تعرف الحق، لم تنتفع، وإذا عرفت الحق، ولم تعرف الله، لم تنتفع، وإن عرفت الله، وعرفت الحق، ولم تخلص العمل، لم تنتفع، وإن عرفت الله، وعرفت الحق، وأخلصت العمل، ولم يكن على السنة، لم تنتفع، وإن تمت الأربع، ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع)[٥]. والحرام مانع من إجابة الدعاء، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله من الحديث "فأنى يستجاب لذلك" قال النووي: (أي: من أين يستجاب لمن هذه صفته وكيف

---

(١) انظر: الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٢٠٠، ٤٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٦١٤ ص حه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥٠١).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ، ٨٥٩/١.

(٤) صحيح ابن حبان، ٣٣٦٧، وقال محقق الصحيح، إسناده حسن.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣١٠/٩.

يستجاب له)[١] وقال ابن رجب: (فقد أشار ﷺ إلى أن التوسع في الحرام أكلاً وشربًا ولبسًا وتغذية، مما يمنع إجابة الدعاء، وروى عكرمة بن عمار: حدثنا الأصفر، قال: قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت)[٢]، وفي ذلك بيان على الترهيب من أكل أو شرب أو التغذي بالحرام.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٧٤-٢٧٥.

الحديث رقم (١٨٥٤)

١٨٥٤- وعنه ﷺ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)) رواه مسلم[1].

(العَائِلُ): الفَقِيرُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بالتشويق وبراعة الاستهلال، ومع التشويق والبراعة نجد الترهيب لأصناف من الناس الذين أشار إليهم بالعدد المذكور: أي ثلاث أصناف، ولم يحددهم بعد العدد، ولكن حدد عقابهم، وما أدراك ما هذا العقاب، إنه غضب أحكم الحاكمين عليهم يوم القيامة، وهو الرحيم الرحمان، فهو رحمان الدنيا يعم الصالح والطالح برحمته، ولكنه رحيم الآخرة، أي لا يفوز برحمته إلا من يستحقها، وهؤلاء لا يستحقون أن يستظلوا بظلال رحمته، ولا أن يفيئوا إلى بساتين عطفه ومنته، ولذلك توالت الجمل الثلاث التي تحدد معالم العقاب: وهي كلها تتلاقى في آن واحد، لأن الواو ليست للترتيب ولكنها لمطلق الجمع، فهم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، وتكرار أداة النفي "لا" ثلاث مرات يفيد ثبات هذا العقاب، وذلك الحرمان وأي عقاب أشد وأنكى من ذلك؟؟ وأي حرمان يفوق حرمان هؤلاء من نعيم وفيوضات كلام الله لهم، وتزكيته وتطهيره لهم، ونظره إليهم نظرة بر واشفاق، إنهم حرموا من هذه النعم الإلهية، والمنح الربانية، وتأكيدًا لهذا الحرمان وذلك العقاب يقدم الضمير العائد عليهم في قوله "ولهم عذاب أليم"، وهذا من أنواع القصر، فالعذاب الأليم مقصور

(١) برقم ١٠٧/١٧٢، وتقدم برقم ٦١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٤٥.

عليهم، إضافة إلى ما تقدم من نفي النعيم عنهم، ووصف العذاب بالأليم إشارة كما يقول الواحدي: إلى أنه هو العذاب الذي يخلص وصفه إلى القلب، والعذاب كل ما ينعت الإنسان ويشق عليه، وأصل العذاب في كلام العرب: المنع.

ويفصل الرسول ﷺ القول: ويوضح بعد الإجمال، والتشويق في أول الحديث، فالثلاثة هم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر، والأوصاف التي تمثل المعاصي والذنوب، وكذلك الربط بين المعصية ونوعية العاصي يُحدث مفارقة واستغرابًا واستكثارًا، فكيف يزني من بلغ من العمر أرذله، وقد ضعفت شهوته عن الجماع الحلال فكيف الحرام؟ والشاعر العربي يقول:

عميرة ودع إن تجهزت غازيًا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

والكذب من حيل الضعفاء وقليلي المقدرة والجاه، ولكن حينما يكذب الرئيس أو الملك أو المسؤول على رعيته وعلى من حوله، فهو يخدعهم، وهو لا يرعى الله في رعيته، وهو يرتكب الحماقات وينأى عن الالتزام بمسؤوليات الملك، وأعباء الولاية، وتكاليف القيادة، فلا يستحق تكريم الله له، ولا يستحق طاعة الناس وموالاتهم.

وصيغة المبالغة في قوله: "كذاب" تفصح عن إيغال هذا المسؤول في صنعة الكذب والخداع والتمويه والاحتيال، ووصف العائل وهو الفقير المحتاج بالمستكبر، أي الذي يفتعل الكبر وهو ليس أهلاً له، فليس لديه ما يفخر به من مال وجاه وسلطان، إلا إذا كان مؤمنًا يفتخر بدينه، وعلمه ويتيه بأخلاقه، وهذا ليس استكبارًا، ولكنه إقرار بالفضل، وتحدث بالنعمة، وهي نعمة الإيمان والأخلاق.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦١٧).

الحديث رقم (١٨٥٥)

١٨٥٥- وعنهُ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

سيحان: نهر كبير بالثغر الشامي، من نواحي المصيصة، ينبع من شرق هضبة الأناضول من جبال (أنتي طوروس)، يمر بأدخنة (أدنة)، ويصب في بحر الروم (البحر المتوسط) شمال شرق خليج الإسكندرونة[2].

جيحان: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي (شمال غرب بلاد الشام) مخرجه من بلاد الروم، من شرق هضبة الأناضول، ويصب في البحر المتوسط غرب خليج الإسكندرونة عند بكفريبا[3].

الفرات: نهر ينبع من شمال شرق تركية، ويخترق جبال طوروس، ثم يدخل سورية عند بلدة جرابلس، ويغادرها إلى العراق عند بلدة البوكمال، ليلتقي بنهر دجلة عند القرنة ليكوِّنا (شط العرب) الذي يصب في الخليج[4].

النيل: هو: نهر النيل ينبع من هضبة البحيرات من أعالي أفريقيا ويتجه شمالاً، وعند القاهرة يتفرع إلى دمياط شرقًا ورشيد غربًا، طوله ٦٦٩٥ كم[5].

---

(١) برقم ٢٦/٢٨٣٩.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٢٨.

(٣) المرجع السابق ١٣٢.

(٤) المرجع السابق ٢٩٣.

(٥) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٦٤.

الشرح الأدبي

إن الماء مصدر الحياة، وسر بقائها على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1]. وقال سبحانه في سورة الزخرف: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف يتضمن خبرًا تقريريًا تعريفيًا، يوضح قيمة هذه الأنهار العذبة، التي تتجمع من مياه الأمطار التي تنزل من السماء فوق الجبال والهضاب، ثم تنحدر وتتخذ مجراها عبر الشعاب والأودية والجبال، حتى تستقر في هذه المجاري المائية التي تسقى الضرع، وتنبت الزرع، فتنشأ الحضارات على ضفاف الأنهار، وتعمر الحياة، وتتكاثر الأحياء.

والحديث في دلالته تتعدد آفاق معانية، فالأنهار المذكورة في الحديث حقيقية ولها دورها في حضارة الأمم التي تقطن حولها، وتستثمر مياهها في الزراعة والصناعة وكل متطلبات الحياة، فسيحان، وقيل سيحون نهر بالهند، وجيحان نهر وراء خراسان، وسميت هذه البلاد ببلاد ما وراء النهر، وهي الآن من بلاد الإسلام القوية ذات الحضارات والثروات الهائلة، والفرات: نهر بالعراق، وعلى ضفافه قامت حضارة بلاد الرافدين، وما زال يفيض بمياهه ويروي الهلال الخصيب.

والنيل شريان الحياة في مصر، ومصر كما يقول المؤرخون هبة النيل، فأسباب الحياة واستمرار الحضارة في مصر، مرتبط بما يفيض به النيل من المياه التي تغمر الحقول بالخصوبة، وتعمل على ازدهار الحضارة في وادي النيل، مصر والسودان، وغيرهما من بلدان أفريقيا.

وقوله: "كل" أي كل هذه الأنهار من أنهار الجنة، يحتمل أن يكون على ظاهره، أي أنها حقيقة تنبع من الجنة، والله أعلم بكيفية ذلك، ويحتمل أن يكون المراد هو

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٢) سورة الزخرف، آية: ١١.

لازم المعنى: أي أن هذه البلاد التي تنعم بخيرات هذه الأنهار سيمنّ الله عليها بنعمة الإيمان، وينتشر فيها الإسلام، ويعم الرخاء، وقد حدث ذلك في الواقع حيث امتدت الفتوحات الإسلامية، ورفرفت راية الإسلام والتوحيد في أجواء هذه البلاد في الشام، والعراق، والهند، ومصر، وخراسان، وكأن هذه البلاد أصبحت تسقى من أنهار الجنة، وكل من استشهد من الفاتحين أو من أهل هذه البلاد دفاعًا عن الإسلام فهو في الفردوس الأعلى من الجنة، فالحديث في ضوء هذه الدلالة يعد من معجزات وبشارات النبي ﷺ لأنه إخبار واستبشار بدخول أهل هذه البلاد التي تضم هذه الأنهار في دين الله أفواجا. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أنهار سيحان وجيحان والفرات والنيل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر في قوله ﷺ: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)، حيث أخبر رسول الله ﷺ المدعوين أن هذه الأنهار من أنهار الجنة.

"قال القاضي عياض: (كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان عمّ بلادها، وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة، والأصح أنها على ظاهرها، وأن لها مادة من الجنة مخلوقة، لأنها موجودة اليوم عند أهل السنة، وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى)[1]".

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في الإخبار عن الحقائق للمدعوين.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧٢/٨.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أنهار سيحان وجيحان والفرات والنيل:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)، قال الطيبي: (قال القاضي ناصر الدين: خصّ الأنهار الأربعة بالذكر لعذوبة مائها، وكثرة منافعها، كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول الجنة، وسماها بأسامي الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب، على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم أنها في الجنة بمثابتها، وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعائم فنموذجات لما يكون في الآخرة، وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية"[1].

وأنهار الجنة أربعة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[2].

وقال كعب الأحبار: "نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر"[3].

وقال ابن عثيمين: "هذه أربعة أنهار في الدنيا وصفها النبي ﷺ بأنها من أنهار الجنة، فقال بعض أهل العلم: إنها من أنهار أهل الجنة حقيقة، لكنها لما نزلت إلى الدنيا غلب عليها طابع أنهار الدنيا وصارت من أنهار الدنيا؛ لأن أنهار الآخرة أربعة -أنهار الجنة أربعة- ذكرهم في الآية السابقة.

وهذه الأنهار الأربعة في الجنة لا نعلم كيفيتها ولا طعمها؛ لأن النبي ﷺ قال عن الجنة عن ربه في الحديث القدسي: ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٤٦/١٠.

(٢) سورة محمد، آية: ١٥.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٢٨٣/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسل ٢٨٢٤.

لكن سيحون وجيحون[1] والنيل والفرات معلومة وهي تأسن -تتغير- مع طول المدة، فللعلماء فيها تأويلان:

(١) أنها من أنهار الجنة حقيقة لكن لما نزلت إلى الأرض صارت لها حكم أنهار الدنيا.

(٢) أنها ليست من أنهار الجنة حقيقة لكنها أطيب الأنهار وأفضلها، فذكر النبي ﷺ هذا الوصف لها من باب رفع شأنها والثناء عليها، والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ"[2].

وفي كل الأحوال يتأكد فضل هذه الأنهار لقول رسول الله ﷺ عنها ذلك.

---

(١) قال النووي: سيجون وجيجون غير سيحان وجيجان باتفاق الناس، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٥٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٨٦/٢.

الحديث رقم (١٨٥٦)

١٨٥٦- وعنه، قال: أخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: ((**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فيها الجِبَالَ يَومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَومَ الثُّلاثَاء، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأربِعَاء، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوابَّ يَومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ، بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَومِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ**[١] **فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**)) رواه مسلم[٢].

قال ابن عثيمين: (أما حديث "خلق الله التربة يوم السبت إلى آخر الحديث..." فهذا الحديث رواه مسلم وقد أنكره العلماء عليه فهو حديث ليس بصحيح ولا يصح عن النبي ﷺ؛ لأنه يخالف القرآن الكريم، وكل ما خالف القرآن الكريم فهو باطل، لأن الذين رووا نقله بشر يخطئون ويصيبون والقرآن ليس فيه خطأ، كله صواب منقول بالتواتر، فما خالفه من أي حديث كان فإنه يحكم بأنه غير صحيح وإن رواه من رواه؛ لأن الرواة هؤلاء لا يتلقون عن رسول الله ﷺ مباشرة ولكن بواسطة الإسناد: حدثنا فلانا عن فلان إلى رسول الله ﷺ وهؤلاء قد يخطئون. لكن القرآن ليس فيه خطأ.

فهذا الحديث مما أنكره أهل العلم - رحمهم الله - على الإمام مسلم ولا غرابة في ذلك؛ لأن الإنسان بشر "مسلم وغير مسلم" كلهم بشر يخطئون ويصيبون، فعلى هذا لا حاجة أن نتكلم عليه، ما دام ضعيفاً فقد كُفيناه - والله الموفق)[٣].

---

(١) لفظ مسلم: (من ساعات الجمعة) بدل: (من النهار).

(٢) برقم ٢٧٨٩/٢٧.

(٣) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ للإمام النووي، شرحه وأملاه: فضيلة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، ضبط نصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د. محمد حسن، محمود حسن محمود ٤٧٨/٤، ط/٣ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

الحديث رقم (١٨٥٧)

١٨٥٧- وعن أَبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه قَالَ: لَقَدِ انْقَطَعتْ فِي يَدي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

خالد بن الوليد: هو أبو سليمان القرشي المخزومي.

سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، وقائد المجاهدين، كان من أشراف قريش في الجاهلية، وكانت إليه أعنة الخيل، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، وهاجر مسلمًا هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ((رمتكم مكةُ بأفلاذ كبدها))[2]، وسُرَّ به النبي ﷺ، ثم سار غازيًا فحمل الراية وانتصر في مؤتة، بعد استشهاد "زيد" و"جعفر" و"ابن رواحة" رضي الله عنهم وقد اندقتْ في يده يوم مؤتة تسعةُ أسيافٍ، وما صَبَرتْ في يده إلا صفيحة يمانية[3]، ثم شهد فتح مكة، فأبلى فيها وبعثه النبي ﷺ إلى العُزَّى فهدمها، وجعل يقول:

كفرانك اليوم ولا سبحانك　　إني رأيتُ الله قد أهانك

وشهد حُنَيْنًا، واستعمله النبي ﷺ في بعض مغازيه، وقال فيه النبي ﷺ نِعْمَ عبدالله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله[4]، وقال أيضًا ﷺ ((لا تؤذوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله، صَبَّه الله على الكفار))[5].

ولما ولّي أبوبكر رضي الله عنه وجّههُ لقيادة حروب الردة، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرةَ وجانبًا عظيمًا منه، وحّوله إلى الشام فاخترق البادية من العراق إلى الشام بجيشه

---

(١) برقم ٤٢٦٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٥/٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٤٦، وصححه الألباني.

(٥) صحيح ابن حبان ٧٠٩١، وقال محققو الصحيح: إسناده صحيح.

كالسهم في خمس ليالٍ، فحاصر دمشق، ولما ولِّي رضي الله عنه عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، فلم يُثني ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة رضي الله عنه إلى أن تم لهما الفتح سنة ١٤هـ، وله الأثر المشهود في قتال الفرس والروم، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به، فلا يزال منصورًا.

وكان مظفرًا، خطيبًا، فصيحًا يشبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خَلْقه وصفته، وقد قال فيه أبوبكر رضي الله عنه: عجزت النساء أن يلدن مثله، وقد روى له المحدثون ١٨ حديثًا.

ولما حضرته الوفاة قال رضي الله عنه: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء وما من عمل أرجى من (لا إله إلا الله) وأنا متترس بها.

وتوفي في حمص "بسوريا" سنة ٢١هـ[١].

غريب الألفاظ:

مؤتة: بلدة من قرى البَلقاء في حدود الشَّام، في جنوب الأردن حاليًا، فيها كانت المعركة المشهورة ٨هـ[٢].

صفيحة يمانية: سيف يمني عريض[٣].

الشرح الأدبي

هذه صفحة مشرقة من كتاب البطولة الإسلامية، ومن صفحات الإباء والشمم،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٥٢/٤-٢٥٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٩٧-١٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٤٠/٢-١٤٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٦٦/١-٣٨٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٧١/٢-٣٧٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٣٤/١-٥٣٥، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٠٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٣٠-٣٣١، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٦٨٠/١-٦٩٠.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ف ح).

ومَن غير خالد يفتخر بهذا الصنيع، وتلك الشجاعة، إنه سيف الله المسلول، وفي هذه الغزوة استشهد ثلاثة من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ وهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وابن رواحة شاعر فارس: أخذ الراية بعد جعفر، وتقدم وهو على فرسه... فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال وأقسم:

أقسمت يا نفس لتنزلنّه   لتنزلنّ أو لتكرهنّه

إن أجلب الناس وشدوا الرنّة[1]   مالي أراك تكرهين الجنة

ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل؛ وبعده أخذ خالد الراية مع ما رأى من تفرق المسلمين وتضعضع قوتهم المعنوية، وكان قائدًا ماهرًا ومحركًا للجيوش قلّ نظيره، وأحكم تدبير خطته، وأدخل في روع عدوه أن مددًا جاءه من عند النبي ﷺ فتقاعس الروم عن مهاجمة جيش المسلمين، وسروا بعدم مهاجمته إياهم[2].

ويصف خالد بن الوليد بلاءه في المعركة قبل توليه إمارة الجيش، وقبل انسحابه بعد تفكير دقيق، وخطة محكمة، هذه المعركة كان عدد جيش الروم بين مائة أو مائتي ألف من جيوش هرقل، وعدد المسلمين ثلاثة آلاف، وهذا البلاء الحسن الذي قدمه خالد بن الوليد يؤيده التأكيد الذي يشعر بالقسم في بداية الحديث حيث يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، واللام تشعر بالقسم، وقد للتحقيق والتأكيد، وأي شجاعة تفوق هذه الشجاعة، والجملة الأخيرة في الحديث صيغت في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، لتفيد أن خالد لم يعد يملك إلا سيفًا يمانيًا على تلك الصفة: صفيحة يمانية، وتكسر السيوف التسعة يدل على قوة الضرب والقتال، وهكذا كان بقية أبطال الإسلام، واستجاب الله لدعاء نبيه ﷺ وردّ المسلمين إلى ديارهم سالمين مع أنهم لم ينتصروا، ولكن خطة خالد المحكمة أوقعت في قلوب أعدائهم الرعب منهم، وفي بداية المعركة قال عبدالله بن رواحة الشاعر الفارس

---

(١) الرنّة: صوت يشبه البكاء، انظر: السيرة النبوية ابن هشام ١٤/٤ هامش، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: حياة محمد، د. محمد حسين هيكل.

عندما رأي تخوف بعض المسلمين من كثرة عدد جيش الروم، وقلة جيش المسلمين قال: يا قوم والله إن التي تكرهون، لَلّتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فقال الناس: فوالله صدق ابن رواحة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وقوة وشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل وقوة وشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول خالد بن الوليد رضي الله عنه: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية).

وهذا يدل على فضل وقوة وشجاعة وإقدام خالد بن الوليد رضي الله عنه، فهو رضي الله عنه من أشجع الناس، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ))[1].

قال المباركفوري: "قال القاري: أي: كسيف سله الله على المشركين وسلطه على الكافرين، أو ذو سيف من سيوف الله عز وجل، حيث يقاتل مقاتلة شديدة في سبيله مع أعداء دينه.

وقال المناوي: "أي: هو نفسه كالسيف في إسراعه لتنفيذ أوامر الله تعالى لا يخاف فيه لومة لائم"[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((أخذَ الرايةَ زيدٌ فأصيبَ، ثمَّ أخذَ جعفرٌ فأصيبَ، ثمَّ أخذَ ابنُ رَواحةَ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٦٢٨، ٢٦٢٩.

فأصيبَ -وعيناهُ تَذرِفان- حتى أخذَها سيفٌ من سيوفِ اللّهِ حتى فتحَ اللّهُ عليهم))[١].

قال ابن حجر: "وكان من فرسان الصحابة رضي الله عنهم... وشهد مع النبي ﷺ عدة مشاهد ظهرت فيها نجابته، ثم كان قتل أهل الردة على يديه ثم فتوح البلاد الكبار"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، فقد ذكر خالد بن الوليد رضي الله عنه انقطاع السيوف في يده، وذلك في يوم مؤتة في جهاده في سبيل الله مع المسلمين، ولم يكن الجهاد في سبيل الله يومًا من الأيام حربًا استعمارية مبنية على القهر والغلبة، ولا لفرض فكرة معينة أو حكم إجباري، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٣]، بل إنه شرع ليفتح الطريق أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص"[٤].

إذن فالقتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنع الظلم والعدوان وإرهاق الشعوب من أمرهم عسرًا كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي ﷺ إنما المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق مستشهدين في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٦].

كان المؤمنون كارهين للقتل وإزهاق الأرواح، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل، والإيمان بالله وحده الذي لا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ابن حجر ١٢٧/٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٤) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان يوسف ص ١٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

شريك له[١].

(ولا شك أن الانتصارات التي أحرزها المسلمون في حروبهم الجهادية، كانت سببًا في دخول الناس إلى هذا الدين أفواجًا، وفتح مكة خير دليل على ما نقول.. وكذلك الفتوحات التالية في بلاد فارس والروم.

وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ... فالقوة إلى جانب الدعوة لها أثر كبير في انتشارها.

وإن رحمة المسلمين في جهادهم بالمحاربين، والبلاد المفتوحة، كانت من الأسباب القوية التي جعلت الناس يقبلون على هذا الدين، وينضوون تحت لواء جهاده بعد أيام قليلة من الفتح)[٢]، وكل ذلك يدل على فضل الجهاد باعتباره عنصرًا مهمًا من عناصر نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة ص ٦٩.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير يوسف ص ١٨ - ١٩.

الحديث رقم (١٨٥٨)

١٨٥٨- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقولُ: ((**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أصَابَ فَلَهُ أجْرَانِ، وإِذَا حَكَمَ واجْتَهَدَ، فَأخْطَأ، فَلَهُ أجْرٌ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

الشرح الأدبي

إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتعقل والتأمل والتدبر، والمسلم من سماته الفطنة والكياسة، والفراسة ودقة النظر، وحسن الفهم، وقوة الحجة، وهو بهذه السمات من أولي الألباب، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض؛ وفي ضوء هذه الخصائص التي يتحلى بها المؤمن الصادق في إيمانه نقرأ هذا الحديث الشريف الذي حدد صنفًا من المسلمين وهو: "الحاكم والإمام" الذي بيده شؤون الرعية، أو القاضي الذي يتولى الفصل في أمور الناس ويحكم بينهم، أو كل من يتولى مسؤولية فضّ المنازعات، والفصل في الخصومات، ولفظ: الحاكم يشع بكل هذه الدلالات، وهذا من بلاغة الرسول ﷺ المحكمة: ألفاظ قليلة تتموج بالدلالات الكثيرة.

ويتكون الحديث من جملتين شرطيتين: الأولى: أداتها (إذا) وهي تفيد التحقق... وقد تصدرت الجملة التي تشع بالصواب في الاجتهاد. فالحكم نابع من الاجتهاد الصائب، والأجر مضاعف، ويوحي التعبير "بإذا" بالحث على الاجتهاد في الحكم، حيث يكون الحاكم من أهل الاجتهاد، ويجتهد فيما يسوغ الاجتهاد فيه، ولذلك جاء التعبير "بثم" ليفيد التأني في تلمس معالم الحكم وأدلته ومواطن صوابه.. "فاجتهد ثم أصاب، فله أجران"، أجر لاجتهاده، وأجر لإصابته، وأسلوب الشرط والجواب يناسب جو الحديث لأنه يعد بالأجر المضاعف، والجزاء من جنس العمل، والجملة الثانية

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٥٢، ومسلم ١٧١٦/١٥ ولفظهما سواء.

صيغت كذلك في قالب الشرط والجواب، ولكن أداة الشرط هي: (إن) لأن الخطأ بعيد عن اليقين. فالتعبير "بإن" هنا أنسب للسياق وللمقام، والعطف بالواو هنا في قوله: "واجتهد" يوحي بعدم التنسيق وبعدم ترتيب النتائج على المقدمات، لأن الواو لمطلق الجمع، أما في مقام الصواب: فقال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد) حيث عطف بالفاء وهي توحي بالترتيب والمتابعة والتعقيب، وعدم التراخي في ترتيب الأمور والتفكر فيها.

وقوله: (فأخطأ) هنا يوحي بالسرعة وعدم التأني: لأن الاجتهاد يحتاج إلى مراجعة وموازنة وقياس. وإعمال للفكر، ومعرفة بالأدلة العقلية والنقلية، وأما في سياق الاجتهاد الصائب فقد عطف "بثم"، حيث قال: "ثم أصاب"، وهذا يوحي بالتأني والتدبروالاستقصاء والموازنة، والقياس... ومعرفة الأدلة والمسائل المشابهة والمناظرة، والأجر على محاولته الاجتهاد وهو أهل له.

وما أجمل هذا البيان النبوي، الذي يفيض بالأسرار التعبيرية والجمالية، ولا غرابة في ذلك فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم للحكم، فإن أصاب فله أجران: أجر اجتهاده، وأجر إصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده. أما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاصٍ في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها لا يعذر في شيء من ذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الحاكم وأهمية وفضل اجتهاده وإصابته في الحكم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٣، ١٤.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على الحاكم المجتهد في الوصول للحق وعدم حرمانه ثواب اجتهاده.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على إخلاص النية لله تعالى في الأعمال.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الحاكم وأهمية وفضل اجتهاده وإصابته في الحكم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر". المجتهد هو الذي يحصل منه الاجتهاد ويقوم به[1].

قال النووي: (أجمع العلماء على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران، أجر باجتهاده وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده.. فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له، بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاصٍ في جميع أحكامه، سواء وافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك، وقد جاء في السنن: ((الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُل قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ))[2]"[3].

فالحاكم عليه مسؤولية الحكم الصادر عنه، فلا بد أن يجتهد ويستفرغ وسعه في طلب الحق، حتى يكون مصيبًا في حكمه، فإن أصاب الحق كان له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد.

قال ابن حجر: (قال القرطبي: قوله: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب" هكذا وقع في الحديث والأمر بالعكس، فإن الاجتهاد يتقدم على الحكم، إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقًا، لكن التقدير في قوله: "إذا حكم"، إذا أراد أن يحكم

---

(١) انظر: أصول مذهب الإمام أحمد دراسة مقارنة، د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ص ٦٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠٥١).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٤.

فعند ذلك يجتهد، قال: ويؤيده أن أهل الأصول قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلاف غيره)[١].

قال الإمام البغوي: (الاجتهاد هو رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طرق القياس، فعلى الحاكم أن يحكم بما في كتاب الله سبحانه وتعالى، فإن لم تكن الحادثة التي يحتاج إلى الحكم فيها في كتاب الله، فيحكم بالسنة عن رسول الله ﷺ، فإن لم يجدها في السنة، فحينئذ يجتهد، والدليل عليه ما رُوي عن معاذ أن النبي ﷺ قال له لما أراد أن يبعثه إلى اليمن: ((كيف تقضي إذا عرض لك قضاءٌ؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنُة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يُرضي رسول الله))[٢].

(قوله: "أجتهد رأيي" لم يُرد به الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه أو يخطر بباله على غير أصل من كتاب، أو سنة، بل أراد به رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة عن طريق القياس)[٣].

واشترط الأصوليون في المجتهد أن يكون مسلمًا، صحيح الفهم، عالمًا بمصادر الأحكام، من كتاب وسنة وإجماع وقياس، وبالناسخ منها والمنسوخ، عالمًا باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، عالمًا بأصول الفقه.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/٥، ١٦٧، وهذا ملخص ابن حجر، فتح الباري ٣٣١/١٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٦/٥، ٢٤٢، رقم ٢٢٠٠٧، وأبو داود ٣٥٩٢، والترمذي ١٣٢٧، وقال محققا شرح السنة: وقد ضعف بجهالة الحارث بن عمر، وبجهالة شيوخه الذين روي عنهم، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين منهم أبوبكر الرازي، وأبوبكر العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية... انظر: شرح السنة (حاشية) ١١٦/١٠، ١١٧. وللاستزادة انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٢٨، ١٣٩.

(٣) شرح السنة ١١٦/١٠.

والمراد بمعرفة الكتاب معرفة آيات الأحكام، وليس المراد حفظها بل معرفة مواقعها بحيث يستطيع الوصول إليها بيسر وسهولة، ويستطيع معرفة معانيها كذلك. والمراد بمعرفة السنّة معرفة ما ورد من الأحاديث في الأحكام، وليس المراد حفظها، وإنما يكفي أن يكون لديه أصل جامع لغالبية أحاديث الأحكام يستطيع أن يتعرف فيه بيسر وسهولة، مواقع كل باب منها ليرجع إليه عند الحاجة، ولابد أن يعرف المقبول منها من المردود. واشترطت معرفته بالناسخ والمنسوخ، لئلا يفتي بما هو منسوخ. واشترطت معرفته بالعربية لكي يتمكن من فهم القرآن والسنة على وجههما الصحيح، لأنهما وردا بلسان العرب، وجريا على أساليب كلامهم. واشترطت معرفته بأصول الفقه لكيلا يخرج في استنباطه للأحكام، وفي الترجيح عند التعارض، عن القواعد الصحيحة لذلك.

وهذه الشروط إنما هي للمجتهد المطلق المتصدي للاجتهاد في جميع مسائل الفقه)[1].

والاجتهاد عمل شرعي مهم للغاية. وتتمثل أهميته فيما يلي:

إيجاد الأحكام والحلول للمشكلات والنوازل المستجدة، وتسهيل حياة الناس وتيسير ظروفهم وأحوالهم، بجلب ما يصلحهم وينفعهم، ودفع ما يهلكهم ويضر بهم.

تأكيد خاصيات وسمات صلاحية الشريعة وواقعيتها ومرونتها، وقدرتها على التطبيق والتحقق في جميع الأعصار والأمصار.

فلولا الاجتهاد - بفضل الله تعالى - لبقيت العديد من المشكلات والقضايا دون حلول وأحكام شرعية، وهذا يعطل الشرع ويغيبه، ويترك المجال سانحاً لغزو الأفكار والمذاهب والتيارات غير الشرعية محل الفقه الإسلامي.

إعمال الفكر وإثراء العقل وتطوير البحوث النظرية والشرعية وتوسيع مدارك المتعلمين والمتفقهين، وتعميق الحوار البناء والمناظرات الأدبية الفاعلة والمفيدة.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٧/١.

تعميق الارتباط المتين بالكتاب والسنة، وبآثار وفتاوى وحياة السلف والخلف، وباللغة العربية وبجملة تراثنا وتاريخنا المجيد، ويتحقق هذا من خلال التعامل مع المعطيات الشرعية واللغوية والتاريخية أثناء عملية الاجتهاد واستخراج الأحكام وإيجاد الحلول الإسلامية.

ربط الإنسان بعصره وهمومه ونوازله، وجعله إنسانًا واقعيًا يفهم حياته وعصره، ويعمل على تقديم الحلول الإسلامية البناءة لما يحتاجه أهل عصره، بلا إفراط ولا تفريط، وبلا تسيب ولا مبالغة، وإنما وفق المنهج الوسطي الاعتدالي للشريعة الإسلامية الغراء.

تحقيق التعبد بالاجتهاد والنظر في الأدلة وفهمها وتمثلها وتكرارها، والموازنة والترجيح بينهما، وهذا كله يفضي إلى كسب الثواب والأجر، ويؤول إلى تحصيل مرضاة الله تعالى والظفر بجناته، بسبب طلب العلم والتماس طريق معرفة الأحكام، وإدراك الحلال والحرام، والترشح لمكانة العلماء الكرام في يوم يشتد فيه البأس والزحام[1]".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على الحاكم المجتهد في الوصول للحق وعدم حرمانه ثواب اجتهاده:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر).

قال ابن حجر: "قال ابن العربي: عندي في هذا الحديث فائدة زائدة وهي: أن الأجر على العمل القاصر على العامل واحد، والأجر على العمل المتعدي يضاعف، فإنه يؤجر في نفسه، وينجر له كل ما يتعلق بغيره من جنسه، فإذا قضى بالحق وأعطاه لمستحقه ثبت له أجر اجتهاده، وجرى له مثل أجر مستحق الحق، فلو كان أحد الخصمين ألحن بحجته من الآخرة فقضى له -والحق في نفس الأمر لغيره- كان له أجر الاجتهاد فقط. قلت: وتمامه أن يقال: ولا يؤاخذ بإعطاء الحق لغير مستحقه، لأنه لم يتعمد ذلك، بل

---

(١) تعليم أصول الفقه، د. نور الدين الخادمي ص ٤٠١-٤٠٢.

وزر المحكوم له قاصر عليه، ولا يخفى أن محل ذلك أن يبذل وسعه في الاجتهاد وهو من أهله، وإلا فقد يلحق به الوزر إن أخل بذلك. والله أعلم"[١].

قال ابن عثيمين: "المراد بالحاكم هنا القاضي، والظاهر أن المفتي مثله، يعني أن الإنسان إذا اجتهد في طلب الحق، وتبين له شيء من الحق ثم أفتى به - أو حكم به - فهو على خير: إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا يضيع الله تبارك وتعالى أجر من أحسن عملاً، فدل ذلك على أن الإنسان إذا اجتهد وتحرى الحق وبذل وسعه في ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يثيبه على هذا، إن أصاب فله أجران: الاجر الأول على إصابة الحق، والثاني على اجتهاده، وإن أخطأ فله أجر واحد، وهو الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في طلب الحق"[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على إخلاص النية لله تعالى في الأعمال:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث بيّن رسول الله ﷺ أن الحاكم إذا اجتهد في حكمه فله من الله الأجر والثواب أصاب أو أخطأ، لأنه أخلص نيته في عمله لله تعالى.

قال ابن القيم: وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدًا غير الله ولا مجازيًا سواه.

وقال صاحب المنازل: الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب، أي: لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنًا من كان"[٣].

فلا بد أن يكون العمل خالصًا لله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٢/١٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٨٨/٢.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١٤/٢ - ٣١٥.

صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[(٢)]، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، على متابعة أمره وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه منثورًا.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[(٣)]، وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا؛ فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء"[(٤)].

فهدف الدعوة إلى الله إخلاص النية في العمل لله تعالى، وبذل الوسع والطاقة في تحصيل الحق.



(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/١٧٦.

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة